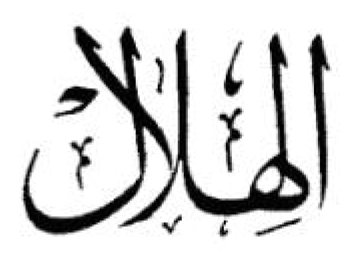


الجزء الاول من السنة العشرين

اول اكتوبر (ت ١) سنة ١٩١١ و ٨ شوال سنة ١٣٢٩



فرنسا والمانيا

تاريخ علاقاتهما والمقابلة بين قواتهما

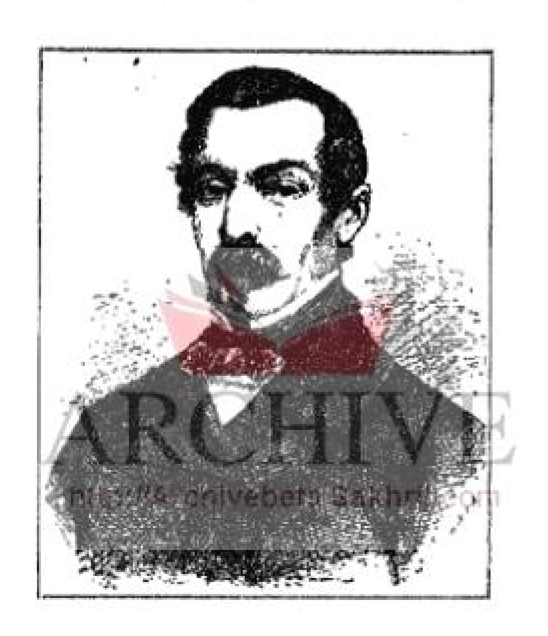
احتدم الجدال بين فرنسا والمانيا في هذه الاثناء بسبب مراكش حتى اصبحت الحرب على الابواب . فرأينا ان نلم بتاريخ علائقهما ونقابل بين قواتهما وسائر احوالهما

حرب السبعين

لم تقم بين هاتين الدولتين حرب اعظم من حربهما سنة ١٨٧٠ وتعرف بحرب السبعين ولم تكن المانيا قد تألفت كما هي الآن وانما قامت الحرب يومئذ بين فرنسا وبروسيا احدى الدول الالمانية ولذلك عرفت تلك الحرب ايضاً بحرب فرنسا وبروسيا

اسباب الحرب

استولى نابوليون الثالث على عرش فرنسا سنة ١٨٥٢ فكانت سيادته سبباً ل
رسوخ قدم الدولة الفرنساوية . وكانت مدة حكمه افضل حكومة عاناها الشعب
الفرنساوي من حيث الرقي ورسوخ الدولة لانه كان حازماً عاقلاً . وفي ايامه اتسع
التجارة الفرنساوية وامتدت السكك الحديدية وتعددت المناجم والمعامل وعمرت المد
الكبرى ولا سيما باريس حتى اصبحت اعظم عواصم اوربا



نابوليون الثالث

على ان هذا لم يتم الا بالانفاق الكثير فعاد ذلك على الامة الفرنساوية بالضرائب
الفادحة . وقد فات نابوليون من الجهة الاخرى ان يرقي الشعب الفرنساوي بالتعل
اللازم على الطرق الحديثة فظلت الافكار مقيدة . وكان نابوليون يعتقد ان الحكو
الملكية الاستبدادية خير الحكومات . والف كتاباً ضخماً في سيرة يوليوس قيصر ذكر فيه
الفرق بين الحكومتين الملكية الاستبدادية والدستورية وفضل الاولى . وتعهد ا
يضمن تقدم فرنسا بها ولا يكون ذلك الا بتوسيع دائرة سلطانها بالفتوح أو تقد
على سائر الدول بالنفوذ

وظلَّ نابوليون الثالث قابضاً على حكومته بيدٍ من حديد لا يجسر احد على مقاومة ارادته . حتى اذا شاخ في اواخر ايامه تغلب عليه بعض مخالفيه في هذا الرأي من رجال السياسة واهمهم اثنان لويس تيارس السياسي المؤرخ وجول فافر . وقوي الحزب المعارض فخاف الامبراطور منه فاراد ان يحاسنهُ فامر مجلس الشيوخ ان يضع دستوراً جديداً مبنيّاً على القواعد النيابية الصحيحة فوضعه ونشره في ١٥ اغسطس سنة ١٨٦٩ فتشكل مجلس النواب وعُهد الى أحد اعضائه (أميل اوليفيه) تشكيل وزارة فشكلها من وزراء اكثرهم من طلاب السلام المعارضين للحكم الملكي

وكان الامبراطور ينظر الى بروسيا نظر الارتياب ولا سيما بعد ان حاربت النمسا حرب السبعة الاسابيع المشهورة وانتصرت عليها . ورأى من دهاء وزيرها بسمارك ما خوفه على دولته لان هذا الداهية الالماني كان يعتقد ان الالمان لا يتحدون ويجتمع كلمتهم الا بعد محاربة فرنسا والتغلب عليها . وكانوا الى ذلك العهد أمماً متفرقة كل منها تحكم نفسها . اشهرها بروسيا التي نحن في صددها وملكها وليم الاول بن فريدريك وليم الثالث المولود سنة ١٧٩٧

اول النزاع

على ان النزاع بدأ بين الدولتين بعد الفراغ من حرب الاسابيع السبعة سنة ١٨٦٦ اذ طلب الامبراطور نابوليون الثالث من ملك بروسيا ان يتنازل له عن الارضين الالمانية الواقعة على ضفاف الرين الغربية في مقابل ما نالته بروسيا من اتساع مملكتها على أثر تلك الحرب لان تلك الارضين من جملة حدود فرنسا الطبيعية . فاجاب بسمارك بالرفض القطعي . فعاد نابوليون عن طلبه وعوّض عنه بلائحة قدمها على يد سفيره في برلين يطلب فيها ان تضم فرنسا مملكة البلجيك الى املاكها وان تساعد بروسيا في مقابل ذلك باخضاع جنوبي المانيا لها . فاغتنم بسمارك تلك الفرصة وحبس اللائحة عنده لحين الحاجة ولم يجب عليها بشيء

واراد نابوليون سنة ١٨٦٧ ان يبتاع دوقية لوكسنبرج من ملك هولندا وكان هذا الملك شديد الرغبة في بيعها لحاجته الى نقود. فاعترض بسمارك وطلب ضم لوكسنبرج الى بروسيا لانها جزء من المانيا وان تقام فيها حامية بروسيانية . واشتد الجدال بين

الدولتين لكنه لم يفض الى حرب . وانما انتهى بمؤتمر عقد في لندن قضى باستقلال لوكسنبرج وجعلها مقاطعة قائمة بنفسها بضمانة الدول . فآل هذا الفشل الى ضعف نفوذ فرنسا وكانت الى ذلك الحين في مقدمة الدول الكبرى في اوربا . واخذ نفوذ بروسيا في التغلب وطارت شهرة بسمرك في الآفاق وتعاظم التضاغن بين الدولتين واعتقد الفرنساويون انهم لا يستردون نفوذهم الا بالحرب فاخذوا يتأهبون لها



البرنس بسمارك

وفي اول يوليو سنة ١٨٧٠ طلب الجنرال بريم وزير مملكة اسبانيا من الامير ليوبولد هوهنزولرن احد امراء الالمان ان يرشح نفسه لحكومة الاسبان وكان منصب الملك فيها خالياً . فعدّت فرنسا ذلك الطلب مخلاً بحقوقها فاعترضت عليه اشد الاعتراض وكتبت الى سفير بروسيا في باريس مذكرة شديدة اللهجة . فشخص السفير الى ايمس لمقابلة ملك بروسيا . وتمسك الجنرال بريم بترشيح البرنس ليوبولد المذكور ريثما يجتمع مجلس الامة الاسباني ويبدي رأيه . واجابت بروسيا على مذكرة فرنسا انها لم تداخل في ترشيح ذلك الامير وان مصادقتها على ذلك انما تكون بعد اقرار مجلس الامة الاسباني عليه . فاذا اقرّ المجلس المذكور على ترشيحه لا يسع ملك بروسيا الا معاضدته والاخذ بناصره

ولما اجتمع مجلس الاسبان اقرّ على اختيار ليوبولد والمظنون ان ذلك حصل بدسيسة من البرنس بسمارك ليحمل الفرنساويين على طلب الحرب وهو يعلم تسرعهم في الدفاع عن شرفهم مع ما اصابهم من الفشل وضعة الجانب . وكانت فرنسا آخذة في التأهب فاصبحت المملكة قائمة قاعدة في التجنيد ولا سيما في طولون وشربورغ وغيرهما من المواني الفرنساوية واخذت في حشد جيوشها نحو الرين .وتولى قيادة الحرس الملوكي الجنرال بازين وقيادة جند الرين الجنرال مكماهون .فابى الاميرليوبولدهوهنزلرن ان يكون سبباً لتلك الحرب فانسحب من ذلك المنصب وصادق ملك بروسيا على انسحابه باعتبار كونه رئيساً لاسرة هوهنزلرن . فابى الامبراطور نابليون الا ان يكون



الجنرال مولتكي القائد البروسياني

اعترافه بصفته ملكاً على بروسيا . فعظم ذلك على هذا الملك وجرد جنده نحو الرين بسرعة . ووجد بسمارك الداهية انه قد آن الوقت لنشر اللائحة التي كانت فرنسا قد عرضتها عليه سنة ١٨٦٧ بضم بلجيكا الى املاكها فنشرها فاحدثت تأثيراً شديداً في اوربا ولا سيما في انكلترا لانها كانت قد ضمنت سلامة بلجيكا فطلبت من

امبراطور الفرنساويين الضمانات اللازمة على سلامة تلك المملكة في اثناء حربه مع البروسيانيين

قامت الحرب على ساق وقدم وتقدمت سائر المقاطعات لالمانية للاخذ بناصر البروسيانيين وعهد بقيادة الجند الالماني الى فريدريك وليم ولي العهد وابن عمه البرنس فريدريك شارلس . على ان القيادة العامة انما هي لوليم ملك بروسيا ولكنه عهد بها الى الجنرال الكونت فون مولتكي وهو من اكبر قواد العالم . فاجتمع الجند الالماني بين مايانيس وكوبلنس ثم زحف على الحدود الفرنساوية . واجتمعت الجنود الفرنساوية بقرب نانسي وميتز ثم زحفت على الحدود الالمانية وتولى قيادتها الامبراطور نابليون بنفسه . ولم ينقضِ يوليو من تلك السنة حتى بلغ ما اجتمع من الجند الالماني في تلك الحرب ٧٠٠٠٠٠ مقاتل منتشرة على الحدود الفرنساوية من موسيل الى الرين . وبلغت الجنود الفرنساوية ٣٥٠٠٠٠ مقاتل فقط وقد احتشدوا على الجانب الآخر

اول الحرب

ابتدأت المعركة الاولى في ٣٠ يوليو وانتهت في اول اوغسطس في ساربروكن فاز بها الفرنساويون ففتحوا ذلك البلد ودخلوه ظافرين ثم تحول النصر الى البروسيانيين . ففي ٤ اوغسطس استولوا على ويسنبورج بقيادة ولي العهد فقتل الجنرال دواي قائد الجند الفرنساوي هناك واسر نحو ٨٠٠ من الفرنساويين واصبح البروسيانيون من ذلك الحين مهاجمين بعد ان كانوا مدافعين . وفي ٦ منه جرت واقعة وورث والبروسيانيون بقيادة ولي العهد فشتتوا شمل الفرنساويين وقائدهم المارشال مكماهون واخذوا منهم ٤٠٠٠ أسير وفرقوا بينهم وبين سائر الجند . وبلغت خسائر الفرنساويين يومئذ ١١٠٠٠ نفس ولم تتجاوز خسائر البروسيانيين ٣٥٠٠ واسترجعوا ساربروكن . وطاردوا الفرنساويين حتى اخرجوهم من فورباخ وسان افولد وتيونفيل واخذوا منهم ٨٠٠٠ اسير . وتقهقر الفرنساويون الى ميتز فتعقبهم البروسيان

ولما بلغت اخبار ذلك الانهزام الى باريس هاج اهلها وماجوا ووقع الرعب في قلوبهم وخاف رجال الحكومة ان يثور الاهلون ويخلعوا الامبراطور فتلافوا ذلك الخطر

بمنشورات نشروها في البورصة قالوا فيها ان البروسيانيين دُحروا وكان النصر للفرنساويين . ثم ظهر كذب ذلك الخبر وان الوزارة انما زورته لخداع الاهلين فهاج الشعب وهجموا على قصر اوليفيه رئيس الوزارة وطلبوا الخبر الصحيح . فلم يخبرهم الا بسقوط ويسنبرج وفي اليوم التالي بلغهم سقوط وورث وفورباخ فهاج الشعب على الوزارة. وكانت الامبراطورة اوجني هناك نائبة عن زوجها فجمعت مجلس الشيوخ والمجلس التشريعي في ٩ اوغسطس سنة ١٨٧٠ ولم يكد اوليفيه يقف للخطابة حتى عارضوه فاستقالت وزارته وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الكونت باليكاو



المارشال مكماهون القائد الفرنساوي

وفي اثناء ذلك استعفى المارشال لابوف وكان تحت يد الامبراطور فعين المارشال مازين قائداً عاماً للجند الفرنساوي . وتقدم جناح الجند البروسياني وقلبه تحت قيادة الجنرال فون شتاينتز والبرنس فريدريك شارلس الى ميتز عاصمة اللورين . وذهب الجنرال فون وردرشتين ايضاً مع جنود جنوبي المانيا لمحاصرة ستراسبورج اكبر مدن الالزاس . وسار ولي العهد بجند يطلب المارشال مكماهون في نانسي . فما عتم ان فتحها

وتقهقر مكماهون الى شالون سير مارن . وفاز الجند البروسياني مثل هذا الفوز في ميتز وتقهقر الفرنساويون بخسائر فادحة وفي ١٥ اوغسطس سنة ١٨٧٠ عبر البروسيانيون نهر موسيل بين ميتز وتيونفيل ليقطعوا على بازين خط الرجوع الى باريس . وفي ١٦ منه حدثت معركة في فيونفيل دُحر فيها الفرنساويون واصبحوا في خطر شديد . واجتمعوا في اليوم التالي من كل صوب ليدافعوا الدفاع الاخير فحدثت معركة ريزونفيل غربي ميتز في ١٧ اوغسطس دامت تسع ساعات فشل فيها بازين وجنده وكثر القتل في الجانبين حتى تغطت السهول بالجثث . وبلغتْ خسائر الفرنساويين في ذلك الاسبوع نحو ٥٠٠٠٠ بين قتيل وجريح واسير . وكانت خسائر البروسيانيين كثيرة ايضاً . واخيراً حوصر بازين بجوار ميتز وقطعت العلائق بينه وبين باريس فاصبح في ضيق شديد . وكان ولي العهد من الجهة الاخرى قد تجاوز ميتز بمئتي الف مقاتل نحو الجنوب يطلب باريس بطريق شالون سير مارن وامامه المارشال مكماهون يتقهقر بما بقي من جنده . ثم انتقل الملك وليم بجنده قرب ميتز يرافق ولي العهد لحصر باريس

اما مكماهون بعد جلائه عن شالون سير مارن في ٢٣ اوغسطس جاءه المدد فاراد ان ينجد بازين قرب ميتز فعدل ولي العهد عن طريقه الى العاصمة وتعقب مكماهون شمالاً الى حدود بلجيكا وحدث بين الجندين مناوشات قوية في ٢٨ و٢٩ اوغسطس. وفي ٣٠ منه تحرك مكماهون نحو مونمدي فلقيه البروسيانيون وغلبوه على امره واخذوا منه ١٢ مدفعاً والوفاً من الاسرى . وجاء الجيشين مددٌ في ذلك الليل فتجددت المعركة في الصباح (٣١ منه) فغلب الفرنساويون وتقهقروا الى سيدان

التسليم

وفي الصباح التالي (اول سبتمبر) جاء المدد الى جند مكماهون فتحصن في مكان قرب سيدان عند حدود بلجيكا فبدأ البروسيانيون الحرب من الساعة الخامسة صباحاً ودافع الفرنساويون دفاع الابطال. وفي الظهر ارتد البروسيانيون عنهم بلاجدوى فاعادوا الكرة بعزم ثابت فارتدوا خاسرين فعظم ذلك عليهم فهجموا في الساعة ٣ بعد الظهر هجوم اليأس ولم يستطع الفرنساويون ردهم ففر الفرنساويون فتعقبهم اعداؤهم حتى اظلم الليل فعاد البروسيانيون ظافرين لكنهم خسروا ٣٠٠٠٠ بين قتيل وجريح وخسر الفرنساويون ٢٠٠٠٠ فقط

وفعل المارشال بازين نحو هذا الفعل في اول سبتمبر ليتخلص من حصاره فلم ينجح . واصيب المارشال مكماهون بجرح في اثناء تلك المعركة ويئس جنده من الظفر فسلم لملك بروسيا

اما الامبراطور نابليون فكان مع مكماهون في سيدان ولم تبق له حيلة في الدفاع لذهاب جنده فسلم هو ايضاً . وهاك نص قوله في كتاب التسليم « بما اني لا استطيع ان اموت في مقدمة رجالي (لانهم سلموا) فاني القي سيفي عند قدمي جلالتكم » فعامله الملك بلطف واكرام وافرد له قصراً قرب كاسل لسكناه في اثناء اسره

قلب الحكومة الفرنساوية

ولما بلغ الباريسيين تسليم مكماهون والامبراطور في سيدان اسقط في ايديهم واخذوا يتجمهرون في الاسواق والاندية يطلبون خلع الامبراطور وطرد اسرته وانشاء جمهورية . وفي ٤ سبتمبر اشتدت الواقعة وتعاظم الخطب واتفق الحرس الوطني مع الشعب على اعادة الجمهورية واخذوا يرتلون النشيد الوطني (مرسلييز) وصاحوا يطلبون خلع الاسرة المالكة وانشاء جمهورية . وعطل مجلس الشيوخ وحل المجلس التشريعي واعلنوا ان الاسرة البونابرتية خانت الوطن . ومشى اعضاء الجمهورية الى دار الحكومة ونظموا حكومة موقتة مؤلفة من ١١ شخصاً منهم عمانويل اراغو وعمانويل كريميو وجول فري وجول فافر وجول سيمون وليون غمبتا وغيرهم وكلهم من نواب باريس . فطار الباريسيون فرحاً بقلب الحكومة وتعانقوا وبكوا من الفرح وهجموا على كل ما للامبراطور فافسدوه وازالوا شارات الملكية

وفي اليوم التالي (٥ سبتمبر) اعلنت الحكومة الوقتية انقلاب الحكومة الى جمهورية وانحلال المشيخة ومجلس التشريع . جرى ذلك كله ولم يختلف فيه اثنان ولا انتطح فيه عنزان . وفرّت الامبراطورة اوجني من باريس الى انكلترا وكانت جمهورية الولايات المتحدة في مقدمة الحكومات التي اعترفت بالجمهورية الفرنساوية

حصار باريس

أما البروسيانيون فبعد ان سلم لهم مكماهون والامبراطور نابليون في سيدان زحف ملكهم ومعه ولي عهده ميلي عهد سكسونيا والكونت فون مولتكي والكونت فون

بسمارك على باريس في ٤٠٠٠٠٠ مقاتل فوصلوها وحاصروها و بذل الباريسيون جهدهم في عقد الصلح مع المانيا ورحل تيارس السياسي المؤرخ المتقدم ذكره الى لندن وفينا و بطرسبورج يلتمس التوسط في ذلك ولم ينجح . وخرج جول فافر وهو وزير الخارجية يومئذ لزيارة الكونت فون بسمارك يطلب كف العدوان وعقد الصلح فاجابه بسمارك « ان الصلح لا يمكن عقده اذ ليس في باريس حكومة ثابتة . ومع ذلك فان بروسيا لا يمكن ان تتنازل عن ضم الالزاس واللورين الفرنساويتين الى املاكها » فابى الفرنساويون ان يتنازلوا عن شيء من املاكهم . لكن البروسيانيين من يوم وطئوا فرنسا بعثوا جنداً احتل استراسبورج

وفي ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٠ تجمع نصف مليون من الجند البروسياني حول باريس واعلنوا حصارها ونزل الملك وليم في فرير وولي عهده في فرسايل وولي عهد سكسونيا في غران ترمبلي . وكان في باريس من الحامية ٢٣٠٠٠٠ بقيادة الجنرال تروشو وعزم الباريسيون على التفاني في الدفاع عن عاصمتهم وكانوا قد حصنوها ومونوا لها . فحدثت وقائع عديدة لا فائدة من ذكرها وكان بعض اعضاء الحكومة الوقتية قد خرجوا الى تورس قبل الحصار ليستطيعوا مخابرة العالم الخارجي وكانوا يخابرون رفاقهم في باريس بواسطة المناطيد . وانخرط الجنرال غاريبالدي وولداه في خدمة الجمهورية الفرنساوية . واجتمع نحو مئة الف مقاتل من الفرنساويين من لوار . على ان الحصار اشتد على الفرنساويين في غير باريس ايضاً . فاضطر الجنرال بازين الى تسليم ميتز ومن فيها في ٢٧ اكتوبر فكان لهذا التسليم وقع شديد على قلوب الفرنساويين واتهموا بازين بالخيانة لانه لم يكن ممن اعترفوا بالجمهورية . فاعلنوا خيانته وان يقبض عليه حيثما وجد

الوحدة الالمانية

وعاد الفرنساويون الى المخابرة بشأن الصلح فلم يقبل بسمارك به ما لم تترك الالزاس واللورين لبروسيا وحدث في اثناء ذلك وقائع كثيرة لا محل لها . وفي اثناء ذلك الحصار انضمت سائر مقاطعات المانيا الى بروسيا وصاروا مملكة واحدة سموها امبراطورية المانيا وسموا وليم الاول ملك بروسيا امبراطوراً عليها ودعوه امبراطور المانيا واعلنوا ذلك رسمياً في ١٨ يناير سنة ١٨٧١

عقد الصلح

وبالغوا في تشديد الحصار على باريس حتى ذاق اهلها العذاب الشديد من الضيق فعادوا الى المخابرة بشأن الصلح قهراً فخابروا الالمان وتم الاتفاق اخيراً على هدنة ثلاثة اسابيع ينتخب الفرنساويون في اثنائها نواباً ينوبون عن الامة في عقد الصلح في بوردو. فعقدوا لذلك اتفاقاً في ٢٨ ينايرسنة ١٨٧١ وقع عليه جول فافر بالنيابة عن الفرنساويين وبسمارك عن الالمان . وبذل الفرنساويون جهدهم على اختلاف احزابهم في انتخاب نوابهم وتم ذلك في ٨ فبراير وكانت الاكثرية من حزب الجمهوريين والاورليانيين . فاجتمع مجلس النواب في بوردو في ١٥ فبراير وانتخب تيارس رئيساً له وللجمهورية الفرنساوية بالاجماع . وبعد المداولة والاخذ والرد تم الاتفاق في ٢٨ فبراير سنة ١٨٧١ على معاهدة امضاها تيارس وفافر عن الفرنساويين وبسمارك عن الالمان . تقضي أن تتنازل فرنسا عن الالزاس وفي جملتها ستراسبورج وعن خمس اللورين وفيها ميتز وان تدفع غرامة حربية مقدارها خمسة مليارات فرنك (٢٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه) في اثناء خمس سنين . و بذلك انقضت حرب السبعين

وقد مضى على تلك الحرب الى الآن نيف واربعون سنة والفرنساويون لا ينسون ما اصابهم منها . واما الالمان فانهم خرجوا ظافرين وقد اتحدت كلمتهم واعادوا لامبراطورية الالمانية وصار ملك بروسيا امبراطوراً واتجهت الافكار الى تأييدها واصبحت كل من الدولتين واقفة لصاحبتها بالمرصاد تعقد المعاهدات والمحالفات مع الدول الاخرى خوفاً من ان تغدر بها صاحبتها على ضعف منها مما يطول شرحه . وخلاصة ما وصلت اليه فرنسا حتى الآن انما هي محالفة روسيا وصداقة انكلترا وولاء اسبانيا. اما المانيا فقد حالفت النمسا وايطاليا حتى اذا حدثت مسألة مراكش التي سنفصلها في مكان آخر من هذا الهلال عادت الشحناء وايقظت الفتنة وخاف الناس الحرب بين الدولتين فاستحسنا أن نقابل بين احوالهما عند انتشاب تلك الحرب سنة ١٨٧١ وما صارت اليه الآن

فرنسا سنة ١٨٧٠ و ١٩١١

سارت الدولتان في حياتها السياسية بعد سنة ١٨٧٠ سيرًا مختلفاً في السياسة والاجتماع والاقتصاد . فوصلا الى نتائج مختلفة يحسن بنا بيان شيء منها على سبيل المثال :

احصاء فرنسا والمانيا

كانت مساحة فرنسا سنة ١٨٧٠ نحو ٧٠٠ ٢٢٢ ميل مربع وعدد سكانها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٨ نفس فصارت مساحتها بعد الحرب السبعينية ٢٠٧٠٥٤ ميلاً وصار عدد سكانها ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٦ نفس . ولم يزد في احصائها الاخير سنة ١٩٠٦ على ٠٠٠ ٢٥٢ ٣٩ نفس وهي زيادة قليلة جدًا بالنظر الى المانيا

وكان عدد سكان عاصمتها باريس سنة ١٨٧٠ نحو ٠٠٠ ٧٥٠ ١ نفس فصار في الاحصاء الاخير ٢٨٤٦٩٨٦

وكان دخل الحكومة الفرنساوية لسنة ١٨٦٥ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥ جنيه وكذلك نفقاتها . وصار مقدار ذلك للسنة الماضية ٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٠ جنيه

وكان دينها سنة ١٨٧٠ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٠٠ جنيه فاصبح للعام الماضي ٠٠٠ ٢٥٧٢٨٧ ١

وكانت حكومتها ملكية مطلقة فاصبحت جمهورية حرة

جند فرنسا وقوتها البحرية

كانت قوتها البرية سنة ١٨٧٠ مؤلفة من المشاة وعددهم نحو ٠٠٠ ٢٥٠ مقاتل يمكن زيادتهم في الحرب الى ضعفي هذا العدد . والفرسان نحو ٠٠٠ ٦٢ وتزاد في الحرب الى ٠٠٠ ١٠٠ وعدد الطوبجية ٠٠٠ ١٦ تزاد وقت الحرب الى ٠٠٠ ٢٠ وقوتها البحرية كانت مؤلفة من ٣٣ دارعة من قوات مختلفة مجموع قواتها ١٨٥٧٥ حصاناً وعليها ٧٧٧ مدفعاً

أما الآن (سنة ١٩١١) فمجموع جندها البري نحو ٠٠٠ ٦٣١ نفس في فرنسا ومستعمراتها وقوتها البحرية مؤلفة كما يأتي :

	عدد
سفن حربية دريدنوط	٢٢
« « « تحت البناء	٤
طرادات من الدرجة الاولى	١٥
« « « الثانية	١٢
« « « الثالثة	٢١
مدمرات	٧٥
رعادات حديثة	١١
غواصات	٧٠
الجملة	٢٣٠

المانيا سنة ١٨٧٠ و ١٩١١

احصاؤها وماليتها

كانت بروسيا سنة ١٨٧٠ مملكة فصارت امبراطورية تشمل مقاطعات الالمان وكانت مساحتها نحو ١٣٧٠٠٠ ميل مربع فاصبحت الآن ٢٠٨٧٨٠ وكان عدد سكانها لسنة ١٨٧٠ أقل من ٢٣٠٠٠٠٠٠ نفس في بروسيا فاصبح للسنة الماضية ٦٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نفس في المانيا كلها ٠ ومنها في بروسيا وحدها ٤٠٢٠٠٠٠٠ نفس أي انها تضاعفت تقريباً عما كانت عليه في الحرب السبعينية . وكان عدد سكان برلين سنة ١٨٧٠ نحو ٥٤٧٥٠٠ نفس فاصبح للسنة الماضية نيفاً و ٢٠٠٠٠٠٠ نفس أي صار الى اربعة اضعافه

وبلغت ميزانية حكومتها لسنة ١٨٧٠ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه من الدخل ومثلها من الخرج وهي الآن ١٤٢٠٠٠٠٠٠ جنيه لكل من القلمين . وكان عليها من الدين نحو ٤٨٠٠٠٠٠٠ جنيه وهو الآن لا يزيد على ذلك . ولكن للحكومة اموالاً مختزنة لمشروعات مختلفة تزيد على اضعاف هذا المبلغ

جندها وقوتها البحرية

وأما جندها فقد كان في الحرب السبعينية نحو جند فرنسا أو أقل منه وانما زيد بالنجدات وهو الآن نحو ذلك العدد . لكنها تضاعفه عند الاقتضاء

أما القوات البحرية فكانت سنة ١٨٧٠ عبارة عن عشر مدرعات محمولها ٢٥٠ مدفعاً وعشر سفن أخرى محمولها ٤٠ مدفعاً و٨ كورفيتات كبيرة محمولها ٢٢٤ مدفعاً و٦ كورفيتات صغيرة محمولها ٩٣ مدفعاً . أما الآن فهي كما يأتي

	عدد
سفن حربية دريدنوط	٢٨
« « « تحت البناء	١٣
طرادات من الدرجة الاولى	٩
« « « الثانية	٦
« « « الثالثة	٣٠
مدمرات	٩٧
غواصات	١٢
الجملة	١٩٥

المقابلة بين الدولتين

يؤخذ من النظر الى هاتين الدولتين ومقابلة ما كانتا عليه سنة ١٨٧٠ وما صارتا اليه الآن ان المانيا سبقت فرنسا شوطاً بعيداً وخصوصاً في مساحة المملكة وعدد سكانها . فقد كانت مساحة فرنسا قبل حرب السبعين ٢١٢٧٠٠ ميل مربع فاصبحت ٢٠٧٠٠٠ ميل بما قضى به الصلح لالمانيا . وكان عدد سكانها ٣٨٠٠٠٠٠٠ اخرج الصلح منهم نحو مليونين فبقي ٣٦ مليوناً ولم يزيدوا في اثناء الاربعين سنة الاخيرة الا ثلاثة ملايين وبعض المليون . مع ان عدد سكان المانيا صار الى ثلاثة اضعافه بسبب انضمام سائر المقاطعات الالمانية مع زيادة النمو فيها . فان بروسيا وحدها كان سكانها قبل حرب السبعين ٢٣٠٠٠٠٠٠ نفس فاصبح الآن ٤٠ مليوناً أي صار الى نحو ضعفيه . والسبب في ذلك تمسك الفرنساويين بالعزوبية فراراً من اتعاب العائلة والتماساً للتمتع براحة الحياة دون مشاقها فضلاً عن تحديد عدد المواليد للمتزوجين . غير انغماسهم في الترف والرخاء والاشتغال عما هو طبيعي بما هو غير طبيعي . ولذلك رأيت امم اوربا تنمو وتتكاثر عددها الا فرنسا فانها تكاد تكون آخذة في التناقص . ولا تشعر لامة

يضرر هذه الخطة الا عند الاضطرار للاجماع في الدفاع عن الوطن

كان الفرنساويون سنة ١٨٧٠ يزيدون على البروسيانيين ١٥٠٠٠٠٠٠ نفس فاصبح الالمانيون يزيدون عليهم ٢٥٠٠٠٠٠٠ وليس كله من اتساع مساحة المملكة ولكن اكثره من النمو الطبيعي بالزواج والالتفات الى العائلة . رغم المهاجرات المتوالية التي قضت الاحوال فيها على الالمان

واعتبر ذلك أيضاً في عدد سكان المدن الكبرى فقد كانت باريس سنة ١٨٧٠ أم مدائن اوربا وعدد سكانها يومئذ ١٧٥٠٠٠٠ نفس فاصبح الآن ٢٨٠٦٩٨٦ نفساً أي انه لم يزد الا مليون وبعض المليون . أما برلين عاصمة المانيا فكان عدد سكانها ربع مليون نفس فاصبح مليونين وذلك تابع طبعاً لاحصاء السكان العام

واذا نظرنا الى مالية الدولة من حيث ميزانية الحكومة فاننا نجد سبق المانيا مضطرداً فيها . كان دخل حكومة فرنسا سنة ١٨٧٠ نحو ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه فصار الآن ١٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي لم يزد على ضعفيه الا قليلاً . اما المانيا فكان ٢٠٠٠٠٠٠٠ فصار ١٤٢٠٠٠٠٠٠ جنيه اي زاد على سبعة اضعافه . واعتبر ذلك في سائر الاحوال

اختلاف الامزجة بين الامتين

والامتان تختلفان في طبائع الامزجة فالفرنساوي ذكي الفؤاد حاد المزاج سريع التأثر مثل اكثر الشعوب الرومانية قوي الاريحة سريع النجدة ربما ضحى مصلحة نفسه في سبيل انجاد صديقه أو جاره . وقد برهنت الامة الفرنساوية على ذلك في كثير من الاحوال اذ جعلت نفسها نصيرة لطلاب الحرية في كل مكان وزمان . فلم تقم امة في القرن الماضي وقبله تطلب الحرية الا نصرتها فرنسا ادبياً ومادياً في اميركا واوربا . هذه الولايات المتحدة لا تزال تذكر هذا الفضل لفرنسا في مساعدتها على التخلص من نير الانكليز وكم جردت لنصرة الدولة العثمانية في حرب القرم ولنصرة اليونان في تحريرهم وغير ذلك مما هو مشهور

كانت فرنسا تنصر المظلومين رغبة في نصرة الحرية وقد خسرت بذلك مالاً ورجالاً ولم تستعض شيئاً لمصلحتها وهذا فخر لها في سبيل الانسانية . لكنه ليس

من السياسة في شيء وهو تابع لتسرع هذه الامة في التأثر والمبادرة لتغلب العواطف فيها على العقل

اما الالمان ففيهم ميل الى الثبات والتأني وأعمال الفكرة وطول الاناة مثل اكثر الشعوب الجرمانية لتغلب عقولهم على عواطفهم فينظرون الى الاشياء من حيث وجهتها العملية ويستغرقون في ابحاثهم ونظرهم الى ما لايحتمله سواهم وهم بعيدون عن المظاهرات وانما يهمهم الحقيقة . ولذلك رأيناهم يعملون وينمون ويتكاثرون ويتأهبون ويتحصنون والناس لا يعلمون . ولولا اندفاع امبراطورهم ورغبته في الظهور لظلوا على العمل سراً والناس لا يشعرون . فالتفاوت الذي رأيناه بين احوال الامتين يرجع بالاكثر الى اختلافهم في الطبائع والامزجة



اللورد كتشنر عميد انكلترا في مصر

مراكش

تاريخها واحصاؤها وعلاقة الدول بها

مضت بضع سنوات والناس يتحدثون بمراكش وسلطانها وسكانها ومطامع الدول فيها وقد احتدم الجدال الآن بين المانيا وفرنسا بشأنها حتى كاد يفضي الى حرب فرأينا ان نأتي على خلاصة تاريخ هذه المملكة وبيان الاسباب التي آلت الى هذا التنازع

تاريخها القديم

مراكش واقعة في الطرف الغربي من شمالي افريقيا بين بوغاز جبل طارق من الشمال والصحراء الكبرى من الجنوب والجزائر من الشرق والبحر الاتلانتيكي من الغرب . مساحتها نحو ٢١٩٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من مساحة المانيا كلها . واختلفوا في عدد سكانها والاقرب الى الصواب انهم نحو ٥٠٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من المسلمين المالكيين . وليس فيها من المسيحيين الاعشرة آلاف اكثرهم في طنجة . عاصمتها مدينة فاس عدد سكانها ١٤٠٠٠٠ واشهر مدنها طنجة على البحر وسكانها ٣٥٠٠٠ نفس ومراكش المدينة وتيتوان والعريش ورباط وكازابلانكا وسبتة ومليلا وطفيلة ومكناس وغيرها . وفيها جبال الاطلس يبلغ علوها نحو ٥٠٠٠ متر

وكانت هذه البلاد قديماً في جملة شمالي افريقيا وتعرف في التاريخ القديم باسم موريتانيا . وسكانها الاصليون يعرفون بالبربر ويظن بعض علماء طبائع البشر انهم من الجنس القلتي (celte) الذي عمر تلك البلاد وجنوبي اوربا قبل البلاسجة (اليونان والرومان) واستدلوا على ذلك من الملامح واللغات . واما العرب فانهم يسمونهم البربر وهم قبائل لا يحصيها عد وبعض النسابين من العرب يردهم الى نسب عربي من جالية اليمن مما يطول شرحه . ومما لاخلاف فيه ان أولئك البربر كانوا عند الفتح الاسلامي قبائل عديدة تشغل شمالي افريقيا من حدود مصر الى شواطىء الاتلانتيكي وقد حاربهم المسلمون واخضعوهم فجعلوا يدخلون في الاسلام رويداً رويداً حتى شملهم جميعاً . ويقسم شمالي افريقيا الى عدة ممالك ابعدها غرباً مراكش ولذلك سميت ايضاً المغرب الاقصى

دخلت مراكش بعد الاسلام في ما دخل فيه جيرانها من سيادة دولة المسلمين . ولم تخضع مراكش للمسلمين خضوعاً تاماً الا في زمن الوليد بن عبد الملك على يد موسى ابن نصير فاتح الاندلس . وما زالت في سيادة الامويين حتى ذهبت دولتهم وقامت الدولة العباسية (سنة ١٣٢هـ) فاستقل بالمغرب الاغالبة بالقيروان (في تونس) وظهرت دولة الادارسة في مراكش سنة ١٧٢هـ نسبة الى ادريس بن عبدالله من نسل علي بن ابي طالب وبلغت هذه الدولة ابان مجدها في اواسط القرن الثالث للهجرة ثم اخذت في التقهقر حتى ظهر الفاطميون في القيروان واستعانوا بقبيلة كتامة من البرابرة فاعانوهم ففتحوا سائر افريقيا الشمالية فدخلت مراكش في حوزتهم. ثم انتقلت الدولة الفاطمية الى مصر في اواسط القرن الرابع للهجرة ففوضوا حكومة المغرب الى الدولة الزيارية. ثم غلب عليهم المرابطون سنة ٤٤٨ هـ فالموحدون سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠م) وخلفهم بنو مرين على مراكش سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) وقضى المراكشيون في حوزة هذه الدولة الى اواسط القرن التاسع للهجرة (١٤٧٠م) وكانت الدولة الاسلامية قد اخذت في التقهقر فقضى المغاربة مدة هذه الدولة وهم في حروب متوالية فيما بينهم واوربا قد اخذت في النهوض من سباتها واشتغلت في نشر علمها وسلطانها فاصاب مراكش نصيب من ذلك

بدأ ذلك اواسط القرن الرابع عشر اذ تغلب الاسبانيون على العرب في الاندلس وخيروهم بين النصرانية والهجرة فمن ابى الدخول في النصرانية اضطر الى المهاجرة . فهاجر منهم نحو ٨٠٠٠٠٠ نفس الى اقرب البلاد الاسلامية في شمالي افريقيا وفي نفوسهم كره للنصارى لما قاسوه من اضطهادهم على اثر ذلك النصر. فاقاموا في المغرب وهم يتوقعون ان يعودوا الى الاندلس فيفتحوها ثانية . لكنهم لم يستطيعوا ذلك لرسوخ قدم الاسبان والبورتغاليين هناك على اسس المدنية الحديثة. ثم مد البورتغاليون ايديهم الى المغرب ففتحوا كثيراً من شواطيء مراكش واذلوا اهلها . حتى نهض بعض الاشراف العلويين في اواسط القرن العاشر واستقلوا بحكومتها بالتدريج . وهم دولتان احداهما تعرف بالدولة الشريفية والثانية بالدولة الفيلالية . وجعلوا عاصمتهم فاس . واول الدولة الشريفية الشيخ محمد ويرجع بنسبه الى الحسن بن علي . بدأ حكمه سنة ٩٥١ (١٥٤٤ م) وتوالى اعقابه عليها الى سنة ١٠٧٥ هـ فغلبهم الاشراف الفيلاليين واولهم رشيد بن الشريف بن علي . وتوالت السيادة في اعقابه الى الآن وآخرهم عبد الحفيظ بن الحسن الذي ثار على اخيه عبد العزيز وخلعه واخذ السيادة منه سنة ١٩٠٧ . وهاك اسماء سلاطين هذه الدولة وسني حكمهم من رشيد المتقدم ذكره الى الآن

رشيد بن الشريف بن علي تولى السلطنة سنة	١٦٦٤ م
اسماعيل السمين بن الشريف	١٦٧٢
احمد الذهبي	١٧٢٧
عبد الله بن اسماعيل	١٧٢٩
محمد	١٨٥٧
يزيد	١٧٨٩
هشام	١٧٩٢
سليمان بن محمد	١٧٩٥
عبد الرحمن	١٨٢٢
محمد (الثاني)	١٨٥٩
الحسن	١٨٧٣
عبد العزيز بن الحسن	١٨٩٤
عبد الحفيظ (اخوه)	١٩٠٧ ولا يزال

ولم تكن مراكش سالمة لهؤلاء السلاطين فان الافرنج كانوا يهددونهم ويفتحون بعض الشواطيء من بلادهم مثل سبتة وطنجة ومليلة واغادير وغيرها . وكم تعدى عليها البورتغاليون والاسبان والانكليز وغيرهم وتوالت عليها محن كثيرة من الاوبئة والقحط مما يطول شرحه فنكتفي بالاشارة الى اسباب الحركة الاخيرة . وهي ترجع الى مطامع الدول في تلك البقعة لانها كثيرة الخصب وافرة الماء واسعة الارجاء فيها كثير من المعادن والذخائر

واكثر الدول طمعاً فيها الاسبان والفرنساويون والانكليز ثم دخل الالمان. ولكل دولة سبب تتذرع به الى تلك المطامع . فاسبانيا تعد مراكش جارتها واكثر اهلها أصلهم منها . والانكليز يرون فيها باباً للتجارة الى اواسط افريقيا وغربيها وناهيك بحصنها المنيع القائم بجاه مراكش نعني جبل طارق فهي تخاف ان يقيم غيرها حصناً تجاهه على شاطيء افريقيا . واما فرنسا فانها تعدّ نفسها أولى بالشفعة بعد ان دخلت الجزائر في سلطانها . اما الالمان فانهم دخلوا حسداً كما سنبينه

عبد العزيز وعبد الحفيظ

أشهر سلاطين مراكش واقواهم جناناً مولاي الحسن والد السلطان عبد الحفيظ الحالي . تولى السلطنة نيفاً وعشرين سنة (١٨٧٤ - ١٨٩٤) وقبض على حكومته

بيدٍ من حديد وكان شديداً على رعاياه فكانوا يهابونه ولا يحبونه . لم تخل مراكش من دعاة الملك من العرب وغيرهم ينازعون سلاطينها على السيادة لكنهم لم يجسروا على الظهور في ايامه . واما بالنظر الى الاجانب فان اسلافه لم يكونوا يقتربون من الشواطئ وانما ينقطعون في عاصمتهم فاس او نحوها . اما هو فانه نزل طنجة وفيها نواب الدول وقناصلها وجماعة كبيرة من المسيحيين الافرنج وغيرهم فاحتفلوا باستقباله احتفالاً لم يذقه احد قبله



مولاي عبد العزيز سلطان مراكش المخلوع

ومع سعة مراكش فان السلطان قلما يقوى على اخضاع اكثر من نصفها ويبقى النصف الآخر في حوزة القبائل الثائرة اما لمنازعته حق السيادة او للتخلص من الضرائب . ولولا الجامعة الدينية بينهم وبين سلطانهم لتمزقت مراكش ارباً اربا وذكروا من حسنات مولاي الحسن هذا انه اراد ان ينهض بمملكته الى مصاف

الدول المتمدنة اقتداء بالدولة المصرية على زمن اسماعيل فاوفد شباناً من رعاياه الى اوربا لتلقي العلم والتفقه باسباب المدنية . فلما عادوا استقبلهم في مجلس حافل بالمشايخ من رجال دولته واعيان بلاده وكلهم من ذوي اللحى وارباب النفوذ الموروث فاخذ اولئك الشبان يقصون ما شاهدوه في اوربا وما اكتسبوه من اسباب الرقي . فشق ذلك على اصحاب اللحى وقالوا للسلطان الاحسن ان يرجع هؤلاء الشبان الى اوربا لان هذه البدع لاتوافق بلادنا ولا ديننا . فلم يستطع الحسن مراجعتهم لانهم جعلوا لاعتراضهم صبغة دينية

وتزوج الحسن عدة نساء غير الجواري وكان احبهن اليه امرأة شركسية كانت شديدة الذكاء ولدت له ابنه عبد العزيز فربته على التساهل الديني والحرية . وكان المرجو ان ينهض عبد العزيز بالمملكة من حضيض الجهل والتعصب . فلما توفي الحسن خلفه عبد العزيز (سنة ١٨٩٤) واظهر اعتدالاً وتساهلاً وهو شاب في مقتبل العمر . فالتف عليه بعض طلاب الرزق من الافرنج واغتنموا هذه المواهب وحولوها الى ما يفيدهم . فحببوا اليه اموراً يستنكف منها المسلمون وتأباها الآداب الشرقية فانصرفت مواهبه الى التهتك والاشتغال بالملاهي . ولو مني بعشيرين عقلاء بدل هؤلاء لكانت نجاة مراكش على يده ولكن انقلب الامر الى العكس فاصبح رعاياه يكرهونه ويعدونه خارجاً عن السنة والدين . ونهض طلاب السيادة بهذه الحجة يدعون الى خلع طاعته وحاربوه مراراً فعجز عن مناهضتهم فخلعوه وولوا اخاه عبد الحفيظ سنة ١٩٠٧ ولا يزال عليها الى الآن . وقد ظهر لعبد العزيز خطأه في استسلامه للطامعين في المال ولكن بعد فوات الفرصة

أما عبد الحفيظ فانه اقوى من اخيه وقد خافه طلاب السيادة الذين كانوا ينازعون اخاه فوقفوا عند حدهم . ولو ترك لنفسه واكتفى الاوربيون (الافرنج) بالنصح والمشورة لخدموه وخدموا دولته ولكنهم يطمعون بها لانفسهم كما سنبينه

سبب مداخلة اوربا

كان الاوربيون اذا دخلوا مراكش في القرن السابع عشر وما بعده يخافون على حياتهم واموالهم لان المراكشيين كانوا يعدونهم الد اعدائهم وهم الذين طردوا اسلافهم من بيوتهم في الاندلس وصادروهم في اموالهم واهلهم . فكان الافرنجي اذا اجتاز مراكش لتجارة أو غيرها تصدى له اهلها وصادروه . حتى السفراء الذين كانوا يأتون من قبل دولهم بصفة رسمية . كانوا اذا دخلوا مدينة فاس عاصمة المراكشيين ترجلوا



مولاي عبد الحفيظ سلطان مراكش الآن

عن افراسهم وساروا على اقدامهم الى قصر السلطان وهم يحملون الجزية يقدمونها له . واول من ابطل هذه العادة سفير فرنساوي كان كبير النفس فلما وصل باب المدينة وطلب اليه حراسها ان يترجل ابى وقال انه لايترجل لاحد . ودخل المدينة راكباً وهو يحمل النقود فدفعها الى السلطان وسماها هدية بدلاً من جزية ولا تزال تعرف بذلك

اما غير السفراء والقناصل من المسيحيين فكانوا يقاسون من العذاب . تؤخذ اموالهم ويسجنون حتى يفديهم اهلهم او يقتلوا . ولعل المراكشيين كانوا يفعلون ذلك انتقاماً لاجدادهم من قسوة الاسبان عند تغلبهم . ولكن الدول لم تكن تجد بدًّا من فتح مراكش للتجارة ولابطال تجارة الرقيق . فعقدت معاهدات تجارية تقضي للنصارى في اقتناء الارضين وبناء المنازل لانفسهم . ولكن نيل هذا الحق لم يكن ميسوراً لفساد اخلاق الحكام وتعصبهم

الامتيازات

وأخيراً عقدت الدول مؤتمراً في مدريد سنة ١٨٨٠ للوصول الى نتيجة فعلية فقرر ذلك المؤتمر ان لكل تاجر أوربي الحق في سمسارين أو وكيلين من الوطنيين يحملان تجارته في داخل البلاد خوفاً من تعدي الوطنيين . ويكون هذان الوكيلان معفيين من الضرائب لدى الحكومة — وهو امتياز للاجانب في مراكش يشبه امتيازاتهم في مصر وغيرها من المملكة العثمانية . وكان الغرض من هذه الامتيازات حماية الاجانب من تعرض الوطنيين فصارت وسيلة لتعدي الاجانب على الوطنيين — وهكذا اداب امتيازهم في مراكش فتسابق اغنياء الوطنيين واصحاب الاطيان منهم الى الحصول على تلك الوكالة او السمسرة ليتخلصوا بها من دفع الضرائب ويحموا انفسهم من تعدي الجباة . واكثر الدول تساهلاً في اعطاء الحماية فرنسا

فاستغرق المراكشيون في طلب تلك الحماية حتى ان اكبر اشراف وزان ولا يعلوه في المقام غير السلطان طلب من انكلترا ان تمنحه ذلك الامتياز فابت . فطلب من فرنسا فتوسمت به نفعاً لها في الجزائر بما يستطيعه من كف ايدي القبائل اذا ثاروا عليها هناك او ان يمهد لها السبيل في مراكش نفسها فاجابت طلبه . واقتدى به كثيرون وصاروا يبذلون المال في ابتياع تلك الحماية وجعل بعض ذوي المطامع من القناصل الفرنساويين الاتجار بتلك الحماية وسيلة للرزق فكثر المحتمون واصبحت الحكومة تخافهم . ويكفي للمحتمي ان يبرز ورقة الحماية او الوكالة المعطاة له من القنصل فلا يقدر احد على مخاطبته . حتى ان بعضهم كان يدعي الوكالة ويبرز ورقة تشبه التوكيل بالشكل فيخافه الجابي ويبتعد عنه . وقد اخرج بعضهم ورقة اعلان عن الكاكاو فيها صورة وسام ناله صاحب المعمل فلما رأى الجابي الصورة ظنها ختم القنصلاتو الفرنساوية فكف عن المطالبة

ومن خصائص هذه الحماية ان الدولة الحامية تستطيع سحبها والغاءها متى شاءت فلذلك كان حاملها مضطراً لمراعاة الدولة التي تحميه . واصبح لتلك الحماية غرضان الاول ان تحمي حاملها من التعدي والثاني ان تساعده على التعدي . فكانت النتيجة الطبيعية لهذه المساعي الخرقاء قلة الجباية فاضطرت حكومة مراكش للتعويض عن هذا النقص ان تزيد الضرائب على الوطنيين الخاضعين لها . فصارت تطالبهم بما على جيرانهم فاذا ابوا زجتهم في السجون . وتكاثر المسجونون وازدادت الامور اشكالاً ونفر السلطان ورجاله من فرنسا لأنها علة تلك المتاعب

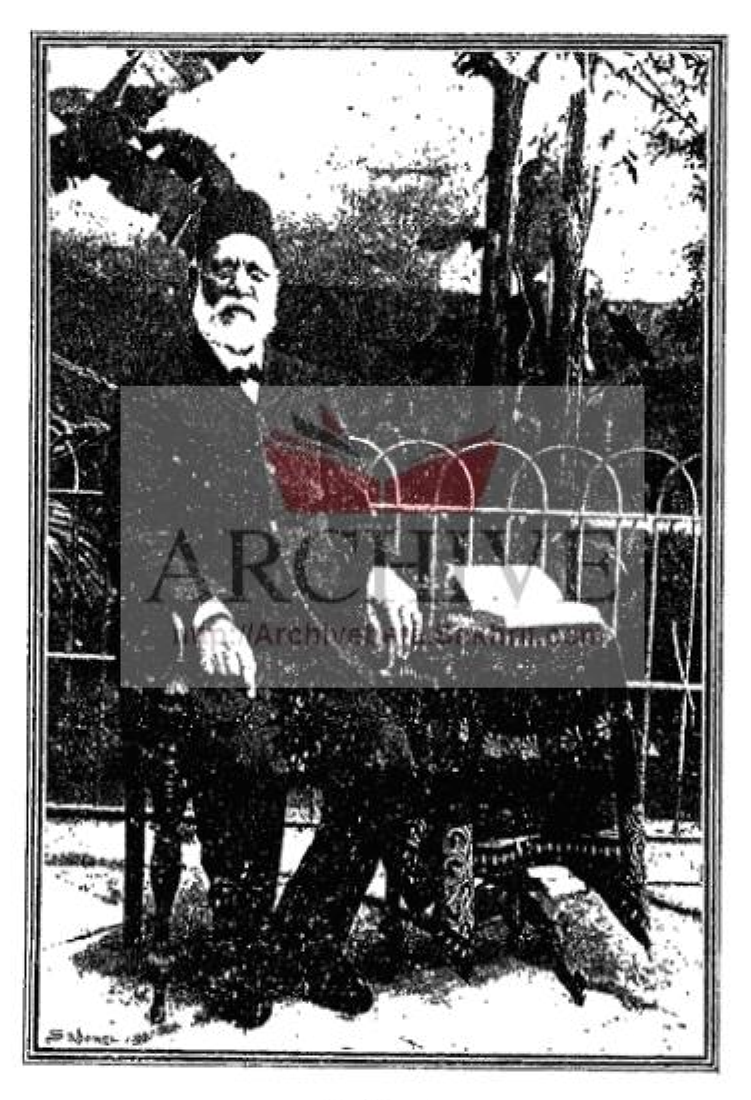
وكانت اسبانيا وانكلترا واقفتين بالمرصاد لا تبديان حراكاً وشعرت المانيا في أثناء ذلك باتساع تلك البلاد واهميتها التجارية لبضائعها فرأت ان تدخل نفسها في شؤونها فنزل الامبراطور في طنجة فرحب به اهلها وتوسموا به خيراً لعله ينقذهم من تصرف الفرنساويين . فاحست فرنسا بذلك فسعت في أمر الوفاق مع انكلترا وتمّ لها ذلك في ابريل سنة ١٩٠٤ وهو الوفاق المشهور ويقضي ان يكون لفرنسا الارادة المطلقة في مراكش ويكون لانكلترا مثل ذلك في مصر وشروط أخرى وافقت اسبانيا عليها أيضاً . فعظم ذلك على المانيا فتعرض امبراطورها واعترض وبعد المفاوضة تقرر عقد مؤتمر دولي للنظر في ذلك فانعقد في الجزيرة وحضره مندوبون من دول أوربا والولايات المتحدة الاميركية وقرروا أموراً صدرت في لائحة مؤرخة في ٧ ابريل سنة ١٩٠٦ امضاها المندوبون . خلاصتها ان يتشكل ضابطة نظامية (بوليس) مراكشية عددها ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ نفر عليهم ضباط مراكشيون يعاونهم ضباط فرنساويون واسبانيون ويكون قائدها العام سويسرياً . وتسري هذه الشروط لخمس سنوات . وقد تشكلت هذه القوات وتفرقت في البلاد . وان ينشأ بنك وطني للحكومة بامتياز لاربعين سنة وقد أنشيء وسيصدر اوراقاً مالية (بنك نوط) ويكون هو كالخزينة للحكومة وسيشرف على ادارته اربعة مراقبين تعينهم البنوك الدولية في المانيا وانكلترا واسبانيا وفرنسا

وحدث على أثر ذلك اضطراب بجوار مليلة تعدى فيه الريفيون من المراكشيين على بعض الاسبانيين فقتلوا بعضهم فارسلت اسبانيا قوة عسكرية لمقاصة الجانين فاخضعت القبائل المقيمين ما بين كابو دي اكوى الى سلوان واحتلوا تلك البقعة وارسلت مراكش سفيراً الى مدريد بهذا الشأن . وبعد المفاوضات عقدوا اتفاقاً يقضي ان يعين السلطان معتمداً من قبله له حق التحكيم بالاشتراك مع معتمد اسباني في البلاد التي احتلها الاسبان . وان تعين قوة عسكرية مراكشية ضباطها اسبانيون في مليلة وسبتة لحفظ النظام هناك . ومتى تدرب الجند يبقى الاسبان في الاماكن التي احتلوها فقط وهي تتعهد بتقديم المال اللازم لانشاء الضابطة على ان تسترجعه من دخل الجمارك على ايدي مراقبين منهم . وان تستولي مراكش على نحو ٢٥٠٠٠٠ جنيه غرامة حربية وغير ذلك

وأحست المانيا في اثناء ذلك ان مؤتمر الجزيرة لم ينفعها شيئاً فتربصت تغتنم الفرص لاستئناف المطالبة حتى كانت حادثة اغادير الاخيرة اذ تعدى بعض الوطنيين على قوم من الالمانيين فقتلوا بعضهم فارسلت المانيا دارعة لاحتلال البلد فاعترضت فرنسا على ذلك وجرت المخابرات السياسية واحتدم الجدال حتى خيف من الحرب ولا تزال المخابرات جارية

احمد عرابي

والحوادث العرابية



احمد عرابي في آخر ايامه بمصر

توفي احمد عرابي زعيم العرابيين في ٢٠ سبتمبر الماضي بمصر وهو في الرابعة والسبعين من عمره فحق علينا ان نأتي بترجمة حاله واسباب الثورة العرابية .ولكننا قد

نشرنا ذلك مراراً في الهلال (سنة ٥و٩) وفي تراجم مشاهير الشرق (ج١) وهي هناك ترجمته بخط يده كتبها الينا من سيلان منفاه. وقد ترجمناه أخيراً في الطبعة الثانية من تاريخ مصر الحديث (في الجزء الثاني من صفحة ٢٣٤ — ٢٧٥) بعد ان اطلعنا على ما كتبه عنه فطاحل الباحثين ومنهم اللورد كرومر واللورد ملنر. فنكتفي هنا بذكر أسباب تلك الثورة وما كان من تأثير عرابي فيها ليصح لنا الحكم عليه فنقول:

نشأته الاولى

أصله من قرية هرية رزنة قرب الزقازيق ويرجع بنسبه الى الامام الحسين. ولد سنة ١٢٥٦هـ وتوفي أبوه وهو صغير ثم تلقى مبادىء القراءة جاور في الازهر وانتظم في الجندية في زمن سعيد باشا وكانت فيه جرأة وصراحة من صغره

وكان التقدم في الجندية للاتراك والشراكسة. وكان سعيد باشا يحب تقدم ابناء العرب لكنه لم يكن يرى منهم اقداماً وجرأة ولعل اول من أظهر الجرأة منهم احمد عرابي وهو صف ضابط صغير

وذلك ان رفاقه كانوا يتذمرون سرًّا من تقدم الاتراك عليهم بدون حق. فبلغ ذلك سعيد باشا فقرر ان يتقدم الصف ضباط بالامتحان بلا تمييز للجنسية. وكلف راتب باشا ان يبلغ ذلك الى الصف ضباط وعرابي منهم

فجمعهم راتب باشا وقال لهم «ان افندينا بلغه انكم تشكون من ترقي الصف ضباط الجدد وتأخير من هو اقدم منهم فمن الآن وصاعداً لا يرقي احد الا بالامتحان فمن اراد الامتحان فليتقدم» فخافوا واحجموا الا عرابي فانه تصدى وتقدم للامتحان واقتدى به غيره. فامتحن وما زال يرتقي الى رتبة قائمقام. وصارت له منزلة لدى الجند فاصبحوا يصدرونه في كل ما يحتاج الى جرأة وهو لا يبالي. فزادت الضغائن في صدور الاتراك والشراكسة ولا سيما في زمن اسماعيل لانه لم يكن يرى رفع شأن الوطنيين. ولما تولى المغفور له توفيق باشا وكان يؤثر الوطنيين ويرفع قدرهم زاد الخرق اتساعاً وارتقى عرابي في ايامه الى رتبة امير ألاي على الألاي الرابع

وكان في جملة الوزارة الرياضية التي تشكلت عند تولي الخديوي توفيق باشا عثمان رفقي باشا ناظراً للجهادية وهو شركسي متعصب على العرب. فقرر منع ترقي المصريين فاخذوا يتذمرون وعهدوا الى عرابي أن يقوم بالتظلم عنهم فكتبوا عريضة وقع عليها هو واميرا الايلين آخران هما علي فهمي امير الاي الحرس الخديوي وعبد العال بك امير الاي السودان. ويظن اللورد كرومر ان المحرك الاصلي لهذه



احمد عرابي ورفقاء والعريضة

الحركة الاميرالاي علي فهمي لانه استاء من الخديوي فاراد الانتقام

وصلت العريضة الى رياض باشا فاستخف بها واهمل الرد عليها اياماً وهو يحرض اصحابها على سحبها وهم يرفضون . ثم بلغهم ان عريضتهم كان لها وقع سيء عند الخديوي وحاشيته الاتراك . ثم ارسل الخديوي يلح على الوزارة بسرعة الرد فقررت سراً محاكمة العارضين في مجلس عسكري بعد ان يقبض عليهم ويسجنوا . لكن ذلك السر وصلهم فاستعدوا للدفاع فلما جاء امر النظار بدعوتهم الى قصر النيل دبروا شأنهم مع الالايات وذهبوا الى القصر . فجردوهم من السلاح واوقفوهم تحت المحاكمة واذا برجال آلاياتهم قد دخلوا بالقوة وانقذوهم وساروا بهم الى سراي عابدين والحوا في طلب عزل ناظر الجهادية . فلم تجد الحكومة بداً من اجابة الطلب لان القوة في غير ايديها . فاجابهم الخديوي بعزل رفقي باشا وتعيين محمود باشا سامي البارودي مكانه وهو من حزبهم . ويقال انه هو الذي ابلغهم قرار مجلس النظار بالقبض عليهم

واثر خضوع الحكومة لمطالب الوطنيين هذه المرة تأثيراً شديداً اذ تحقق لديهم انهم اذا اتحدوا وثبتوا لابد من نيل ما يطلبونه . وقام في نفوسهم حقد على رياض باشا والخديوي . وقوى هذا الاحساس فيهم قنصل فرنسا يومئذ البارون دريں لانه كان يحسن اعمال رجال العسكرية في اعينهم فيزدادون تمرداً وبلغ ذلك الى الجناب الخديوي

فشكاه الى حكومته فاقالته . وبعث الخديوي الى كبار الضباط وطيب خاطرهم واكد لهم ثقته في رياض باشا وانه سيزيد الرواتب ويساوي بينهم على اختلاف اجناسهم

اما زعماء الثورة فلم يزالوا خائفين من نجاحهم السريع . واعتبروا تلك المحاسنة مكيدة من الحكومة لتسكين جأشهم ثم تحتال لاغتيالهم . فاكثروا من التحفظ وشرعوا في عقد مجالس سرية ليلية في منزل احمد عرابي يدعون اليها خواصهم ويتفاوضون في امر اجتماع كلمتهم والوقاية من الاغتيال . فاقترحوا على ديوان الجهادية اقتراحات عديدة تعزز جانبهم • فتمكن عرابي بذلك من استمالة قوم العسكرية فطفق يبث افكاره بين الاهلين من مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها وتجارها استجلاباً لمساعدتهم في مشروعه العائد الى نفعهم على ما زعم • وكتب اليهم في ذلك منشورات حماسية ايقاعاً بالوزارة الرياضية

وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ هـ او ٢٠ ابريل ١٨٨١ م اصدر الجناب الخديوي باقتراح رياض باشا رئيس النظار امراً عالياً بشأن زيادة مرتبات الضباط والعساكر وتعديل النظامات والقوانين العسكرية بناء على طلب محمود باشا سامي ناظر الجهادية •فاحتفل هذا الناظر احتفالاً فاخراً في قصر النيل دعا اليه النظار والمفتشين احتفاء بصدور ذلك الامر • خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي واحمدعرابي واثنوا ثناء طيباً على المكارم الخديوية لما منحته الجماعة الجهادية من الانعام

وفي ٢٨ شعبان او ٢٥ يوليو كان الجناب الخديوي في مصيفه بالاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت جندياً من الطوبجية صدمة قضت عليه فحمله رفقاؤه الى سراي رأس التين وطلبوا الى الخديوي النظر في امره فوعدهم فسكن جأشهم . وبعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكمه على النفر الذي حمل رفقاءه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . اما رفقاؤه وهم ثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات في السجن وبعد ذلك يرسلون الى السودان انفاراً للجهادية . فبعث عبد العال امير الاي الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من قسوة ذلك الحكم • فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديوي فتكدر واستدعى في الحال الوزراء تلغرافياً الى الاسكندرية فأتوها في ٧ رمضان او ٢ اغسطس وعقدوا برئاسته مجلساً قدم فيه ناظر الجهادية استعفاءه فقبل وعين بدلاً منه داود باشا يكن واستلم الاعمال . وعاد النظار الى العاصمة وهدأت الاحوال بحسب الظاهر . والواقع ان الوطنيين ساءهم قبول استعفاء محمود باشا سامي لانهم يعدونه من اكبر انصارهم

تغيير القلوب بين الخديوي والعرابيين

فاصبح العرابيون ينظرون الى الخديوي ووزرائه بعين الارتياب والحذر وشاع يومئذ ان الخديوي استفتى شيخ الاسلام بقتلهم لأنهم خانوا الدولة والامة وهي اشاعة كاذبة لكنها أخذت مأخذ الصدق وازداد العرابيون بها حذراً وسوء ظن



محمود باشا سامي البارودي

وفي ١٥ شوال او ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بعد عود الجناب الخديوي من الاسكندرية صدر أمر نظارة الجهادية الى آلاي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر آخر الى آلاي الاسكندرية بالمجيء الى المحروسة • فاوعز عرابي الى آلاي القلعة ان تلك الاوامر لا يقصد بها الا تفريق كلمتهم فصرح ذلك الآلاي بعدم امتثاله لما أمر به • وفي خلال ذلك كان عرابي يخاطب الآلايات بالاشارة ان يستعدوا للحضور الى ساحة عابدين في اول سبتمبر ثم ارسل كتابه الى الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها ان الجيش سيحضر الى سراي عابدين لابداء اقتراحات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وكتب مثل ذلك الى قناصل الدول مبيناً ان لا خوف من هذه الحركات على ابناء تابعيتهم لأنها متصلة

الغاية بالاحوال الداخلية . فارسل الجناب الخديوي وفداً الى زعماء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجرا آتهم. وتوجه بنفسه ومعه السير اوكلن كلفن قنصل انكلترا والنظار الى آلاي عابدين واخذ ينصحهم فتظاهروا بالانتصاح وتوزعوا في نوافذ السراي وقاية لها . ثم توجه الجناب الخديوي ورفقاؤه الى القلعة للغرض عينه . فاجابه الجيش هناك « نحن مطيعون لاوامر ولي نعمتنا غير انا اخبرنا بان المقصود من تسفيرنا اغراقنا عند كوبري كفر الزيات » فقال سموه لمن معه « يظهر ان العساكر مغرورون » ثم تركهم وقصد العباسية لايقاف عرابي فلم يجده وقيل له انه سار في جنده الى عابدين فعاد سموه ايضاً اليها

ودخل الخديوي عابدين وجرت المخابرات بينه وبين العرابيين بواسطة قنصل انكلترا فاجابوا انهم يطلبون اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام وحضر المناقشة قناصل الدول فاستقر الرأي على تأجيل تنفيذ هذه الطلبات فاصر عرابي على تنفيذها حالاً فاستدعي شريف باشا لتشكيل وزارة جديدة فقبل بعد التردد بشرط ان يطيعه العرابيون فقبلوا فتشكلت الوزارة وفيها محمود سامي ناظراً للجهادية



شريف باشا

فاوعز شريف باشا الى عرابي ان يتوجه بآلايه الى رأس الوادي في مديرية الشرقية والى عبد العال ان يسير بآلايه الى دمياط فامتثلا وسارا الى حيث امرا باحتفال

عظم وخطب عبدالله نديم محرر جريدة الطائف وحسن الشمسي محرر جريدة المفيد في المحطة خطباً هنأا بها الحزب الوطني على فوزه

هذه الثورة العسكرية الثالثة اذا اعتبرنا ثورة الضباط في ايام اسماعيل الاولى وكل منها انقضت باسقاط الوزارة او بعزل وزير كبير

ولما استقر عرابي في رأس الوادي جعل يجول في انحاء المديرية يبث مبادئه في نفوس عمد البلاد ومشائخ العربان فاستدعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ومنصب وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليبقى الآلاي في عهدته . ولما استوى على منصبه الجديد جعل يعقد المحافل في منزله علانية وتوسط بالعفو عن حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة وكان مبعداً في السودان . فاجابه الجناب الخديوي الى ذلك . ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامبابي

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات الجهادية يوم حادثة عابدين تحتوي على قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها وقانون القواعد الاساسية في النظامات العسكرية وقانون الترقي وقانون الضمائم والامتيازات والاعانة العسكرية . وبعد التصديق عليها جاء الى شريف باشا وفد جهادي وقدموا له الشكر على اعتنائه بمطالبهم وبينوا ارتياحهم الى وزارته واكدوا له اخلاصهم

وفي ١١ ذي القعدة او ١٤ اكتوبر من تلك السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب مجلس النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مذيلاً بالف وستمائة توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي ومن مقتضى تلك اللائحة ان يكون النواب واحداً او اثنين من كل مديرية و٣ من مصر و٢ من الاسكندرية وواحداً من دمياط على شروط مذكورة في اللائحة . ووزعت نظارة الداخلية منشورات بشأن ذلك الى المديريات

مصر والدولة العثمانية

لايخفى ان مصر نالت امتيازها واستقلت بادارتها رغم ارادة الباب العالي وما برحت الدولة منذ منحت ذلك الامتياز وهي تحين الفرص لارجاع سيطرتها الى وادي النيل

وكان من جملة مطالب العرابيين تشكيهم من النفوذ الاجنبي بمصر وامتياز الاجانب على الوطنيين من كل وجه. وكتب عرابي الى الاستانة يشكو ذلك الى السلطان وهو يومئذ السلطان عبد الحميد وكان قد اخذ في مطاردة الاحرار طلاب الدستور بعد ان قلب دستورهم واصبح لفظ الدستور يرعبه

فلما جاءته شكوى العرابيين من الاجانب وجد باباً للمداخلة بشؤون مصر لكنه يعلم ان من جملة مطالبهم الدستور ومجلس النواب وهو يكره الدستور واسمه فكيف يقبل ان يعلن في بعض ولاياته ؟ . فضلاً عن الاشاعات التي كانت تتناقل يومئذ عن رغبة العرب في احياء دولتهم وخلافتهم في مصر وسوريا . فاول خاطر بدا للسلطان ان يرسل جنداً عثمانياً يحتل وادي النيل بحجة اخماد الثورة . وامر باعداد الحملة في سبتمبر سنة ١٨٨١

ولكن مصر تحت المراقبة الاجنبية فلا يسهل على السلطان احتلالها . وكانت سياسة فرنسا على الخصوص مقاومة كل توسط عثماني بشؤون مصر اما انكلترا فلم تكن ترى بأساً من ان يرسل السلطان قائداً عثمانياً يتوسط في حل ذلك المشكل . فاحتجت فرنسا بان ذلك قد يقود الى احتلال عسكري فعرضت الدولة العثمانية لحل هذه المعضلة ان يخلع الخديوي وينصب مكانه حليم باشا — وهو من طلاب العرش المصري وانما منعه منه فرمان اسماعيل القاضي بانتقال الارث الى الابناء — وكانت انكلترا من اشد المعارضين لهذا التبديل وفرنسا تعارض من الجهة الاخرى بارسال جند عثماني فاكتفى الباب العالي بارسال مندوب ينوب عنه بحجة حقه بالسيادة على مصر . فارسل رجلين هما فؤاد باشا وعلي نظامي باشا فوصلا الاسكندرية في ٦ اكتوبر سنة ١٨٨١

فاحتجت انكلترا وفرنسا على ذلك وامرتا المراقبين في مصر ان يستقبلوهما بالترحاب ويمنعاهما من كل مداخلة سياسية . ولما بلغ الخديوي وصول المندوبين استغربه وسأل وكيلي انكلترا وفرنسا عن السبب فاجابا انهما لا يعلمان على ان الدولتين انكلترا وفرنسا الحتا على الباب العالي ان يقصر زمن تلك الزيارة على قدر الامكان . وغاية ما اتاه المندوبان انهما استعرضا الجند وخطب علي نظامي باشا في الضباط يذكرهم بان الجناب العالي نائب جلالة السلطان بمصر وان من يعصى الخديوي يعصى اوامر الخليفة

وعادت الدولتان الى طلب خروج المندوبين حالاً فسافرا في ٢٠ اكتوبر . وعادت الدولتان الى التفكير في ملافاة ما يخشى وقوعه في مصر واظهر الخديوي بعد حادثة ٩

سبتمبر ريباً في الجند وضباطه وانه لا يرى سبيلاً الى الامن الا باخضاع الجيش وبلغ ذلك العرابيين فاتسع الخرق بين الطرفين

مجلس النواب المصري

واراد شريف باشا رتق هذا الخرق بسياسة واسلوب فرأى ان يعقد مجلس النواب ويفوض اليه النظر في مطاليب الامة واعضاؤه نوابها فينتقل النفوذ من الجيش اليهم فتتوازن القوى. فصدر الامر العالي في ١٨ اكتوبر بعقد مجلس النواب في ٢٣ دسمبر وتم انتخاب النواب على لائحة اسماعيل باشا التي وضعها سنة ١٨٦٦

وكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً اقم منهم المرحوم سلطان باشا رئيساً وعبد الله باشا فكري رئيساً للكتبة واعدت قاعة المجلس في ديوان الاشغال لتكون مقر انعقاده. وحضر تلك الجلسة الجناب الخديوي وقال المقالة الافتتاحية بين فيها شدة رغبته في تأليف ذلك المجلس وتنشيطه. وقال انه يرجو ان يكون المجلس مساعداً له في نشر العلوم والمعارف بين افراد الامة مخلصاً في خدمة مصالحها • وحضر تلك الجلسة ايضاً جميع الوزراء ورجال الدولة فتكلم كل منهم حسب مقتضى المقام. ثم نظر المجلس في بعض الامور الداخلية وارفضت الجلسة وعكف مجلس شورى النواب على الاهتمام بشؤونه فرتب اقلامه وانتخب رؤساءها • ثم وجه التفاته على الخصوص الى اللائحة الاساسية الجديدة التي كان قد وعده مجلس النظار بارسالها اليه لينظر فيها لان مجلس النواب افتتح بمقتضى لائحة اسماعيل

وما لبث شريف باشا ان رأى النواب والجند اتحدا وتكاتفا وانقضت سنة ١٨٨١ والامر انتهى بمصر لعرابي وحزبه وصارت الجرائد اذا ذكرته لاتبه بالقاب الامراء وكبار الحكام الفاتحين مع ان الحكومة كانت قد اصدرت قانوناً للمطبوعات تقيد به اقلام الكتاب

واخذت الدول تهتم بمسألة مصر لضمان مصالحها وانفردت بذلك انكلترا وفرنسا لانهما صاحبتا المصلحة الكبرى فقررتا المحافظة على سلامة مصر فاعلنتا الخديوي بذلك وانهما لا تسمحان بحركة تؤدي الى تغيير حالة مصر السياسية • فتأثر العرابيون من هذا البلاغ ووافقهم النواب واقروا على اشعار الباب العالي بها فسكنت الخواطر بذلك واصبحت القوات العاملة بمصر حزبين (١) الحكومة يعضدها المراقبان (٢) النواب يعضدهم الجند

وعرضت الميزانية على مجلس النواب فاخذوا ينظرون فيها والوزارة حاضرة

فاختلفوا في ما يجوز للنواب ان ينظروا فيه وما لا يجوز لهم واشتد اللجاج بين النواب والوزارة فتألف وفد من النواب طلبوا من الخديوي اقرار ما قرروه او استعفاء الوزارة فاستعفت الوزارة وتشكلت وزارة عرابية سامي باشا رئيسها وعرابي ناظر جهاديتها فرقى كثيرين من الضباط الوطنيين واخرج الاتراك والشراكسة ففرح النواب بذلك الفوز وجاءتهم التهاني من انحاء القطر واصبحت القوة العسكرية هي صاحبة الامر والنهي في البلاد وتمكن الارتباط بين الجهادية والنواب وأضيف اليهما الوزارة لانها وطنية عرابية ايضاً . فازدادت مشاكل الخديوي والمراقبين وازدادوا اعتقاداً بوجوب احتلال القطر بجند مختلط من الفرنساويين والانكليز وكان العثمانيون يرون في استفحال العرابيين فائدة لهم وربما ساعدوهم تحت طي الخفاء املاً باسترجاع مصر الى حوزتهم ونهض الباب العالي في اثناء ذلك يقيم الحجة على لائحة الدولتين المتقدم ذكرها

وتغيرت وزارة فرنسا في اثناء ذلك وتولى حكومتها دي فريسينه بدلاً من غمبتا وهو يخالفه في سياسته بمصر فلا يرى احتلالها بجند مختلط وعرض على انكلترا رأيه في حل المسألة المصرية بخلع الخديوي وتولية حليم باشا بشرط ان لا يزداد نفوذ العثمانيين فرفضت انكلترا هذا الرأي

مشكل جديد

قد رأيت ان احمد عرابي رقى كثيرين من الضباط ابناء العرب واضطهد الاتراك والشراكسة وامر بنقلهم الى السودان فبلغه انهم يكيدون له ويتآمرون على قتله فامر بالقبض على جماعة كبيرة منهم وفيهم عثمان باشا رفقي ناظر الحربية السابق وحاكموهم بمجلس حربي فصدر الحكم على اربعين منهم بالنفي المؤبد الى اقصى السودان . فتولدت مشكلة جديدة لان رفقي باشا حائز على رتبة فريق من السلطان وله وحده حق الحكم في هذا الشأن ووافق الخديوي على ذلك فاغضب وزراءه وطال الاخذ والرد في المسألة ثم تقرر تعديل ذلك الحكم بالنفي بدون تعيين السودان او غيرها فغضب العرابيون والوزارة الآن منهم فبعثت تستقدم النواب لتشكو اليهم تصرف الخديوي وانه يضيع امتيازات مصر بدون ان يشاور وزراءه وقد أسروا عزمهم على خلع الخديوي واخراج اسرته وتولية محمود باشا سامي حاكماً على مصر

واجتمع النواب وتعبوا في تسوية الخلاف عبثاً فعاد الموسيو فريسينه الى مخابرة انكلترا في ايهما افضل لمصلحة مصر الاحتلال الفرنساوي الانكليزي او التركي وتقرر

ارسال العمارتين الى مياه الاسكندرية وفي ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ قدم قنصلا فرنسا وانكلترا بلاغاً نهائياً من دولتيهما تطلبان فيه سقوط الوزارة واخراج عرابي من القطر بان تضمنا له رتبه ورواتبه ونياشينه وابعاد عبد العال حلمي وعلي فهمي الى الارياف في جهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبهما ورواتبهما ونياشينهما وان الدولتين عازمتان على تنفيذ كل ذلك . وهما تكفلان الجناب الخديوي ان يصدر عفواً عاماً عن الذين لهم دخل في المسألة . فرفض النظار هذا البلاغ ولم يجيبوا عليه بدعوى « ان لا علاقة للدول الاروبية معنا فاذا شئن فليخابرن الاستانة اما نحن فاننا مستعدون للمقاومة » فاخذ سلطان باشا يسعى في التوفيق فخبط مسعاه . وفي ٨ رجب او ٢٦ مايو استعفت الوزارة محتجة على بلاغ الدولتين وطلباتهما فكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فابى فتفاقم الخطب فارسل الجناب الخديوي يخبر الباب العالي ان الجند غير راضين عن استعفاء الوزارة وانهم اقاموا الحجة على طلب الدولتين فاجابه ان الحضرة السلطانية امرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذا الامر . فامر الجناب الخديوي ان يرجع عرابي الى مركزه موقتاً للتأمين على الاجانب ريثما يصل الوفد العثماني فسر الجند بذلك . وبعث عرابي منشوراً الى قناصل الدول يضمن تأييد الامن لجميع سكان القطر المصري من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وفي الوقت عينه اقترح ثلاثة أمور :

١ اعادة لائحة الدولتين وانسحاب اسطوليهما

٢ وضع قانون اساسي تبين فيه حدود كل من الجناب الخديوي ووزرائه

٣ قطع المخابرات والعلاقات توّاً مع الدولتين ومع سائر الدول الا بواسطة الدولة العثمانية

ثم عمل العرابيون على خلع الخديوي وتولية البرنس حليم باشا وكثيراً ما كانوا يصرحون بذلك في مجالسهم

وجاء الوفد العثماني في اثناء ذلك ولم يزد الخرق الا اتساعاً

وفي ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ حدثت في الاسكندرية حادثة زادت الخلاف تفاقماً وهي خصام بدأ بين حمار ومالطي واتصل الى الاغارة على البيوت والفتك بكل من مروا به من الافرنج وغيرهم فخاف الناس واخذوا بالمهاجرة حتى كاد يخلو القطر من النزلاء فاهتمت الدول بذلك وطلبت من عرابي ان يعطي ضمانات على ارواح الاوربيين وأموالهم ومن أخص الضمانات ان يمتثل لاوامر الخديوي فاجاب

بالقبول فهدأت الخواطر نوعاً . لكن الخديوي لم يكن واثقاً باستمرار الامن فاسر ذلك الى المستر كالفن المراقب العمومي الانكليزي وان العرابيين يتجندون للحرب بالاسكندرية وبلغت القناصل رعاياها ان يتخذوا اقرب السبل للنجاة مما ربما يحدث وأوعزت اليهم ان يهاجروا من المدينة فتأكد الناس ان الساعة آتية لا ريب فيها وعينت الدول لرعاياها سفناً يهاجرون عليها وحسب القناصل ان تغيير الوزارة يغير الحالة فاشاروا على الخديوي بتغييرها فشكل وزارة جديدة برئاسة اسماعيل راغب باشا وبقي عرابي ناظراً للجهادية والبحرية

وسعت الدول في عقد مؤتمر في الاستانة للنظر في شؤون مصر فوقف الباب العالي في طريق عقده لانه لا يرى حاجة الى ذلك . ولكن المؤتمر التأم وقرر ارسال جند عثماني لاخماد الثورة فابى السلطان ان يجيبهم فاتخذت انكلترا ذلك ذريعة لتداخلها في القوة اما فرنسا فقد علمت ماكان من تغير سياستها بعد تغيير وزارتها واصبحت لا ترى الاشتراك مع انكلترا في أمور مصر وانما هي تشاركها فقط في حماية قناة السويس ولم تشأ مشاركة الانكليز في تحمل تبعة الاحتلال العسكري . ولذلك فلما رسا الاسطولان في مياه الاسكندرية تفردت انكلترا بالعمل . فاخذ الاميرال سيمور قومندان العمارة الانكليزية يترقب الاسباب لمباشرة العدوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع في الثغر وينقلون احجاراً ضخمة يلقونها عند فم المضيق لسد مدخل المينا فيمنع المدد ويحصر الاسطول وقال ان هذا التحصين مناف لحقوقه . فكلف الحكومة المصرية ان تكف عن التحصين حالاً والا اضطر الى اطلاق مدافعه عليها فيدكها عن آخرها فاجابه طلبة باشا عصمت ان لا صحة لما يقول وان الجهادية لم يهتموا قط بتحصين القلاع وشاع ذلك فخافت الناس وأوعز الى الجناب الخديوي بواسطة المستر كولفن ان يتنحى صيانة لحياته فاجابه « لا يليق بي ان اترك الكثيرين من رعيتي الامناء في أوان الشدة ولا يليق بي أيضاً أن أترك البلاد في أوان الحرب » ثم توسطت قناصل الدول في الاسكندرية بين الاميرال سيمور وبين الجهادية المصرية فلم ينجحوا . فتقدم عرابي وسامي الى كاتب سر مجلس النظار أن يكتب تقريراً مفاده ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وان عرابي وقومه مفوضون في أمر الدفاع عن البلاد وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختياراً والبعض اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو الجئ للتصديق ثم أرسلوه الى الاميرال سيمور . وأرسل عرابي منشوراً الى المديرين يطلب اليهم أن يكونوا مستعدين

للامداد بالجند والمال

وفي مساء ٢٢ شعبان أو ٩ يوليو جاء المستر كارترايت الى الخديوي وأعلنه رسمياً عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح الثلاثاء في ١١ يوليو وألح عليه ان يترك سراي رأس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . ثم كتب رسمياً الى درويش باشا يطلب اليه ان يحافظ على حياة الجناب الخديوي والقى عليه التبعة اذا أصيب بسوء

وفي ٢٣ شعبان او ١٠ يوليو كتب الاميرال سيمور رسمياً الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمهما بخروج رجال الوكالة الانكليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلائق الودية وأعلنت خارجية انكلترا سائر الدول بذلك « وأنها لم تر بدّاً منه لكنها تصرح ان ليس لها أرب خفي أو نية غير بينة وانما عملها هذا من قبيل الدفاع وحرصاً على مصلحة الجناب الشاهاني » وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنساوي متقهقراً تاركاً سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ أو ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م أطلقت العمارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية وما زالت الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فهدمت معظمها وانفجر مستودع البارود في قلعة اطه فجاء راغب باشا الى الجناب الخديوي في الرمل وأخبره ان الحصون قاومت أشد مقاومة وان كثيراً من سفن الانكليز قد غرقت وكان يقول ذلك مسروراً . ولكن قوله هذا ما لبث ان نقض بورود الخبر الصحيح . ثم جاء عرابي فوقف بين يدي سموه فسأله عن حالة الحصون فقال « لم يعد في وسعنا المقاومة ولا بد لنا من تدابير أخرى أو ان نتساهل مع الاميرال » وبعد المخابرة تقرر ارسال طلبة عصمت الى الاميرال وعاد عرابي من حيث أتى . فعاد طلبه باشا من عند الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والا فانه يستأنف القتال الساعة ٢ بعد الظهر . ثم قال « ولكنني قلت له ان هذه المدة لا تكفي لاتمام المخابرة بشأن ذلك فطلبت تطويلها فابى فاتيت لاعلم سموكم ملتمساً رأيكم » فعقد مجلس تقرر فيه انه لا يحق للحكومة المصرية الترخيص في احتلال جنود أجنبية بدون مخابرة الباب العالي الا ان الوقت لم يسمح بتبليغ ذلك القرار للاميرال

ولما رأى رجال الحصون المصرية عجزهم عن مقاومة السفن الانكليزية رفعوا العلم الابيض اشارة الى ايقاف العدوان فانقطعت السفن عن قذف النار . وكانت

الحصون قد تهدمت فعلم الثائرون ان ذلك التسليم يعقبه احتلال الجيوش الانكليزية المدينة فوزعوا في غلس ١٣ يوليو فرساناً في احياء المدينة يأمرون الوطنيين بالخروج من الاسكندرية حالاً وكانت هذه الاوامر تصدر من الاميرالاي سليمان داود وامر ايضاً زمراً من الرعاع ان تطوف المدينة وتحرقها فابتدأوا من الساعة الاولى بعد الظهر فكانت الاسكندرية مساء الاربعاء مضطرمة الجوانب منهوبة المخازن لا ترى فيها الا لهباً متصاعدة واناساً حاملين الامتعة والمصاغ فارّين الى داخلية البلاد

ويطول بنا الاسترسال في تفاصيل الوقائع بعد ضرب الاسكندرية فانها مشهورة ويجدها القارىء مدونة في الهلال وتاريخ مصر الحديث وتراجم مشاهير الشرق كما تقدم وانما اردنا ذكر خلاصة الاسباب التي آلت الى تلك الثورة لنبدي بذلك حكمنا على صاحب تلك الحركة

ما الذي حمل عرابي على ذلك

يظهر مما تقدم ان عرابي قام في بدء امره يلتمس الاصلاح لا غرض له الا نصرة اهل الوطن واسترجاع حقوقهم . ولولا سامي باشا البارودي الذي كان ينقل اليه ابحاث مجلس النظار في شأنه وشأن اتباعه مما يثير الضغائن ويهيج العواطف ما بلغت نورتهم الى هذه الحدة ولا نظرت الحكومة الى عرابي نظرها الى العاصي المتمرد ولا هو نظر اليها نظره الى العدو الطامع

وبعد ان تمكنت الضغائن بين الفئتين واصبحت المقاومة جهارية لم يعد مجال للوم احدى الفئتين الا من حيث غرور عرابي بقوانه ورجاله بعد ان رأى الاسطول الانكليزي في مياه الاسكندرية . كيف حدثته نفسه مقاومة هذه الدولة والحكومة المصرية : أَلعله كان يتوقع نصرة من الباب العالي : اوهو حسب الانكليز لا يستطيعون مقاومته في البر ٠ او لا يكلفون انفسهم ذلك . او لعله استكثر جنوده واعتز بعددهم وما كان يسمعه من محاملة كبرائهم واكثرهم خانوه في التل الكبير . على ان انخداعه بتملقهم نعده من الضعف لانه عاشرهم وعرف طباعهم

اما هو فقد كان حسن القصد وخصوصاً في اوائل الثورة ولا يخلو من طمع داخله بعد ذلك بما رآه من فوزه السريع . فربما حدثته نفسه بما تأتى لغيره من مؤسسي الدول المصرية مثل صلاح الدين الايوبي ومن تولى الاحكام من السلاطين المماليك وغيرهم الى مؤسس العائلة الخديوية . وقد فاته ان حال مصر اليوم غير حالها في تلك العصور وان للدول العظمى مصالح في وادي النيل وسائر المشرق لا تدخر

وسعاً في سبيل صيانتها . ولولا ذلك لكان سلطان العائلة الخديوية اعظم مما نراه ومملكتها اوسع وملكها اضخم . لان قيام هذه العائلة لم يكن باضعف من قيام غيرها من الدول العظمى والاحوال لم تكن اقل موافقة لها لولا اختلاط مصالح الدول العظمى في الشرق — ولولا ذلك لكان امر المهدي السوداني غير ما صار اليه — وربما رأيت اعلامه تخفق في مصر والشام والحجاز والعراق ! . .

وكيف يفوت زعيم الوف الالوف مثل هذه الحقائق وما هو بالرجل الخامل وقد نهض من ادنى مراتب الجندية الى اعلاها بجده وذكائه وعلو همته فهل خدعته دولة من الدول بوعد او نصرة او غير ذلك لاندري ؛

واما مايزعمه بعض الناس من تواطئه في هذه الثورة مع انكلترا او نحو ذلك - - فهو قول لا يستحق الالتفات اليه ولا النظر فيه لان دولة الانكليز اكبر من ان تتخذ هذه الوسيلة وعرابي اعقل من ان يخدع الى هذا الحد لانه لو فعل ذلك لكان شأنه شأن من يخرج البلاد من يد ابيه واخوته ويسلمها الى الغريب ولا نفع له . ولو كان متواطئاً ما ثبت في الحرب الى هذا الحد وقدغادره انصاره بين نادم ومارق وهارب وشارد وظل وحده يتأهب للدفاع حتى دخل الانكليز العاصمة وقبضوا عليه وحاكموه هو وانصاره ونفوهم . ويؤيد ذلك كتاب جاءنا منه وهو في منفاه في سيلان قال فيه بعد الشكوى مما يقاسونه من الذل :

« ونزيدكم الآن اننا اموات في صور احياء او احياء في صور اموات . ولكننا لسنا بآسفين لاعتقادنا اعتقاداً جازماً باننا قمنا بما فرضه الله سبحانه علينا من الواجبات الشرعية والحقوق الوطنية بكل نصح وامانة جهد الاستطاعة . ولا عبرة فيما يتقوله بعض اهل الصحافة والناسجون على منوالهم ، فانهم يقولون بالسنتهم ويكتبون ببراعهم ما يخالف اعتقادهم

تحريراً في كندي (سيلان) خادم الوطن العزيز

في ١١ مايو سنة ١٨٩٨ احمد عرابي الحسيني المصري »

ذلك هو اعترافه بنفسه وهو الامر الذي نعتقده فيه لانه قام بما قام له وقصده حسن ووجهته الحق ثم انخدع بمن توسط بينه وبين الحكومة من ذوي الاغراض فتهور في مطاليبه ولم يقف عند حد . وهنا مكان اللوم عليه — فانه يلام لاساءته النظر في العواقب او لانخداعه بالوعود الباطلة وكلاهما من ضعف الرأي

مكتبة الاسكندرية

وعمر بن الخطاب

لما ذكرنا فتح الاسكندرية في الطبعة الاولى من تاريخ مصر الحديث سنة ١٨٨٩ جارينا كتبة الافرنج في انكار ما رواه المؤرخون عن احراق مكتبتها على يد عمرو ابن العاص بأمر عمر بن الخطاب . ولما ألفنا تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ سنة ١٩٠٤ عدنا الى النظر في هذا الموضوع وبحثنا فيه بحثاً تحليلياً لا غرض لنا منه غير تقرير الحقيقة فتبين لنا ترجيح ما قاله المؤرخون واتينا بادلة ظنناها كافية لترجيح تلك الرواية ريثما يظهر لنا ما ينقضها أو يثبتها . ولا نزال نبحث ونفتش

ثم رأينا ارباب الاقلام في مصر والشام عادوا الى هذا البحث وفيهم من اصرّ على انكارذلك رغبة في تنزيه الامام عمربن الخطاب رجل الاسلام عن هذه الفعلة . فهم يبنون انكارهم على اجلال ذلك الرجل العادل العاقل عن ارتكاب هذا المنكر في زعمهم . وشددوا النكير على من خالفهم ونسبوه الى التعصب أو الجهل . فرأينا ان نعيد النظر في هذا الموضوع ونحن اشد الناس اجلالاً لعمر واكثرهم تقديراً لمناقبه وفضائله . ونجلّ قلمنا عن ان يجري على القرطاس لغرض غير تقرير الحقيقة . وفي كتاباتنا الماضية ما يؤيد هذا القول

على اننا نعتقد ان احراق مكتبة الاسكندرية اذا ثبت وقوعه بامر الامام عمر بن الخطاب لا يحط من قدره ولا يناقض ما عرف من مناقبه . ومن توهم غير ذلك فقد اخطأ اوهو يقيس اعمال تلك العصور على احكام هذا العصر - ولكل عصر احكام تختلف عما سواه . ورب عمل يعدّ فضيلة في عصر ورذيلة في آخر . واحراق المكاتب اواعدام الكتب كان معدوداً في عرف الساسة القدماء من ضروريات الفتح والتغلب ولا سيا اذا كان التنازع بين امتين من مذهبين مختلفين . فكان اهل كل شيعة او ملة يحرقون كتب غيرها او يعدمونها كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية كانت لا تزال باقية الى ايامه (سنة ٢١٣ ﻫ) من مؤلفات المجوس وقد عرضت عليه فلما تبين حقيقتها امر بالقائها في الماء وبعث الى الاطراف ان من وجد شيئاً من كتب المجوس فليعدمه

ولما فتح هولاكو التتري بغداد سنة ٦٥٦ هـ امر بالقاء كتب العلم التي كانت في خزائنها بدجلة وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح بكتب الفرس وعلومهم . وقال آخرون انه بنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن والارجح انه اغرقها انتقاماً من اهل السنة

ولما فتح الافرنج طرابلس الشام في أثناء الحروب الصليبية احرقوا مكتبتها بامر الكونت برترام سنت جيل وكان قد دخل غرفة فيها نسخ كثيرة من القرآن فامر باحراق المكتبة كلها وفيها على زعمهم ثلاثة ملايين مجلد . وفعل الاسبان نحو ذلك بمكاتب الاندلس لما استخرجوها من ايدي المسلمين في اواخر القرن الخامس عشر

ومن هذا القبيل هدم الهياكل واحراق كتبها فقياصرة الروم حالما تنصروا امروا بهدم هياكل الاوثان في مصر واحراق ما فيها من الكتب وغيرها . وكان خلفاء المسلمين اذا ارادوا اضطهاد المعتزلة واهل الفلسفة احرقوا كتبهم . والمعتزلة كثيراً ما كانوا يتجنبون ذلك تحت خطر القتل فيستترون ويجتمعون سرّاً والخلفاء يتعقبون آثارهم ويحرقون كتبهم . ومن اشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله السلطان محمود الغزنوي لما فتح الري وغيرها سنة ٤٢٠ هـ فانه قتل الباطنية ونفى المعتزلة واحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجامة

فلا غرو اذا فعل المسلمون ذلك في تشييد دولتهم ولا عار عليهم فيه . وخصوصاً ان الاعتقاد العام كان في الصدر الاول «ان الاسلام يهدم ما كان قبله» فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن لانه جاء ناسخاً لكل كتاب قبله ومن الاحاديث الشائعة يومئذ «كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم»

واحراق هذه المكتبة أو غيرها لا ينافي مناقب عمر. واظهر تلك المناقب العدل مع الصرامة وحرية الضمير والشدة والتقوى مع الغيرة الشديدة على الاسلام والرغبة في تأييده ونشره . واحراق المكاتب من قبيل تأييد الدولة بمحو آثار ما قبلها . فاذا صحّ انه امر باحراق تلك المكتبة او غيرها في سبيل التغلب والفتح لا يطعن في فضائله . ويؤيد ذلك ان كتاب المسلمين وفيهم الأئمة والقضاة وعلماء الكلام والفلاسفة لم يتعرض احد منهم للاعتراض على تلك الرواية او انتقادها او انكارها . وقد مضى على اقدم كتاب وصلنا خبرها فيه نيف وسبعمائة سنة ظهر في أثنائها جماعة من اكابر العلماء النقادين البحاثين لم يتعرض احد منهم لانكارها . حتى تصدى المؤرخ ادوارد جبن الانكليزي المتوفى سنة ١٧٩٤ لهذا الموضوع في عرض كلامه عن فتح الاسكندرية في كتابه

« تقهقر الدولة الرومانيــة وسقوطها » وادوارد جبن المذكور اعظم ثقات التاريخ الروماني لكنه كتب كتابه في اواخر القرن الثامن عشر ولم يكن المستشرقون تمكنوا من التوسع في معرفة آداب اللغة العربية او نقلهـا الى السنتهم . ولم يكن جبن مستشرقاً فحكمه على حقيقة تاريخية اسلامية لا يعوّل عليه . ودليل ذلك انه بنى انكار تلك الحقيقة على اعتقاده ان ابا الفرج الملطي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ اول من ذكرها وانه لم يذكرها سواه قبله . فقال جبن بعد نقل عبارة ابي الفرج « ان شهادة رجل غريب كتب في آخر المئة السادسة على حدود بلاد الفرس ينقضها سكوت مؤرخَين اقدم منـه وكلاهما مسيحي ومصري اقدمها البطريرك افتيخيوس وقد وصف فتح الاسكندرية وصفاً وافياً ... »

فترى من ذلك ان جبن لم يكن يعلم ان ابا الفرج الملطي نقل ذلك الخبر عن قاض مسلم مصري عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل . نعني ابن القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ ذكر ذلك في كتابه تراجم الحكماء . وكان ابن القفطي صدراً محتشماً جمع من الكتب مالا يوصف وكانوا يحملونها اليه من الآفاق وكانت مكتبته تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها . وله حكايات غريبة عن غرامه بالكتب ولم يخلف ولداً فأوصى بمكتبته لناصر الدولة صاحب حلب . وله مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات، وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صدده . وقد فات جبن ايضاً ان عبد اللطيف البغدادي الرحالة ذكر ذلك في رحلته الى مصر وقد توفي قبل ابي الفرج بستين سنة

لو علم جبن بوجود هذه الكتب لرجع عن رأيه وكفى النـاس مؤونة الجدل بلا طائل . على ان جماعة من كبار المستشرقين البحاثين ناقضوه في دعواه وذهبوا الى صحة الرواية وفي جملتهم الاساتيذ هوايت وسان مرتين وفون هامر وسلفستر دي ساسي وكلهم من قهارمة المستشرقين الثقات . لكن بعض زملائنا واصدقائنا في مصر والشام لا يزالون على رأي جبن الذي قاله منذ قرن وبعض القرن توهماً منهم ان ثبوت ذلك يحط من قدر الامام عمر بن الخطاب وقد تقدم انه لا يحط شيئاً . وما كان اجدرهم ان يعدلوا عن مجاراة مؤرخ انكليزي قلما يعرف عن المسلمين وآدابهم ويقتدوا باشهر مؤرخي العرب والمسلمين ممن قرأوا تلك الحقيقة فسكتوا عنها أو نقلوها وايدوها . وفيهم جماعة من اعظم الثقات النقادين

يكفي منهم ابن خلدون وقد توفي سنة ٨٠٨ هـ وهو واضع علم النقد التاريخي واستاذ فلسفة التاريخ للعالم المتمدن . الف تاريخه في آخر القرن الثامن للهجرة اي بعد ابن القفطي بقرن ونصف وقد عقد في مقدمته فصلاً طويلاً ذكر فيه ما يعرض للمؤرخين من المغالط والاوهام فانتقد مبالغات المؤرخين في اخبار التبابعة واسفارهم وفتوحهم وما ذكروه عن ارم ذات العماد ونحوها من المبالغات والاوهام وما روي عن اسباب نكبة البرامكة من حديث العباسة وجعفر . وشدد النكير على من يتهم الرشيد بشرب الخمر وبالغ في انكار ذلك تنزيهاً لبني العباس عن المنكرات . فهو بلاشك اكثر تنزيهاً لعمر بن الخطاب عما يمس سمعته او يقلل من فضله . فلو توهم في حريق المكاتب ايام الفتح عاراً لم يسكت عن نقده وتبيينه ولا يهمه من قاله فان بين الذين انتقد اقوالهم في تلك المقدمة جماعة من كبار المؤرخين والائمة الكبار وفيهم ابو بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين . ولا يقال ان ابن خلدون لم يطلع على ما كتبه ابن القفطي والبغدادي فانه يجل عن هذا التقصير. ويؤيد ذلك انه اورد حكاية الحريق في عرض كلامه عن طبيعة العمران وما فيه من الصنائع والعلوم وانما ذكر محو علوم فارس فقال « اين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح » ولم يعلق على هذا القول كلمة . وهو دليل على انه لم ينكره ولا استكره ولا رأى فيه عاراً على عمر

ولو رأى فيه مساً لكرامته لم يعدم وسيلة لانكاره والطعن على رواته كما انكر اقوال المؤرخين ان العباسيين في صدر دولتهم لبسوا الذهب فقال في مقدمته (صفحة ١٥) « ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضاً في ملابسهم » مع انه قال في مكان آخر من مقدمته ما يخالف ذلك نعني قوله (صفحة ١٤٥) في كلامه عن زواج المأمون ببوران « ان المأمون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منّ وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت » والمأمون ثالث الخلفاء بعد الرشيد وليس ثامنهم . وانما تطرق مؤرخنا الفيلسوف الى هذا الوهم وتحمل هذا التكلف لشدة رغبته في تنزيه العباسيين عن الترف ونحوه . فلو عدّ حريق الكتب في سبيل الفتح عاراً لم يسكت عن نسبته الى عمر بن الخطاب واعتبر ذلك في سائر من نقل هذا الخبر من المؤرخين ومنهم ابن القفطي المتقدم

ذكره وعبد اللطيف البغدادي الرحالة النقاد والمقريزي المؤرخ الثقة عن مصر. وحاجي خليفة صاحب كشف الظنون . فقد نقلوا خبر حريق مكتبة الاسكندرية صريحاً بلا ملاحظة ولا ارتياب

ولا يجوز من الجهة الاخرى ان ننكر الحقائق التاريخية ونطعن في ناقليها لانها تحط في نظرنا من قدر بعض الرجال فان المؤرخ الثقة مصدَّق حتى يقوم الدليل النقلي او العقلي على خلاف قوله . ولكن بعض الكتاب يرتكبون هذا الشطط غيرة منهم على سمعة بعض المشاهير كانهم يريدون ان يكون ذلك الشهير كاملاً والكمال لله وحده . ولذلك رأينا بعض العلماء الكتاب من معاصرينا ينكر على رواة الحديث والمؤرخين قولهم « ان عمر كتب الى عامله في العراق ان يختم رقاب اهل الذمة من الفرس بالرصاص » وشدد النكير على رواتها وفيهم ابن الجوزي الامام المشهور . والسبب في هذا الانكار لان ختم رقاب اهل الذمة بالرصاص يعدُّ في عرف اهل هذا الزمان بعيداً عن شروط المدنية الحديثة . ولكنه كان جارياً في صدر الاسلام . وليس الغرض منه الاهانة او التعذيب وانما ارادوا تمييز الذمي من المسلم لان بعض الذميين كان يدعي الاسلام للتخلص من الجزية . وقس على ذلك انكارهم عهد عمر لاهل بيت المقدس وبين رواته الطرطوشي من كبار اعلام المسلمين ذكره في كتابه سراج الملوك وهو من اجل كتب التاريخ والسياسة وقد ذكره ابن خلدون واطراه

أما خلو ما بين ايدينا من كتب الفتح او نحوها من خبر ذلك الحريق فلا ينفي صحته لكثرة ما ضاع من تلك الكتب . واذا وضعنا القاعدة ان لا نصدق من اخبار الفتح الا ما هو مذكور في كتب الفتوح التي وصلت الينا فاننا نبخس الاسلام حقه وننكر على اصحابه كثيراً من الفضائل. لان ما ضاع من كتب التاريخ والغزوات التي كتبت في القرون الاسلامية الاولى اكثر كثيراً مما بقي . اقرأ مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد اسماء مئات من كتب التاريخ والفتوح الهامة التي استعان بها المسعودي في تأليف كتابه لم يبق منها الا النذر اليسير . واعتبر ذلك في سائر المؤلفات

وهناك اعتراضات تؤخذ من نص الرواية لا بد من تدبرها وتفسيرها فان صاحب رواية حريق مكتبة الاسكندرية بأمر عمر يقول :

« وعاش (يحيي النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وماجرى له مع النصارى فاكرمه عمرو ورأى له موضعاً وسمع كلامه في ابطال التثليث فاعجبه وسمع كلامه ايضاً في انقضاء

الدهر ففتن به وشاهد من حججه المنطقية وسمع من الفاظه الفاسفة التي لم يكن للعرب بها انسة ما هاله • وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه ثم قال له يحيى يوماً (انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت كل الاجناس الموصوفة الموجودة بها فاما مالك به انتفاع فلا اعارضك فيه واما ما لا نفع لكم به فنحن اولى به) فامر بالافراج عنه • فقال له عمرو (وما الذي تحتاج اليه) قال (كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها) فقال له (ومن جمع هذه الكتب وماقصتها) فقال له يحيى (ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجمعت وولى امرها رجلاً يعرف مرة (زميرة) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل . واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً . ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة اترى بقي في الارض من كتب العلم مالم يكن عندنا . فقال له زميرة قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال له دُم على التحصيل فلم يزل على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا) فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له (لا يمكنني ان آمر فيها بامر الا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب) وكتب الى عمر وعرفه بقول يحيى الذي ذكر واستأذنه ما الذي يصنعه فيها . فورد عليه كتاب عمر يقول فيه (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها) فشرع عمرو ابن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها . وذكرت عدة حمامات يومئذ وانسيتها فذكروا انها استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب » (هذه رواية ابن القفطي)

ومن هذه الرواية اخذ ابو الفرج وغيره . فيقول المنكرون ان يحيى النحوي هذا كان قبل الفتح الاسلامي ولا يعرف زمانه بالتحقيق واذا صح انه بقي الى ايام الفتح فيكون قد تجاوز سنه ١٣٠ سنة . فهذا يمكن تفسيره انه باغ هذا السن بدليل قول ابن القفطي في صدر هذا الخبر «وعاش يحيى النحوي الى ان فتح عمرو بن العاص مصر» كانه يرى انه عاش طويلاً حتى ادرك الفتح فاستلفت نظر القاريء الى ذلك . او ان

يكون يحيى هذا غير النحوي المعروف والتبس الاسمان على الراوي كما يتفق لكثير من المؤرخين ولا سيما العرب في نقل اخبار غير العرب . فهذا لا ينفي الرواية كلها فاذا قال المؤرخ العربي مثلاً ان العرب لما فتحوا مصر كان فيها المقوقس وانه رومي الاصل ثم ثبت انه قبطي فهل ينفي ذلك حدوث الفتح — ويقال نحو ذلك في المبالغة العظيمة في الرواية من حيث تفريق الكتب على حامات الاسكندرية اشهراً فانها مبالغة عظيمة لكننا نحملها على رغبة الراوي في تعظيم هذا العمل . ويشبه ذلك مبالغة بعضهم في اخبار بعض الفتوح او تعظيم اعمال بعض القواد وهذا لا ينفي وقوعها

ويعترض آخرون ان مكتبة الاسكندرية لم يبقَ منها شيء لايام الفتح الاسلامي بل احرقت كلها في زمن الرومانيين . لا ننكر احتراق هذه المكتبة في اثناء الحروب الرومانية على جاري العادة في الفتوح يومئذ كما قدمنا لكنها كانت تجدد او يبقى بعضها وتزاد . وزد على ذلك انه كان في الاسكندرية في تلك الاعصر مكتبتان احداهما مكتبة المتحف الكبرى والثانية مكتبة السرابيوم . فالحروب كانت تفضي الى حريق احدى هاتين المكتبتين . والمؤرخون مختلفون في تلك الاخبار . ولكن الثابت ان يوليوس قيصر احرق مكتبة المتحف وحدها . ويستند آخرون الى شهادة بول اورز او اوروزيوس المؤرخ فقد ذكروا انه زار مكتبة الاسكندرية في اول القرن الخامس للميلاد فلم يجد فيها كتباً . وقد تحقق الباحثون انه يعني مكتبة المتحف المتقدم ذكرها وليس الاخرى. اما هذه فقد نقل زميلنا الاب شيخو اليسوعي ان صديقنا المستشرق الايطالي الاستاذ جويدي ترجم بالامس تاريخاً سريانياً الى اللاتينية جاء في حوادث سنة ٦٠٠ للميلاد منه ان رجلاً اسمه بطرس فتح مدينة الاسكندرية لجيش الفرس ثم قال « وكان بطرس هذا فيلسوفاً يشتغل بدرس الحكمة من صغره وكان قد قرأ في ذيل احد كتب المدينة ما سيحل بها من الضنك . . . » وهذا يدل على وجود مكتبة عمومية لمدينة الاسكندرية قبل الفتح باربعين سنة

على ان هذا كله لا يعد برهاناً قاطعاً يقينياً على حريق تلك المكتبة على ايدي العرب. وانما هو ترجيح يقبل النقض عند الوقوف على ما يناقضه ولا نزال نوالي البحث والاتكال على الله

المادة قوة

احدث رأي في ماهية المادة

لاشيء يزيد على الكون	لاشيء يزيد على الكون
ولا شيء ينقص منه	ولكن كل شيء سائر الى الزوال
«الرأي القديم»	«الرأي الجديد»

تمهيد

ما برحت ماهية المادة من المسائل التي حارت فيها عقول الفلاسفة والعلماء في كل زمان فتضاربت الاقوال في تحديدها وبيان الفرق بينها وبين القوة . والمشهور ان للعالم ركنين : المادة والقوة

واحدث الآراء في هذا الباب رأي الدكتور جوستاف لوبون العالم الفيلسوف الفرنساوي . فانه وضع مبدأ جديداً لو صح لقلب كل المعتقدات العلمية الحديثة لانه يهدم ركناً من اهم اركانها نعني مبدأ الجوهر الفرد او الرأي الجوهري الذي هو اساس العلوم الطبيعية (ومؤداه ان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة لا تدرك الا بالوهم وغير قابلة للتجزؤ) ذلك لانه يقول بانحلال الجواهر الفردة وضياعها . وقد شرح الدكتور المذكور مبدأه في كتاب سماه نشوء المادة (١) ابان فيه ان المادة سائرة الى الزوال مثل سائر المخلوقات الحية — اي ان مذهب التغير الذي ينطبق على الاحياء يسري ايضاً على الجماد . ولايخفى ان ذلك مضاد لما هو شائع من ان المادة لا تتلاشى . وقد قرظ علماء اوربا هذا الكتاب احسن تقريظ حتى قالوا انه اعظم كتاب علمي ظهر بعد كتاب اصل الانواع لداروين — وقبل الشروع في شرح هذا الرأي يجدر بنا ان نمهد الكلام في الرأي الماضي ونسميه القديم حتى يتمكن القارىء من المقابلة بين الرأيين

الرأي القديم

العالم بما فيه من جماد ونبات وحيوان مركب في نظر الكيماويين من عناصر بسيطة

(١) L'Evolution de la Matière

لا تقبل الانحلال يربو عددها على السبعين . وا كثرها يتركب مع غيره فتتولد المواد المتعددة التي نعرفها على اختلاف اشكالها وقليل منها يبقى على عنصريته . اذا احرقت ورقة تحولت الى مادة سوداء تختلف بخصائصها عن مادة الورق . لان الورق انحل الى مواده الاصلية (كربون وهيدروجين واوكسيجين وغير ذلك) . فاختلف تركيبها فكربونها مثلاً اتحد بعضه باوكسيجين الهواء فتحول الى حامض كربونيك وهو غاز . وهيدروجينها اتحد به ايضاً فتحول الى ماء بصورة بخار وبقي قسم من الكربون لم يتحد بالاوكسيجين وهو المادة السوداء . ففي هذا المثل تغير شكل الورق بانحلاله ولكن الجواهر الاصلية التي يتركب منها الورق لا تزال موجودة بتمامها وان تغير شكلها . وهكذا فكل التغيرات الكيماوية انما تؤثر على الشكل ويبقى الجوهر سليماً

فعلى هذا المبدأ وضع الكيماويون قولهم « ان لا شيء يزيد على الكون ولا شيء يضيع منه » — هكذا ظل العلماء يعتقدون نحو الفي سنة زاعمين ان هذا المبدأ ثابت ابداً لا يتزعزع الى ان قام الدكتور جوستاف لوبون في اواخر القرن الماضي وقاوم هذا الرأي وذهب الى ان المادة قوة متكاثفة . فالمادة والقوة في رأيه اسمان لمسمى واحد في الاصل انما اختلفت مظاهره . فقاومه علماء العالم المتمدن حينئذ — شأن كل رأي جديد عند ظهوره — ثم ما لبثوا ان سلموا با كثر قضاياه لانها مبنية على المشاهدة والتجارب العديدة التي قام بها الدكتور لوبون في عشر سنوات او اكثر

الرأي الحديث

قلنا ان الكون بمقتضى الرأي السابق ذكره مركب : ١ من مادة قابلة للوزن . ٢ . من قوة تحرك المادة وهذه القوة غير قابلة للوزن . وهي على اشكالها كالكهرباء والنور والحرارة وغيرها حركات في الجواهر الفردة تنتقل بواسطة سائل لطيف غير قابل الوزن تسبح فيه الجواهر الفردة سموه اثيراً . فكأن الكون يحوي ثلاثة امور : مادة وقوة واثير . وكل من هذه العوالم الثلاثة مستقل في خصائصه عن رفيقيه . اذ لا علاقة ظاهرة بين المادة القابلة للوزن والقوى المختلفة غير القابلة له

ويمتاز الرأي الجديد بانه يهدم الفواصل بين العوالم الثلاثة الآنف ذكرها . ويبين علاقة الواحد منها بالآخر ويرجعها كلها الى اصل واحد . فعنده ان المادة تتحول الى قوة

والقوة الى اثير . ومعلوم ان جل قصد الفلسفة والعلم الرجوع بمعارف الانسان الى ابسط ما يمكن من الاقسام . لان غايتها القصوى توحيد تلك الاقسام . وقد نجح العلم في مسعاه هذا من حيث الكائنات الحية بفضل مذهب النشوء والارتقاء الذي يرجع الاحياء الى اصل واحد . وها اليوم الدكتور جستاف لو بون يفعل شبه ذلك في عالم الجماد فنسبة الدكتور لو بون لعلمي الكيمياء والفلسفة الطبيعية كنسبة دارون الى علم الحياة

انحلال المادة

من الحقائق الثابتة اليوم ان الراديوم وبعض المواد التي على شاكلته تتلاشى بارسال ذرات صغيرة ذات سرعة عظيمة تفلت منها وتشترك بخصائصها بين المادة والاثير وتجعل الهواء موصلاً للكهربائية وتخترق المواد الصلبة وتقبل تأثير المغنطيس. ولما كانت هذه الظواهر غريبة على العلوم الطبيعية اذ لم يعهد مثلها في ما سبق ولم يمكن نسبتها الى قوة من القوى المعروفة تسابق العلماء عند هذا الاكتشاف بنظرياتهم الى شرح هذا الامر العجيب. ولكن نظرياتهم اضمحلت ولم يثبت امام النقد العلمي الا نظرية الدكتور لو بون لانها مبنية على المشاهدة والاختبار . فان الدكتور المشار اليه برهن ان هذا الانحلال المشاهد في الراديوم وما شابهه هو من خصائص كل المواد الا انه في الراديوم أسرع منه في غيره . وقد وافقه اكثر علماء اوربا على هذه الطريقة . وجل المواد تنحل انحلال الراديوم بسرعة تختلف باختلاف خواص جواهرها الفردة . وهذا الانحلال بطيء جداً وتزيد سرعته اذ تعرضت المادة الى احدى القوى الطبيعية كالنور أو الكهربائية أو الحرارة

وبديهي ان تابع هذا الانحلال لا بد أن ينقص وزن الجسم وان كانت الآلات الوازنة التي بين أيدينا لا تشعرنا بفرق حسي من هذا القبيل . فسبب ذلك ان الذرات المفلتة من الجسم قليلة جداً بالنسبة الى مجموع الذرات المؤلف منها ذلك الجسم . فيعجز ميزاننا (وهو بعيد عن الكمال) عن اشعارنا بالفرق . ومن الثابت ان جزءا من الف من جرام الراديوم وهو أسرع المواد انحلالاً يبقى دهراً وهو يرشح ملايين وملايين من تلك الذرات الى أن تتلاشى مادته أخيراً أي تتحول الى قوه

القوة داخل الجواهر والقوى الناشئة عنها

فلما تنحل المادة تتحول الى تلك الذرات الصغيرة . ولكن من اين لتلك الذرات هذه القوة العظيمة التي ترسلها بسرعة تقرب من سرعة النور (٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) ؟ ذلك ان المادة ليست كما كان يظن جامدة بنفسها والقوة مستقلة عنها تنقل بين اجزائها. وانما هي مستودع لقوة هائلة لم تعرف قبل اليوم سماها الدكتورلو بون القوة داخل الجواهر Energie intra-atomique وقد قاسوا تلك القوة العظيمة التي تضيع في اثناء انحلال المادة فوجدوا انها اشد القوى المعروفة الى اليوم . ولو تمكن العلماء من تعجيل انحلال المادة لحصلوا على قوة مدهشة . لو قدروا مثلاً ان يعجلوا انحلال جرام من الحديد بحيث يتلاشى في ثانية لوجدوا بالحساب الميكانيكي ان هذا الجرام يتحول الى قوة تعادل ٦ مليارات و٨٠٠ مليون حصان وهذا المقدار كافٍ لان يجر قطاراً حديدياً حول الكرة الارضية اربع مرات

وقد ارجع الدكتور لوبون اكثر القوى المعروفة اليوم الى هـذه القوة الكامنة داخل الجواهر الفردة بمقتضى المبدأ المعروف ان القوى الطبيعية (النور والكهربائية والحرارة والجاذبية) تتحول بعضها الى بعض

فالكهربائية هي نتيجة انحلال المادة لان عند ما تنحل المادة تفلت القوة داخل الجواهر وتتحول الى قوى مختلفة منها الكهربائية . وحرارة الشمس كذلك نجد لها تعليلاً في هذا الرأي الجديد ـ وذلك ان انحلال مواد الشمس سرعته كافية لاستمرار الاشتعال الشمسي . وقد علل بمثل ذلك سائر القوى كالالتصاق والنور وغيرها

الخلاصة

ظهور المادة ونشوءها وزوالها

ولا بد للقارىء بعد ان علم ان المادة قوة متكاثفة ان يسأل نفسه كيف تكونت المادة اولاً . وهو سؤال جدير بالاعتبار الا ان حله نظاري اكثر مما هو ثابت فيقول الدكتور لوبون انه يمكننا ان نعلل ظهور المادة بما يشبه تعليلنا لظهور النظام الشمسي الذي نعيش فيه . فنقول ان الاثير تكاثف في الازمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة

صلبة كما بردت وتكاثفت الغازات التي يتركب منها عالمنا فتكونت الاجرام السماوية

والخلاصة ان الشيء الوحيد الكائن في الحقيقة هو الاثير ومنه ظهرت المادة واليه ترجع بعد ان تتحول اولاً الى قوة . وليست اهمية هذا الرأي بانه يعلل لنا ماهية المادة بل هو ينبئنا ايضاً بوجود مستودع عظيم من القوة لو امكننا استخدامه لانقلب وجه الارض وزادت قوة الانسان وسعادته . وقد يأتي يوم تتحقق فيه هذه الامنية . على ان لنا في تاريخ الكهربائية ما يمهد لنا الامل في ذلك . لانها عند اول اكتشافها لم يكن لها اهمية الا من حيث وجهها العلمي وهي اليوم معينة للانسان في اكثر مشاريعه وحاجاته

هذا ملخص رأي الدكتور لوبون وقد وافقه اكثر علماء اوربا على نقطه المهمة وهو مستغرَب لاول وهلة لانه يقلب اساس معارفنا . وهذا لايطعن في صحته فالحقيقة تتوقف على الامر بحد ذاته لا على وقعه في النفوس

اميل زيدان

الدولة العثمانية وايطاليا

نظراً لاضطراب العلائق بين دولتنا العلية وايطاليا بسبب تعدي الايطاليان على طرابلس الغرب بلا سبب يوجب غير طمعها في الاستعمار والمخابرات جارية ويخشى ان تفضي الى الحرب رأينا أن نقابل بين قوتي الدولتين بالجندية البرية والبحرية

قوات الدولة العثمانية

ان الجند العثماني نظم على الطرق الحديثة من زمن السلطان محمود الثاني . ثم أعيد تنظيمه سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٥٤ و١٨٧٨ ثم ادخل فيه اصلاح هام سنة ١٨٨٦ حتى يصح ان يقال انه نظم ثانية على يد القائد الالماني الشهير الكولونيل فون درغولتز ومعه ١٤ضابطاً المانياً بين مدربين ومعلمين . وقد عني العثمانيون في امره على الخصوص بعد الدستور ولا سيما بعد ان تولى الحربية دولتلو ناظم باشا القائد الباسل

وللجندية العثمانية شروط ونظامات لا محل لها هنا فنكتفي ببيان القوات الحربية كما هي الآن بحيث يعلم القارىء ما هي قوة الدولة العثمانية اذا جرت حرب

يقسم الجند العثماني الى فرق تسمى فيالق واحدها فيلق واسمه في التركية « اوردو » وقد عربوه « عرضي » فالفيلق او العرضي مؤلف من فرق والايات وطوابير و بلوكات وغيرها. ويؤلف الجند العثماني من سبعة فيالق مفرقة في المملكة العثمانية على هذه الصورة

الفيلق الاول	مقره	في	الاستانة والاناطول
» الثاني	»	»	سلانيك
» الثالث	»	»	مكدونية
» الرابع	»	»	ارمينيا
» الخامس	»	»	سوريا
» السادس	»	»	بغداد
» السابع	»	»	اليمن

وهناك جند خارج الفيالق في الحجاز وطرابلس الغرب

ويختلف عدد الفرق والآلايات والطوابير في كل فيلق عن سواه ويختلف عدد الانفار في كل منها . ولكن مجموع جند هذه الفرق في حال السلم يبلغ ٠٠٠ ٣٦٥ مقاتل يضاف اليها ست فرق من الفرسان عدد رجالها ٠٠٠ ٢٧ فارس. وفرقة الفرسان الحميدية ٠٠٠ ١٦ غير النظامي وغير ذلك . فيبلغ مجموع ما عند الدولة العثمانية من الجند في حال السلم ٠٠٠ ٤٢٠ مقاتل . واما الرديف تحت الطلب فعدده ٠٠٠ ٣٧٥ مقاتل يحردون عند الحاجة . فضلاً عن المستحفظ وعدده نحو ٠٠٠ ٩٠ وغير الفرق المقيمة في القلاع من المهندسين ونحوهم وعددهم ٠٠٠ ٣٥ فجملة ما تجرده الدولة العثمانية في حال الحرب يجتمع على هذه الصورة :

عدد	
٠٠٠ ٣٦٥	جند نظامي اعتيادي
٠٠٠ ٢٧	ست فرق الفرسان
٠٠٠ ١٦	الفرسان الحميدية
٠٠٠ ٣٧٥	الرديف
٠٠٠ ٩٠	المستحفظ
٠٠٠ ٣٥	الجند المقيم في الحصون
٠٠٠ ٩٠٨	الجملة

اما قواتها البحرية فهي الآن تحت التجديد والتنظيم على ايدي أميراليةمن الانكليز قلبوا نظامها وجعلوه على آخر طرز. وهاك آخر ما بلغت اليه القوات البحرية

عدد	
١١	دوارع حربية كبرى
١	دارعة كبيرة تحت البناء.
٣	طرادات
٧	مدمرات جديدة اوصت عليها في المانيا وغيرها
٤	نسافات طوربيد كبيرة
٨	مدمرات صغرى
١٤	نسافات طوربيدية صغرى
٤٨	

قوات ايطاليا

وجنود ايطاليا البرية تختلف في نظامها عن الجنود العثمانية ولكنها اقل منها عدداً فانها لايزيد مجموعها في حال السلم على ٢٣٧٠٠٠ مقاتل. وعندها فرقة أفريقية خصوصية يسمونها فرقة ارثيرا مؤلفة من ثلاثة طوابير من البيض و٤ من السود. وحملة قوته ٤٦٠٠ وعندها فرقة من الصومال لا يزيد مجموع جندها على ٣٠٠٠ فلا يزيد مجموع الجند الايطالي على ٣٥٠٠٠٠ مقاتل. اماقواتها البحرية فانها اكبر مما للدولة العثمانية. وهذا احصاء دوارعها الحربية وما يتبعها

عدد	
٩	دوارع حربية حديثة
٣	« « تحت البناء
٢١	طرادات مدرعة ومحمية
١٣	سفن طوربيد
٢١	مدمرات
٣٧	سفن طوربيد حديثة من الدرجة الاولى
٥٤	سفن قديمة
١٩	غواصات
١٧٧	الجملة

باب السؤال والاقتراح

النوبة

(الاسكندرية) امين افندي خليل احمد النوبي

نظراً لما لكم من المعرفة بتاريخ حياة الامم ارجوان تتكرموا بشذرات من تاريخ النوبيين وحياتهم في الزمن الغابر اي قبل الاسلام وبعده . ومنتهى املي معرفة تاريخ هذه الامة التي انا منها ولك من عموم النوبيين الشكر

(الهلال) النوبة من البلاد التي عمرت قديماً وكانت في عهد الفراعنة قسماً من أثيوبيا . ويراد بها غالباً البقعة الواقعة بين مصر من الشمال والحبشة وسنار وكوردفان من الجنوب والبحر الاحمر من الشرق وصحراء ليبيا من الغرب . ويشتمل ذلك على وادي النيل من اصوان الى الخرطوم مسافة نحو ٥٦٠ ميلاً في نحو مثلها . اقدم سكان تلك البقعة اقوام يسمون « واوا » جاء ذكرهم في آثار الفراعنة نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد . وتوالي ذكرهم على تلك الآثار الى ايام البطالسة . وكانوا اقوى الامم التي توطنت جنوبي اصوان ولهم آثار بنائية باقية هناك الى هذه الغاية مبعثرة بين اصوان ومروي

وما زال الواوا مستقلين باحوالهم وآدابهم واجتماعهم الى القرن الثالث للميلاد اذ تعدى عليهم البجة من الشرق في زمن الامبراطور ديوقليطيانوس . وكانت مصر يومئذ في سيادة الدولة الرومانية ولها حامية على الحدود جنوبي اصوان . فعجز الرومانيون عن رد هجمات البجة فسحبوا حاميتهم واستقدموا قوماً من زنوج نبتة (مروي) لحماية الحدود . واصل اولئك الزنوج من بلاد كوردفان فنزلوا الى الواحات الخارجة في اعالي الصعيد ثم توطنوا وادي النيل بين الشلال الاول والثاني . فاختلطوا بالسكان الاصليين وتصالحوا مع البجة . ثم اجتمعت الامتان على مناواة الرومانيين فحاربهم مكسيمينوس وتغلب عليهم سنة ٤٥١ م وكانوا الى ذلك العهد على الوثنية ثم تنصروا سنة ٥٤٥ م وجنحوا الى المدنية الرومانية وانشأوا دولة مسيحية رئيسها اسمه سيلكو وقصبتها دنقلا

وسمي نفسه ملك النوبيين والاثيوبيين ويشمل ذلك النوبة والبجة ولكن هؤلاء طلوا على وثنيتهم فطردهم النوبيون عن ضفاف النيل شرقاً فاقاموا في الصحراء الشرقية

فلما كان الفتح الاسلامي بمصر سنة ٦٤٠م دخلت النوبة في حوزة المسلمين ورحل العرب الى قسمها الشمالي واختلطوا بسكانها فسرى في عروقهم دم العرب . على ان ملوك دنقلا اوقفوا العرب عن التقدم جنوباً واخضعوهم حيناً . وطال النزاع بين الامتين سبعة قرون والنوبيون على نصرانيتهم . ثم اسلموا في زمن السلطان الناصر بن قلاوون سنة ١٣١٨ م وهاك سبب اسلامهم كما رواه ابن خلدون . قال « قد تقدم لنا غزو الترك الى النوبة ايام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يمطلون بها اويمتنعون من ادائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلا ايام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨٢ م) واسمه بيت مامون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آي لا أدري اكان عقباً لبيت مامون او توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ٧١٦ هـ (١٣١٧ م) وملك بعده في دنقلا اخوه كرنبس . ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلي وأسلم وحسن اسلامه وأجرى له السلطان الناصر بن قلاون رزقاً واقام عنده فلما كانت سنة ٧١٦ هـ امتنع كرنبس من اداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلي المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخاف كرنبس من لقائهم وفر الى بلاد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلي في ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب في كرنبس فبعث به واقام بباب السلطان . ثم ان اهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بممالأة جماعة من العرب سنة ٧١٩ هـ وبعثوا الى كرنبس ببلد الابواب فالفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وكان قد اعتنق الاسلام فاسلمت جميع رعيته وانقطعت الجزية باسلامهم »

وكان لهم مع امراء مصر وخلفائها وسلاطينها شؤون وحروب يطول شرحها وقد ذكرها مؤرخو المسلمين كالمقريزي والمسعودي والبلاذري والقزويني وابن خلدون وغيرهم مما يطول شرحه . وقد نقلها ورتبها نعوم بك شقير في كتابه تاريخ السودان من صفحة ٣٩ — ٥٥ من الجزء الثاني

وكان النوبيون في اثناء ذلك فرقاً لكل طائفة منهم رئيس او ملك حتى قامت دولة الفنج في سنار في اول القرن السادس عشر وملكوها الى الشلال الثالث . ثم حمل

العثمانيون على مصر بقيادة السلطان سليم الفاتح في سنة ١٥١٧ فبعث جنداً من اهل بوسنه الى النوبة السفلى بقيادة حسن قوسي فلكوها من اصوان الى الشلال الثالث وعرفوا بالغز . واول حكامهم في ذلك العصر حسن قوسي المذكور شبه امير مستقل يؤدي جزية لمصر وتوالت ذريته بعده وعرفوا بالكشاف لان الكاشف في اصطلاح تلك الايام كالمدير اليوم . وما زالت النوبة مقسومة بين ملوك الفنج والكشاف حتى حمل اسماعيل باشا بن محمد علي باشا على السودان وفتحها سنة ١٨٢٠ وكان على النوبة يومئذ حسين بن سليمان كاشف . فاراد مقاومته فنعه اخوه حسن ففر حسين الى كردوفان وولى اسماعيل حسناً على ما بين اصوان وحلفا ووهبه اطياناً . وكان الكاشف الى ذلك الحين يتزوج من بنات النوبة ما شاء فنع اسماعيل ذلك . وبعد وفاة حسن كاشف تعين ابنه سليمان وخلفه اخوه محمد. ولم تزل الاراضي التي وهبهم اياها اسماعيل بيد كبير ذريتهم الى الآن

معكرونة

﴿ ندوة العلماء بالهند ﴾ السيد فضل الرحمن مدرس في دار العلوم

من اي لغة لفظ « معكرونة » وما هو اصلها ومعناها

﴿ الهلال ﴾ هي لفظ ايطالي Maccaroni (ماكروني) مشتق من اصل لاتيني Macerare معناه سحق او فتت يريدون معالجة الدقيق حتى يصنعوا منه عجين المكرونة المعروفة . وقد اخذ العرب اللفظ الايطالي وادخلوا العين في قلبه اعتباطاً فقالوا معكرونة كما قالوا « شعرى » من سيريوس وكعك من « كيك »

نوروز

﴿ اسنا ﴾ عبد اللطيف افندي نصيب

ما هو اصل لفظ نيروز او نوروز هل هو فارسي او يوناني او عربي وما هو معناه

﴿ الهلال ﴾ هو فارسي الاصل مركب من لفظين « نو » جديد و « روز » يوم اي اليوم الجديد ويراد به رأس السنة

فتاة القيروان

الحلقة السادسة عشرة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام

هي الرواية التي ستصدر ملحقة بهلال هـذه السنة وستتضمن فتح الفاطميين مصر في اواسط القرن الرابع للهجرة على يد القائد جوهر مع ايضاح الاسباب التي بعثت على ذلك وساعدت عليه . ووصف احوال البربر في شمالي افريقيا وعاداتهم واحوال مصر في ذلك العصر وغير ذلك

مراكش (استدراك)

جاء في صفحة ٢٦ من هذا الهلال ان المانيا عمدت الى احتلال اغادير لان بعض رعايا قتلوا والصواب انه لم يقتل احد

مطبوعات جديدة

١ — كتب تاريخية وادبية

مدنيت اسلامية تاريخي : صدر الجزء الثالث من ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة التركية بقلم زكي بك مغامز وهو اتقن من طبعته العربية ومن ترجمة الجزئين السابقين . وقد زينه بكثير من الرسوم الجميلة فبلغت صفحاته ٤٢٠ صفحة كبيرة على ورق صقيل فجعل ثمنه ٢٠ غرشاً غير اجرة البريد . وقد تلقته جرائد الاستانة ومجلاتها بلهفة وقرظته واحسنت الظن في مؤلفه واثنت على مترجمه احسن الثناء . وفي مقدمتها جرائد اقدام وطنين وصباح وهمراه وصراط مستقيم وعلوم اقتصادية مجموعه سي فنثني على زملائنا اصحاب هذه الجرائد لما أبدوه من الاستحسان وحسن الظن وسيصدر الجزء الرابع من هذه الترجمة قريباً ويليه الخامس وبه يتم الكتاب

Mohammadanism — : لصديقنا الاستاذ مرجليوث شهرة في تاريخ الاسلام تغني عن التعريف تشهد بذلك مؤلفاته الكثيرة في هذا الموضوع . وآخرها كتاب الاسلام (Mohammadanism) صدر بالامس بالانكليزية وفيه بحث فلسفي في الاسلام

والقرآن والدولة الاسلامية والآراء الاسلامية والآداب والعلوم الاسلامية على اسلوب موجز قريب المأخذ جامع مايغني عن مطالعة المؤلفات الضخمة

تاريخ الفنون الجميلة اليونانية : تأليف الاستاذ ب . والترز ونقله الى العربية شكري افندي صادق وزينه بالرسوم وهو كتاب في جيل . ويطلب من حضرة المترجم بمصر وثمن النسخة عشرة غروش

الصهيونية : هو ملخص تاريخ هذه الطائفة وغايتها وامتدادها الى سنة ١٩٠٥ تأليف نجيب افندي الخوري نصار صاحب جريدة الكرمل في حيفا ويطلب من حضرته

٢ — كتب طبية وعلمية

التشخيص الجراحي : الاطباء بيننا كثيرون وفيهم طائفة حسنة من الماهرين واسعي الاطلاع ولكن المشتغلين في التأليف منهم قليلون . ولعل السبب في ذلك ان اكثرهم تلقوا العلم في اللغات الافرنجية فيصعب عليهم التأليف في العربية . فندرت المؤلفات الطبية العربية منذ صارت مدارسنا تعلم الطب بغير العربية . وقد تمضي سنوات عديدة لا يظهر في اثنائها كتاب طبي عربي يستحق الذكر ومن هذه النوادر الثمينة كتاب التشخيص الجراحي للدكتور محمد عبد الحميد حكيم اسبتالية قليوب . جمعه من اربعة مؤلفات انكليزية ذكرها في مقدمته وقد احسن التلخيص . وهو يهم الاطباء على الخصوص ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسون غرشاً والبريد خمسة غروش

التمريض والاسعافات الاولية : هو كتاب صحي يراد به ارشاد الجمهور الى ملافاة ما قد يطرأ عليهم من العوارض المرضية ريثما يحضر الطبيب . تأليف الدكتور احمد رشيد عبدالله حكيمباشي مستشفى اسوان الاميري . وفيه ارشادات ثمينة عن طريق استعمال الادوية واخذ الحرارة والمعالجات الوضعية والحمامات الطبية والوقاية من الامراض المعدية ومعالجة الجروح وتطهيرها وخياطتها وملافاة السموم ونحوها ويطلب من حضرته

نصائح للشبان : كتاب ادبي صحي يشتمل على خلاصة آراء الاطباء وعلماء الاجتماع في العزوبة والزواج والمضار التي تنجم عن بعض العادات تأليف شكري افندي صادق ويطلب من مكتبة التأليف بمصر وسائر المكاتب وثمن النسخة ٣ غروش والبريد نصف غرش

حياة الرضيع : هو كتاب صحي في تدبير حياة الرضيع الصحية من ولادته الى

يوم الفطام • تأليف الدكتور نجيب قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية ويطلب من حضرته وثمنه ثلاثة غروش

زراعة القطن : هو كتاب زراعي يبحث في زراعة القطن ومقاومة آفاته وتحسين انواعه تأليف احمد افندي الالفي بمزارع البرنس عمر باشا طوسون ويطلب من حضرته

اختزال الكتابة : هو كتاب في فن الاختزال اي اختصار الكتابة الذي يسميه الافرنج ستينوغرافيا ويراد به مجاراة الخطباء في تدوين اقوالهم وهم يخطبون • تأليف عبد الرزاق افندي عوض مدرس بمدرسة الناصرية • وقد وضع له رسوماً اختصارية تنوب عن الالفاظ او المقاطع وجعله دروساً وهو اول كتاب تعليمي ظهر في هذا الموضوع

امراض القلب : كتاب في امراض القلب المتأتية عن الروماتزم تأليف الدكتور لوريا الطبيب بمصر ويطلب من حضرته وثمن النسخة غرش

مجموعة القوانين : تحتوي على أهم القوانين الجنائية والملكية والشرعية وغيرها مما صدر بمصر ويهم المحامين واهل القضاء واصحاب الاشغال وقد طبعت بنفقة المكتبة الشرقية بمصر في جزئين ثمنهما ٢٠ غرشاً والبريد ٣ غروش

التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية : لمؤلفه الياس افندي انطون الياس للمدارس المصرية حسب بروغرام المعارف صدرت طبعته الثالثة منقحة ومكبرة • وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش والبريد غرش

الروايات التاريخية العربية : هي رسالة في اللغة الروسية للمستشرق الروسي صديقنا الاستاذ كراتشقوفسكي في بطرسبورج ذكر فيها تاريخ تأليف الروايات التاريخية في اللغة العربية بالنهضة الاخيرة في سوريا ومصر • وانتقد مؤلفيها وبين حسنات كل منهم مما يدل على سعة اطلاعه وعنايته في هذا الموضوع • وبلغنا ان بعض الادباء عارفي اللغة الروسية اخذ في ترجمتها الى اللغة العربية وهي خدمة حسنة • وسنعلن صدور تلك الترجمة متى صدرت

تاريخ مصر الحديث

صدرت الطبعة الثانية من كتابنا تاريخ مصر الحديث في جزئين كبيرين وهي تمتاز عن الاولى بامتداد الحوادث الى اليوم وبالتوسع في اكثر المواد الهامة وخصوصاً من ايام محمد علي الى الآن وبكثرة الرسوم فان فيها نيفاً ومئتي رسم لمشاهير الرجال من كل العصور فضلاً عن صور الحصون والآلات والنقود والخرائط ويلي ذلك فهرس ابجدي عام • وثمن النسخة مجلدة اربعون غرشاً والبريد خمسة غروش



الجزء الثاني من السنة العشرين

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١١ و١٠ القعدة سنة ١٣٢٩



طرابلس الغرب

جغرافيتها وتاريخها وسائر احوالها

كثر تحدث الناس وتناقلت الجرائد اخبار طرابلس الغرب على أثر حمل ايطاليا عليها واحتلال قصبتها ومعاداة الدولة العلية بلا سبب يوجب ذلك غير الطمع في الاستيلاء وحب الاستعمار

وقد اعلنت الحرب بين الدولتين فرأينا ان نأتي على جغرافية تلك البلاد وتاريخها وسائر احوالها ليكون قراء السياسة على بينة من امرها فنقول :

١ — جغرافيتها

اقسامها الجغرافية واحصاؤها

طرابلس الغرب ونريد بها الولاية التابعة للدولة العثمانية في شمالي افريقيا بلد كبير يمتد من البحر المتوسط في الشمال الى الصحراء الكبرى في الجنوب ومن حدود مصر في الشرق الى حدود تونس في الغرب . وهي لا تقتصر على طرابلس الغرب وحدها ولكنها تشمل بلاداً أخرى لها استقلال جغرافي . فهي بهذا الاعتبار تقسم الى خمسة اقسام كبرى (١) طرابلس الغرب الاصلية (٢) بلاد برقة (٣) واحات اوجيلة (٤) فزان (٥) واحات غدامس وغات . فمن هذه البقاع وما بينها من البوادي الرملية المجدبة تتألف ولاية طرابلس الغرب التي نحن في صددها

وفي حدها من الشمال وهو البحر الابيض المتوسط كما قدمنا خليج كبير له شهرة قديمة بشدة العواصف يسمى خليج سدرة او السرت الاكبر والعرب يسمونه جون الكبريت . وتنتهي طرابلس في الجنوب بخط السرطان ويقدرون مساحتها بنحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربع اي نحو أربعة اضعاف مساحة ايطاليا . لكن سكانها لايزيدون في اكبر تقدير على مليوني نفس . وسكان ايطاليا يناهزون ٢٩ مليوناً . على ان هذه الولاية لم تعين حدودها الا من الغرب لاتصالها بتونس واحتكاكها بفرنسا هناك فتعينت الحدود سنة ١٨٨٦ وتم تحديدها سنة ١٨٩٢ اما في الشرق والجنوب فان حدودها لم تعين بعد

أما حاصلاتها فالحبوب والزيتون والزعفران والتين والتمر وزيت الخروع وهي كثيرة الاثمار

وقد وجد علماء الآثار البشرية ان هذه البلاد عمرت في أقدم أزمنة التاريخ من العصر الحجري ويؤخذ من بقايا سكانها الاصليين انهم كثيرو الشبه بالامم التي عمرت اسبانيا وجزائر بريطانيا قبل ازمنة التاريخ ثم سكنها البرابرة فالعرب ومن خالطهم من الامم

وسكانها الآن اخلاط من البرابرة الاصليين والعرب والاتراك والقول اوغلي وهم الاتراك المولدون من أمهات بربريات واليهود والافرنج والزنوج وغيرهم

واذا اعدنا النظر في اقسامها الجغرافية رايناها تختلف في طبيعتها واقليمها . منها

قسمان على شاطىء البحر المتوسط هما برقة وطرابلس وثلاثة اقسام في الصحراء نحو الجنوب . وهاك اشهر مدائن هذه الولاية :

١ــ طرابلس (القصبة)

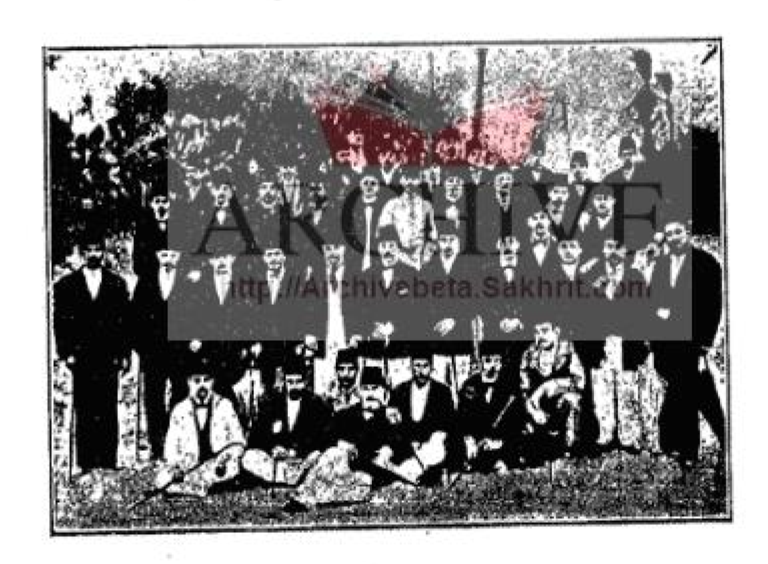
هي قصبة الولاية واقعة على الشاطىء في اقصى الغرب على مرتفع بارز داخل في البحر يتألف من بروزة جون صغير كانت محاطة بسور مخمس الاضلاع لكنه تخرب معظمه ولم يبق من ابراجه أو قلاعه الا القليل . وجزء من السور يحمي جانباً من الميناء وداخل السور ثكنات الجند . وفيها حدائق البرتقال والنخل . ويتصل طرفها الغربي بالصحراء . أما في الشرق فتنتهي بغوطة خصبة غضة فيها قبور بعض الاولياء وفي المدينة سبعة مساجد ستة منها ذات مآذن على النسق التركي . شوارعها ضيقة غير مرصفة وفي بعض اطرافها آثار قديمة اهمها قوس نصرٍبني سنة ١٦٤م على عهد ماركس اوريليوس وليس للافرنج فيها حي خاص بهم . عدد سكانها نحو ٣٥٠٠٠ نفس
حاصلاتها عديدة وينمو النخل فيها نمواً عجيباً وقد يبلغ علو النخلة مئة قدم



قرائت خانه عسكرية

وكانت طرابلس في أواخر ايام عبد الحميد منفى الاحرار العثمانيين من الضباط وأهل الادب حتى اجتمع فيها مئات منهم وهم من ارقى العثمانيين ادباً وخلقاً . فاضطرتهم طبيعة الحال ان يدخلوا فيها بعض اسباب المدنية فانشأوا غرفة للقراءة سموها «قرائت خانه عسكرية» أقاموها في الحديقة العسكرية اجمل بقاع المدينة وجهزوها بما تحتاج

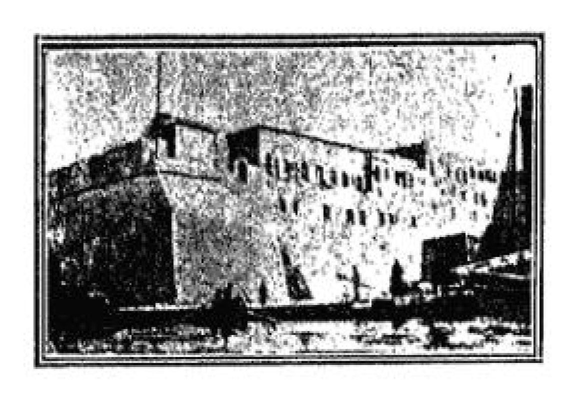
اليه من معدات اللهو كالبليياردو ونحوه . وفي قاعة القراءة نحو ٦٠٠ مجلد عربية وتركية وفي طرابلس مكتبة ايطالية ومكتبة اسرائيلية فيها نحو ٨٠٠ مجلد . وظهرت فيها الصحافة بعد اعلان الدستور من عهد قريب وأول صحفها جريدة « طرابلس الغرب ». وللايطاليان مرافق عديدة بطرابلس اهمها بنك رومية . ولهم مطبعة ينشرون فيها دليلاً سنوياً . وكان للاتراك تقويم بالعربيـة والتركية يحرره ادباء الاحرار المنفيين . وتعد طرابلس من أهم المراكز التجارية على البحر المتوسط وكان لها شأن تجاري في التاريخ القديم . وقد انحطت تجارتها عن ذي قبل . ومع ذلك فان قوافلها الضاربة في اواسط افريقيا لا تزال ذاهبة قادمة . فضلاً عن خطوط البحر على الشواطيء بين مدنها المختلفة من طرابلس غرباً الى حدود تونس وشرقاً الى مصراطة وسرت وغيرها . على ان الانواء في ذلك الجون شديدة تحول دون انشاء ملاحة منظمة



جمهور من احرار الاتراك في طرابلس الغرب

اما التجارة الداخلية في البر فتنقل على الجمال في القوافل . بعضها قصيرة المسافة قاصرة على داخلية الولاية ترد على طرابلس مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع . واصحابها من اليهود وجمالتها من العرب. تسافر من طرابلس الى الجبل الغربي وتعود في بضعة ايام والطريق آمن . وأما القوافل البعيدة فانها تخترق اواسط افريقيا ومسافاتها طويلة وطرقها خطرة . وهي تمرّ بفزان وما وراءها الى وداي في اواسط السودان واصحابها غالباً من البرابرة وقد يكونون من المالطيين وذلك نادر . وهي تحمل الى السودان المنسوجات الافرنجية وادوات الزينة للمنازل ونحوها مما يبهج السوداني من صنائع

المدنية وتعود بعد بضعة اشهر بالعاج والماشية والجواري . وقد يزيد عدد جمال القافلة الواحدة على ٢٠٠ جمل يعهد بها الى طائفة من الجمالة عليهم رئيس يثق التجار بامانته فيعهدون باموالهم اليه



سجن طرابلس الغرب

والقوافل ذات المسافات البعيدة يندر ان يرافقها اليهود أو المسيحيون خوفاً من تعدي المتعصبين من اهل تلك البوادي واخصهم جماعة السنوسية والطوارق . على ان اليهود المولدين في تلك البقاع يعرفهم الوطنيون ويحالفونهم او يحمونهم . وفي غات بأقصى الجنوب جماعة من اليهود المولدين قديماً يزعمون انهم من سلالة الفلسطينيين القدماء الذين فرّوا مع جالوت لما غلبه داود منذ نحو ٣ آلاف سنة . ولليهود شأن في تاريخ هذه البلاد

سائر البلاد المهمة على الشواطئ

﴿ الزاوية ﴾ بلدة صغيرة واقعة غربي طرابلس ولها تاريخ قديم وفيها بقايا مرسح روماني والرومانيون يسمونها « زوارا» . بينها وبين مدينة طرابلس الحاضرة انقاض طرابلس القديمة التي بناها الرومانيون

﴿ تاجورة ﴾ هي مجموع قرى على اربع مراحل شرقي طرابلس وفيها نخيل كثير. والى شرقيها « ترهونة» وهي شعبة من جبل غريان . ثم « لبدة » وهي خصبة وقد تسمى خمس وبعضهم يلفظها حمص و «مرسى اوغرا » ثم « ظلتين» وهي بلد كبير فيها مرفأ للسفن يعرف بمرسى ظلتين وفيها آثار رومانية . ومن ظلتين طريقان احدهما يؤدي الى بني وليد والآخر الى مصراطة في فم الجون . والشاطئ من طرابلس الى مصراطة مكسو بالاغراس والاعشاب وهناك ينتهي الخصب

﴿ مصراطة ﴾ قصبة قضاء ينسب اليها وهي حسنة الانتظام في ابنيتها بالنسبة الى

سواها من تلك البلاد والارض في جوارها قاحلة واليها تنتهي القوافل القادمة من فزان وتومبكتو . ولذلك كانت لها اهمية تجارية . وهي بموقعها الجغرافي كالراس الداخل في البحر ويليها على الشاطئ نحو الشرق جرافة وعرار وزعفران وسرت ومدينة السلطان ونحيم واليهودية وقرطبّة وكركورا وغيرها الى بنغازي في الجهة المقابلة لمصراطة في الشرق . وبينهما جون الكبريت أو خليج سدرة او السرت الاكبر المتقدم ذكره . عرضه ٢٤٦ ميلاً جغرافيًا ومحيطه ٤٢٢ ميلاً اكثرها بلاد رملية

﴿ بنغازي ﴾ هي قصبة لواء بهذا الاسم ومنها نحو الشرق يتغير الاقليم . فهي الحد الفاصل بين طرابلس الغرب وبرقة . واقعة قرب البحر في سهل خصب يتصل بسلسلة جبال في الجنوب الشرقي . ابنيتها متينة في مدخلها من البحر قصر الحاكم (البيك) او هي قلعة قائمة على انقاض بناء قديم سكانها نحو ١٨,٠٠٠ نفس من المسلمين اكثرهم من اصحاب الاملاك والمزارعين والتجار . وهم يقسمون على الاجمال الى طبقتين كل منهما ترجع الى ستة اصول او قبائل من البربر كالحاشية والكوافي وزمورة وخدام الزروق وعدكبران وسور جابر والشويخات . والسكان من بنغازي الى حدود مصر اهل بادية يشتغلون بالزراعة

اكثر تجارتها الماشية تحمل بحراً الى مالطة . وكان مكانها قديماً مدينة يونانية اسمها برنيس عمرت في ايام البطالسة ولم يبق لها اثر الآن . ولواء بنغازي يخاطب الاستانة رأساً وله نوع من الاستقلال عن الولاية

وبعد بنغازي على الشاطئ بلدة سماها العرب « طلميثة » وهي تعريب بطلوميتة ، وبينهما ارض خصبة لكنها قليلة الغرس . والمسافة بين البلدين نحو ٥٧ ميلاً . ووراءها جبال مكسوة باحراج الصنوبر وهناك آثار بنائية كالابراج ونحوها تدل على عمران قديم

﴿ سيرين ﴾ وبعدها رأس الراسات ثم القرينة في الداخل وبينهما سلسلة آكام . والقرينة بلد قديم كان مدينة عامرة ذات شأن في عهد اليونان والرومان اسمه سيرين (Cyrene) واليها تنسب مقاطعة كبيرة تكاد تشمل برقة كلها كانوا يسمونها « سرينيكا » . وقد رأينا بعض الكتاب يعربون سيرين « القيروان » وهو تساهل يفضي الى الخطأ لان القيروان بلد آخر في ولاية تونس بناها العرب في القرن الاول للهجرة . وفي القرينة وجوارها آثار فخمة ليس لاهل تلك البلاد الآن عناية بها ، ولكنها تدل على عمران قديم . وكانت سيرين في الدول القديمة اعمر شواطئ افريقيا القديمة بعد قرطاجة

وبعد القرينة على الشاطئ شرقاً : مرسى سوسة ورأس الهلال ودرنة وهي قديمة كان يسميها اليونان درنيس .. وراس التين وطبَرقة ولها فرضة تسمى مرسى طبَرقة ورأس الملح وخليج الملح وقصر شماه وقصر المجيد واخيراً رأس الكنائس الفاصل بين برقة والقطر المصري

هذه اهم البلاد الساحلية في طرابلس وبرقة فلنصف سائر الاقسام الجغرافية في الداخلية :

البلاد الداخلية

﴿ برقة ﴾ تشتمل لواء بنغازي وغيرها وهي عبارة عن سهل مرتفع يحدر حده الشمالي مائلاً نحو البحر المتوسط حتى ينتهي بالمدن التي تقدم ذكرها . وهي من البلاد التي عمرت قديماً وفيها سيرينيكا التي ذكرناها . سكنها اولاً جماعة من جالية المصريين في زمن الفراعنة ثم خلة

وعرفت يومئذ ايضاً باسم بنتابوليس اي المدن الخمس لاشتهار خمس من مدنها في ذلك العهد . والعرب سموها انطابوليس

وينتهي سهل برقة المشار اليه من الغرب بخليج سدرة . ومن الجنوب بتحدر في صحراء ليبيا يفضي الى منخفض واحات اوجيلة الآتي ذكرها . وفي وسط السهل المذكور جبل اسمه الجبل الاخضر علوه ٣٥٠٠ قدم عن سطح البحر وفيه ولد محمد المهدي السنوسي صاحب الطريقة التي تنسب اليه . وتنتهي برقة في الشرق بصحراء ليبيا

﴿ واحات اوجيلة ﴾ هي واحات خصبة واقعة في صحراء رملية جنوبي برقة شكلها كالوادي المستدير . تتصل بخليج سدرة بواسطة واد اسمه وادي الفرج . وأهم الواحات هناك اوجيلة وجالو . ومنها نحو الشرق في صحراء ليبيا واحات سيوة وجغبوب والبحرين وجارا الى بحيرة النطرون

﴿ واحات الكفرة ﴾ والى جنوبي اوجيلة بمسافة بعيدة مجموع واحات تعرف بواحات الكفرة او بلاد الكفرة وهي : تيزربو وسيغان وبريمة وأربنا وكبادو وغيرها منتشرة على طول ٢٠٠ ميل . ومساحتها ٧٠٠٠ ميل مربع . وعدد سكانها عدة آلاف من البربر وعرب البادية يستقون من آبار يخزنون فيها الماء . وقد عرفوا بهذا الاسم من تسمية المسلمين قديماً للوثنيين من سكان تلك البلاد . وفي كبادو زاوية كبيرة الاهمية لاتباع الشيخ السنوسي يقيم فيها كبير السنوسيين اليوم الشيخ احمد الشريف السنوسي لاتعلوها بالاهمية من زواياهم الا جغبوب . وسنتكلم عن السنوسيين في فصل خاص من

هذا الهلال . وهذه الواحات محطة للقوافل بين برقة ووداي

﴿ فزان ﴾ هي بلاد قديمة العمران والمظنون انهـا كانت آهلة في اقدم ازمنة التاريخ . تولتها الدولة القرمنتية وكان لها فيها شأن وصولة حتى غلبهم عليها الرومان في زمن اوغسطس قيصر . ثم جاء العرب فاخرجوها من ايدي الروم في القرن السابع للميلاد . ثم دخلت في حوزة الاتراك في القرن السادس عشر مثل طرابلس — وسنعود الى ذلك

وتقسم فزان الى عدة مقاطعات عاصمتها الكبرى « مرزوق » وفي كل مقاطعة عدة واحات اكثرها في البقعة التي فيها العاصمة . وفي شمالها في صحراء الآجال واد مستطيل يمتد شمالاً شرقيا نحو الخروج الابيض . وفي القسم الغربي منه الوادي الغربي وهو اخصب تلك البقاع لكثرة ينابيعه واحراجه وفيه الماشية واسراب الطير . وفيه حوض اسمه بحر الدود طوله نحو ٦٠٠ ميل وعمقه ٢٥ قدماً . و« قرما» او« جرما » القديمة عاصمة القرمنتية . والطريق غربي مرزوق يؤدي الى واحة غات الآتي ذكرها . ومن الشرق الى واحات تراغن وزويلة وتميسة . وأخيراً الى واو الكبيرة. ومن الجنوب يؤدي الى بحيرة تشاد

﴿ غات ﴾ هي واحة كبيرة في غربي فزان تعلو ٢٤٠٠ قدم عن سطح البحر في واد اسمه وادي اغلاد . وهي تعد قسما من الصحراء الافريقية الكبرى . عدد سكانها نحو ١٠٠٠٠ نفس اكثرهم من عرب الطوارق

﴿ غدامس ﴾ هي بلد قديم عاصرت الدولة القرمنتية ودخلت في سيادة الروم ثم العرب . اهمها واحة في سهل تنغرت على ٣٠٠ ميل من طرابلس تعلو ١٢٠٠ قدم عن سطح البحر. يحيط بها سور مستدير طوله ثلاثة اميال . في الزاوية الجنوبية الغربية من هذه البقعة داخل سور بلد عدد سكانه ٧٠٠٠ نفس اخلاط من البربر والعرب والزنوج لا يزالون على عاداتهم ولغاتهم واخلاقهم لكنهم يستخدمون اللغة البربرية وسيلة التفاهم بينهم . وهي خصبة كثيرة الفاكهة ولاسيما التمر والتين والمشمش والخضر والحبوب ومركز تجاري هام للقوافل بين تونس وطرابلس والسودان . وسيادة الحكومة هناك اسمية بالاكثر

اقسام ولاية طرابلس الادارية

تقسم ولاية طرابلس رسميـًا الى خمسة الوية تحتها اقضية على هذه الصورة :

١ — لواء قول اوغلي باشي

غريان
اورفله
ترهونة
الزاوية
عجيلات

٢ — لواء خمس وبعضهم يسميها حمص

زليتين
مسلاتة
مصراطة
سرت

٣ — لواء الجبل الغربي

غدامس
نالوت
فساطو
حوض

٤ — لواء فزان

غات
سوكنة او سكنة
شاطى

٥ — لواء بنغازي

مرج
درنة
طبرقة
اوجيلة

٢ — تاريخها

لهذه الولاية تاريخ طويل لما علمته من قدم عهدها في المدنية فنقسمه الى قديم ينتهي بالفتح الاسلامي وحديث لا يزال الى الآن

تاريخها القديم

يبدأ تاريخها القديم بأقدم ازمنة التاريخ ولا فائدة من تفصيله وانما يقال بالاجمال ان هذه البلاد تداولتها اهم الدول التي تسلطت حول البحر المتوسط . فاستعمرها الفينيقيون والرومانيون — ومن آثارهم قوس نصر من رخام لا يزال قائماً قرب باب مريا من مدينة طرابلس . ثم نزلها الفاندال فاليونان . ولا تنس ما تقدم عن برقة وما كان فيها من اسباب المدنية وما هنالك من الآثار في سرينيكا — واخيراً فتحها المسلمون سنة ٦٤٧ للميلاد — فتحوا اولاً برقة ثم طرابلس

قال البلاذري في فتح برقة « لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة وهي مدينة انطابلس (بنتابوليس) فصالح اهلها على الجزية وهي ١٣٠٠٠ دينار يبيعون فيها من ابنائهم ما احبوا بيعه . وكتب لهم بذلك

كتاباً . وكان اهل برقة يبعثون بخراجهم الى والي مصر من غير ان يأتيهم حاث او مستحث . فكانوا اخصب قوم في المغرب ولم تدخلها فتنة . وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لولا ما لي بالحجاز لنزلت برقة فما اعلم منزلاً اسلم ولا اعزل منه »

واما طرابلس فقد ذكروا في كيفية فتحها « ان عمرو بن العاص غزا طرابلس سنة ٢٣ هـ حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرين لا يقدر منهم على شيء . فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو بن العاص متصيداً مع سبعة نفر فجمعوا غربي المدينة واشتد عليهم الحر فأخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقاً بالمدينة ولم يكن في ما بين المدينة والبحر سور . وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم . ففطن المدلجي واصحابه واذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم . واقبل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم فلم تفلت الروم الا بما خف في مراكبهم . وغنم عمرو ما كان في المدينة وانما بنى سورها مما يلي البحر هرثمة بن أعين حين ولايته على القيروان . ومن طرابلس الى نفوسة مسيرة ثلاثة ايام »

تاريخها الحديث

فأصبحت برقة وطرابلس وما يليها جنوباً في اواسط القرن السابع للميلاد بلاداً اسلامية ولا تزال كذلك الى الآن . وقد توالت في اثناء ذلك دول اسلامية عديدة كانت طرابلس ولاية من ولاياتها او تابعة لاحدى اماراتها من الخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين . ثم في الدول التي حكمت في افرقيا مستقلة . فدخلت في سيادة الاغالبة في اواخر القرن الثاني للهجرة وقد شادوا فيها معاقل وقصوراً لا يزال بعضها باقياً الى الآن . وفي سنة ١١٤٦م (٥٤١ هـ) غزاها روجر الثاني النورماني واستولى عليها . وبعد ١٣ سنة دخلت في حوزة بني عبد المؤمن الموحدين وظلت بضعة قرون تابعة لمملكة تونس وليس من اخبارها في ذلك العهد ما يستحق الذكر

وغزا الاسبان مدينة طرابلس بقيادة بيار دي نافار وسبوا اهلها جميعاً واخربوها. فاليهود منهم افتداهم اهلهم من يهود ايطاليا بالمال . واما المسلمون فأذن لهم شارلكان بالرجوع الى بلادهم وسمح لهم ان يرمموا مدينتهم بشرط ان لا يعيدوا بناء سورها

وفي سنة ١٥٣٠ م (٩٣٧ هـ) تنازل شارلكان عن طرابلس هدية الى جماعة القديس يوحنا المالطيين . ولكنهم لم يتمتعوا بتلك الهبة الا قليلاً . فجاءهم بربروسا

القائد البحري العثماني الشهير فأخرجهم منها وجعلها تابعة للعثمانيين فعاد شارلكان واعادها للمالطيين



بربروسا القائد العثماني

وفي سنة ١٥٥١ حمل عليها سنان باشا القائد الحربي العثماني وفتحها عنوة واصبحت من ذلك الحين ولاية عثمانية واصبح شأنها شأن سائر ولايات الدولة العثمانية . ولكن لها شأناً خاصاً بما اشتهر يومئذ من القرصانية (لصوص البحار)

القرصانية

كانت مياه افريقيا الشمالية في القرن السابع عشر مرسى لسفن القرصان . يقطعون السبل على السفن الافرنجية التي تمر فيه ويصادرونها وينهبونها ويقتلون اهلها . فآل ذلك الى مداخلة الدول الاوربية في شؤونها ومطالبتها بما كان يأتيه قرصان طرابلس من الاذى لرعاياهم وكثيراً ما افضى ذلك الى نزاع واحتجاجات يطول شرحها

وكانت فرنسا وانكلترا يومئذ قابضتين على زمام التجارة في البحر المتوسط . فعقدتا معاهدات تجارية مع الباب العالي لحماية سفنها . على ان تلك المعاهدات لم تكن تنفذ فاضطر كرومويل صاحب انكلترا ان يجرد عمارة بحرية ١٦٥٦ لضرب طرابلس وفعلت انكلترا ذلك ايضاً بعد عشرين سنة

وكذلك فعلت فرنسا رغم ما كان بينها وبين سلطان العثمانيين من العلائق الودية في ذلك العهد. فانها حملت على طرابلس سنة ١٦٨٣ وحطمت كثيراً من سفن القرصان في ميناها. ولم ترجع حتى تعهدت لها الدولة بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك . وعجزت تركيا أخيراً عن ابطال القرصانية . ثم خرجت طرابلس من حوزتها كرهاً وتولاها قائد مسلم اسمه « حامد القرماني » في اوائل القرن الثامن عشر وأورثها لابنائه كما فعل محمد علي باشا بمصر وما زالت في سلطانهم حتى استرجعتها تركيا سنة ١٨٣٥ وللاسرة القرماني هذه تاريخ طويل نلخصه في ما يلي :

سيادة الاسرة القرمانية على طرابلس

بلغت الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر غاية الضعف حتى طمع بها الاجانب واستخف بها ولاتها وأخذوا يسعون في الاستقلال من سلطانها — كذلك فعل علي باشا تبه دلنلي في البانيا ومحمد علي باشا بمصر وحامد القرماني في طرابلس الغرب . ولم يثبت الاستقلال لاحد منهم كما ثبت لمحمد علي باشا مؤسس الاسرة المحمدية العلوية وان تشابهت مطامعهم ووسائلهم

اما الاسرة القرمانية فمؤسسها حامد كان قائداً لجند الفرسان في طرابلس الغرب تحت امر الوالي العثماني محمد خليل باشا سنة ١٧١١ م فأساء الوالي الجند فكرهوه وذهبت هيبته من قلوب الناس فتمرد اهل غريان فكلف حامداً ان يذهب لاخضاعهم . وفي أثناء ذلك استدعي الوالي الى الاستانة فذهب اليها وهو يحسب ثورة غريان تشغل حامداً مدة طويلة . لكنه لم يكد يبرح طرابلس حتى دخلها حامد واخذ الجند بناصره واعانهم اهل المدينة فولوه عليهم مع لقب « بيك طرابلس » اي امير طرابلس

على انه ما زال خائفاً من زملائه الضباط العظام لئلا يخونوه كما فعل هو مع اميره فعزم على التخلص منهم — نحو ما عزم عليه محمد علي بعد ذلك بمئة عام في اهلاك الامراء المماليك . اما القرماني فدعا زملاءه الضباط والقواد الى وليمة في قلعة طرابلس وهم ٣٠٠ نفس فجاؤا وقلوبهم مطمئنة . وكان قد أوصى خاصته ان يستقبلوهم واحداً واحداً ويقتلوهم ففعلوا ولم ينج منهم احد . ثم اخذ يفكر في استرضاء الباب العالي فجمع ما صار اليه من اموال اولئك المقتولين وبعثها هدية في سفينة الى السلطان احمد الثالث . فحازت قبولاً وصدر الفرمان بتوليته على طرابلس مع لقب باشا

فاخذ في تحصين مملكته فاعاد بناء الحصون التي كان شارلكان قد هدمها . وبنى جامعاً فخيماً واعلن نفسه حامياً للقرصانية . فاشتد أزر القرصان وعادوا الى تعدياتهم

فعادت دول أوربا الى الاحتجاج فارسلت فرنسا سنة ١٧٢٨ عمارة ضربت طرابلس واقتصت من أميرها هذا ثم عقدت معه معاهدة ظل يعمولها الى سنة ١٧٦٦

وتوفي حامد سنة ١٧٤٤ فخلفه ابنه محمد واشتهر هذا بحماية القرصان وتشجيعهم. وتوفي سنة ١٧٥٤ فخلفه اخوه علي وكان ضعيف الارادة فاتسعت دائرة اللصوصية في ايامه وتكاثر القتل والنهب في البر والبحر واصبح الناس في اشد حالات الضنك. وعجز هو عن التدبير فولى مكانه ابنه احمد فقلّ الاعيان من تلك الحال واقروا على ارسال وفد يطلب من السلطان اخراج الحكومة من اسرة القرمانلي وارسال وال عثماني كالعادة

يوسف القرمانلي وعلي برغل

فأحسّ القرمانليون بالخطر الذي يهددهم فلاح ليوسف بن علي واخي احمد ان يسعى في تخليص تلك الدولة لنفسه. فاخذ في تقريب العامة من الوطنيين اليه واقنعهم ان رجوع الحكومة الى صاحب القسطنطينية تعود عليهم بالخراب والذل. وتمكن من اكتساب ثقة الشيخ خليفة بن عون زعيم قبيلة شديدة البطش تقيم في جبل طرابلس. فجعل الشيخ عدداً كبيراً من رجاله البرابرة والعرب تحت امر يوسف. فتمكن بذلك من محاربة ابيه واخوته وحاصر طرابلس وابوه فيها سنة ١٧٩٠ وآل ذلك طبعاً الى قتل الانفس وسلب الاموال. فبعث الطرابلسيون المحصورون بالمدينة وفداً سرياً الى الاستانة يلحون في طلب وال منها يحكمهم وينقذهم من ذلك النزاع

فبلغ ذلك الى القرمانليين فافضى الى تصالحهم. وكان يوسف قد قتل اخاه فاجتمع به ابوه علي وعفا عنه التماساً للاتحاد على الدولة. ولكن ذلك الوفاق جاء متأخراً ولم يمض وقت طويل حتى اتاهم وال عثماني اسمه علي باشا برغل. ولكنه كان اقبح حالاً من القرمانليين مجهول النسب مثل كثيرين من اهل المطامع في ذلك العصر عصر البطش والدسائس. وكان في بادىء امره وكيلاً لاحد امراء البحر في جزائر الغرب. فاكتسب من القرصانية مالاً كثيراً. ولما علم بالشقاق بين ابناء القرمانلي وعزم الطرابلسيين على طلب من يحكمهم من الاستانة سافر اليها. وكان له اخ نافذ الكلمة عند السلطان فتوسط له حتى ولاه امارة طرابلس وانفق في سبيل ذلك اموالاً طائلة. وتعهد للسلطان باعادة السكينة وسيادة الدولة الى تلك البلاد ولا يكلف الحكومة شيئاً. فولوه اياها مع لقب باشا

فاوصى على تسع سفن تجارية بناها من جيبه وحشد رجالاً للحرب استأجرهم

من المورة وزانتة وغيرهما من جزائر اليونان ومن الاتراك والاسان . وفي سنة ١٧٩٢ (١٢٠٧ هـ) رسا اسطوله في مياه طرابلس وعليه ٢٥٠ تركياً و٥٠ يونانياً . لكنه خاف النزول الى البر واستحسن ان يبدأ باحتلال قلعة بيت الريس بعض جنده . ففعل فجاءه كبار الموظفين يستقبلونه فدفع اليهم الفرمان وفحواه عزل القرمانيين وتوليته مكانهم وجاء في آخره « ومن يخالف نص هذا الفرمان يعد عاصياً على جلالة السلطان » فخاف الموظفون غضب السلطان فسلموا المدينة الى الوالي الجديد فجمع القرماني اهله وخرج يطلب حماية صديقه حموده باي تونس ومعه وزيره مصطفى باشا

فلم يطمئن برغل باشا بذلك وخاف ان يتحد الموظفون والاهلون عليه . فرأى ان يرهب الناس بالقتل والحبس والسلب فضرب على اليهود ضريبة مقدارها ٢٤٠٠٠٠ فرنك وهددهم بالقتل ان لم يدفعوها فاضطروا الى بيع املاكهم في سبيل ذلك . ولسوء حظه كان في جملتهم جماعة من اهل تونس ولكي ينتقموا لانفسهم عمدوا الى السعي في ارجاع بيت القرماني الى السلطة وكان لهم زعيم اسمه رحمين لتي يوسف القرماني واخبره عن عزمهم واشترط عليه ان يصالح أخاه احمد ليتحدا ويتمكنا من الغرض المقصود . فاطاعه واجمع الاخوان وتصالحا وزحفا على طرابلس . فالتف حولهما الاهلون من كل جانب فخافهم برغل باشا وأقفل المدينة عليه . وطال حصارها حتى جاع اهلها وقاسوا عذاب النار . وشدد القرمانيون الحصار عليها حتى منعوا أهلها من اخراج موتاهم فصاروا يدفنونهم فيها . وأجبر الناس على الاشتغال في بناء الحصون كباراً وصغاراً حتى ابناء المدارس

وأخيراً نفدت المؤونة وقلت الذخيرة فارسل الباشا سفينة تسطو على شواطيء تونس لجلب الذخيرة . فعدت تونس ذلك تعدياً على حقوقها . والخلاصة ان هذه المتاعب انتهت بفرار برغل باشا ودخل القرمانيون طرابلس وتولاها احمد بك بدلاً من ابيه علي باشا

فعاد اخوه يوسف الى منازعته وقد تضعضعت الافكار وانقسم الاهلون وتفرقت الاحزاب وخاف احمد من اخيه ففرّ الى مسالاتة وذهب منها الى مالطة . ونودي باخيه يوسف أميراً على طرابلس ونال الفرمان بتثبيت امارته من السلطان . وطالت حكومة يوسف هذا على طرابلس واجمع الناس على انه اكثر سائر اسلافه القرمانيين عملاً ونشاطاً وان اعترفوا باستبداده وشدته لكنهم يغتفرون له ذلك بما كانت عليه الاحوال من الخلل والاضطراب والفوضى فتمكن بحزمه وشدته من اعادة النظام اليها فبالغ في

القصاص قتلاً وصلباً ووكل بتنفيذ احكام الاعدام الى اليهود وقد عرف لهم فضلهم على أسرته فاكرمهم وقدمهم

وعمل على ترميم القلاع وبناء القصور في طرابلس ونظم ضابطة وطنية . فانفق في ذلك أموالاً لم يجد وسيلة الى استرجاعها الا من القرصانية . فعمد الى تنشيطها وجمع اصحابها تحت جناح حمايته فاصبحت لصوصية منظمة لها مركز وفروع وصندوق وحسابات مما لم يكن لها من قبل — فعل ذلك في أواخر القرن الثامن عشر وأوربا في شاغل ببونابرت وحروبه . فاستفحل أمر القرصان وزعيمهم يوسف القرماني صاحب طرابلس . فانشأ لذلك أسطولاً كبيراً اشتهر من قواده وربانه جماعة كان اسمهم فزاعة في البحر المتوسط . منهم فرج واداانفسكي والمغربي والزريق والعجيم والروماني وأصبحت طرابلس مجمع القرصان ومخزناً لمسلوباتهم وأسراهم . وللقرماني حصة الاسد من الغنيمة

وقد زار طرابلس في أثناء ذلك علي بك العباسي الرحالة فوصفها ووصف اميرها وهم يسمونه « سيدي يوسف » وتحته الخازندار والكخيا ورئيس الحرس . وذكر للباشا حرساً مؤلفاً من ٣٠٠ تركي ومئة مملوك كلهم من الفرسان . وانه يستعين عند الحاجة بعرب البادية وقد يحشد منهم عشرة آلاف فارس . وذكر أسطوله القرصاني بما فيه من المدافع وهذا نصه :

	عدد	عدد المدافع فيها
مدرعة	١	٢٨
«	١	١٦
سفن أخرى	٤	٣٨
غليون	٢	١٢
سفن صغيرة	٣	٩
(الجملة)	١١	١٠٣

وكان العمل جارياً في انشاء سفن أخرى . على ان هذا العدد من المدفعيات لايستخف به في تلك الايام

ظلت الدول مشغولة عن ذلك تكتفي بان تأخذ قناصلها من الاميرجوازات لسفنهم الى سنة ١٧٩٦ فالتمست أسوج جوازاً لسفنها . فطلب القرماني منها ٨٠٠٠ فرنك كل سنة فاستكثرت الطلب واظهرت العدوان . فأمر يوسف قرصانه فصادروا سبع سفن أسوجية واستولى على ما تحويه من البضائع والاموال . وبلغ ذلك الى اسوج

فلم تحرك ساكناً . على انه كان ميالاً الى مصادقة فرنسا فلما حمل بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨ لم يعارض سفنه بل أعانه في بعض الاحوال . ولما يئس ملك أسوج من مقاومة يوسف وسّط بونابرت في امر السفن التي دخلت في حوزته فردها وقبض ٨٠٠٠٠ فرنك غير ٨٠٠٠ فرنك يستولى عليها كل عام

وغضبت انكلترا من مصادقته فرنسا وهي يومئذ عدوتها اللدودة فشكته الى السلطان فاجبره على معاداتها والقبض على من في طرابلس من الفرنساويين . ففعل لكنه اظهر ذلك مرضاة للباب العالي واضمر صداقة الفرنساويين . وفي سنة ١٨٠١ طلبت الولايات المتحدة منه جوازاً لسفنها فبالغ في الضريبة على ذلك فابت فامر ربان سفنه ان يصادر سفنها فقبض على كثير منها فحملت عليه بعمارتها سنة ١٨٠٢ وضربت طرابلس فاجابتها بطاريات القلاع فاغرقت دارعة وفرّت الدوارع الباقية تطلب عرض البحر. وأتت سفينة أميركية أخرى في السنة التالية اسمها فيلادلفيا الى مياه طرابلس وجنحت فاستولى الرئيس الزريق احد رجال القرماني على ما فيها

فعظم ذلك على الاميركان فاخذ اميرال اسطولهم يسعى في محاربة يوسف القرماني بالدسيسة . وكان قد علم بوجود اخيه احمد في مالطة فحمله على اسطوله الى درنة وانزله هناك فاستقبله اهلها بالترحاب . وانقسم اهل بنغازي الى حزبين احدهما مع يوسف والآخر مع احمد وثارت الخواطر وظهرت الفتنة في بلاد برقة كلها . فاضطر يوسف الى توسيط قنصل انكلترا وحسين باشا صاحب جزائر الغرب . فتوسط وانتهى الخصام بينه وبين الاميركان بمعاهدة . فانسحبوا وسحبوا معهم احمد وأرسلوه الى مصر

وبعد سقوط بونابرت انتبهت أوربا من دهشتها وحوّلت اذهانها الى البحر المتوسط . فتصدت انكلترا ليوسف القرماني وقام النزاع بينهما واضطر لموافقتها على ما فيه مصلحتها . وحاولت سائر الدول الحصول على جوازات من هذا القبيل ولم تفلح منها الا فرنسا وانكلترا والنمسا وبروسيا وتوسكانا وولايات البابا وسردينيا. على ان هذه العهود لم تكن تنفذ الا اذا شاء الامير ولذلك لم تبطل المنازعات بينه وبين الدول ولا سيما الصغرى

فلم تجد انكلترا بدًّا من الاجهاز على القرصانية في ذلك البحر وكانت قد تفرغت واشتد ساعدها فأخذت تطارد القرصان مطاردة متواصلة وساعدتها فرنسا وغيرها فانحط شأن القرصانية . فضعف أمر يوسف القرماني لقلة الوارد عليه من المال وقد تعود جنده السعة في الانفاق . فلم يجد سبيلاً لجمع المال الا بظلم الاهلين فأكثر من

الضرائب ووقع جانب كبير منها على اليهود . وضرب نقوداً ليس فيها من الفضة الا جزء صغير وتداولت هذه النقود وهبطت قيمتها حتى صارت الى جزء من ١١ ورفض الناس التعامل بها . وجرّ هذا كله الى نقمة اليهود على يوسف لانه حمّلهم مالا يطاق من الضرائب . ولم ينج المسلمون ولا غيرهم من ذلك وسادت الفوضى . فاستقال يوسف وخلفه ابنه علي وتوسطت انكلترا فأشارت على الباب العالي ان يرسل جنداً يستولي على ولايته . وبعد تردد كثير ارسل عمارة عليها ٦٠٠٠ مقاتل بقيادة نجيب باشا

عود طرابلس الى الدولة العثمانية

نزل نجيب باشا طرابلس سنة ١٨٣٥ واخرج علي بك القرماني واهله منها . فعادت الى كنف الدولة وظل اهل داخلية البلاد في حال الفوضى لبعدهم في البوادي وهم قبائل يصعب اخضاعهم ولكنهم اخذوا يعودون اليها رويداً رويداً

وتوالى على طرابلس الغرب منذ رجوعها الى حيازة الدولة العثمانية حتى اعلن الدستور ٢٧ والياً اولهم نجيب باشا المتقدم ذكره وآخرهم رجب باشا كما ترى :

اسم الوالي	سنة ولايته	اسم الوالي	سنة ولايته
نجيب باشا	١٨٣٥	مصطفى عظم باشا	١٨٧٥
محمد رئيف باشا	١٨٣٥	مصطفى باشا	١٨٧٦
طاهر باشا	١٨٣٧	علي راملي بك	١٨٧٨
حسن باشا	١٨٣٧	محمد صبري باشا	١٨٧٨
علي عسكر باشا	١٨٣٩	محمد جلال الدين باشا	١٨٧٨
محمد امين باشا	١٨٤١	عزت باشا (ثالثة)	١٨٧٩
محمد رايوط باشا	١٨٤٥	محمد لطيف باشا	١٨٨٠
علي حاج احمد عزت باشا	١٨٤٨	احمد راسم باشا	١٨٨٢
مصطفى نوري باشا	١٨٥٢	نامق باشا	١٨٨٥
عثمان باشا	١٨٥٥	هاشم باشا	١٨٨٩
عزت باشا (ثانية)	١٨٥٧	حافظ باشا	١٩٠٠
محمد نديم باشا	١٨٦٠	احسان حسني باشا	١٩٠٣
علي رضا باشا	١٨٧٢	رجب باشا	١٩٠٤
سامح باشا	١٨٧٤		

وفي ايام رجب باشا تقاطر اليها الاحرار فراراً من عبد الحميد . وله مآثر مذكورة من انشاء المدارس والحدائق والشوارع والوسائل الصحية وغيرها . وفي ايامه اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ ولم تكد هذه الولاية تتنفس الصعداء على اثر خروجها من أثقال الاستبداد حتى طمع بها الايطاليان فجردوا عليها واحتلوها في الشهر الماضي ظلماً وعدواناً

والمخابرات السياسية جارية بشأن ذلك . واما الاسباب الظاهرة التي بنت ايطاليا تهجمها على املاك الدولة فيفهم من صورة الانذار الذي ارسلته للباب العالي وهذا نصه مع فحوى جواب الباب عليه :

انذار ايطاليا

« ما انفكت الحكومة الايطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد لسوء النظام واهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي وبوجوب امتاع هذه البلاد بما تتمتع به سائر اقسام افريقيا الشمالية . وهذا التغيير (المشار اليه من حيث تأييد الامن وترقية البلاد) الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحيوية بحسب ماتستلزمه مصلحة ايطاليا في اول درجة بالنظر لقصر المسافة بين تلك البلاد وشواطىء ايطاليا

« وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الايطالية التي كانت دائماً موالية وعاضدة لتركيا في كثير من المسائل السياسية في العهد الاخير . وبالرغم من اعتدالها وصبرها حتى الآن كانت الحكومة السلطانية (العثمانية) تجهل رغائبها في طرابلس وفوق ذلك ان جميع مشروعات الطليان في تلك الاصقاع كانت تصادف دائماً مقاومة مضطردة لا تحتمل

« والحكومة السلطانية (العثمانية) التي كانت حتى الآن تبدي عداء دائماً نحو الحركة الايطالية الشرعية في طرابلس وبنغازي وما زالت كذلك حتى الساعة الحادية عشرة (يعني حتى الساعة) اقترحت على الحكومة الملكية (يعني الطليانية) ان تتفاهم معها . واعلنت انها ميالة ان تمنح اي امتياز اقتصادي يتفق مع المعاهدات النافذة ومع شرف تركيا الاعلى ومصالحها . ولكن الحكومة الملكية لا تشعر الان انها في احوال موافقة للدخول في المفاوضة بهذا الموضوع — المفاوضة التي برهن الاختبار الماضي على عدم نفعها — وهي لا تشتمل على ضمانة للمستقبل ولا تكون الا سبباً للاحتكاك والنزاع

« ومن جهة أخرى فقد وردت الاخبار الى الحكومة الملكية من قنصليها في طرابلس وبنغازي تفيد ان الحالة هناك خطرة جداً بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان التحريض الذي زاده الضباط وسائر موظفي الحكومة . فهذا التهيج خطر

شديد ليس على الطليان فقط بل على سائر الاجانب على اختلاف جنسياتهم . ولما اصبحوا قلقين على حياتهم شرعوا يهجرون البلاد بلا ابطاء . ووصول القالات العسكريه العثمانية الى طرابلس زاد الحالة خطراً وحرجاً مع ان الحكومة الملكية نبهت الحكومة العثمانية الى نتائجه السيئة من قبل . ولهذا تضطر الحكومة الملكية ان تتخذ الاحتياطات اللازمة دفعاً للخطر الناجم منه

« ولما وجدت الحكومة الايطالية نفسها مضطرة الى الحرص على شرفها ومصالحها قررت ان تحتل طرابلس وبنغازي احتلالاً عسكرياً — هذا هو الحل الوحيد الذي تعول عليه ايطاليا والحكومة الملكية تنتظر ان الحكومة السلطانية تصدر اوامرها حتى لا تصادف ايطاليا في الاحتلال معارضة من رجال الحكومة العثمانية وان لا تجد صعوبة في انفاذ ما تريد انفاذه وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة

« وقد صدرت الاوامر للسفير الايطالي في الاستانة ان يلتمس جواباً جازماً في هذه المسألة من الحكومة العثمانية في ٢٤ ساعة منذ تسلمه هذا البلاغ . فاذا لم تجاوب عليه كانت الحكومة الايطالية مضطرة ان تنفذ المشروعات المدبرة لحماية الاحتلال . ونرجو ان يبلغ جواب الباب العالي المنتظر في ٢٤ ساعه لنا عن يد السفير العثماني في روميه الامضاء . سان جليانو »

جواب الباب العالي

« ان طرابلس الغرب ولاية عثمانية لا يتخلى عنها الباب العالي ولاجالة من الجالات والايطاليان المقيمون فيها لا خطر عليهم البتة ولا لزوم مطلقاً لارسال جنود ايطالية اليها فان حماية الايطاليان فيها هي من واجبات الحكومة العثمانية كما انه لاخوف على مصالح الايطاليان التجارية هنالك

« ولما كانت العلائق الدولية لاتزال متصلة بين الدولتين فالتجهيزات التي قامت بها ايطاليا بالبر والبحر تخالف عواطف الولاء وتضاد تلك العلائق بل هي تعاكس التأكيدات التي قامت بها حكومة ايطاليا مؤخراً بتصريحها بلسان وزير خارجيتها باعترافها بسلامة الاراضي العثمانية وبانها لاتنوي احتلال طرابلس الغرب

« وعلى كل فالباب العالي مستعد للدخول بالمخابرات بشأن مطالب ايطاليا واذا رفضت ذلك فلها متابعة مقاصدها واذ ذاك تقوم الحكومة العثمانية بما يفرض عليها »

وهذا الجواب سلم الى سفارة ايطاليا الساعة السادسة من صباح الجمعة في ٢٩ سبتمبر

السنوسيون

شيخهم وطريقته وقواتهم وزواياهم

كثر ذكر السنوسيين في عرض الكلام عن دفاع الطرابلسيين وتعويلهم عليهم في قهر الايطاليين . وقد كتب الينا غير واحد يسأل من هم السنوسيون حتى يتوقع الناس منهم هذه النصرة وجواباً على ذلك نقول :

السنوسيون حزب سياسي ديني ينسب الى زعيم اسمه محمد السنوسي يعدّ في جملة من ادعى المهدوية في الاسلام . ولذلك فهو يسمى ايضاً « محمد المهدي السنوسي » ويتصل نسبه بالحسن بن علي بن ابي طالب ويبدأ تأسيس طائفة السنوسية من عهد والده

السنوسي الوالد

واسم والده الاستاذ محمد بن علي السنوسي ولد سنة ١٢٠٤ هـ في بادية مستغانم من اعمال الجزائر ونشأ فيها ثم رحل في طلب العلم بمدينة فاس عاصمة مراكش . وانتظم في سلك الطريقة الدرقاوية وهي من الطرق الاسلامية الرائجة هناك . ثم رحل الى مكة واجتمع فيها بالاستاذ احمد بن ادريس الفاسي وهو مشهور بالصلاح على الطريقة الصوفية . فتصوف على يده وبرع في الصوفية فأحبه استاذه وقدمه وجعلهُ خليفته واذن له في اعطاء العهد وتلقين الذكر على اصطلاحهم . فبنى زاوية في جبل أبي قبيس بمكة

ثم رحل الى الاسكندرية وانشأ فيها زاوية فحرمه شيخ الاسلام ففرَّ الى شمالي افريقيا . ونزل الجبل الاخضر قرب بنغازي من اعمال برقة سنة ١٢٥٥ هـ (راجع الخارطة في صدر هذا الهلال) وبنى هناك عدة زوايا وجعل يقضي نهاره في الصلاة والتلقين . ورزق في ذلك الجبل ولدين احدهما محمد المهدي الذي نحن في صدده ولد سنة ١٢٦١هـ والثاني محمد شريف سنة ١٢٦٣هـ ورجع في تلك السنة الى مكة واقام في زاويته في جبل ابي قبيس سبع سنين وهو يقرىء الحديث والفقه . وله طريقة حسنة في الاقراء فذاعت شهرته في الافاق وتقاطر الناس اليه يلتمسون علمه . ثم رحل استاذه احمد بن ادريس الى اليمن فصحبه اليها فتوفي احمد هناك . فدفنوه وبنوا على مقامه قبة يتبرك احزابه بزيارتها وعاد السنوسي الى مكة

واتفق في اثناء ذلك ان عبد المطلب شريف مكة شقَّ عصا الطاعة على الدولة العثمانية فأُتهم السنوسي بنصرته سراً . وبلغه ان الحكومة تنوي القبض عليه ففر يطلب زاويته في الجبل الاخضر. فمرّ بمصر وعليها عباس باشا الاول فعرف قدره واكرم وفادته وبنى له زاوية بضاحية القاهرة عند الشيخ القللي . فابى النزول هناك ونزل في قرية بالجيزة اسمها كرداسة وقد ذاعت شهرته في وادي النيل فتقاطر طلاب الكرامة الى زيارته والتبرك به والاستفادة من علمه . ولم يطل الاقامة بمصر خوفاً من حرم آخر فشخص الى الجبل الاخضر واستقرّ في قصر قديم من بقايا مملكة السيرينيكا اليونانية فرممه وسماه العزبات واقام به وهو يبث طريقته وتعاليمه

وتكاثر اشياعه في شمالي افريقيا وخصوصاً في الواحات بصحراء ليبيا. وآنس من الحكومة عيناً ساهرة وترصداً متواصلاً ففضل البعد عن المدينة والاقامة بين مريديه في الصحراء . فاشاروا عليه ان يقيم في واحة جغبوب على مسافة عشرة ايام من العزبات وثلاثة ايام من واحة سيوة . فرحل اليها سنة ١٢٧٣ هـ وبنى فيها زاوية للصلاة والتعليم وطفق ينشر طريقته بين اهل البادية من العرب والبربر لا يحاذر حكومة ولا جنداً الى ان توفي سنة ١٢٧٦ هـ ودفن هناك . وخلف آثاراً كتابية لها شأن عند اصحابه كالمهديني صوفي منها ايقاظ الوسنان في العمل بسنة القرآن والسلسبيل المعين في الطريق الاربعين والمنهل الرائق في الاسانيد والطرائق والشموس الشارقة في سماء مشائخ المغاربة والمشارقة

محمد المهدي السنوسي

فلما توفي السنوسي الوالد كان ابنه الاكبر محمد المهدي السنوسي في السادسة عشرة من عمره تخلف اباه في الطريقة وبايعه مريدوه فاخذ في نشر تعاليمه وطريقته واخوه محمد الشريف السنوسي معه . فتضاعف عدد الاتباع والمريدين على يده وانتشرت طريقته نحو الجنوب وامتدت في الصحراء الكبرى وما وراءها الى وداي وكانم وباجرمي ودارفور فضلاً عن انتشارها في طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش ومصر والحجاز . وتعددت زواياه في تلك الاصقاع حتى صارت تعد بالمئات

والزاوية بناء كالمسجد أو المدرسة يقيم فيها شيخ يدير شؤونها يسمونه خليفة يبايع الناس عن السنوسي . وفيها مدرسة للتعليم واهم علومها القرآن ومبادىء العلوم الاسلامية. ولكل زاوية مزرعة أو عزبة في عهدة شيخها تسرح فيها الماشية ويتولى امرها تلامذته الذين انتظموا في تلك الطريقة على يده . وينفق على نفسه وعلى زاويته من

ريع تلك المزرعة ويرسل ما يفيض منها الى شيخه واستاذه السنوسي في جغبوب .
فاصبح هذا الرجل اشبه بملك عظيم الشان واسع الملك كثير الاتباع يجبي اليه الخراج
من اقصى الارض . على ان مقامه عند اتباعه ارفع شأناً من مقام الملوك والسلاطين .
واهل الواحات في اواسط الصحراء لا يعرفون سواه حاكماً عليهم . اذا استصرخهم
لبوه وافتدوه بالاموال والارواح . وانما يخضعون لحكامهم على يده . وهم يعتقدون انه
المهدي المنتظر ويحج اليه الناس من اطراف البلاد يتبركون به . وتحمل اليه القوافل
من الريش والعاج واحمال من السلاح والذخيرة

فلما قام محمد احمد المهدي السوداني كان على بينة من منزلة السنوسي وما له من الانصار
والاتباع . فراى من حسن السياسة ان يكتسب حزبه فبعث اليه سنة ١٨٨٣ رسولاً
معه كتاب يدعوه فيه الى نصرته على ان يكون في جملة خلفائه . وهذا نصُّ قوله بعد
مقدمة طويلة في أثبات مهدويته (نقلاً عن تاريخ السودان لنعوم بك شقير) :

« واعلم يا حبيبي قد كنا ومن معنا من الاعوان ننتظرك لاقامة الدين قبل حصول
المهدية للعبد الذليل وقد كاتبناك لما سمعنا باستقامتك ودعايتك الى الله على السنة
النبوية وتأهبك لاحياء الدين ونجتمع معك ولم ترد لنا المكاتبة وأظن ذلك من عدم
وصولها اليكم حتى اني ذاكرت جميع من اجتمعت معه من اهل الدين والشيوخ
والامراء المشهورين فأبوا ذلك لهوان الدين عندهم وتمكن حب الوطن والحياة في قلوبهم
وقلة توحيدهم حتى بايعني الضعفاء على القرار بالدين واقامته على ما يطلب رب العالمين
وقنعت نفوس من بايعناه من الحياة الدنيا لما يرون للدين من الممات . ولا زال المساكين
الذين لم يبالوا بالله بما فاتهم من المحبوب يزدادون وفيما عند الله يرغبون . حتى هجمت
المهدية الكبرى من الله ورسوله على العبد الحقير . فاخبرني سيد الوجود (صلعم) باني
المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء
الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام ... ولا زال التأييد يزداد من الله ورسوله
وانت منا على بال حتى جاءنا الاخبار فيك من النبي (صلعم) انك من الوزراء لي . ثم
ما زلنا ننتظرك حتى أعلمنا النبي الخضر عليه السلام باحوالكم وبما انتم عليه . ثم
حصلت حضرة عظيمة عن النبي (صلعم) فيما خلفه من اصحابه ومن اصحابي فاذ
أجلس احد اصحابي على كرسي ابي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف
كرسي عثمان فقال هذا الكرسي لابن السنوسي الى ان يأتيكم بقرب أو طول وأجلس
احد اصحابي على كرسي علي رضوان الله عليهم ولا زالت روحانيتك تحضر معنا

في بعض الحضرات مع اصحابي الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . . »
وختم كتابه بقوله :

« فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهاتك الى مصر ونواحيها ان لم يسلموا . واما ان تهاجر الينا ولكن الهجرة احب الينا كما علمت من فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت وعلى كل حال ترد الينا منك الافادة بما سيصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة » اه

فلم يجبه السنوسي على كتابه بل قال للرسول شفاهاً « قل لمحمد احمد اننا كلانا لا نساوي التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان »

وأوعز الى ملك وداي ان لا ينصر ذلك المهدي السوداني

وكان في جملة مساعي السلطان عبد الحميد في اصطناع الاحزاب لمقاومة الاحرار ان يستقدم السنوسي اليه كما استقدم أبا الهدى الصيادي وغيره. فخاف السنوسي وأوغل في الصحراء حتى نزل بلاد الكفرة (راجع الخارطة في صدر هذا الهلال) وبنى في واحة كبادو فيها زاوية • فجاءه الطلبة من تونس وطرابلس ومصر والشام وبادية العرب . ثم ارتحل منها الى قرو وراء واحة الكفرة وعاصمة وداي وانتشبت وهو هناك حرب بين اتباعه والفرنساويين

وتوفي السيد محمد المهدي السنوسي هذا في واحة قرو سنة ١٣٢٠ ﻫ (١٩٠٢م) ودفن فيها ثم نقلت جثته الى بلاد الكفرة وخلفه ابن اخيه السيد احمد الشريف ونقل زاويته الى واحة الكفرة ولا يزال هناك الى هذه الغاية

الزوايا السنوسية

ولبيان عظمة السنوسيين وسعة سلطانهم نذكر اشهر الزوايا الواقعة في برقة بين بنغازي وحدود مصر وبعض زواياهم في الجنوب البعيد • وهذه اسماؤها مع اسماء شيوخها أو خلفائها والقبيلة التي ينتسب اليها كل واحد منهم :

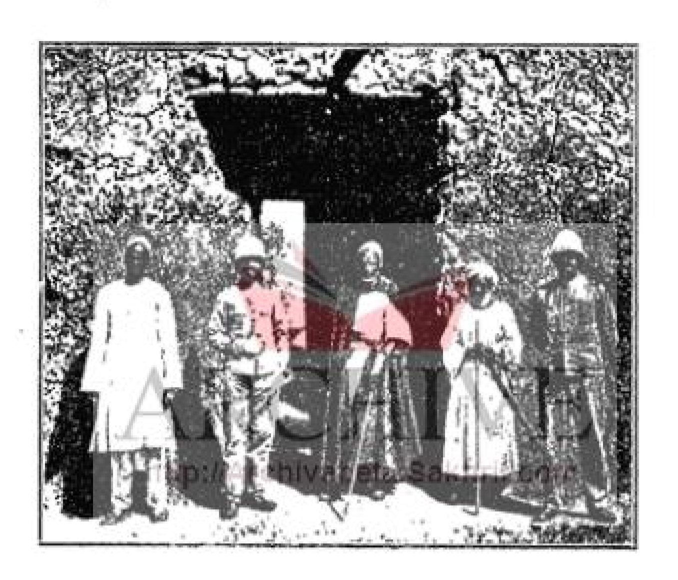
اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته	اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
بنغازي	صالح العوامي		ام شيخنخ	محمد ابن علي	فوارس
درفنه	محمد الغمري	غفيفة	توقره	عبد الله الفضيل	برغثة
سقة	علي الغمري	عبادلة	طولمثة	الامين الحلبي	عائلة الشلماني
الهويس	توابي الحلبي	عائلة داغر	سدوث	ابو زيد	دورسة

اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
هانية	احمد العيساوي	دورسة
حامة	السنوسي الغمري	«
سوسة	حاج مذكور	حسا
مرج	عمران الشكوري	عرفة
كسرين	محمد العربي	دورسة
كوسور	عمر المنفي	عبيد
بيت عمار	حبيب	عبيدات
ارغوب	جاد الله بن عمور	دورسة
مارا	احمد بن ادريس	عبيدات
بشري	ابن عمور	عبيدات
تارت	محمد الغزالي	«
شاهات	محمد الدردفي	حسا
الفدفا	صالح بن اسماعيل	براسة
البيضاء	رفاعه العلمي الغمري	«
غفنته	حميده بن عمور	«
درنة	محمد الخوجه	ابي منصور
مرتوبا	عبد الله فرقاس	بزيزات
دفنه	حصن الغرياني	عبيدات
المخيلي	الامين الغمري	«
الازيات	الحسين	«
ام رجل	بو كعبه موسى	«
حجاج اغابا	صالح الجرري	قطعان
جغبوب	سيدي المدني	«
المتنان	محمد علي	«
امكابا	رفاعة	«

اسم الزاوية	اسم خليفتها	اسم قبيلته
نخيله	صالح الخوجه	حواطه
اغبا	موسى	أولاد علي
زميمة	عبد الله فخري	« «سنور
طورفافا	عبد الله بوعامر	عشيبات
الحوش	محمد المحسن	أولاد علي
تلمون	مصطفى محجوب	عواجر
أم سوس	سنوسي	«
كتفية	عبد الله نعاس	اغاربه
سرت	محمد بن الشفيع	«
أوجيله	صالح بوشوشة	—
جالو	عبد الله طواني	—
بشر	محمد علي	—
جفارة	عبد الكريم بن احمد	زاوية
الكفرة	احمد الشريف المهدي	« مغبرا
أوجنيقا الغربية	عبد ربه	عبيد
« الشرقية	عبد الرزاق	«
قارو	محمد سقفة	«
عوان	عبد الحفيظ	«
عراضة	القادر محمد وعبيد	«
القلعة	البراني	«
كافي	ورسي صالح	«
حرسي	الاشعث	«
المساليط	محمد المنفي	«
وداي	محمد الفضيل	«
كانم	اخذها الفرنساوية	

وبعض هؤلاء الشيوخ كالملوك في بلادهم يحاربون الدول ولا يبالون . وممن يلقب بالسنوسي سلطان داركوت واسمه السلطان السنوسي حاربه الفرنساويون في أوائل هذا العام في وداي وقاسوا في حربه شدة حتى تمكنوا من قتله وترى رسمه في وسط هذه الصورة والى جانبه الايمن اليوزباشي مودات الضابط الفرنساوي وبعده ادوم ابن السلطان المذكور . والى يساره السلطان احد رؤساء القبائل وبعده الملازم مرشان من الضباط الفرنساويين

فقوات السنوسي لا يمكن تقديرها لكنها عظيمة جداً والله اعلم



السلطان السنوسي وابنه ادوم واحد رؤساء القبائل وضابطان فرنساويان

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال

العدد ٣ من سنة ١٥ و١ و٢ و٦ و٩ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

الحرب

هل تبطل من الارض

مهما بلغ شأن هذه المدنية من الارتقاء بكثرة الاختراعات والاكتشافات . وان تربع اصحابها على الرياش الوثير وركبوا البخار واستضاؤا بالكهربائية والجوا الهواء . ومهما انشأوا من الصحف وشكلوا من الجمعيات والاندية أوالفوا الاحزاب ونادوا بالحرية والاستقلال — لا يهمك دفاعهم عن الفرد وسعيهم في تحرير الرقيق فانهم مهما يكن من امرهم لا يزالون بعيدين عن المدنية الصحيحة طالما كان فيهم الميل الى الحرب لانها من بقايا الهمجية تمثل لك الانسان في افظع احواله الوحشية

اصل الحرب

كان الانسان في اقدم ادواره يقتات بالاثمار يقتطفها من اشجار انبتتها الطبيعة لا يغرس ولا يحرث. واذا نفد الثمر عمد الى طير صغير او حيوان ضعيف التقطه وقتله واكله نيئاً قبل اختراع الطبخ . ولا يزال يقتات بما يجده من ذلك في البقعة التي احتلها باهله حتى تخلو من الثمر والحيوان فينتقل الى سواها . وهو يفضل المقام بجوار الينابيع او على ضفاف الانهار لانه يجد اكثر حاجاته فيها . وقد يكون هناك جماعة سبقوه الى الماء فينازعهم عليه فيفوز القوي ويملك الماء - ذلك هو اول اسباب الخصام بين القبائل

ثم اهتدى الى الاختزان مما في يده خوفاً من الجوع في غده . واضطر بتوالي الاعوام الى الزرع وتربية الماشية واقتناء الطيور الداجنة . وبعد ان داهمه الجوع مراراً اصبح يخاف القحط قبل وقوعه باعوام فعمد الى التوسع في الارضين الخصبة . فجره ذلك الى التنازع مع معاصريه من بني الانسان واصبح كل كبير منهم يستكثر من أهل عصبيته ليتقوى بهم على سلب جاره ما بيده من اسباب الحياة — وهذا هو الغزو بابسط أحواله

تألفت بذلك العصبيات وأنتشبت الحروب وأهم أسبابها طمع الانسان بما يملكه غيره مما يحتاج هو اليه من وسائل العيش . وقد الف كل كبير جداً من أهل عصبيته هوزعيمهم وقائدهم يأتمرون بامره . فلذت له الزعامة وأحب الاستبداد فزاد ميله

الى الغزو والاستكثار من القوة رغبة في السيادة وهي من ملاذه الفطرية . فاصبحت الحرب يراد بها السيادة فضلاً عن اختزان الاقوات . ثم صارت الى مجرد حب السيادة والتوسع في الفتح طمعاً بما للاخرين ليقال ان فلاناً أقوى من فلان وان مملكته أوسع من مملكة سواه . والسيادة يومئذ للغالبين المستبدين لا دستور ولا نواب وانما يسود القاهر

تعظيم امر الحرب

فاصبح رجال السلطة من مصلحتهم تحبيب القتال الى رجالهم لئلاّ يضعفوا عن حماية دولتهم . فاخذوا يحسنون الحرب ويعظمون امرها حتى نصبوا لها التماثيل في التمدن القديم . منها اله الحرب (مارس) عند الرومان كان له شأن اعظم لا يفضله في المنزلة بين الالهة عندهم الا جوبيتير . وكانوا يعدونه اله الارض والزراعة والماشية . ولعل الاصل في هذه المناقب انهم كانوا يحصلون بالحرب على تلك الاسباب الحيوية .

أما العرب فانهم عظموا أمر الحرب تعظيماً كثيراً وجعلوها موضوع مفاخراتهم وحماستهم . وانتحلوا لذلك حججاً ترجع الى حب الذات والرغبة في الاستئثار باموال الاخرين بالغزو والسطو . ولا ظهرت عندهم باسماء أخرى كالجوار والوفاء والعصبية والثار وغير ذلك . فاصبح الرجل منهم يفتخر باثارة الحروب وقتل النفوس كقول عنترة :

خلقت للحرب احميها اذا بردت ... واصطلي بلظاها حيث اخترقْ

لو سابقتني المنايا وهي طالبة ... قبض النفوس اتاني قبلها السبقْ

وهو يفتخر بكثرة ما يسفكه من الدماء حتى تتلطخ قوائم جواده بها كقوله :

ورميت مهري في العجاج فخاضه ... والنار تقدح من شفار الانصلِ

خاض العجاج محجلاً حتى غدا ... بدم الوقيعة عاد غير محجلِ

ويجعلون ذلك في سبيل دفع الذل بنصرة القبيلة أو نحو ذلك كقول مرة بن ذهل

واني حين تشتجر العوالي ... اعيد الرمح في أثر الجراح

وأجمل من حياة الذل موت ... وبعض العار لا يمحوه ماح

وجعلوا القتل سبباً من أسباب المجد والشرف قال المتنبي :

ولا تحسبنّ المجد زقّاً وقينةً ... فما المجد الا السيف والفتكة البكر

وتضريب اعناق الملوك وان ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر

وقوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

وأصبح حب السلامة من الرذائل المرغوب عنها على حد قول الشاعر :

حب السلامة يثني همّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسلِ

ولا غرابة في ذلك ونحن في هذا العصر نرى الناس يتفاخرون بحضور المعارك وينقلون على صدورهم علامات تخلعها عليهم دولهم تشهد بكثرة ما حضروه من الوقائع الحربية

فأصبح الشعراء اذا مدحوا اميراً جعلوا من اهم مناقبه السفك والقتل والركوب في الغارات والغزوات وهو كثير في اشعارهم كقول ابن هانيء في جعفر بن علي يصف قومه :

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر

وتظلُّ تسبح في الدماء قبابهم فكأنهنَّ سفائنٌ في أبحرِ

أنظر كيف انهم يحسنون القتل ويفاخرون بكثرة القتلى. فهل يفعلون ذلك خوفاً من الجوع ؟ انما يفعلونه رغبة في الفخر وحبًّا بالسيادة . يقتل الانسان اخاه في الانسانية ليس لانه يخاف ان يسلبه طعامه كما تفعل الحيوانات المفترسة ونحوها اذ تتقاتل على فريسة ينالها القوي منها — بل هو يفعل ما هو افظع من ذلك – ان الناس يتقاتلون ويسفكون الدماء ليقال انهم قتلة ويسوغ لهم ان يكونوا رؤساء تطأطيء لهم الهام خوفاً لا حبًّا . والاَّ فان الارض رحبة والارزاق متسعة والحياة اقصر من ان تقضى في النزاع على شهرة كاذبة ينالها الانسان بالقتل والسفك . ولله در المتنبي اذ قال بعد ان طعن في الزمان وأهله :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

ومراد النفوس اصغر من ان تتعادى فيه وان تتفانى

وهي حقيقة لا ريب فيها . لكن المتنبي عطف وعاد الى نغمة سائر الشعراء في الضرب على وتر الفخر والحماسة فقال :

غير ان الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا

اقوال العظماء في الحرب

ويتبادر الى الاذهان ان الحروب من شأن العصور الاستبدادية لرغبة الملوك في السيادة فيسوقون الناس الى الحروب فيقتل الالوف والوف الالوف من الابرياء وفيهم النساء والاطفال ليقال ان القائد الفلاني فتح البلد الفلاني عنوة وغلب الامة الفلانية . وهو عمل لا يمكن تفسيره بغير الجنون الحربي أي ان الناس يصابون بجنون في طلب الفخر كما يصابون بجنون في طلب المال أو في التدين أو الكفر أو غير ذلك — قال احد الفلاسفة « الحرب داء الامراء »

وما من فيلسوف ولا عالم لم يطعن في الحرب وعواقبها و يعنف أصحابها حتى القواد واعظمهم بونابرت فقد قال في الحرب « انها عمل بربري وحشي » وقال « ان القوى الادبية تنحط في الحرب حتى تصير نسبتها الى البدنية كنسبة ٣ الى ٤ » وقال ولنغتن « لو شهدتَ يوماً من ايام الحرب لتوسلتَ الى الله ان لا يريك يوماً ثانياً منها » وقال ايضاً « ليس أفظع من الانكسار في المعركة الا الانتصار فيها » وقال مونتسكيو « ان خراب اوربا انما يكون على ايدي قوادها في الحروب » وقال نابيه « ان الانتصار في الحرب يخفي سيئاتها كما تغطي الحسنات السيئات » وقال لويس نابوليون « ما الحرب الا اعمال بربرية منظمة وهي من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها واشكالها »

هل تبطل الحرب

ويذهب بعض الفلاسفة المعاصرين ان الانسان سيصل الى عصر تبطل فيه الحروب ويتآخى الناس فيعيشون برغد وهناء ووفاق . وحجة اصحاب هذا القول ان الارتقاء والتهذيب مستمران . وبتوالي الاعصر يقتلع من اذهان الناس التنازع والخصام فتبطل الحرب . ولكنه قول مبني على النظر والخيال — ان الانسان لن يصل الى ما ذكروه ولو توالت الادهار على تمدينه وتهذيبه . ان التمدن لا يبطل الحرب وانما ينقلها من صورة الى صورة . كانت ادواتها الفأس والحربة والرمح فصارت البنادق والمدافع والالغام وهي أشد فتكا وأسرع تدميراً . لا ننكر ما للنظامات السياسية من الوسائل المساعدة على تخفيف الحروب بتوسط الدول الاخرى . ولكن هذه لا تتوسط ان لم يكن في توسطها نفع لها — وهو الطمع الذي قدمنا انه اقدم اسباب الحرب

ان سبب الحرب الرئيسي التنازع على السيادة كما رأيت . وهو فطرة غريزية في الانسان مبنية على حب الذات . وليس حب الذات خاصاً بطبقة من طبقات الامم وانما هو غريزة من غرائز الانسان كالجاذبية للاجرام . بل هي في الامم المتمدنة أقوى منها في سواهم لان العلم يوسع دائرة العقل ويكثر مطالب الانسان فتكثر حاجاته ويضطر للتنازع . على ان الامم البدوية الباقية على الفطرة مع ما يظهر من اغراقها في الغزو والنهب فان في اخلاقها البدوية ما يخفف وطأة تلك المطامع — نعني الاريحية والنجدة التي يعبر عنها الافرنج بقولهم شفاليري . فكثيراً ما كانت هذه النجدة سبباً في الكف عن الحرب وحجب الدماء كما تكون سبباً لسفكها

اما المتمدنون من أهل الحضارة فالحرب عندهم مبنية على المطامع الشخصية فقط ولا معرفة لهم بالاريحية او النجدة . ولذلك قالوا ان السياسة لا قلب لها . فكل امة او دولة تنظر الى جيرانها او معاصريها بعين الحسد ولو استطاعت أن تخضعهم جميعاً لسلطانها لفعلت . فهي تتربص حتى تسنح لها فرصة تثب بها على بلد لتوسيع دائرة سلطانها . وهي طبعاً لا تقدم على حرب الابحجة وما اكثر الحجج وا كثرها كاذب . وانما الحجة الحقيقية طمعها بذلك البلد — فاذا طمعت دولة في دولة ورأت في نفسها القدرة على التغلب انتحلت سبباً للحرب مهما يكن طفيفاً فانها تعظمه وتبالغ فيه وتحشد رجالها للقتال — تدعوهم الى ذلك باسم الدين أو الوطن او اللغة أو غير ذلك من الجامعات التي تعتقد انها تثير عواطف رجالها . ويختلف ذلك باختلاف الامم . لكنها في كل حال تختار من الجامعات ما يوافقها . فان ارادت الاعتداء على أمة من مذهب ديني غير مذهبها دعتهم الى حربها باسم الدين . وزعمت انها انما قامت لنصرة الدين وان كانت من مذهبها وتختلف عنها باللغة أو بالوطنية دعتهم باسم الوطن وادعت انها تحارب في سبيل الوطن . وهي بالحقيقة انما تحارب في سبيل المصلحة الخاصة والمطامع الذاتية . والمعتدى عليهم يجرون على نفس الخطة في الدفاع يستنصرون جيرانهم او انصارهم بالجامعة التي توافق حالهم

ومن غرائب الحروب الدينية ان اصحابها يلصقون بالدين ما ليس منه في شيء. وما من دين الا وهو ينهى عن قتل النفس الا في سبيل القصاص او الدفاع . ومع ذلك فان

الجنود المتحاربة لا تتقدم الى ساحة الوغى قبل ان تصلي كل طائفة منها الى ربها وتطلب اليه ان يعينها على الفتك بالطائفة الأخرى . ولا يكون ذلك الا بكثرة القتل – فكأنهم يكلفون الله ان يساعدهم على قتل الانفس !

خسائر الحرب ونفقاتها

ذلك هو حال الناس من قديم الزمان الى الان وان اختلفت الصور احياناً — ان الانسان يجيز لنفسه التعدي على جاره اذا آنس فيه ضعفاً عن مقاومته فيسلبهُ ارضه أو استقلاله بحجة يعرف الناس كافة انها كاذبة ولكنهم يسكتون عنها مع علمهم بما ينجم عن ذلك من الاضرار الفاحشة — ولا يخفى ذلك على المحاربين وفيهم جماعة من كبار الرجال اهل العقول الراجحة. فهؤلاء لايجهلون ما ينجم عن الحرب من الاضرار ولكنهم يفضلونها طمعاً بالكسب ويوجهون ذلك العقل الراجح الى استنباط الوسائل للتغلب وانتحال الاسباب المساعدة على القتل

ان خسائر الحروب لا يمكن تقديرها . وهي لا تقتصر على خسارة الانفس والاموال فان هناك خسائر ادبية واجتماعية لا تقل عن تلك — أما خسائر الانفس فانها ظاهرة لا تحتاج الى دليل — يا لله من يوم تدور فيه رحى الحرب وتتراكم الجثث على الصعيد . . ويل للانسان من الانسان في ذلك اليوم الفظيع . قد احصى بعضهم اشهر الوقائع الحربية الكبرى في العالم من اقدم ازمنة التاريخ الى الان فبلغت نحو ١٦٠٠ واقعة كبيرة . وقدر آخرون عدد من قتل في ساحة الحرب الى اواسط القرن الماضي فبلغ ٦٨٦٠٠٠٠٠٠٠ نفس اي نحو اربعة اضعاف سكان الكرة الارضية !

اما الاموال التي أنفقت في سبيل الحرب فيتعذر تقديرها وانما نأتي بامثلة من هذا القبيل : قدر بعضهم الاموال التي أنفقت في الحروب من حرب القرم في اواسط القرن الماضي الى آخره فبلغت ٢٦٥٣٠٠٠٠٠٠ جنيه . وقدروا نفقات حرب اليابان الاخيرة مع الروس بما لا يقل عن ١٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . ومن أمثلة الخسائر الحربية ان الاميركان أنفقوا في سبيل حربهم الاهلية الشهيرة من سنة ١٨٦٣ — ١٨٦٥ نحو ٧٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه و٦٥٦٠٠٠ نفس . وحرب القرم المتقدم ذكرها التي اشترك في بلائها اعظم دول الارض خسرت انكلترا فيها ٦٩٠٠٠٠٠٠ جنيه . وخسرت فرنسا

٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣ جنيه وروسيا ٠٠٠ ٠٠٠ ١٤٢ جنيه . وكان عدد الجند الانكليزي في تلك الحرب ٠٠٠ ٩٧ لم يرجع منهم الى انكلترا الا ٠٠٠ ٧٠ واما فرانسا فكان جيشها هناك ٤٠٠ ٣٠٩ هلك منهم ٠٠٠ ٩٥ رجل . اما روسيا فانها ارسلت لمقاومة الجنود المتحالفة ٠٠٠ ٨٨٨ مقاتل لم ينج منهم الا النصف

ويؤخذ من الأحصاآت المالية الانكليزية ان انكلترا انفقت على حروبها في القرون الثلاثة الاخيرة ٠٠٠ ٠٠٠ ١٣٥٩ جنيه منها ٠٠٠ ٠٠٠ ١٨٢ أنفقت في حربها مع جرمانيا واسبانيا سنة ١٧٠٢ و ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٣١ جنيه انفقت في حربها الفرنساوية التي انتهت في ووترلو . مع ان الحروب النابوليونية كلها لم تكلف فرنسا اكثر من ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥٥ جنيه وقد حاربت كل اوربا

واما حرب فرانسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ التي رنَّ صداها في الخافقين فقد ارسلت المانيا فيها ٠٠٠ ٠٠٣ ١ رجل الى ساحة الوغى وارسل الفرنساويون ٠٠٠ ٧١٠ فقط فقتل من الفرنساويين ١٣٨٨٧٠ ومن الالمان ٠٠٠ ٤٤ وانفقت فرنسا من المال في هذه الحرب ٠٠٠ ٠٠٠ ٣١٦ جنيه . وقس على هذه الخسائر ما لا يتصوره العقل لعظمه — يكفيك منه ما تنفقه الدول كل سنة في سبيل التجنيد على وزارة العسكرية فانها من قبيل النفقات الحربية

الحرب مرض

فهذا كله لا يجهله الملوك ورجال السياسة او القواد ولكنهم لا يرون بدًّا من الحرب لاسباب كل من الجانبين يعدها قهرية . والحقيقة انها فطرة الانسان الضعيفة يجرها الطمع وحب السيادة الى سفك الدماء . ولكن كيف ترضى الامة بالحرب وتبعث ابناءها يقتلون في ساحة الوغى ؟

يرى الدكتور مانيغون الفرنساوي ان الامة تصاب احياناً بمرض الحرب كما تصاب بالامراض الوافدة كالحميات ونحوها . ومعنى ذلك ان يتفشى في افرادها مرض يهون عليهم اقتحام الاخطار أو يصيب اعصابهم بما يهيج الغضب فيهم لاقل سبب . وشاهده على ذلك ان البوكسرس قبل ثورتهم الاخيرة في الصين تفشت فيهم بعض العلل الهستيرية فانتبه الدكتور المذكور للامر وتفحص حال اهل باكين فوجد الامراض

العصبية عامة فيهم وهو يعتقد ان سبب حرب الصين الاخيرة امراض عصبية (هستيرية) في زعماء البوكسرس

والخلاصة ان الحرب من جملة وسائل تنازع البقاء وهو اهم نواميس النشوء والارتقاء. فلا يرجى زوالها وانما هي تتغير وتتنوع باختلاف الاعصر وضروب المدنية. ويؤيد ذلك انها لازمة لتوازن اسباب الوجود. فقد علمت ان عدد الذين قتلوا بالحروب يكاد يزيد على اربعة اضعاف سكان الارض الآن. واعتبر تزيدهم بالتناسل المتواصل في خلال الادهار — فهل كانت الارض تكفي لسكناهم وهل يكفي نباتها لغذائهم؟

فتوح العرب المسلمين

في بلاد ايطاليا

من سنة ٨٣٢ — ١٠٩١ م

ما زال العرب في صدر الاسلام يسعون في اكتساح أوربا كما اكتسحوا الشرق فحاولوا دخولها من الغرب بطريق الاندلس فاخترقوا فرنسا الى تورس فلقيهم شارل مارتل سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) ولم يكن يستطيع ذلك سواه من ملوك ذلك العصر. فلو غلب شارل لأوغل العرب في أوربا وأقاموا فيها المساجد كما فعلوا في سوريا ومصر وغيرهما. ويكون قد تم انقلاب العالم على ايديهم. ثم حاولوا دخولها من الشرق بطريق الاستانة فامتنعت عليهم حتى فتحها الاتراك في القرن الخامس عشر. وأوغلوا في القسم الشرقي من أوربا فوصلوا فينا ووقفوا عند اسوارها ثم عادوا واقتنعوا بجزيرة البلقان

وحاول العرب ايضاً دخول اوربا من الجنوب بطريق ايطاليا ففتحوا صقلية وكثيراً من مدن ايطاليا حتى حاصروا رومية مقر الحبر الاعظم وكادوا يفتحونها. ولو فتحوها لحولوا كنيستها العظمى الى مسجد كما فعلوا بالجامع الاموي بالشام وايا صوفيا في الاستانة لكنهم رجعوا عنها لاسباب سيأتي بيانها

صقلية

اصلها

بدأوا بفتح صقلية (سيسيليا) لانها أقرب مدائن ايطاليا اليهم. وهي قديمة التمدن عاصرت الفينيقيين والقرطجنيين واليونانيين والرومانيين . ونظراً لتوسطها في البحر الابيض كانت محطاً لرحال الامم على اختلاف اجناسها ونزعاتها . فكانت ترسو فيها المراكب القادمة من صور وقرطاجة وطرسوس وبيزنطية وغيرها . فاصبح اهلها اخلاطاً من امم شتى وقد حملوا اليها زبدة علومهم وآدابهم . فاجتمعت فيها آداب المشارقة وعلوم اليونان ونشاط الفينيقيين وهمة الرومان . وفي تاريخها القديم ذكر جماعة من اعظم رجال التاريخ القديم مثل حسدروبال وهملقار وبرّوس ومارسلوس وارخميدس وديونسيبوس وغيرهم . وصارت مركزاً لفلسفة اليونان ومقصداً لرجال العمل والنشاط . وكانت رومية تعول عليها بكثير من وسائل الحياة

ثم اصابها ما اصاب غيرها من الانحطاط — سنة الله في خلقه . واركن اهلها الى الرخاء وفسدت اخلاقهم وتقاعدوا عن الزراعة والتجارة وضعفت هممهم . واقتصر نفعها على رومية تمدها بالرجال والاموال وتدافع عن كرسيها . وقد وضع البابا غريغوريوس المعظم الحجر الاول من سلطة البابوات الزمنية فيها وصارت اكثر اراضيها ملكاً لاعيان ايطاليا واهلها يستهلكون في حماية الكرسي البابوي والقيام بامره

وكانت لما قام العرب لفتحها في صدر الاسلام تابعة للمملكة الرومانية الشرقية . وكانت ايطاليا قد سطا عليها اللمبارديون فامتلكوا اكثرها الا امارة رافنا . وقد انقسمت مملكتهم الى مقاطعات صغيرة قام التنازع بين اصحابها لا يتفقون الا على كره الكرسي البابوي والخوف منه . وكثيراً ما اضطر اللمبارديون الى استنجاد العرب في القيام بعضهم على بعض . وقد انجدوهم حتى اكتسحوا ضواحي رومية مرتين فتنبهوا بذلك الى عظمة تلك البلاد وخصبها وطمعوا فيها

على ان العرب ما برحوا منذ فتحوا افريقية وهم يفكرون في فتح صقلية لقربها منهم . وقد هموا بذلك سنة ٦٦٩ م في امارة معاوية على الشام فغزوا سراقوسة وفيها ذخائر الكنيسة الرومانية قد خبأها الايطاليان هناك خوفاً عليها من قبائل الجرمان الذين كانوا يهددونهم من الشمال . ولم يخطر لهم انها ستكون غنيمة لقبائل العرب القادمين من الجنوب

ولما عمد موسى بن نصير الى فتح اسبانيا في اواخر القرن الاول للهجرة انفذ ابنه عبد الله بجند الى جزائر البحر المتوسط . فغزا مايرقة ومنورقة وسردينية وصقلية وعاد بالغنائم . وغزاها غيره ايضاً لكنهم لم يفتحوها الا بعد حين . وكان بين اميرها الرومي وصاحب افريقية العربي علاقات ودية يتبادلان السفراء ويتكاتبان . وكانت افريقية (تونس والجزائر وطرابلس) في امارة آل الاغلب سلالة ابراهيم بن الاغلب الذي استقل بافريقية تحت رعاية هرون الرشيد العباسي سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) وعاصمتها القيروان • وخلفه ابنه عبد الله سنة ١٩٦ هـ (٨١١ م) ثم زيادة الله الاول سنة ٢٠١ هـ (٨١٦ م) وفي ايامه فتح العرب صقلية

سبب الفتح

وسبب فتحها يشبه السبب في فتح اسبانيا — ذكروا ان قائداً من حامية الروم في صقلية اسمه يوفيميوس احب راهبة في بعض الاديار وأخذها من الدير قهراً وتزوجها . فشكوه الى صاحب القسطنطينية فامر بجدع انفه فعظم ذلك عليه وعزم على التخلص منه بثورة يهيجها في صقلية على الحكومة • فاخفق سعيه فحمله الغيظ على استنجاد العرب فبعث الى زيادة الله وحرضه على فتح صقلية • كما حرض يوليان صاحب سبتة موسى بن نصير على فتح اسبانيا . فتردد زيادة الله في اجابة طلبه لما بينه وبين صاحب صقلية من العهود وهو لا يريد نكثها . فاستشار اصحابه فحرضوه على الفتح وانتحلوا مسوغاً لنكث المعاهدة ان الروم كانوا قد نكثوها قبلاً لانهم لم يقوموا بما عليهم من اطلاق اسرى المسلمين عندهم — وليس على السياسيين اسهل من الفتوى بالحرب متى رأوها رابحة . فاقر زيادة الله على اجابة طلب يوفيميوس وجرد حملة عهد بقيادتها الى اسد بن الفرات قاضي تونس . وانخرط في جنديتها قبائل البربر والعرب وركبوا البحر في عمارة مؤلفة من مئة مركب اقلعت من مرسى سوسة في ١٣ يونيو سنة ٨٢٧ م (٢١٣ هـ)

حصار سراقوسة وغيرها

فوصلت بعد ثلاثة ايام الى « مازارا » على شاطىء صقلية فسلم اهلها حالاً لانهم من حزب يوفيميوس . فاحتلها العرب وغنموا منها غنائم كثيرة حملوها الى افريقية . واقاموا حامية في مازارا وحملوا على سراقوسة اهم مدائن صقلية وكانت حصينة واسعة الارجاء محيطها احد عشر ميلاً ونصف ميل . اشتهرت بمرفأها المنيع لانه حصن طبيعي مستدير الشكل يندر مثاله ليس له الا مدخل تمر فيه السفن الى مرفأ كالحوض الكبير • وله الحصون والمعاقل والابراج بحيث يصعب فتحها الا بعد الخسائر الفادحة . وناهيك

بما كان فيها من الابنية الرومانية واليونانية كالاقواس الفخيمة والمراسح الواسعة والقصور الباذخة لاشراف الرومان والحدائق الغناء وسائر أسباب الترف

وكانت أسوارها عالية ومتينة وفي مرفأها عمارة انفذتها حكومة القسطنطينية ولم يكن يعوزها لدفع المهاجين الا كثرة الجند لطول أسوارها . ولم يدخر اهل صقلية وسعاً في الدفاع عن بلدهم بما بلغ اليه امكانهم . على ان امبراطور القسطنطينية عمد الى المطاولة لاتمام المعدات فخابر ابن الفرات بشأن الصلح فلم يخدع لقوله وامر رجاله فحاصروا المدينة وأحاطوا بأسوارها . وكان جندهم قد نقص بما خلفوه منه في مازارا وبمن مات بالمرض فارسل ابن الفرات يستمد زيادة الله في افريقية فامده . على ان الروم كانوا امهر في الحركات العسكرية وأعلم بمداخل بلادهم فاحاطوا بعمارة المسلمين وحاصروها وضيقوا عليها حتى جاع رجالها واكلوا الخيول . وكان على القسطنطينية يومئذ الامبراطور ميخائيل فبعث الى صاحب البندقية ان ينجد المسيحيين لاخراج المسلمين من مرفأ سراقوسة . فانجده ولم يكن على الصقليين خوف من الجوع لان طريق البر كان مفتوحاً وخابروا العرب بشأن الصلح فردوهم

لكن الطبيعة اعانت الصقليين بموت اسد بن الفرات قائد تلك الحملة وكان حازماً عاقلاً . وعقب موته شقاق بين قواده اغتنمه المحصورون وانطلقوا . ثم انتخب العرب محمد بن الجوهري للقيادة — أشار بذلك أناس على غير رأي زيادة الله . وزادهم ارتباكاً هجوم بعض التوسكانيين على افريقية حتى وصلوا الى القيروان . فاضطر العرب الى رفع الحصار عن سراقوسة . ولم يعودوا الى فتحها الا بعد خمسين سنة . ودلهم يوفيميوس على بلد يلجأون اليه اسمه مينيو فاقاموا فيه ريثما استراحوا . ثم حملوا على كاسترو جيوفاني وهو حصن منيع على جبل وعر فيه حامية من الروم والصقليين . فخندق العرب حوله وحاصروه وقطعوا المواصلات بينه وبين سائر الجزيرة . واستقروا هناك كالمقيم المتسلط حتى ضربوا النقود الفضية باسم الدولة الاغلبية على الفضة التي اخذوها من الغنائم وصارت قيادة الجند العربي الى زهير بن غوث وقيادة الجند الصقلي الى ثيودوتس صاحب كاسترو جيوفاني . فخرج على العرب وهزمهم فعادوا الى مينيو ولم يبق لهم في صقلية غيره وغير مازارا . وقضوا سنتين في الحرب والشقاء حتى استولى عليهم اليأس

وهم في ذلك جاءت صقلية عمارة عربية من الاندلس بقيادة اصبغ بن وكيل امدت العرب بالمؤونة . ومات الامبراطور ميخائيل وخلفه تيوفيلوس الظالم . وكان زيادة الله في افريقية قد تخلص من اعدائه هناك . فتفرغ لامر صقلية فجهز عليها عمارة من

٣٠٠ مركب وعشرين الف مقاتل اقلعوا من شواطىء افريقية سنة ٨٣٠ (٢١٥هـ) ، وقد جمعت هذه الحملة رجالاً من امم شتى من سكان افريقيا ومصر والصحراء والسودان وفيهم اليمني المحارب والفارسي المهاجر والرومي المرتد والاسباني المتعرب والبربري المسلم وعهد بقيادتها الى اصبغ بن وكيل لفتح صقلية . ولم تأت هذه الحملة بامر عظيم سوى انها قتلت ثيودوتس قائد جند الروم امام اسوار مينيو وفتحوا حصن غلوليا . ولكن الوباء تفشى في العرب فقتل قائدهم واهم رجاله ففشلوا وعادوا على اعقابهم الى افريقية والاندلس وكانت هذه الحملة من اشأم الحملات واقلها توفيقاً . ولكن الروم كانوا انعس حظاً واكثر شقاء لان انهزامهم امام مينيو ضعف عزائمهم وناهيك بالوباء فانه فتك فيهم فتكاً ذريعاً وكان عددهم ٧٠٠٠٠ فصار الى ثلاثة آلاف في اثني عشر شهراً

فتح بالرم

على ان شرذمة من جند العرب حملت على بالرم وفتحتها وجعلتها مقراً لحكومتها ووجه العرب عنايتهم الى بالرم واخذوا في تعميرها وهي من المدن العظمى في تلك الجزيرة فحولوا الكنائس الى مساجد وتحولت البلد على الاجال الى الصبغة العربية . فلم تعد ترى في الشوارع الا رجالاً بالعمائم والعباءات والخفاف . والنساء بالخمار والنقاب والازار . وطاف باعة الاطعمة العربية في الاسواق وفتحت الحوانيت الشرقية وصار كل شيء عربياً بسرعة مدهشة . واخذ العرب في حفر الترع وغرس المغارس وتشييد القصور والمنازل . لكنهم ما لبثوا ان انقسموا فادعى جند الاندلس حق الفتح وان بالرم يجب ان تكون تابعة لبني امية في الاندلس . والافريقيون يريدونها للاغالبة . وكانت الغلبة لهؤلاء فعين زيادة الله ابا فهر اميراً على صقلية تحت رعايته . واصبح العرب في مأمن لو ابطأ عليهم الفتح . وارسلوا سريات للغزو فغزوا تاروفينا وهوا نغيرها



عرب يستخدمون النار اليونانية

نقلاً عن مسودات خطية في مكتبة باريس الاهلية

فحال دون ذلك مقتل اميرهم ابي فهر فخلفه فضل بن يعقوب فحارب الروم بقوة وحزم فغلبهم لكنه لم يستفد من الانتصار لتغلب النزاع في معسكر المسلمين . فبلغ ذلك الى زيادة الله فولى عليهم ابا الاغلب اخا ابي فهر وكان حكيماً حازماً فجهز عمارة سلحها بالنار اليونانية وهي اعظم الاسلحة المدمرة في ذلك العهد

فاستولى بتلك العمارة على اهم الشواطيء والجزائر المحيطة بصقلية ولم تنقض سنة ٨٤٠م حتى اصبح ثلث صقلية في حوزتهم

محالفة العرب اهل نابلي

لما توفي شارلمان (سنة ٨١٤) تغير وجه اوربا بذهاب حامي الكنيسة الرومانية وقام النزاع بين رؤسائها والامراء حكام ايطاليا وهم عديدون من اللومبارد وغيرهم . وفيها جمهوريات اهمها جمهورية نابلي وجايته ولورنتو وامالفي كل منها مستقلة بنفسها والبارونات اللمباردية يريدون اخضاعها لسلطانهم . وهددوهم فخاف اهل نابلي فاستجاروا بالعرب في صقلية وعقدوا معهم عهداً دام خمسين سنة وهو يقضي بتبادل النصرة . فبعث الامير ابو الاغلب عمارة لمساعدة النابليين وكان اللومبارديون قد حاصروا مدينتهم بقيادة سيكاردوس فرفعوا الحصار وربح النابليون

ولم تمض سنة حتى احتاج اليهم العرب في زحفهم على «مسينا» فانجدوهم واتحدت العمارتان فتمكن العرب من فتح مسينا على اهون سبيل . فواصلوا الفتح فاستولوا على اليينا ولنتينا وبوترا . وفي تلك الاثناء مات الامير ابو الاغلب فانتخب اهل بالرم العباس بن الفضل ولم يشاوروا اهل القيروان لانهم يثقون باقتداره . فنظم الجباية والادارة . ثم عادوا الى كاستروجيوفاني فحصروها وفتحوها بحيلة أو خيانة وامعنوا في اهلها قتلاً ونهباً . قال مؤرخ تلك الحروب ان خسائر هذا الفتح اعظم ما اصاب الصقليين منذ الفتح العربي

وذاع خبر ذلك الفتح في صقلية فاصبح اسم العرب فزاعة في كل انحائها فعمد اهل القسطنطينية الى ارجاع نفوذهم . فبعثوا عمارة من ٣٠٠ مركب اقلعت من البوسفور حتى رست في سراقوسة . وجرت معركة بينها وبين العمارة العربية ففاز العرب واسروا مئة مركب منها وامعنوا في الناس قتلاً واسراً

فجرد الروم حملة اخرى وانجدهم الصقليون وحملوا على بالرم فجرت واقعة في سفالو فاز فيها العرب وغنموا كثيراً . واشتد غضب العباس اميرهم واقسم انه مكتسح صقلية الى سراقوسة . لكنه مات بعد قليل وخلف ذكراً رهيباً عند الروم لانه كان



العمارة العربية

شديد الوطأة فتاكاً . لكنه كان داهية حكيماً فعقد محالفات عديدة مع مقاطعات ايطاليا استعداداً لفتحها . واختلف المسلمون بعد موته في من يخلفه واشتد الخصام بين العرب والبربر واهرقت الدماء من الجانبين . ووافق ذلك انتقال عرش القسطنطينية الى الامبراطور باسيل المكدوني وهو من اعظم ملوكها دهاء وحزماً وسياسة . وكان على بينة مما يهدد مملكته من تفرق العناصر والمذاهب فجعل همه التوفيق بينها وارضاء كل حزب بما يقنعه فاشتد ساعده وزاده موت العباس تمكناً من غرضه

الفتوح في سائر ايطاليا

اما العرب فخلف العباس فيهم خفاجة بن سفيان ولم يكن اهلاً للامارة فحارب الروم في سراقوسة فغلبوه . وكان باسيل قد بذل جهده في تحصينها لاعتقاده انها مفتاح صقلية . وفي سنة ٨٦٩ (٢٥٦ هـ) توفي خفاجة وخلفه ابنه محمد بن خفاجه فقتله مملوكه . ومع هذه الضربات على العرب فان النصر كان مصاحباً لهم في غزواتهم على البلاد الاخرى فانهم عبروا بوغاز مسينا واكتسحوا ولاية مانياغريسيا واخربوها وفتحوا ابوليا وكالابريا وغزوا دوقية سبوليتو وسطوا على انكونا واستولوا على فينيفنتم وبرنديزي وتارنتم وباري . واحتلوا مسينيوم عند اسوار نابلي واستقروا في دالماتيا واحرقوا مدينة كابوا بعد نهبها وانشأوا مستعمرة كاريليانو لمقاومة مملكة البابا . وتفرق امراء العرب على شواطىء ايطاليا يغزون ويحتلون ويفتحون بلا رابط ولا رادع

وكان اهل نابلي عوناً كبيراً لهم في ذلك فارشدوهم الى شواطىء البحر الادرياتيكي. والتقى اسطول العرب بعمارة بندقية فدمرها ونزل بعض العرب عند مصب نهر بو • واتصلوا الى ايستريا . وبلغوا ابواب رومية واخربوا كنيستين هناك على اسم بطرس وبولس وكانتا خارج السور. واهانوا اهلهما وقبضوا على من فيهما وساقوهم عبيداً الى بالرم والقيروان . ولولا مناعة رومية وضخامة اسوارها وضعف الات الهدم عند العرب لنالوا ما طالما تشدوه من اكتساح اوربا

فتح سراقوسة

وفي أثناء ذلك توالى على القيروان من بني الاغلب ستة امراء آخرهم محمد بن احمد توفي سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) وخلفه ابراهيم بن احمد وهو حازم عاقل ذو تدبير واسع المطامع . فاراد ان تمتاز امارته بفتح سراقوسة وغيرها فاعد عمارة سفنها سريعة متينة وعليها اهم الات الحصار والهدم . وعهد بقيادتها الى جعفر بن محمد امير صقلية وقيل انه ذهب هو بنفسه فيها . وكان العرب قد اخترعوا مجانيق لم يسبق لها مثيل ـ كانت المجانيق قبلها ترسل احجارها في خط منحن فتقع على الحصون وقوعاً لا يؤذي الا بالثقل فاصطنعوا منجنيقاً يرسل احجاره في خط مستقيم يقع على الجدران فيهدمها. ورموا المدينة بالنار اليونانية وحاصروها حصاراً شديداً

وكان الامبراطور قد ارسل عمارة لرفع الحصار فاخفقت وعادت . فلم يبق للصقليين الا ان يدافعوا عن بلدهم بانفسهم فثبتوا في الدفاع حتى جاعوا واكلوا الطحالب والجلود والعظام ولحم القتلى من الادميين . وقد بيع رأس الحمار بعشرين ديناراً . فأفضى ذلك الى انتشار الوباء والعرب يوالون اطلاق المجانيق والنبال ويشددون الحصار وقد ثبت السراقوسيون ثبات الابطال . وتسلق العرب الاسوار واخترقوها والتحم الفريقان يداً بيد ووجهاً لوجه . وفاز العرب بفتحها فوزاً عظيماً واستولوا على ما كان هناك من الذخائر وقدر بعضهم ما كان فيها من المال بمبلغ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ ريال ووزن الادوات الكنائسية بخمسة الاف رطل اكثرها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة لا يعرف لها قيمة غير ما استولوا عليه من الغنائم الاخري والاسرى . وحملت كلها الى بالرم. وبفتح سراقوسة تم للعرب فتح صقلية بعد محاولة ذلك خمسين سنة . فقووا عمارتهم وجددتهم ليأمنوا غارات جيرانهم ومكنوا محالفتهم مع نابلي حليفتهم

سيادة العرب في ايطاليا

فلما استقر امر صقلية للعرب وصارت امارة اسلامية اخذوا يهتمون في تعميرها فنقلوا اليها تمدنهم وآدابهم . وتقاطر اليها المهاجرون واهل التجارة من اقاصي العالم

الاسلامي لاستعمارها أو لاستثمارها . فاستقروا في كالابريا وامبولا . واعترف حاكمها بسيادة امير صقلية عليها . وقد ساعدهم على تمكين سلطتهم هناك تفرق كلمة الايطاليين فاخذوا يسطون على ما يجاور رومية او يكتنفها من البلاد ويغزونهم فيفرون الى رومية يحتمون باسوارها وأهل رومية يتوقعون الفتح ويخافونه — بل هم يخافون على اوربا كلها لكن الانقسام بين ملوك المسلمين في الشرق شغلهم عن ذلك الفتح كما سنبينه

قضت صقلية في سيادة المسلمين نيفاً ومئتي سنة بعضها في دولة الاغالبة ثم الفاطميين وغيرهم . واستقل امراؤها بها حيناً وتوارثوا حكومتها وتنازعوا عليها حتى انقسمت الى مقاطعات على كل منها امير مستقل ينازع جيرانه ويحاربهم على ما في ايديهم . فكان على سراقوسة وغيرها سنة ١٠٦٠ م (٤٥٢ هـ) ابن ثمنة وعلى كسترو جيوفاني ابن حواشي فتحاربا وانهزم ابن ثمنة واستولى ابن حواشي على مقاطعته وقس على ذلك

اما سائر ايطاليا فظلت ١٤ سنة يتمتع باخصب ارضها شرذمة من العرب لا يزيدون على بضع مئات وكانوا يتعرضون لمراكب الافرنج ينهبونها . وكان دوقا سبوليتو وتوسكانا ناقمين على البابا فواطأا العرب على سلب البابا املاكه . وكذلك فعلت جمهوريات جايته ونابلي واملفي وساليرنو فاتحدت مع امير صقلية ضد البابا . وظل احد البابوات سنتين يؤدي الجزية للعرب عن كرسيه وقد تخلى عنه اعوانه . ثم تبدلت الاحوال وتخلصت ايطاليا من العرب

خروج ايطاليا وصقلية من ايدي العرب

كانت صقلية في أثناء سيادة العرب عليها مجتمع الاضداد من الامم وفيهم الصقليون الاصليون واليونان واللومبارد والعرب والبربر والفرس والزنج واليهود ولا سيما في بلرم ومسينا فانها كانتا ملجأ للفارين وطلاب الرزق اوالساعين في الدسائس اوالطامعين بالغنائم . فآل ذلك الى تغير النيات والانقسام بين العرب والبربر في صقلية . وبين العرب انفسهم — نحو ما كان من الانقسام في شمالي افريقية وفي الاندلس . فكيف تستقر حكومة النزاع قائم بين رؤسائها والسيوف مسلولة على الرقاب ؟

واتفق في أثناء ذلك ظهور النورمان وهم قوم أشداء هبطوا من سكندينافيا في القرن التاسع واكتسحوا فرنسا وتوالوا عليها زمناً وعلى غيرها . وفي القرن الحادى عشر اطمعهم خصب ايطاليا وضعف حكومتها وتضعضع حكامها فانتظموا اولاً في سلك حكومتها بالاجرة كما انتظم الاتراك في جند العباسيين على عهد المعتصم . فما لبثوا ان ترقوا حتى استولوا على مناصب الحكومة ونحوها كما فعل الاتراك في بغداد .

وكان الروم كثيراً ما يستنصرونهم على العرب . ولم ينقض النصف الاول من القرن الحادي عشر حتى صارت سياسة ايطاليا في ايديهم . فطمعوا بالسلطة ورأوا تضعضع العرب في صقلية ففتحوها بنفس الطريقة التي فتحها بها العرب

وذلك ان ابن ثمنة لما غلب على امره اراد ان ينتقم من غالبه فلجأ الى الكونت روجر النورماني في ايطاليا واستنصره في ارجاع الحكم اليه . وكان اهل مسينا (اقرب بلاد صقلية الى ايطاليا) قد خابروا النورمانيين يلتمسون انقاذهم من العرب – فلما جاءهم ابن ثمنة عزموا على التقدم للعمل . فنهض روجر سنة ١٠٦١ م ٤٥٢ هـ في شرذمة من الجند قطعوا البوغاز الى مسينا ليلاً بتواطؤ مع بعض اهلها . فلقيهم الخائنون وادخلوهم المعاقل وعبثاً حاول اصحابها الدفاع

ثم تقدم النورمانيون فجرت بينهم وبين المسلمين معركة قرب كستروجيوفاني فاز فيها النورمان فوزاً مبيناً . وما زالوا يوغلون في صقلية حتى وصلوا الى ضواحي بالرم عاصمة العرب فحاصروها سنة ١٠٧١ م ٤٦٤ هـ ونصرهم في هذا الحصار كل امم اوربا تقريباً لانهم اتفقوا على وجوب التخلص من ذلك الشعب الغريب وطناً وديناً ولغة . وقد ثبت العرب في الحصار ثبات الابطال ولكن بعض المسيحيين المنتظمين في الجند الاسلامي اخذتهم الغيرة الدينية فدلوا النورمان على نقطة ضعيفة في القلعة فدخلوا منها واستولوا على بالرم بعد محاصرتها خمسة اشهر

فلم يبق في طريق النورمان مشقة في فتح سائر الجزيرة ففتحوا سراقوسة بالهجوم . واما كاستروجيوفاني فان حاكمها سلم من نفسه غيرة على الدين . وفي سنة ١٠٩١ (٤٨٤ هـ) لم يبق للمسلمين في صقلية الا بوترا ونوتو فانتقلتا الى النورمان بمعاهدة سلمية فانقضى بذلك حكم العرب في صقلية وسائر ايطاليا

وقد رايت ان العرب جاؤا صقلية اولاً للغزو ثم للفتح فلما فتحوها واستقرت اقدامهم فيها نقلوا اليها عوامل تمدنهم من المدارس والمساجد والمعامل . ومع ان توسطها بين الامم المتمدنة جعل اهلها اخلاطاً من امم شتى من اليونان والرومان والعرب واليهود والجرمان والنورمان يتكلمون اليونانية واللاتينية والعبرانية والعربية والجرمانية والفرساوية فان الصبغة العربية الاسلامية كانت غالبة عليها كلها . فلما فتحها النورمان لم يغيروا شيئاً من صبغة ذلك التمدن وما خالطه من بقايا تمدن اليونان والرومان . بل اقتبسوه وظلوا عليه حتى ظهر فريدريك الثاني امبراطور الجرمان صديق العرب فنقل بذور التمدن الحديث عنهم كما فصلنا ذلك في الهلال ٥ سنة ١٩

التنويم المغناطيسي

او الهيبنوتيزم

هو من الفنون الرائجة في اوربا واساسه علمي لكن بعض المشعوذين ادخل فيه ما ما ليس منه . فادعى له اشياء يتبرأ العلم منها كاستطلاع الغيب والتنبوء بالمستقبل مما هو بعيد عن قدرة البشر – اما الوجه العلمي من التنويم المغنطيسي فهو ان المنوّم يتسلط على افكار المنوَّم حتى يستهويه ويصير رهن ارادته يطيعه بكل ما يأمره به بلا التفات الى عواقب ما يعمله كأنه فقد ارادته وصار طوعاً لارادة منومه . وبناء على هذه الخاصة استخدمهُ الاطباء في شفاء كثير من الامراض العصبية التي للوهم تأثير عليها . ويكفي فيها ان يقتنع المريض انهُ شفي من مرضه



ش ١

ذلك هو القسم العلمي من الهبنوتزم . اما القسم العملي وهو التنويم الفعلي فانه علم قائم بنفسه ولاصحابه طرق مختلفة فيه لكنهم يشترطون على الاجمال شروطاً لا بد منها للقيام بهذا العمل : اولها ان يكون المنوّم قوي الارادة ثابت العزم . وان يكون طالب النوم مستسلماً للمنوم بكليته . وان يوجه ارادته الى النوم ويرغب فيه من كل قلبه . والناس في كل حال يتفاوتون قابلية للنوم المغنطيسي . واشدهم عصبية وادقهم شعوراً اكثرهم قبولاً للتنويم

واما طرق التنويم فانها كثيرة وقد فصلها شكري افندي صادق في كتاب التنويم الذي عربه عن الانكليزية . اهمها التنويم بتأثير النظر وهو ان يضع المنوّم يديه على راس الطالب فوق الاذنين ويثبت نظره في راس انفه عشر ثوان . ثم يؤخر قدمه

اليسرى الى الوراء خطوة ويمرحول رأسه بخفة حتى تصل يداه الى امام جبينه ثم يفرق يديه بخفة وبطء . يعود الى هذا العمل مرة ثانية من اعلى الاذن ثلاث مرات . ثم يغري الطالب على الميل نحوه كما ترى في الشكل الاول

ومنها التنويم بتثبيت نظر المنوّم في نظر الطالب مع تشبيك ايديهما كما ترى في الشكل الثاني . على ان يثبت المنوم عزيمته ويصمم رأيه على التنويم وان يطيعه الطالب



ش ٢

بكل عواطفه . وهناك حركات ومخاطبات لاتمام العمل مذكورة في ذلك الكتاب . وهاتان الطريقتان يراد بهما مجرد التنويم

اما الاستهواء ففي الوصول اليه طرق عديدة اشهرها طريقة ليوات من اهل القرن الماضي وقد خصها بمعالجة الامراض العصبية . وهي ان يقف الطبيب المعالج و يضع يده اليسرى بخفة على رأس المريض ويجعل اصبعي يده اليمنى على مسافة قدم من عيني المريض على زاوية منفرجة بحيث يضطر المريض ان يرفع عينيه ليرى الاصابع تماماً . ثم يقول الطبيب بصوت هادئ منخفض « لا شيء يصيبك من وراء هذه العملية . انك على وشك الانتقال من حال يقظة الى حال ذهول فهبوط فسرحان فنوم تسمع فيه كلاماً ولكن لا تبالي به ولا تهتم بأمر قائله وكذلك تشعر بان لا سلطان لك على نفسك وينتهي ذلك باستغراقك في النوم حتى لا تشعر بشيء مما يحدث حولك . وبعد ذلك تستيقظ بارادتي منشرح الصدر مسروراً غير شاعر باي الم »

وعلى الطبيب في اثناء الكلام ان يحرك اصابعه ببطء في دائرة لا يزيد محيطها عن قدم واحدة ويكون ذلك امام وتحت عيني الطبيب بحالة مستديمة • وفي الوقت نفسه يطلب من المريض ان يثبت نظره والتفاته في حركة الاصابع فقط مدة خمس دقائق تكون مخاطبته في اثنائها بصوت يملأ منه السامع



ش ٣

ثم يقول الطبيب «انك تشعر الان بثقل في اجفانك وخمول وصعوبة في التحرك من مكانك . لا تضطرب من اي صوت . الدم يقل في يديك ورجليك ويعود الى داخل جسمك . ستشعر برطوبة في رأسك ويديك وقدميك . ستقل حركة قلبك ونبضك ويسهل تنفسك وتنام الان نوماً عميقاً » ثم يسكت بضع لحظات ويقول بصوت اكثر هدوءاً وانخفاضاً « اغلق عينيك ونم » ويضع يديه على اجفان المريض ويقول «استرح فان كل شيء يتحسن الان والالام يخف تدريجاً وبعد قليل تنام نوماً عميقاً وعند انتباهك يزول الالم . نم براحة ولا يزعجك شيء حتى أعود اليك » ثم يترك الطبيب العليل عشر دقائق او ربع ساعة وعند عودته يجده قد مر من دور خمول الى دور نوم خفيف وان وجع رأسه قد زال او خف

وهنا يخبر الطبيب المريض بأنه عند عودته اليه في اليوم التالي سيجد انه مرَّ الى دور الخمول والهبوط بسرعة شديدة وان سباته سيكون أشد وان تكرار هذا العمل بضع مرات يكفي لازالة الالم بالمرة ويمنعه من الرجوع اليه

ومنها طريقة ازديل وهي ان يستلقي المريض ويجلس الطبيب بجانبه يحدق فيه كما ترى في الشكل الثالث

وعلى مبدأ الاستهواء بالتنويم استخدموه لتقويم اخلاق الاطفال وهم في المهد بتنويمهم واقناعهم بوجوب اتباع الاوامر النافعة كما ترى في الشكل ٤



ش ٤

ومن غرائب الاستهواء بالتنويم ما يصيب العضلات من التشنج حتى يصير جسم النائم كالخشبة الصلبة اذا ارتكز طرفاه على خشبتين ووقف فوقه رجل لا يكفي ثقله ان يثنيه وقد يحمل رجلاً وصبيًا كما ترى في الشكل الخامس



ش ٥

وهناك طرق اخرى لاغراض أخرى تجدها مبينة في كتاب الهينوتيزم المشار اليه

التاريخ يعيد نفسه

منشور الايطاليان في طرابلس الغرب اليوم ومنشور بونابرت في مصر منذ ١١٦ سنة

نشرت حكومة ايطاليا بعد احتلالها طرابلس الغرب منشوراً للطرابلسيين تنبئهم به بالغرض من ذلك الاحتلال . فرأينا بينه وبين منشور نشره بونابرت في مصر يوم نزوله الاسكندرية منذ قرن وبعض القرن مشابهة في المغزى فاحببنا نشرهمـا للمقابلة بينهما ليظهر للقراء الخطة التي اتخذها الغربيون في افتتاح الشرق — والتاريخ يعيد نفسه

قال الجنرال كارلوس كانيفا قائد العساكر الايطالية في طرابلس الغرب بعد البسملة ومقدمة لا فائدة من نشرها :

« ان العساكر الخاضعة لامري لم يرسلها جلالة ملك ايطاليا حماه الله لاضعاف واستعباد سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها التي توجد الآن تحت سيادة الاتراك بل لتعيد اليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم وتجعلهم احرارًا يحكمون انفسهم وتحميهم من كل من يعتدي عليهم سواء كان الاتراك او اي شخص كان يريد استرقاقهم

« وعليه فانتم يا سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الاخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل اليهم ان يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملاً بقوله تعالى « واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل » وستكون هذه الاحكام تحت حماية ورعاية ملك ايطاليا السامي حرسه الله تعالى

« واعلموا ان ستبقى الشرائع الدينية والمدنية محترمة ويحترم الاشخاص والاملاك والنساء والحقوق وجميع الامتيازات المختصة باماكن العبادة والبر لان غاية اعمال الرؤساء يجب ان تكون واحدة وهي تحسين حالتكم والعمل على استتباب راحتكم ويجب ان يكون ذلك مطابقاً للشريعة الغراء والسنة المحمدية السمحاء . وسيقضى بينكم بالعدل طبقاً للشريعة وحسب اوامرها بواسطة قضاة قد اشتهروا بتفقههم في الشرع ذوي استقامة وسيرة حميدة كما انه لا نغض الطرف عمن يظلم من الرؤساء ولا نغتفر غشاً او خداعاً من احد القضاة فالكتاب والشريعة والسنة فقط تقضي وتحكم عليكم

« واعلموا جيداً انه لا تؤخذ منكم ضرائب لتصرف خارجاً عن بلادكم والضرائب

التي توجد الآن عليكم ننظر فيها وننقص او تلغى كما يقتضي العدل

« واعلموا جيداً انه لا يدعى احد منكم للخدمة العسكرية بالرغم عن ارادته وفقط يقبل بها اولئك الذين يرغبون الانضمام تحت اللواء الطلياني باختيارهم لاجل حماية النفوس والاملاك ولكي يتكفلوا للبلاد بالسلام والنجاح . واما الآخرون فيبقون في بيوتهم معتكفين على العمل في الحقول ورعاية المواشي او معاطاة التجارة والصناعة والحرف الضرورية لقيام الحياة المدنية

« وعلى هذا فكل امرىء يمكنه ان يقيم الصلاة في معبده (جامعه) حسب تعليم دينه ويلزمكم ان تتضرعوا لله عز وجل ان يرفع مجد الشعب الايطالي ومجد مليكه لانه اخذكم تحت ظل حمايته . والايطاليون يرومون ان يكون اسمهم مهيباً لدى جميع اعدائكم واما منكم فيكون فقط محبوباً ومباركاً

« وبناء عليه وحسبما خولني جلالة ملك ايطاليا العادل المنصور وحكومته اعلنتكم بما تقدم وسيجري مفعوله من هذا اليوم من شهر شوال سنة ١٣٢٩ هـ ليبقى كأساس للعلاقات المستقبلة التي ستوجد بين الحامية والمحميين وبين الايطالي وسكان هذه البلاد واني واثق بانكم تقبلون هذا المنشور بسرور قلبي لانه سيكون قانوناً يجب ان يحفظ بامانة واستقامة ضمير وشهامة من كلا الطرفين

« واذا وجد من لا يحترم الشرائع او لا يعتبر الاشخاص او يمس حرمة النساء او يخترق حرمة الملك او يقاوم او يثور على ارادة العناية الالهية التي ارسلت ايطاليا الى هذه البلاد وباسمها صدرت لي هذه الاوامر وقبلتها ممن يمتلك حق الامر فسيكون الانتقام منه عظيماً . وسأحافظ على تنفيذها بالقوة الموكلة لمهدتي نبراس العدل والحق »

ثم اورد آيات من القرآن تؤيد دعواه وعقب ذلك بنصائح معزاها ان احتلال ايطاليا حدث بقضاء الله الى ان قال « فايطاليا تريد السلام وتريد ان تبقى بلادكم اسلامية تحت حماية ايطاليا وملكها المعظم يخفق فوقها العلم المثلث الالوان « ابيض واحمر واخضر » اشارة الى المحبة والايمان والعصم في وجه الله » اه

وهذا نص المنشور الذي نشره بونابرت سنة ١٢١٣ هـ

« من طرف الجمهور الفرنساوي المبني على اساس الحرية والمساواة السر عسكر الكبير بونابرت امير الجيوش . يعرف اهل مصر جميعهم ان السناجق الذي يتولون مصر منذ زمن مديد يعاملون الملة الفرنساوية بالاحتقار والاعتداء وقد حضرت الآن

ساعة عقوبتهم . واحمرتاه منذ ايام وعصور هؤلاء المماليك المجلوبون من بلاد الاباظة والكرج يفسدون في احسن اقاليم الكرة الارضية ولقد حتم رب العالمين القادر على كل شيء بانقضاء دولتهم . فيا ايها المصريون وقد يقال لكم اني ما نزلت هذه الجهة الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح لا تصدقوه وقولوا لاخوانكم انني ما قدمت اليكم الا لآخذ بحقكم من الظالمين واني اكثر من المماليك عبادة لله سبحانه وتعالى واحتراماً لنبيه محمد « صلعم » وللقرآن العظيم . وقولوا لهم ايضاً ان جميع الناس شرع عند الله وان الذي يميز بعضهم عن بعض هو العقل والفضائل والعلوم . واي شيء في المماليك يميزهم عن غيرهم ويستوجب ان يكون لهم وحدهم كلما تجاب به الحياة الدنيا . حيثما تكون ارض خصبة فهي للمماليك ومثل ذلك احسن الجواري واكرم الخيل واجمل المساكن فان كانوا قد اخذوا الارض المصرية التزاماً فليظهروا لنا الحجة التي كتبها لهم الله . ولكن رب العالمين رؤف على الناس وبعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء فيهم يفوض اليهم تدبير الامور والمهام وبذلك تصلح حال الامة كلها في الاراضي المصرية كالمدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر الواسع الذي اضاعه طمع المماليك وظلمهم . فيا ايها القضاة والمشايخ والائمة ويا ايها الشربجية واعيان البلاد قولوا لامتكم ان الفرنسويين هم ايضاً مسلمون مخلصون . واثباتاً لذلك قد نزلوا رومية الكبرى واخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطا وطردوا منها الكفاليرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم محاربة المسلمين . ومع ذلك فان الفرنسويين في كل وقت احباء حضرة سلطان العثمانيين واعداء اعدائه ايد الله ملكه وبعكسهم المماليك فانهم خرجوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لاوامره ولم يطيعوه الا عن طمع في قلوبهم كمين . فطوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فتصلح حالهم وترفع مراتبهم وطوبى للذين يقعدون في اماكنهم غير مائلين لاحد الفريقين المتحاربين . لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدونهم في حربهم علينا فلا يجدون طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثر

« المادة الاولى : جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنساوي يجب ان ترسل للصاري عسكر بعض وكلاء من عمدها لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا العلم الفرنساوي الذي

هو ابيض وكحلي واحمر

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العساكر الفرنسوية تحرق بالنار

المادة الثالثة : كل قرية تطيع العساكر الفرنسوية يجب عليها ان تنصب العلم الفرنساوي كذلك علم سلطان العثمانيين محبنا دام بقاؤه

« المادة الرابعة : على المشايخ في كل بلد ان يختموا حالاً جميع الارزاق والبيوت والاملاك خاصة المماليك وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لايضيع شيءٌ منها

« المادة الخامسة : يجب على المشايخ والقضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهل البلد ان يبقى في مسكنه مطمئناً كذلك تقدم الصلاة في الجوامع على العادة . وعلى المصريين جميعاً ان يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض المماليك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال سلطان العثمانيين . ادام الله اجلال العسكر الفرنسوي لعن الله المماليك واصلح حال الامة المصرية » اه



فن التصوير

في التمدن الاسلامي (اكتشاف جديد)

التصوير من الفنون الجميلة وهي تسمية جديدة لما تنبسط له النفس من المصنوعات لجماله ورونقه لا لمنفعته ومتانته . والفنون التي تدخل في اعتبارهم تحت هذه التسمية قسمان الاول تظهر اشكاله محسوسة كالحفر والتصوير والنحت والتمثيل . والثاني ما لا يحس ولا يرى بل هو من قبيل الخيال كالشعر والموسيقى . او ان الفنون المذكورة ترجع بكليتها الى التصوير وبعضها صور محسوسة كالمنحوتات والرسومات والبعض الآخر صور خيالية كالشعر والموسيقى . والامم التي تمدنت قبل الاسلام اشتغلت في هذه الفنون على تفاوت في اتقانها . وممن اجاد فيها اليونان والرومان فانهم نحتوا التماثيل وصوروا الصور ومثلوا الحوادث ونظموا الشعر وضبطوا الالحان

ومن الاعتقادات الشائعة ان التمدن الاسلامي مقصر في هذه الفنون لانه لم يخلف ما خلفه اليونان أو الرومان من الآثار الجميلة كالابنية والتماثيل والصور ونحوها . ولو دققنا النظر لرأينا المسلمين أو العرب من اكثر الامم استعداداً للفنون الجميلة

والاجادة فيها لا يقلون شيئاً عن اليونان والرومان وربما فاقوهما في بعضها . أما الجمال المحسوس فقد أجادوا في ما يتعلق منه بالبناء ولهم نمط خاص فيه مشهور . ومن آثارهم البنائية الحمراء في الاندلس وجوامع القاهرة والشام وفارس والهند وهي تدل على تقدم عظيم في هندسة البناء مع ما فيها من زخارفه كالفسيفساء ونحوها مما يدهش النظر ولهم نحو ذلك في الصياغة والنسج ونحوهما من الصنائع الجميلة

أما التصوير فالمشهور انهم قلما اشتغلوا فيه لانه محرم عندهم الا في الاجيال المتأخرة على قلة . لكننا وقفنا على صور منقوشة في بعض اجزاء قصر الحمراء في غرناطة وهي قليلة والباحثون يشكون في نسبتها الى العرب . وقد وقفنا الآن في جزء سبتمبر الماضي من جريدة « لغة العرب » التي تظهر في بغداد للاب انستاس ماري الكرملي على مقالة في آثار سامراء (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي في اوائل القرن الثالث للهجرة بالقرب من بغداد جاء فيها بعد بحث مفيد عن تاريخ سامراء والتنقيب الجاري فيها الآن قوله :

« ولقد كادت الصنائع الفنية الاسلامية في القرن الثالث للهجرة تكون مجهولة الى عهدنا . ولهذا اصبحت نتائج التنقيبات في الغاية القصوى من الخطر والشأن العلمي . واول ما شرع به في سامراء كان رفع كل ما يغشى لخربة الجامع الاعظم الذي بناه المتوكل على الله والمنارة الغريبة البناء الموجودة فيه . وهي المنارة المعروفة باسم « الملوية » وقد بنيت على غرار برج بابل أو الزقورة أو الذكورة البابلية

« و بعد ان ظهر للعيان صحن الجامع بانت كل البناية الداخلية وعمد الرخام وما يزينه في الداخل من نقوش مطبوعة وتصاوير ملونة وفسيفساء . ولقد دقق الدكتور هرتسفلد نظره في بعض دور الخاصة المجاورة للمدينة الحديثة فاذا هو امام مدينة مدفونة في الشرق دفن بمباي في الغرب . ووجد غرفاً وحجراً وردهات قد زينت جدرانها وغشيت حيطانها بتصاوير شرقية منقوشة نقشاً بارزاً او غائراً في الجص وهي في غاية البهاء والجمال ، وكلها محفوظة احسن الحفظ ، كأن البناة قد غادروها قبل ان يدخلها اهل البحث . هذا ولا ترى النقش على الجص فقط بل انك تشاهد تصاوير ملونة في مواضع الجص الفارغة من النقوش ، وهناك ايضاً تصاوير مختلفة الالوان

وصور اناس كلها ملونة على ابدع مثال وهو امر في غاية الندرة في تاريخ الصناعة الاسلامية ان فنية وان بنائية . وخلاصة القول انك تجد في سامراء كنوز فن ودقائق صناعة لم تسمع بمثلها من افواه الناس والمسافرين . كما لم تشاهد العينان نظيرها ، اما فيعد هذا الاكتشاف خطوة مهمة في معرفة تاريخ فن التصوير عند العرب

العبودية

شعر منثور

انما الناس عبيد الحياة وهي العبودية التي تجعل ايامهم مكتنفة بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدماء والدموع . ها قد مرّ سبعة آلاف سنة على ولادتي الاولى وللآن لم ار غير العبيد المستسلمين والسجناء المكبلين

قد جبت مشارق الارض ومغاربها ، وطفت في ظل الحياة ونورها ، وشاهدت مواكب الامم والشعوب سائرة من الكهوف الى الصروح ، ولكني لم ارَ للآن غير رقاب منحنية تحت الاثقال ، وسواعد موثوقة بالسلاسل ، وركب جاثية امام الاصنام

قد اتبعت الانسان من بابل الى باريس ومن نينوي الى نيويورك ورأيت آثار قيوده مطبوعة على الرمال بجانب اثار اقدامه ، وسمعت الاودية والغابات تردد صدى الاجيال والقرون

دخلت القصور والمعاهد والهياكل ، ووقفت حذاء العروش والمذابح والمنابر ، فرأيت العامل عبداً للتاجر ، والتاجر عبداً للجندي ، والجندي عبداً للحاكم ، والحاكم عبداً للملك ، والملك عبداً للكاهن ، والكاهن عبداً للصنم ، والصنم ترابٌ جبلته الشياطين ونصبته فوق رابية من جماجم الاموات

دخلت منازل الاغنياء الاقوياء واكواخ الفقراء الضعفاء ، ووقفت في المخادع الموشاة بقطع العاج وصفائح الذهب ، وفي المآوي المفعمة باشباح اليأس وانفاس المنايا ، فرأيت الاطفال يرضعون العبودية مع اللبن ، والصبيان يتلقنون الخضوع مع حروف الهجاء ، والصبايا يرتدين الملابس مبطنة بالانقياد والخنوع ، والنساء يهجعنَ على اسرة الطاعة والامتثال

اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطىء الفرات الى مصب النيل الى جبل سينا الى ساحات اثينا الى كنائس رومية الى ازقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرأيت العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس ينحرون الفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها الهاً ، ثم يسكبون الخمور والطيوب على قدميها ويدعونها ملكاً ، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبياً ، ثم يخرّون ساجدين لديها ويدعونها شريعة ، ثم يتحاربون ويتقاتلون من اجلها ويدعونها وطنية ، ثم يستسلمون الى مشيئتها ويدعونها ظل الله على الارض ، ثم يحرقون منازلهم ويهدمون مبانيهم بارادتها ويدعونها اخاء ومساواة ، ثم يجدون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالاً وتجارة . . . فهي ذات اسماء عديدة وحقيقة واحدة ومظاهر كثيرة لجوهر واحد ، بل هي علة ازلية ابدية تجيء باعراض متباينة وقروح مختلفة يتوارثها الابناء عن الآباء مثلما يتوارثون نسمة الحياة وتلقي بذورها العصور في تربة العصور مثلما تستغل الفصول ما تزرعه الفصول

واغرب ما لقيت من انواع العبوديات واشكالها العبودية العمياء — وهي التي توثق حاضر الناس بماضي آبائهم وتنيخ نفوسهم امام تقاليد جدودهم وتجعلهم اجساداً جديدة لارواح عتيقة وقبوراً مكلسة لعظام بالية

والعبودية الخرساء — وهي التي تعلق ايام الرجل باذيال الزوجة التي يمقتها ، وتلصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتجعلهما من الحياة بمنزلة النعل من القدم . . .

والعبودية الصماء — وهي التي تكره الافراد على اتباع مشارب محيطهم والتلون بالوانه والارتداء بازيائه فيصبحون من الاصوات كرجع الصدى ومن الاجسام كالخيالات

والعبودية العرجاء — وهي التي تضع رقاب الاشداء تحت سيطرة المحتالين وتسلم عزم الاقوياء الى اهواء الطامعين بالمجد والاشتهار فيمسون مثل آلات تحركها الاصابع ثم توقفها ثم تكسرها

والعبودية الشمطاء — وهي التي تهبط بارواح الاطفال من الفضاء المتسع الى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الغباوة ويقطن الذل في جوار القنوط فيشبون تعساء ويعيشون مجرمين ويموتون مرذولين

والعبودية الرقطاء — وهي التي تبتاع الاشياء بغير اثمانها وتسمي الامور بغير

اسمائها فتدعو الاحتيال ذكاء والثرثرة معرفة والضعف ليناً والجبانة اباء

والعبودية العوجاء ــ وهي التي تحرك بالخوف ألسنة الضعفاء فيتكلمون بما لا يشعرون ويتظاهرون بما لا يضمرون ويصبحون بين ايدي المسكنة مثل ثوب تطويه وتنشره

والعبودية الحدباء ــ وهي التي تقود قوماً بشرائع قوم آخرين

والعبودية الجرباء ــ وهي التي تتوج ابناء الملوك ملوكاً

والعبودية السوداء ــ وهي التي تسم بالعار ابناء المجرمين الابرياء

والعبودية للعبودية نفسها وهي قوة الاستمرار

ولما تعبت من ملاحقة الاجيال، ومللت النظر الى مواكب الشعوب والامم، جلست وحيداً في وادي الاشباح حيث تختبئ خيالات الازمنة الغابرة وتربض ارواح الازمنة الآتية: هناك رأيت شبحاً هزيلاً يسير منفرداً محدقاً بوجه الشمس فسألته «من انت وما اسمك» قال «اسمي الحرية» قلت «واين ابناؤك» قال «واحد مات مصلوباً وواحد مات مجنوناً. وواحد لم يولد بعد» ثم توارى عن عيني وراء الضباب (مرآة الغرب) جبران خليل جبران

نظام حيدر اباد

ولد سنة ١٨٦٦ وتوفي سنة ١٩١١

هو احد ملوك الهند الداخلين في حماية الدولة الانكليزية ويرجع بنسبه الى ابي بكر الصديق. وحيدر اباد اغنى ممالك الهند واكثرها سكاناً مساحتها ٨٣٩٦٨ ميلاً وسكانها ١٢ مليوناً فيهم ما ينيف على مليون من المسلمين. يحدها من الشمال والشمال الشرقي ولايات الهند الوسطى ومن الجنوب والجنوب الشرقي مملكة مدراس ومن الغرب ولاية بمباي. عاصمتها مدينة حيدر اباد وهي واقعة في اواسطها نحو الجنوب وعدد سكانها على مقتضى احصاء سنة ١٨٩١ نحو نصف مليون نفس. واشهر محصولات مملكة حيدر اباد الرز والحنطة والذرة والزيتون والأثمار والقطن والنيلة والسكر والتبغ والحرير وينتأ فيها صنف من الخيول مشهورة بخيول دكن تستخدم في الجندية

جاء البرق بنعيه في سبتمبر الماضي وقد ترجمناه ووصفنا بلاده وسائر احواله في الهلال السادس من السنة الحادية عشرة فمن شاء التوسع في خبره فليطالعه هناك

مطبوعات جديدة

١ ـ كتب تاريخية

﴿ المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ﴾ المصادر التاريخية متعددة ومن اهمها المحررات الرسمية التي تجري بين الدول او بين الرعايا وحكامهم . فانها اوثق المصادر التي يعول عليها في كتابة التاريخ . ومثل هذه المحررات كثير في لغات اوربا اما في العربية فانها نادرة واهمها كتاب « المحررات السياسية والمفاوضات الدولية » عن سوريا لبنان من سنة ١٨٤٠ — ١٩١٠ م نقله الى العربية الشيخان فيليب وفريد الخازن صاحبا جريدة الارز . وقد صدر منه الجزءان الاول والثاني في نحو الف صفحة تحتوي على المحررات السياسية من يونيو سنة ١٨٤٠ الى اواخر اكتوبر سنة ١٨٦٠ ويدخل في ذلك المخابرات التي جرت بين الدول والدولة العلية ومصر بشأن اخراج ابراهيم باشا من سوريا ونفي الامير بشير . وما توالى على سوريا ولبنان من الثورات المتوالية الى حادثة سنة ١٨٦٠ ويطلع القارىء هناك على مخبآت سياسية لم تكن تخطر له ببال من الدسائس والمساعي . ويجد حقائق تحل كثيراً من غوامض السياسة الجارية في الدولة العثمانية . وبين هذه المحررات كتب منقولة عن اصول خطية محفوظة عند بعض الاسر القديمة من بيت الخازن وغيرهم . وفي نشر هذا الكتاب خدمة جليلة للتاريخ يستحق عليها رصيفانا الخازنان اجل الثناء . والكتاب يطلب من مطبعة الصبر في جونيه (لبنان) . ويحسن بنا في هذا المقام ان نستلفت انظار اولي الامر بمصر الى ما في الدفترخانة المصرية من هذه الكنوز التاريخية لنشر ما فيها من المحررات السياسية خدمة للتاريخ على العموم وتاريخ مصر الحديث على الخصوص

﴿ تاريخ حرب فرنسا وبروسيا ﴾ هو تاريخ حرب هاتين الدولتين سنة ١٨٧٠ تأليف صديقنا جرجي افندي بني الطرابلسي منشىء مجلة المباحث وقد عني بنشره يوسف افندي البستاني المحرر في الجريدة بمصر . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ الاخبار السنية في الحروب الصليبية ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب لمؤلفه سيد افندي علي الحريري وقد زاد فيه ووسعه عن الطبعة الماضية وزينه بالرسوم • وهو فريد في بابه بالعربية ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة

١٢ غرش والبوسطة غرش ونصف

﴿ كشف الستار عن الاسرار ﴾ هو مذكرات احمد عرابي باشا عن الثورة العرابية . وقد كتب الينا حضرة محمد بك آصاف بمصر وهو من المولعين بالكتب واقتنائها ان المرحوم عرابي باشا فوض اليه نسخ هذه المذكرات واقتنائها بين كتبه وعهد اليه بتصحيحها . وهو عامل على استنساخها وربما نشرها بالاشتراك مع اولاده اذا اذنت الحكومة بذلك وفي نشرها فائدة تاريخية هامة

﴿ اطلس حافظ ﴾ هو اطلس جغرافي مقرر لتلامذة المدارس المصرية يحتوي على عدة خرائط جغرافية ونماذج رسوم تخطيطية تأليف احمد افندي حافظ بالبوسطة المصرية ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

٢ — المجلات والجرائد

﴿ البيان ﴾ مجلة ادبية تاريخية فلسفية اجتماعية انتقادية اقتصادية تصدر بمصر مرة في الشهر في ٨٠ صفحة لصاحبها عبد الرحمن افندي البرقوقي ويشترك في انشائها معه محمد افندي السباعي بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً

﴿ الآثار ﴾ مجلة ادبية علمية تاريخية تصدر في زحلة (لبنان) مرة في الشهر لمنشئها ومديرها المسئول عيسى افندي اسكندر المعلوف والقراء يعرفونه من نفثات اقلامه في الهلال وغيره. بدل اشتراكها ستة فرنكات في المملكة العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج

﴿ العريس ﴾ مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية تصدر في حمص (سوريا) مرة في الشهر لمنشئيها الافندية نسيب محمود شهاب ووديع نصار وفاضل الجمل بدل اشتراكها ريال وربع

﴿ الجامعة الاسلامية ﴾ مجلة دينية علمية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرتين في الشهر لصاحبها محمد افندي احمد عفيفي بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً بمصر و ٤٠ في الخارج

﴿ القمر ﴾ مجلة نصف شهرية تطرق كل المواضيع الا السياسة تصدر في دير القمر (لبنان) لمنشئها وليم افندي دياب نعمة بدل اشتراكها ريال في دير القمر وريال ونصف في غيرها

﴿ الشبيبة ﴾ مجلة علمية ادبية روائية تصدر في حمص مرة في الشهر لمنشئيها عبد الباقي افندي الدربي وعبد الكريم افندي صباغ بدل اشتراكها في الخارج مجيدي وربع

﴿ لغة العرب ﴾ مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية تصدر في بغداد على يد الاباء الكرمليين لصاحبها الاب انستاس ماري الكرملي ومديرها كاظم افندي الدجيلي بدل اشتراكها في الديار العربية ٩ فرنكات وفي الخارج ١٢ فرنكاً

﴿ النصائح العلمية ﴾ مجلة دينية ادبية تاريخية تصدر لجمعية الارشاد الاسلامي بمصر مرة في الشهر صاحب امتيازها الشيخ عبد الحميد جلبي بدل اشتراكها ٢٠ غرشاً

﴿ الاصلاح ﴾ مجلة اصلاحية اجتماعية ادبية تصدر في عالية (لبنان) مرة في الشهرة لصاحبها الشيخ علي بك ناصر الدين صاحب جريدة الصفاء . بدل اشتراكها في الخارج سبعة فرنكات

﴿ الرقيب ﴾ جريدة اسبوعيـــة تهتم بنوع خاص بنشر رسوم عظماء الرجال وصور المجرمين والهاربين والمنفيين تصدر بمصر لصاحبها جورج افندي طنوس بدل اشتراكها مئة غرش صاغ

﴿ المعتدل ﴾ جريدة سياسية يومية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها عزيز افندي سليم صعب بدل اشتراكها ١٠٠ غرش

﴿ الاتحاد ﴾ جريدة اجتماعية تاريخية علمية ادبية اخبارية تصدر في نيويورك باميركا لمنشئها يوسف افندي الياس بوا كيم بدل اشتراكها في الخارج خمسة ريالات

﴿ جادة الرشاد ﴾ صحيفة اخبارية اجتماعية تصدر في حمص (سوريا) مرة في الاسبوع لصاحبها حنا افندي الخباز ومديرها نجله ناجي افندي . بدل اشتراكها في سوريا عشرة فرنكات وفي الخارج نصف جنيه

﴿ خان الذهب ﴾ جريدة هزلية فكاهية تصدر في بغداد مرتين في الاسبوع لصاحبها توجله زاده محمد سعيد لطفي بدل اشتراكها في الخارج ٢٠ غرشاً

﴿ البلاغ ﴾ جريدة اصلاحية سياسية اجتماعيـــة تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي الباقر ونصوح افندي بكداش بدل اشتراكها مجيديان في تركيا و ٢٠ فرنكاً في الخارج

﴿ الوطنية ﴾ جريدة اسبوعية علمية اخبارية سياسية لصاحبها ايوب افندي صبري ومحمد أفندي القلقيلي صدرت في بيروت ثم انتقلت لمصر . بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً

﴿ الاتفاق ﴾ جريدة تبحث في كل شيء تصدر في جزين (لبنان) مرة في الاسبوع لصاحبها سعيد افندي مبارك رزق ومديرها الدكتور حبيب ناصيف بدل اشتراكها مجيدي في لبنان و ٣٥ غرشاً في الخارج

٣ — الشعر والروايات

﴿ ديوان البحتري ﴾ هو اشهر من ان يعرف صدر الجزء الاول منه مضبوطاً بالشكل الكامل في ٤٠٠ صفحة وقد ضبطه وعلق حواشيه رشيد افندي عطية وطبع بنفقة رزق الله افندي سركيس في بيروت ويطلب من حضرته

﴿ ديوان ايليا ضاهر ابو ماضي ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الديوان ويطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية

﴿ الدر النضيد ﴾ هو منظومات شعرية لبعض اسفار العهدين القديم والحديث كامثال سليمان وولادة المسيح ودخوله الهيكل وغيرها . نظمها نجيب افندي اللاذقاني

﴿ احسن القصص ﴾ او رواية ابنتي سنية صدر الجزء الثاني منها لصاحبها صالح بك حمدي حماد . وهي تطلب من حضرته بمصر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

﴿ غرازيلا ﴾ رواية فلسفية اخلاقية ادبية تأليف لا مارتين الشاعر الفرنساوي ونقلها الى العربية اسكندر افندي كرباج في سان باولو (البرازيل)

﴿ مصرع الظالمين ﴾ رواية ادبية تاريخية تمثل الظلم والانتقام والامانة والطهارة وضعف المراة وقوة الرجل لتوفيق افندي سعيد الرافعي تطلب من مكتبة التأليف بمصر

﴿ الحسناء المتنكرة ﴾ رواية تاريخية غرامية تأليف اميل سلفاري الكاتب الايطالي وقد نقلها الى العربية خليل افندي بيدس منشىء مجلة النفائس العصرية

﴿ يا حسرتي عليك يا زعيتر ﴾ هي رواية عصرية تمثل حال المهاجرين السوريين الى اميركا وما يقاسونه في هذا السبيل وفيها تمثيل كثير من الاخلاق والآداب باسلوب رقيق خفيف الروح تأليف شكري افندي الخوري صاحب جريدة ابو الهول وتطلب من حضرته في سان باولو (البرازيل)

﴿ رواية البائسين ﴾ هي الرواية الشهيرة باسم الميزرابل (Misérables) لفيكتور هوكو . وقد حاول نقلها الى العربية غير واحد اشهر منهم نجيب افندي غرغور وحافظ افندي ابراهيم ولم يوفق احدهم لاتمام هذا العمل الشاق . وبين يدينا الان ترجمة لزميلينا جرجي افندي وصموئيل افندي يني صاحبي مجلة المباحث بطرابلس الشام . صدر منها الجزء الاول في مئتي صفحة والعمل جار في نشر سائر الكتاب . وقد اشارا في المقدمة انهما اقدما على تعريبه بعبارة بسيطة لينال منه عامة القراء الفائدة المطلوبة . ولم يزيدا على ما قال حرفاً ولا انقصا معنى وانما اوضحا بعض ماوجدا حاجة الى ايضاحه بين هلالين والكتاب يطلب منهما

﴿ سلطان الضلال ﴾ رواية تشخيصية تهذيبية تأليف طولستوي الفيلسوف الروسي المشهور . وقد نقلها الى العربية محمد افندي المشيرقي المترجم بالدولة التونسية وصدرها بترجمة حياة الرجل وامثلة من اقواله وآرائه . ويطلب من حضرته

﴿ التعليم الادبي ﴾ هو كتاب يدل اسمه على موضوعه صدر القسم الاول منه في الاخلاق والآداب لمؤلفه جرجي بك ديمتري سرسق اوضح فيه حقيقة الضمير الادبي واحكام الآداب ونتائجها والواجبات المتعلقة بالقوى والمختصة بالجسد وبالانسانية والوطنية والعائلة على اسلوب لذيذ وتطلب من المطبعة الادبية في بيروت

﴿ منتخبات البيان والتبيين ﴾ البيان والتبيين من اهم مؤلفات الجاحظ الامام المشهور وقد عنيت مكتبة الرغائب بنشر منتخبات منه في كتاب على حدة وصدرت طبعتها الثانية وهي تطلب منها

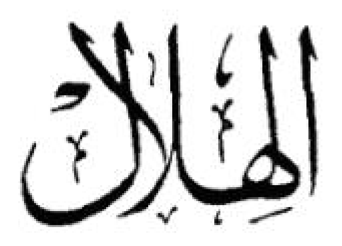
٤ — كتب طبية وعلمية

﴿ العلاج بعد العمليات ﴾ هو كتاب علمي جراحي تأليف الدكتور لوكهارت ممري . وقد نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب بعد الاستئذان من مؤلفه . وهو يبحث في علاج الجروح والنزف بعد العمليات والصدمة والمضاعفات بعد التخدير وبخر الفم والطفح الذي يعقب العمليات والتسمم بالعقار . والعمليات في الفم والانف والراس والعنق والصدر والبطن والجهاز البولي وغير ذلك مما يهم الاطباء معرفته . وفي الكتاب ٣٨ رسماً . ويطلب من حضرة المؤلف في قليوب وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد غرش

﴿ الهبنوتزم او التنويم المغناطيسي ﴾ هو كتاب علمي عملي تأليف جمعية المباحث النفسية باوربا وقد نقله الى العربية شكري افندي صادق . وأتينا بمثال منه في هذا الهلال وهو يطلب من حضرته ومن سائر المكاتب وثمن النسخة ٨ غروش

﴿ لمحة الناظر في مسك الدفاتر ﴾ هو كتاب جزيل الفائدة لكتاب التجارة لانه يعلم الحسابات التجارية المعروفة بالدوبيا على أسهل طريق لناظمه افندي خير الله الشويري القانوني الاصولي . وبين يدينا الطبعة الرابعة منقحة وفيها زيادات عن الطبعة الثالثة وفي شهرة حضرة مؤلفه الاستاذ ما يغني عن الاطناب

﴿ قانون بني عثمان ﴾ هو القانون العثماني المعروف بآصف نامه تأليف لطفي باشا وزير السلطان سليمان الكبير وقد نشره في العربية مع مقدمة وحواش الاب لويس شيخو اليسوعي



الجزء الثالث من السنة العشرين

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١١ و ١٠ الحجة سنة ١٣٢٩



بطل حوران

ولد سنة ١٨٦٢ وتوفي سنة ١٩١١

قد عرفنا المرحوم سامي باشا الفاروقي في اثناء الصيف الماضي في ربوع لبنان واجتمعنا به غير مرة وتبادلنا الحديث مليّاً في شؤون مختلفة . فسرّنا وجود امثاله في قيادة الجند العثماني لما رأينا فيه من علو الهمة وسعة الصدر وصراحة القول وصدق العثمانية فضلاً عن البسالة والمهارة في الفنون العسكرية — والدولة في اشد الحاجة الى امثاله . وبينما نحن نتوقع مروره بالقاهرة في هذا الشتاء حسب وعده فاجأتنا الانباء البرقية بنعيه فاسفنا لفقده . وكنا قد كلفنا اركان حربه البكباشي باقي زاده رشدي بك ان يكتب الينا بترجمة حياته للاطلاع عليها والاحتفاظ بها لنضيف اليها ما سيأتيه من الاعمال الجليلة في خدمة الوطن لانا توسمنا فيه الاستعداد لاكبر المناصب والاشتغال باكبر المهام . فجاءتنا الترجمة . ولكن على أثر نعيه وقد ختمت حياته قبل اوانها . فرأينا ان ننشر تلك الترجمة ونعقب عليها بما عرفناه بنفسنا من مناقبه وآرائه رحمه الله

الترجمة

منذ خمسمائة سنة جاء من المدينة المنورة الى بلاد الشام فرعٌ من السلالة العمرية الفاروقية ذهب بعضه الى العراق واستوطنوا بلدة الموصل . فشيد رأس هذا الفرع الحاج قاسم الذي ذهب الى الموصل الجامع العمري المشهور هناك واس الاسرة العمرية المعروفة الآن . ثم ذهب بعض هذه الاسرة الى بغداد منذ خمس وسبعين سنة وتوطنوها ومنهم صاحب الترجمة

ولد المرحوم سامي باشا الفاروقي في بغداد سنة ١٢٧٨ هجرية (١٨٦٢) وقرأ العلوم البدائية فيها واكمل دروسه في مدارسها الاعدادية العسكرية . ثم نقل الى المدرسة الحربية في الاستانة . وبعد ان درس فيها ثلاث سنوات انتخب سنة ١٢٩٩ رومية (١٨٨٣) في صنف الاركان حرب برتبة ملازم . وبعد ثلاث سنوات قضاها بالدرس خرج سنة ١٣٠٢ من تلك المدرسة برتبة يوزباشي وخدم سنة واحدة في دائرة الاركان حرب العمومية . ثم تعين معلماً في المدرسة الحربية . وبعد سنة من ذلك حاز على رتبة قول اغاسي وتعين — مع وظيفة التعليم في المدرسة المذكورة — معاوناً لغولتس باشا الذي احضر من المانيا لتنظيم الجيش واصلاح المدارس العسكرية العثمانية . وكان سامي باشا استاذاً لكثير من دروس الاركان حرب في مدارسها وترجم الى التركية بعض الكتب التي الفها غولتس باشا بالالمانية لتدرس في الجيش وفي المدارس العسكرية . وقد نال استحسان غولتس باشا في اثناء وجوده معاوناً له في التدريس العسكري

وترقى سامي باشا سنة ١٣٠٥ الى رتبة كباشي وظل الى سنة ١٣٠٧ في الوظائف المذكورة . ثم ذهب الى برلين عاصمة المانيا ملحقاً عسكريا للسفارة العثمانية . وظل بهذا المنصب الى سنة ١٣١٣ وهو يستطلع ترقيات المانيا العسكرية ويحضر مناوراتها الحربية فزاد رسوخاً في الامور العسكرية . فلما عاد من المانيا كان برتبة اميرالاي اركان حرب . وتعين بمعية قيصر المانيا في سياحته الاولى الى الاستانة فنال منه وسام تاج بروسيا من الدرجة الثالثة ورافقه ايضاً في سياحته سورية وفلسطين للمرة الثانية فنال منه وسام النسر الاحمر من الدرجة الثانية

وتعين بعد ذلك بمهمة سياسية خصوصية الى زنجبار لكن انكلترا تنازلت وقتئذ عن جزيرة « هيلغولاندا » وادخلت زنجبار تحت حمايتها فاصبحت

مساعي الدولة العثمانية في هذه المسئلة عقيمة فلم يذهب رحمه الله بهذه المأمورية . وتعين بعد عودته من المانيا مأموراً في اللجنة (قومسيون) الفنية في دائرة المعاينة والتجربة في دار المدفعية (الطوبخانة) العثمانية فأتى هو ومحمود شوكت باشا في اللجنة المذكورة بخدمات جلى . ووجهت اليه رتبة امير لواء في اثناء وجوده في هذه المناصب

وفي اول سنة ١٣٢١ رومية تعين مأموراً لتفتيش الترتيبات المتخذة ضد عصابات الاشقياء البلغارية في الروم ايلي . وفي أواسط تلك السنة عين متصرفاً وقائداً لموقع القصيم في بلاد نجد . على ان هذا التعين انما اريد به نفيه وابعاده . وبعد مروره بالقصيم ونجد والحجاز اعيد الى الاستانة عضواً في مجلس ادارة المدفعية (طوبخانة) مرة ثانية . وبعد اعلان الدستور العثماني بتسعة عشر يوماً صار ناظراً للضابطة اي محافظاً في الاستانة . وبقي فيها الى ما بعد حادثة ٣١ اذار الارتجاعية ثم استقال

وعند افتتاح مجلس الامة عين عضواً في مجلس الاعيان وما زال عضواً فيه الى يوم وفاته . وقد ذهب عضواً في الوفد الذي ارسل لتبليغ جلوس جلالة السلطان محمد الخامس رسمياً لدول فرانسا وانكلترا وايطاليا وبلجيكا والجبل الاسود واليونان ونال وسامات اكثر تلك الدول من الدرجة الاولى . ثم أمر باطفاء نار الثورة التي ظهرت في جبل الدروز في تموز وجاء سورية وهو قائد للفيلق المرتب لحوران سنة ١٣٢٦ (١٩١٠) فحى مسئلة جبل الدروز ثم سكن اختلال الكرك . وبعد اعادته النظام الى نصابه في تلك الربوع الشاسعة عين ناظراً للاجرآت الاصلاحية المتبينة في مطالعاته ولوائحه التي قررت الحكومة العثمانية اجراءها في حوران

وقد ادخل هذا القائد العظيم والمصلح الكبير كثيراً من الاصلاحات في تلك الربوع حتى ساد الامن وصار الرجل يمشي ليلاً او نهاراً بلا سلاح . بعد ما كانت حالتها لا يجهلها احد

ولم تر الحكومة في السنوات الاخيرة رجلاً وفق مثله الى تسكين داء الاختلال العضال ونظم ما نظمه من اللوائح الاصلاحية واقدم على القيام بتطبيقها وانجز اكثرها . وكان يشتغل من الصباح الى منتصف الليل ويطالع الجرائد السورية كافة ليقف على حاجياتها لتأييد الامن فيها فطبق صيته الخافقين ورفع الغزو والتعدي . وكان شديداً في حين الحاجة ليناً عند الاقتضاء مؤنساً عربياً صحيحاً عثمانياً صادقاً من اصدق الرجال لدولة ذا ذكاء خارق العادة صبوراً جسوراً جداً

في حين اشتداد مرضه وقد قال لمن حوله من معيته ومريديه « بعد دقائق قليلة افارق الحياة فاستودعكم الله واني آسفٌ اولاً لعدم تمكني من اتمام ما تصورته من الاصلاحات العمرانية في حوران وثانياً كنت اود ان اعتني كل الاعتناء بتعليم ولدي الوحيد « حسين » لـكي يقوم بالواجبات المفروضة على كل محب لوطنه » ثم استقبل الموت بقوة جأش وابتسام عجيبين . فكان مثال الشجاعة والبسالة بما اظهره من الجلد الى آخر نفس من حياته . فنعزي الدولة على عظيم من رجالها والامة العربية على زعيم من زعمائها ونعزي آله وذويه رحمه الله رحمة واسعة (انتهت الترجمة)

﴿ الهلال ﴾ قد وفى حضرة المترجم الترجمة حقها ولم يترك لنا ما نقوله سوى ما شهدناه بنفسنا وسمعناه باذننا في اثناء اجتماعنا به في هذا الصيف وهو على أثر ابلاله من المرض لا يزال ضعيفاً . لكن النشاط كان بادياً في كل حركة من حركاته والذكاء ينبعث من عينيه مع لطف ودعة وطلاقة . وقد اعجبنا منه صدق غيرته على مصلحة الدولة فلم يكن يكتفي بالاهتمام بالشؤون العسكرية او الاصلاحية التي انيطت به في حوران بل كان كثير الاهتمام بالسياسة العامة وقلبه عالق باحوال الدولة الداخلية . وسألناه في بعض اجتماعاتنا عما يتوقعه من حال الدولة ودستورها فقال « ان الدولة العثمانية لا يلائمها الآن دستور مطلق مثل دستورها الحالي والقوة كلها بايدي النواب اي مجلس المبعوثان . لان مجلسنا لا يزال في شبابه ولم يتم اختباره فضلاً عن تفرق عناصره ومذاهبه . وانما يلائمها الآن دستورٌ فيه بعض التقييد كدستور المانيا مثلا اذ يكون تعيين الوزارة منوطاً بالملك او الامبراطور . والوزارة بحسب الدستور العثماني يشكلها الحزب الغالب في المبعوثان . فهو يرى أن يشكلها جلالة السلطان من اناس يختارهم فتكون مع خضوعها لمراقبة المبعوثان وانتقاداتهم حافظة للموازنة بين الاحزاب » ولم يفتنا ما يعتور هذا التغيير من العقبات فسألناه اذ كان يرى خروج هذا الفكر الى حيز العمل ممكناً . فاجاب انه لا يرى مندوحة عنه وهو ضامن اجماع مجلس الاعيان عليه وانه سيعرض ذلك على مجلس المبعوثان

وكان رحمه الله فصيح اللسان بالعربية على لغة اهل العراق خفيف الحركة لطيف العشرة حديثه لا يملّ . وكان كثير الاهتمام بشؤون حوران شديد الرغبة في اصلاحها . واتفق في احدى زياراتنا انه كان يقرأ تلغرافاً طويلاً والاهتمام بادٍ في عينيه فلما اقبلنا عليه ابتدرنا قائلاً « الم اقل لك اننا في حاجة الى ارباب الاقلام اكثر من حاجتنا الى ارباب السيوف ؟ هذه حوران قد اخمدت ثورتها في بضعة اسابيع ولما اخذنا في اصلاحها

وجدنا اكثر السبل مسدودة امامنا . طلبت انشاء المدارس والمستشفيات واصلاح الطرق فوافقتني الحكومة على ذلك فطلبت ستين الف ليرة عثمانية لانشاء طريق حوران فدفعوها اليّ حالاً . فبعثت اطلب المهندسين لتخطيطها فاتاني هذا الجواب الآن وهم يقولون فيه انه ليس عندهم مهندسون يصلحون لهذا العمل ويشيرون بان نستأجر مهندسين من بيروت . ولا ارى فيها من يكفي بالسرعة اللازمة وليس لنا الوقت الكافي لاستقدام مهندسين من اوربا ونحن في اواخر الصيف وسيدهمنا المطر قبل رص الطريق .. اننا في حاجة شديدة الى نشر العلم »

وكان يقول ذلك والاهتمام باد في كل ملامحه . ومما دلنا على حسن اسلوبه وتعقله ما قصه علينا من اعماله في حوران واكثره منشور ومعلوم . وانما نذكر حكاية تدلّ على الدهاء في السياسة قال « بذلت جهدي في تخفيف ويلات الحرب لعلمي ان الحورانيين ليسو اعداء حقيقيين وانما سيقوا الى ذلك من سوء سياسة العصر الماضي ولو تحققوا صدق نيتنا في اخضاعهم لاطاعونا بلا حرب . فنظرت في الاسلوب الذي يقرب القلوب وقد علمت غيرة الدروز على العرض وشدة محافظتهم على كرامة النساء وكانوا يقاسون مرّ الاحتمال من الحملات التي كانت تأتيهم من قبل . فاغتنمت فرصة بلغني فيها ان احد الجند خاطب امرأة في طريقها . ولم يكن خطابه مما يشدد العقاب فيه — فاعظمتُ عمله وبالغت في معاقبته ومعاقبة جماعة آخرين من رفاقه شهدوا عمله . فبلغ خبر هذا العقاب الى الدروز فوقع من نفوسهم موقعاً جميلاً واحسنوا الظن بنا . وكان ذلك من جملة اسباب التقارب بيننا فاخضعناهم وجندناهم في بضعة اسابيع ولم نخسر من جندنا الا ١٧٠ رجلاً بين قتيل وجريح »

فنحن في حاجة الى امثال هذا القائد في تقريب القلوب بين العناصر المختلفة لانصافه وصدق لهجته . فقد كان مع اعراقه في الجنسية العربية لايبخس سائر العناصر حقوقها ولايدعي للعرب ما ليس لهم . واذا انتقد عنصراً آخر فبلهجة الصديق المخلص . وقد ادهشنا منه اعتدال آرائه في مسألة العناصر العثمانية ولو كان سائر رجال الدولة في مثل اعتداله وصدق لهجته لكنا في منجاة من عواقب التفرق والتضاغن . كما ادهشنا اسلوبه في اخضاع الحورانيين على اهون سبيل . ومثل هذا الاسلوب جدير بان يتبع في سائر ما يقع من الخلاف بين الدولة ورعاياها . فاننا احوج الى حسن التفاهم منا الى امتشاق الحسام واطلاق القنابل ولا سيما في الولايات البعيدة عن مركز السلطنة التي انما افسدها سوء الادارة الماضية

ثبات الامم

في الدفاع عن اوطانها

ان ما ابداه اهل طرابلس الغرب من التفاني في الدفاع عن وطنهم على أثر حمل الايطاليان عليهم بجيوشهم واساطيلهم — دفاعاً لم يكن يرجى ممن في مثل حالهم ـ بعثنا على كتابة مقالة في اشهر ماجرى من هذا القبيل في التاريخ على سبيل العبرة والموعظة :

تتفاوت الامم في الدفاع عن الوطن بنسبة ما فطروا عليه من التمسك بالاستقلال أو ما نشأوا عليه من العادات او ما يحيط بهم من الاحوال والمؤثرات . وفي التاريخ حوادث كثيرة تدل على ان الوطن عزيز على اهله وان الاستقلال اشهى ما تتطلبه النفوس الابية . فلا غرو اذا رأينا امماً تتفانى في الاحتفاظ به وتفضل الفناء في سبيله على الحياة بدونه . والشواهد على ذلك تتصل باقدم ازمنة التاريخ

ان اطول حصار ذكره التاريخ القديم حصار ازوت امام جند بسامتيك العظيم فانه دام نحو ٢٩ سنة . يليه في الطول حصار طراوده سنة ١١٨٤ ق م . واستمر ١٠ سنين . وقد وصفه هوميروس صاحب الالياذة . وقس على ذلك حصار كثير من مدن التاريخ القديم كحصار مدينة صور سنة ٥٧٢ و٣٣٢ ق م . وحصار سراقوسة سنة ٤١٤ ق م و ٢١٢ ب م . وحصار ساجنتم سنة ٢١٩ ق م . وحصار اورشليم سنة ٥٩٠ ق م و ٧٠ ب م . وقد ثبت الاورشليميون في هذا الحصار الاخير ثباتاً يذكره لهم التاريخ مع الاعجاب والثناء . وقد فصله يوسيفوس تفصيلاً حسناً وذكره سواه

حصار اورشليم

وخلاصة ذلك ان طيطس امبراطور الرومانيين حمل على اورشليم سنة ٧٠ يريد فتحها . فامتنع اهلها فحاصرها بجند يزيد عدده على ٣٠٠٠٠ مقاتل . وكانت اورشليم يومئذ في ابان مناعتها يحيط بها ثلاثة اسوار الواحد داخل الآخر . وكان جند طيطس اربع فرق اقام ثلاثاً منها في شمالي المدينة على مسافة ميل من السور الخارجي وفرقة اقامها في شرقها عند جبل الزيتون . ومع جند الرومان العدة والسلاح وآلات الهدم

وهي يومئذ الكباش والمجانيق والدبابات . وكان بين معسكر طيطس في الشمالي وسور المدينة الخارجي ارض عامرة فاخربوا ابنيتها واقتلعوا اشجارها ليسهل على الجند الزاحف المرور فيها بعدته ومهماته — قضوا في ذلك ٤ ايام ثم زحفوا من الشمال وعسكروا في مكان يشرف على زاوية السور الخارجي وبنوا لانفسهم ابراجاً نصبوا فيها مجانيقهم والحوا على الاسوار بالقنابل (الحجرية)

وكان الاورشليميون يرون في الدفاع عن مدينتهم دفاعاً عن وطنهم ودينهم وكتابهم فثبتوا جهد طاقتهم . ولكن اسلحة الرومانيين كانت اقوى من اسلحتهم وفيها الكباش وهي كالمركبة الكبيرة تجري نحو الاسوار على عجلاتها وفيها الرجالة يحميهم احواتهم بالدفاع عنهم من فوق . حتى يصل الكبش الى قرب السور فيأخذون في نقبه برأس الكبش "لا يبالون" بما يرمى عليهم من النبال أو غيرها



كبش روماني لهدم الاسوار استخدموه في حصار بلاد البرطيين وقد خرق الاسوار برأسه وخرج اهل البلد لتسليم

فتمكن الرومانيون بذلك من فتح ثغرة في السور الخارجي . وكانت الفرقة الشرقية على جبل الزيتون ترمي اليهود بالمجانيق تصوبها نحو الهيكل وترسل عليه النفط المشتعل . فخاف اليهود على هيكلهم واجابوهم باطلاق القنابل من مجانيق كانوا قد غنموها من حروب ماضية . ثم علموا بانثلام السور الشمالي فيئسوا من الدفاع عنه فتقهقروا . فلحق الرومانيون بهم وبنوا الابراج لحصار السور الثاني . وهم في اثناء ذلك يطلبون اليهم التسلم وحجب الدماء والاورشليميون يرفضون

لكنهم عمدوا الى حيلة عسكرية اتعبوا بها الرومانيين — وذلك انهم اسقطوا تلك الابراج باحتفار سرداب دهليز تحت الارض من داخل السور الى اسفل معسكر الرومانيين . فسقطت الابراج وخسر الرومانيون بذلك خسارة عظيمة ولم يستطيعوا

ترميم تلك الابراج الآفي بضعة ايام . ثم الحّوا في الحصار واكثروا من رمي القنابل على اورشليم واهلها حتى اضطر قائدهم سمعان للانسحاب الى داخل السور الثالث . وهو آخر ملجأ لهم لانه يحيط بالمدينة والهيكل وفيه كل الذخائر المقدسة عندهم

وجمع الرومانيون هناك كل قواتهم وعادوا الى مخابرة اليهود بالصلح فابوا وعمدوا الى حفر سراديب أخرى هدموا بها كثيراً من حصون اعدائهم . فعاد الرومانيون الى تشييدها وازدادوا نقمة وغيظاً وشددوا الحصار . وما زالوا يلحون بالمجانيق والكباش حتى اخترقوا السور الثالث . وقد لعبت النار في الهيكل فاحترق معظمه . ولم يسلم منه الا قدس الاقداس لمتانة حجارته فلم تؤثر النار فيه الا قليلاً . والاورشليميون لا يزالون يجاهدون في الدفاع . فاغتنم طيطس ضعفهم وتضعضعهم وطلب اليهم التسليم بشروط وضعها لهم فلم يقبلوها . فعاد والحّ في الهدم والاحراق مما يطول تفصيله . واخيراً دخل المدينة عنوة وامعن في اهلها قتلاً وسبياً . قالوا انه قتل العجائز والاعلاء وباع الاطفال بيع الارقاء واستعبد الباقين . غير الذين هجروا تلك المدينة وتفرقوا في اطراف العالم

وقس على ذلك ما أتاه البويريون في الترانسفال منذ بضع عشرة سنة في محاربتهم انكلترا فانهم وهم شرذمة قليلة شاغلوا سيدة البحار اكثر من سنتين فانفقت في سبيل اذلالهم نيفاً ومئتي مليون جنيه والوفاً من الجند . ثم ان البويريين خرجوا من تلك الحرب مغلوبين لكن الناس لا يزالون يتحدثون بشجاعتهم وثباتهم ويعجبون بصدق وطنيتهم وقد سجل التاريخ ذلك لهم

واعتبر ايضاً ثبات غوردون باشا ورجاله في الخرطوم لما حاصرها محمد احمد المهدي السوداني فانهم ذاقوا الجوع والمرض حتى اكلوا جذور الذرة والعظام والجلود وظلوا ثابتين حتى قتلوا بالسيف بعد دخول المهدي عنوة سنة ١٨٨٥

بطل سكات

ومن امثلة الثبات في الدفاع عن الاستقلال والمحافظة على الواجبات العسكرية دفاع توفيق بك محافظ سواكن في أثناء الحوادث السودانية . وذلك انه كان مكلفاً بخفارة الطريق بين سواكن وكسلا في السودان الشرقي فاستخدم لذلك شيخاً من الاعراب اسمه محمد الامين ليتفق مع العربان في حماية الطريق . فاساء محمد الامين التصرف مع العربان فغضبوا وكرهوه فطلبوا الى المحافظ توفيق بك ان يبدله بسواه فابى فغضبوا ونفروا من الحكومة وهم كثار . واتفق في اثناء ذلك مجيء عثمان دقنة

احد امراء المهدي بمنشور منه يدعو الناس الى بيعته. فبايعوه فاشتد ازره فسار بهم لمناواة الحكومة في سواكن وضواحيها فضايقوها والحكومة ترسل الجند لمقاومتهم عبثاً . وقد حاصروا سنكات وطوكر فضاق اهلهما ذرعاً وجاعوا . فبعثوا الى الحكومة يطلبون المدد . فانفذت الحكومة سنة ١٨٨٤ حملة بقيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بينها وبين بربر فلقيها الدراويش وغلبوها فعادت بخفي حنين . وكان توفيق بك محافظ سواكن قد سار الى سنكات عرضاً ودخل في جملة المحاصرين . وكان شهماً باسلاً فاظهر في حصاره ثباتاً لم يعهد الا في القليلين من الناس

وسنكات قرية لا تزيد حاميتها على ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنة السبل عليها وقطع المؤن عنها حتى كاد اهلها يهلكون جوعاً . فكتب عثمان الى توفيق أن يسلم فلا يقتله فابى الا البقاء على ولاء الحكومة . فلما جاء باكر باشا وعاد خائباً بعث عثمان اليه ثانية ان يسلم فيسلم وان الامل بانقاذه قد انقطع فلم يجبه الا بالثبات . ولما رأى توفيق بك اخيراً ان المؤن نفدت والجند جاعت واهل البلد ملت جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحثهم على الثبات في ولاء الحكومة . فقالوا نحن على ما تريد فقال « قد نفد زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقتلين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العصاة فندافع عن انفسنا حتى الموت »

فخرجوا في اوائل فبراير سنة ١٨٨٤ بعد ان هدموا الطوابي واخربوا المنازل وما ساروا ميلين حتى لاقاهم عثمان دقنة برجاله وهاجوهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيد الامانة والبسالة ولم ينج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون

تفاني القرطاجيين في الدفاع عن وطنهم

على ان ما تقدم ذكره لا يعدّ كثيراً بالنظر الى ثبات القرطاجيين اهل قرطاجة بجوار طرابلس الغرب منذ الفي سنة في حربهم مع الرومانيين المعروفة بالحرب البونية اوالفونية وبطلها هنيبال القائد القرطاجي اشهر من ان يذكر. وقد فصلنا تاريخها في الهلال السادس من السنة التاسعة . وانما أردنا هنا الاشارة الى ما ادهش العالم من ثبات القرطاجيين في الدفاع عن وطنهم مما لم يسبق له مثيل . وهم اسلاف الطرابلسيين الذين يحاربون الايطاليين مع الجند العثماني اليوم دفاعاً عن حقوق الدولة العثمانية. اما حديث القرطاجيين فاليك خلاصته :

فاز القرطاجيون اولاً في حربهم مع الرومانيين حتى اخترقوا اوربا وقطعوا

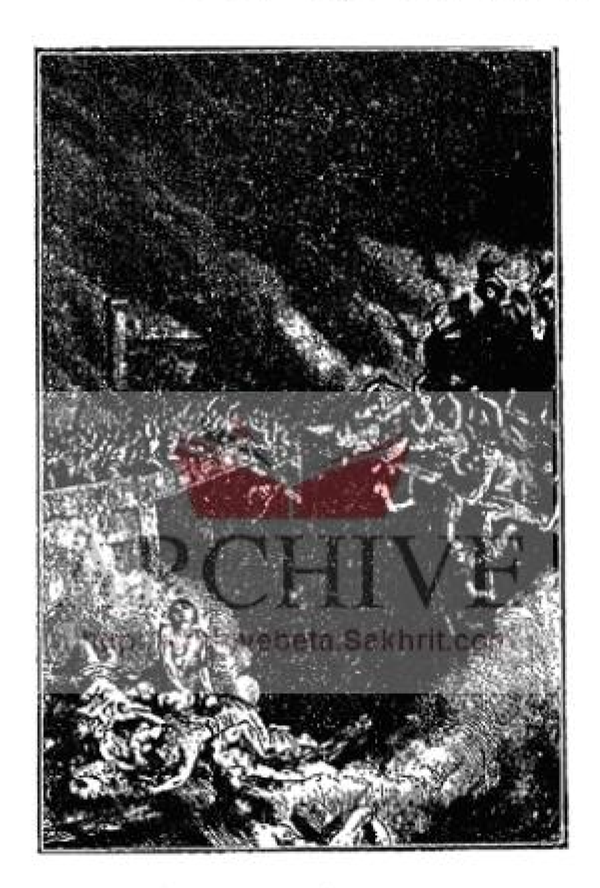
جبال الالب وحاصروا رومية واوشكوا أن يفتحوها ثم عادت العائدة عليهم . وبعد حوادث كثيرة حمل عليهم الرومانيون في بلادهم وحاصروهم في مدينتهم « قرطاجة » (بقرب تونس) وقد انهكت الحروب قواهم وهلك قوادهم واكثر رجالهم . وكان الرومانيون يتوقعون منهم التسليم حالاً بلا مراجعة — كما كان الايطاليان يتوقعون من الطرابلسيين العثمانيين بالامس . فلما وصل الرومانيون الى قرطاجة امروا اهلها ان يسلموا اسلحتهم وهم يعرفون عجزهم عن الرفض . فسلموا السلاح وهم يحسبون هذا كل مايطلب منهم . ثم ابلغهم قائد تلك الحملة ان مجلس الشيوخ الروماني يأمرهم ان يهجروا مدينتهم ويبنوا مدينة اخرى بلا حصون ولا اسوار وان تدكّ قرطاجة الى اساسها . فعظم ذلك على القرطاجيين ولطموا وجوههم وشقوا جيوبهم وتمرغوا بالتراب وتضرعوا الى آلهتهم ولعنوا الرومان على قساوتهم . فلما فرغوا من النحيب عادت اليهم شجاعتهم وعزموا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم حتى يموتوا تحت اسوار مدينتهم

افرغ القرطاجيون ما في وسعهم لتحصين مدينتهم فجعلوا الهيا كل حصوناً وهدموا الابنية العمومية واستخرجوا اخشابها ومعادنها وقضوا الليل والنهار نساء ورجالاً في اصطناع الاسلحة منها . وقطع النساء شعورهن وجدلنه اوتاراً للاقواس وامراساً للمجانيق . ولم يمض قليل حتى تسلح القرطاجيون باحسن الاسلحة

وكان الرومانيون في اثنا زحفوا الى قرطاجة وهاجموها وهم يحسبونها لا تستطيع دفاعاً . فاذا هي محصنة بالابراج والمجانيق والرجال مما لا يسهل التغلب عليه فحاصروها سنتين والقرطاجيون ثابتون ثبوت الجبال

وفي السنة الثالثة تولى قيادة الجند الروماني هناك قائدٌ اسمه شيبيو اميليانوس فادنى معسكره من المدينة حتى اصبح على مرمى قوس من اسوارها وقطع ما بينها وبين البر ولم يبق للقرطاجيين سبيل الى الاقوات الا بالبحر . فعمد شيبيو الى قطعه بسد البوغاز بمرفاء من الحجارة الضخمة . وحاول القرطاجيون في اثناء بناء المرفاء ان يمنعوا الرومانيين من بنائه بسفن ارسلوها لمحاربتهم فلم تصل في الوقت المناسب ولم تأت بفائدة . فازداد الحصار ضيقاً وهجم الرومانيون من جهة المرفاء فظنهم القرطاجيون هاجمين على المدينة من تلك الجهة فاحرقوا اخشاباً كانت هناك . ولكن الرومانيين تحولوا الى الجهة المقابلة وهاجموا المدينة والقرطاجيون مشتغلون في الجهة الاخرى . فدخل الرومانيون المدينة واحتلوا اسواقها فالتجأ اهلها الى القلعة فتبعهم الرومانيون والنبال تتساقط عليهم من سطوح المنازل . واشتبك القتال في وسط المدينة بالسهام

والحراب . فامتلأت الطرق بالقتلى ودوى الجو بانين الجرحى وبكاء الاطفال وعويل النساء وصياح الرومانيين . حتى اذا وصلوا الى القلعة أمر شيبيو باحراق المدينة ففعلوا فتصاعدت اللهب وخرج جماهير الشيوخ والاطفال والنساء والعجزة من منازلهم فراراً من الحريق ولكن كيف يفرون وهم بين النار والسيف



القرطاجيون يستهلكون في الدفاع عن وطنهم

وظلت النيران متقدة ستة ايام متوالية وفي اليوم السابع بعث القرطاجيون المحاصرون في القلعة الى جند الرومان يعرضون التسليم على شرط استبقائهم في قيد الحياة. فاجابهم شيبيو انه يستبقي الجميع الا الهاربين وكان عددهم تسعمائة التجأوا الى هيكل اسكولابيوس بقيادة حسدروبال . وكان الهيكل على اكمة منيعة فما زالوا محاصرين فيه حتى غلب عليهم التعب والجوع . فخرج حسدروبال خلسة وغدراً وسلم نفسه الى شيبيو فاجلسه هذا عند قدميه والقرطاجيون ينظرون اليه من اعلى الهيكل

ويلعنونه ويعيرونه بالجبن والخيانة . ولما يئسوا من النجاة احرقوا الهيكل والقوا انفسهم في نيرانه ولسان حالهم يقول النار ولا العار

ويقال ان امراة حسدروبال جاءته بعد تسليمه ومعها طفلاه وهو جالس عند قدمي شيبيو وخاطبت شيبيو قائلة « ويل لكم ايها الرومانيون اهلكتمونا وانتم لا تخافون الآلهة ولكن آلهة قرطاجة ستجازي حسدروبال هذا لانه خائن وخان اولاده وآلهته » ثم تحولت الى حسدروبال وقالت له ويل لك ايها الخائن الشقي انك اجبن الناس . ومتى رايت هذه النيران تحرقني وتحرق ولديك هذين ما يكون عذرك ياقائد القرطاجيين وما الذي ينجيك من نقمة هذا ؟ . . الذي انت جالس عند قدميه » قالت ذلك وهمت بالطفلين فقبضت حلقوميهما ورمت بهما الى النار والقت نفسها فوقهما

فعسى ان يكون في نفوس الطرابلسيين من صدق العزيمة والثبات في الدفاع عن الوطن ما كان في نفوس اسلافهم ، وان تكون نتيجة ذلك فوزهم في نصرة الدولة العثمانية واخراج الاعداء من بلادهم ان شاء الله فيخلد لهم التاريخ ذكراً لا تمحوه الايام



اوربا في افريقيا

تمهيد

نرى آخر دولة عربية بل آخر شبه دولة تقوم لها اوربا وتقعد ونحن واقفون تلك الوقفة التي اشتهرنا بها لا يهمنا الا معرفة النتيجة ارى تحت سيطرة اي دولة تقع مراكش اخيراً

وقبل ان نصل الى نتيجة أمر مراكش اسمعتنا ايطاليا نغمة جديدة حسبناها تناستها مع الايام واذا بوزارتها تصرح بوجوب احتلال طرابلس الغرب آخر ولاية عثمانية في تلك القارة المظلمة

ومن المضحكات ما قرأته بالامس في جرائد نيويورك اليومية من مقالة طويلة لسياسي اوربي يقدم اسباباً تخول ايطاليا حق احتلال طرابلس الغرب . بل هو يرى ذلك حقاً شرعياً لها لان ايطاليا في رأيه الدولة الاوربية الوحيدة التي لم تنهش شيئاً من جسم الرجل المريض . كأنه من الحق الواجب لكل دولة اوربية ان تلتهم شيئاً

من جسم ذلك الرجل . وأوربا ترغب في بقائه مريضاً حفظاً للتوازن الاوربي

فاذا اتفقت اوربا غداً على مراكش وهي لاشك فاعلة ورفع الايطاليون اعلامهم فوق طرابلس الغرب اصبحت افريقيا مستعمرة اوربية الا الحبشة في الشرق وليباريا جمهورية العبيد الصغيرة في الغرب - حتى هذه كانت تحت خطر الضياع منذ سنوات ولا اعلم كيف ساعدتها السياسة فحفظت استقلالها حتى اليوم . وقد ارتفع صوت اميركي في مجلة المجلات بالامس يحرض حكومة الولايات المتحدة على احتلال هذه الجمهورية الصغيرة لان اميركا ام العبيد ومانحة الحرية لجنسهم . ولننظر الآن في موقف اوربا في افريقيا :

١ — انكلترا وفرنسا

معظم افريقيا اليوم تحت حماية ثلاث من دول اوربا اعني انكلترا وفرنسا والمانيا . تسلطت فرنسا وانكلترا على ثلثي افريقيا وابقتا لالمانيا جزءاً صغيراً من الثلث الباقي تشترك فيه مع اسبانيا . لكن تجارة المانيا ومراكبها البحرية تجعلها من اصحاب النفوذ الاول في تلك القارة . اما اسبانيا فضعفها يجعلها قليلة التأثير في تلك الاقطار اذ ليس لها قوة بحرية او برية تؤيد مطاليبها

اما انكلترا فهي صاحبة السيادة الكبرى في افريقيا . وبقاء الاحتلال الانكليزي في مصر يحفظ صولجان الرئاسة بيدها لان مصر اهم ممالك تلك القارة . وقد نجحت انكلترا بفصل مصر عن السودان بعد ان احتلت افريقيا الشرقية وافريقيا الجنوبية فاصبحت مستعمراتها متواصلة من القاهرة الى الكاب (رأس الرجاء) لا يفصلها الا بقعة صغيرة تحت رعاية حاكم وطني لايخشى منه . ولم تتجاسر انكلترا على احتلالها مخافة ان يثور عليها الراي العام في اوربا لكنها كانت تنتظر سنوح الفرصة بفروغ صبر فسبقتها المانيا الى ذلك كما سيأتي

ولا يسعنا الا الاعتراف بالمنافع الكثيرة التي أتتها انكلترا في مستعمراتها الافريقية . ولاشك ان اهم عمران مصر في هذا العصر من نتائج الاحتلال . لكن الى من تعود نتائج هذا التقدم ؟ لا يزال الفلاح المصري كما كان . والاغنياء الوطنيون لم تتضاعف ثروتهم او لعلها تناقصت لان التقدم الحالي عائد اكثره الى الافرنج . مدينة مصر جميلة جداً يتنسم رائحة زهرها الوطنيون اما ثمرها فيأكله الاجانب

واذا نظرنا الى الخارطة رأينا القسم الاكبر من افريقيا لفرنسا ورعاياها الافريقيون يناهزون ٣٨٠٠٠٠٠٠ نفس باعتبار مراكش تابعة لها وان كانت بالاسم ولاية مستقلة

وقد اعلنت حكومات اوربا ذلك في مؤتمر سنة ١٩٠٦ لكنها في الواقع تابعة لفرنسا. وقد اتفقت على ذلك مع انكلترا حين تعاهدتا سنة ١٩٠٤ فتنازلت فرنسا عن حقوقها في مصر وعوضت عليها انكلترا بمراكش. وكانت هذه المعاهدة الانكليزية الفرنساوية كافلاً للسلم في أفريقيا لولا تحريك المانيا

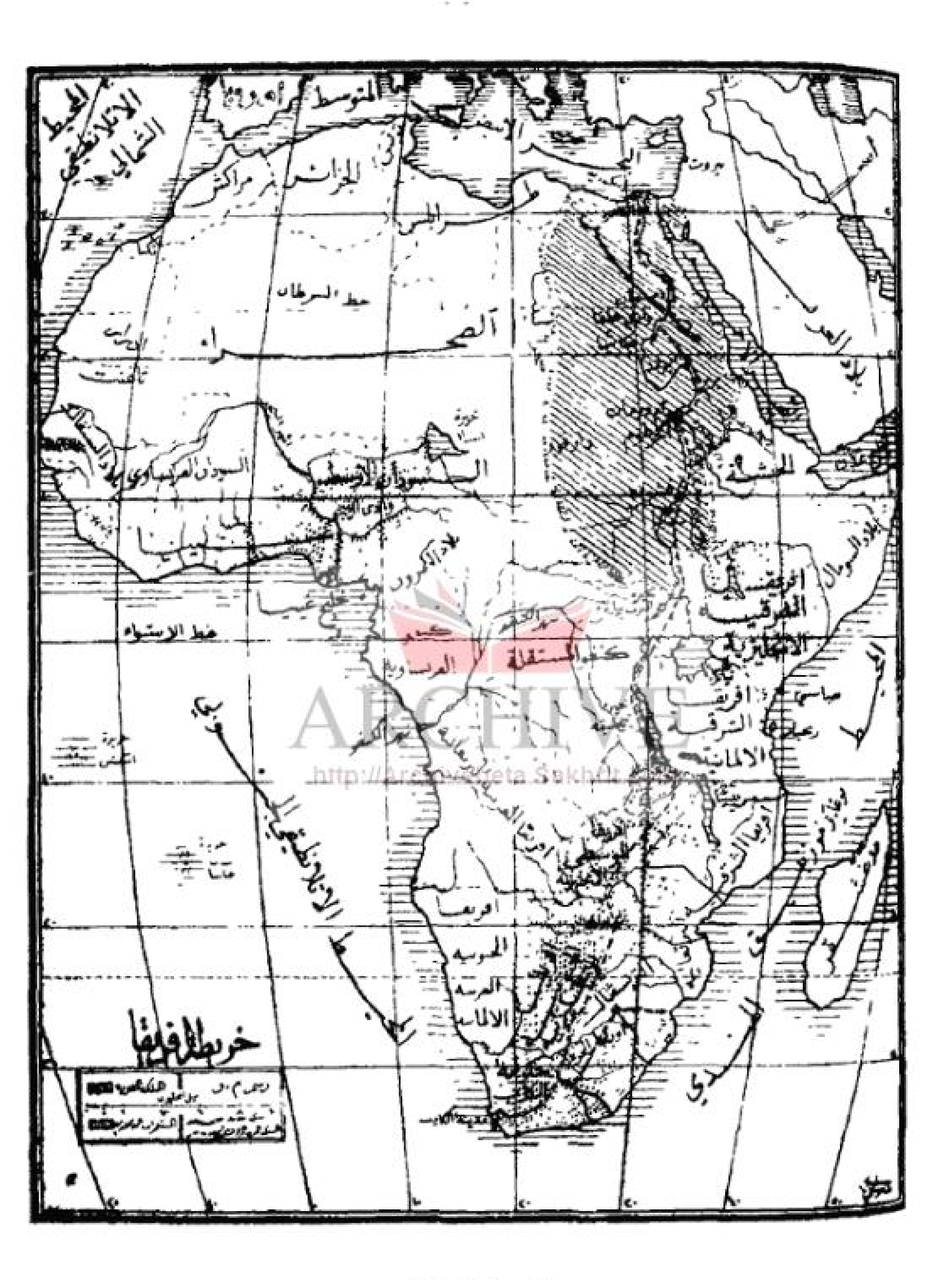
ولا شك ان افريقيا مدينة باكثر رقيها الحالي لفرنسا اذ لم يكن في شواطئها الغربية ميناء يصلح للسفن. قبذت فرنسا كثيراً من الفرض البحرية انفقت فيها مبالغ طائلة فسهلت حركة التجارة على الاوربيين والوطنيين. وهناك خطان حديديان يصلان الى الصحراء وخط تلغرافي يقطع تلك الصحراء المحرقة من اقصاها الى اقصاها. وعشرات من الخطوط الحديدية الى داكار والى نهر السنيغال غير سائر اسباب المواصلة والمعيشة كالخطوط الكهربائية والتلفون والبنايات والشركات. اما من الوجه الادبي فقد انشأت فرنسا في تلك الانحاء مدارس عربية لتعليم الاجانب لغة البلاد وغيرها وانشأت مدارس دينية وزراعية حسب حاجة البلاد. ولم تكن البعثات الدينية التي قامت بذلك بل الحكومة الفرنساوية نفسها

٢ — المانيا في افريقيا

هذه هي المرة الثالثة التي وقع الخلاف فيها على مراكش في ست سنوات وفي كل مرة كان التهديد يبلغ اشده حتى خاف الناس حرباً عمومية تشتبك بها دول اوربا كلها من اجل مراكش. أما البواعث التي دعت المانيا للدخول في افريقيا فهي :

لم يسمع لالمانيا صوت في افريقيا الى سنة ١٩٠٤ وفيها تمت المعاهدة بين انكلترا وفرنسا بشأن مصر ومراكش. ويقول العارفون بالسياسية ان كلا الدولتان اخطأتا باهمالهما المانيا لانهما لم تدعيا احداً من عائلة الهوهنزلرن الى ذلك المؤتمر. وكانت هذه المعاهدة من اهم الاسباب التي حركت غضب غليوم الثاني ونبهت المانيا الى ما فعلته انكلترا وفرنسا في افريقيا. فاستحثت سلطان مراكش ان يقدم لها عريضة خطية يطلب مساعدتها. ففعل وأتى غليوم بنفسه الى طنجة فكان من نتيجة مجيئه مؤتمر الجزيرة الذي ضمن لسلطان مراكش البقاء على عرشه ولو بالاسم. وفي ذلك الحين اصبحت المانيا من اصحاب النفوذ في افريقيا

وفي سنة ١٩٠٨ حدث حادث آخر قوى ذلك النفوذ وزاد طمع الامبراطور غليوم في تلك القارة. اتفق وجود أفراد من الاوربيين في العسكر الفرنساوي في كاسابلنكا فاحتمى ثلاثة من الالمانيين بالسفارة الالمانية هناك فقبض رؤساؤهم عليهم وارجعوهم



خريطة افريقيا

ومستعمرات دول أوربا فيها

الى المعسكر . فقامت قيامة المانيا وعدّت عملهم هذا اهانة لشرفها فاحتجت بلهجة عنيفة وطل خطر الحرب اشهراً الى ان عوضت عليها فرنسا بامتيازات تجارية في تلك الانحاء

ثم حدثت الحادثة الاخيرة فجاء طراد حربي الماني الى القسم الجنوبي الغربي من مراكش وانذر فرنسا انه لايبرح المكان ان لم تتخلّ لالمانيا عن ٣٥٠ ميلاً من الشاطئ شمالي مصب نهر الكنغو . وعن بورت ليبرفول الذي هو مخرج فرنسا الوحيد الى البحر . ولا شك ان الحادثة الاخيرة مع فوز المانيا في ما سبق جعل الناس يعدون المانيا ذات حقوق في افريقيا . ومع ما أحرزه خط همبورغ التجاري من العلاقات الهامة بشطوط افريقيا ورغم سبق الالمانيين في اكتشاف داخلية القارة المظلمة واستطلاع احوالها فالعلم الالماني لم يرفع على افريقيا قبل سنة ١٨٨٣ . واليك الاسباب التي سيطرت بها على ما تملكه هناك اليوم

اولاً : في سنة ١٨٨٠ رفع المرسلون الالمانيون بافريقيا الغربية عريضة استرحام يطلبون حماية انفسهم من تعديات الوطنيين . وكانت تلك البقعة ملاصقة لمستعمرات انكلترا فاحالت العريضة اليها . فعهدت انكلترا بحل هذه المشكلة الى لورد بكنسفيلد والمستر غلادستون . فصرحا ان انكلترا لاتتعرض للمقاطعات التي ليست تحت حمايتها فآلت المخابرات السياسية الطويلة في ذلك الى رفع العلم الالماني على ما يعرف اليوم بافريقيا الجنوبية الغربية الالمانية . وارسلت انكلترا مركباً حربياً للاعتراض على ذلك الاحتلال بعد ان سبق السيف العزل

ثانياً : على شاطئ غينيا بين الداهومي الفرنساوية والمستعمرة الانكليزية المعروفة بالشاطئ الذهبي مستعمرة المانية تسمى تاكولند احتلتها المانيا بواسطة معاهدة سرية ابرمها الرحالة الشهير نختيكال مع حاكم تاكولند . ولم تعرف انكلترا بذلك الا بعد ان قضي الامر

ثالثاً : ان المانيا مدينة باحتلالها بلاد الكمرون في غربي افريقيا الى ارحلة نختيكال . وذلك ان اهل تلك البلاد ابوا انكلترا ان نختيكال يسعى في عقد مؤامرة سياسية . فوكلت الامر الى قنصلها هناك فلم يعبأ بمشاريع نختيكال . أما هذا فلم ينقض بضعة اسابيع حتى اقنع صاحب الكمرون التوقيع على معاهدة سرية جعلت بلاده ملكاً لالمانيا

رابعاً : في السنة التالية اي سنة ١٨٨٥ غافلت المانيا الدولة الانكليزية على شاطئ افريقيا الشرقي ونجحت أيضاً : في شرقي بحيرة تجنيكا بين المستعمرة الانكليزية

الشرقية والمستعمرة البورتغالية مقاطعة كبيرة دخلت في حوزة المانيا وصارت «افريقيا الشرقية الالمانية » وهذه احتلتها ايضاً بحذاقة غريبة تدل على دهائها في السياسة على ان احتلالها كان قانونياً بمعاهدات رسمية مع حاكم تلك المقاطعة . اما الدهاء فيظهر في الاسلوب الذي اقنعت به حاكم تلك المقاطعة ليتنازل لها عن بلاده

وذلك ان ثلاثة من الالمانيين اتوا المقاطعة المشار اليها والتجأوا الى القونصلاتو الالمانيـة فطردتهم وأظهرت غضبها منهم • فجعلوا يطوفون تلك البلاد على سبيل الفرجة وتوغلوا في داخليتها لايتبه احد لامرهم ولايقتفي آثارهم انسان ولم يطلع احد على مقاصدهم . ثم لبثوا ان عادوا الى الشاطئ يطلبون الرجوع الى بلادهم وفي ايديهم صك رسمي يخول العلم الالماني الحق بان يخفق فوق تلك الاصقاع لتكون تحت حماية المانيا بطلب حاكمها ورضى شعبها . فافاقت انكلترا من غفلتها وعضت على انامها ندماً لان تلك الحماية وقفت في سبيل احلامهـا الذهبية في انشاء مملكة افريقية تمتد من الاسكندرية الى الكاب لا يكون لاحد من الاوربيين دخل فيها مع مد خط حديدي يخترق قارة افريقيا في تلك المملكة الانكليزية

والحقيقة ان دخول المانيا في شرقي افريقيا على هذا الشكل عرقل مقاصد انكلترا وكان اقوى ضربة لقيتها انكلترا منها حتى اليوم . انظر الى الخارطة تجد البلاد التي في حوزة انكلترا تمتد من شمال افريقيا الى جنوبها — من الاسكندرية في اقصى الشمال الى الكاب في اقصى الجنوب — الا مقاطعة صغيرة واقعة في وسط هذه المستعمرات الواسعة المتواصلة تقسمها الى شطرين وتقف حاجزاً منيعاً دون انشاء خط حديدي لا يمر الا في املاك انكلترا . ومن اهم اسباب العداوة بين هاتين الدولتين اليوم احتلال المانيا لتلك المقاطعة

ولكن هل هذه المستعمرات الالمانية الصغيرة تمثل وحدها الدولة الالمانية في قارة افريقيا . كلاَّ !

ان احلام غليوم الثاني لاتقف عند هذا الحد . انه يسيطر على افريقيا كلها بتجارة الالمانيين وخطوط سفنهم التجارية حول الشطوط الافريقية . ان خط همبورغ التجاري يجعل امبراطور المانيا سيد افريقيا التجاري لا نك حيثما توجهت في عرض البحار وطولها تجد السفن الالمانية تمخر مشحونة بالسلع والبضائع الى افريقيا او عائدة منها . حتى الاماكن التي تحسبها غير مأهولة فانك تجد فيها المعامل الالمانية . ولا تقع عينك على شيء من المصنوعات الاجنبية الا وتقرأ عليه « صنع في المانيا » . فالتجار

الالمانيون يحملون الى اهل تلك البلاد ما يحتاجون اليه من حاجيات الحياة ويأخذون منهم بدلاً عنها المحصولات الافريقية . واصبح هم المانيا في السنوات الاخيرة مسابقة انكلترا في السيطرة على تجارة العالم وهي باذلة جهدها في هذا السبيل . والتجارة البحرية هي التي تمنع المانيا من محاربة انكلترا . وان حدثت حرب فخارطة افريقيا تتغير لامحالة . لان الدولة التي يكتب لها النصر تستولي على مستعمرات الاخرى . وبضياع القوة البحرية والمستعمرات تنتهي الحياة التجارية . والامبراطور يهتم لحركة التجارة الالمانية اهتماماً شديداً لانه من أكبر المساهمين في اكثر الشركات التجارية الالمانية . ولذلك فهو لا يسمح بوقوع حرب الا اذا ترجح عنده الفوز لجنده او اذا سيق اليها رغماً . وهو يكره الحرب لكنه يجري على سياسة التهديد والوعيد ووراء تهديده قوة هائلة تعضده فهو لذلك مخيف وان لم يخرج تهديده الى حيز العمل

وكنت حتى الآن احسب مطامع المانيا تنتهي بنشر تجارتها في افريقيا . لكني اجتمعت امس بالدكتور ارنست رتشارد استاذ تاريخ التمدن الالماني في جامعة كولومبيا ودار بيننا الحديث عن الشرق والاحوال الحاضرة في مراكش . فسألته عن رأيه في المانيا وافريقيا فنهض الى الخارطة ومر أصبعه عليها من الشرق الى الغرب وقال « ان المانيا تطمع بتأليف امبراطورية في هذه القارة تمتد من الكمرون في الغرب الى شرقي افريقيا الالمانية في الشرق . أي من الشاطئ الغربي الى الشاطئ الشرقي . وبذلك تتوازن المستعمرات الانكليزية والالمانية . فالمستعمرات الانكليزية تمتد من الشمال الى الجنوب والمستعمرات الالمانية ستمتد من الشرق الى الغرب »

(نيويورك . جامعة كولومبيا) توفيق مفرّج

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال

العدد ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ و ٩ من سنة ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

الطرق المحرمة والممنوعة

في الحرب

للحرب مع فظاعتها ووحشيتها قواعد اتفق عليها المتمدنون لتخفيف ويلات تلك الرزيئة الطبيعية التي لا مندوحة عنها . ودونوا ذلك في كتب خاصة بها منها كتاب حقوق الملك ومعاهدات الدول في الحرب للامير امين ارسلان قنصل الدولة العثمانية في الارجنتين الآن . ونظراً لما قرأناه من الفظائع التي يرتكبها الايطاليان في ساحة الحرب بطرابلس الغرب من قتل النساء والاطفال ننقل من الكتاب المذكور فصلاً في الطرق المحرمة والممنوعة في الحرب قال :

تقسم هذه الطرق الى بربرية وغدرية :

فالطرق البربرية المحرمة هي (١) جرح العدو اذا استسلم وذلك امر طبيعي لان الجندي اذا كفَّ عن القتال او قعد عن الدفاع وجبت معاملته كاسير حرب (٢) الاجهاز على الجرحى (٣) لا يحق لاي قائد ان يعلن عدم اعطاء الامان لعدو المقاتل سواء كان السبب تعنتاً او انتقاماً او تهويلاً (٤) لا يجوز اهانة العدو ولا تعذيبه حتى ولو كان ذلك في سبيل اجباره على اباحة اسرار دولته (٥) لا يجوز الفتك بالعدو غيلة او اغراء آخر على قتله سواء كان سلطاناً او جندياً (٦) لا يحق لاي كان اسقاط آخر من حق حماية الشرائع واجازة لكل فرد قتله . وقد شددت الدول المحالفة عن هذه القاعدة لما اعلنت اسقاط نابليون الاول من حماية الشرائع لما رجع من جزيرة ألبا منفاه عام ١٨١٤ . وكان ذلك باغراء وزيره تاليرن المشهور

* واما الطرق الممنوعة * فهي (١) استعمال القنابل والقذائف والاسلحة التي تزيد في تعذيب الجرحى بلا فائدة (٢) الرشق بالاسهم المسمومة او اطلاق الزجاج المسحوق او الرمي برصاص مضوغ ومشقوق كما فعل الانكليز في الثورة الاخيرة في الهند باستعمالهم الرصاص المعروف باسم « دم دم » ولكن لا يخفى بان ما اخترع في السنين الاخيرة من المهلكات النارية والمدمرات الحربية لهو اشد هولاً واعظم تأثيراً من تلك الادوات الممنوعة . وقد حرم البابا اينوسان الثالث استعمال القذائف النارية في الحرب اذا كانت بين النصارى فقط

وخلاصة الكلام ان الغاية من هذا المنع هي عدم استعمال سلاح يزيد في

تعذيب الجرحى ولا يأتي بفائدة • اذ الغاية من الحرب اضعاف الخصم حتى يعجز عن القتال او الدفاع •فاذا جرح العدو جرحاً بسيطاً حصلت تلك الغاية ولا حاجة لتشويهه طول عمره

وقد قررت الدول في مؤتمر بطرسبورج (١٨٦٨) منع استعمال القذائف اذا كان وزنها يقل عن ٤٠٠ غرام منفجرة كانت او محشوة بمواد التهابية

وفي الحرب السبعينية كانت كل من دولتي فرنسا وروسيا تتهم الاخرى باستعمال قنابل منفجرة كما فعل الانكليز والبوير في حرب الترنسفال

وذهب بعض الشراع بان قوانين الحرب تحظر تجنيد القبائل الهمجية والمتوحشة لجهلها قوانين الحروب المتمدنة

وقد انتقد بعض المتشرعين من الالمانيين والايطاليين لوجود عساكر الجزائر المعروفة بالتركو في الحرب السبعينية واتهمها بسمارك ظلماً وبهتاناً باتيانها اموراً وحشية• فرد العلامة كالفو الشهير حيث قال «ان فرق التركو تعد جنداً منظماً اذ يرأسها ضباط من الفرنسيس قد احسنوا تدريبهم وتنظيمهم واظهروا في الحرب السبعينية بسالة غريبة وشجاعة فائقة القت الرعب في قلوب الالمان ولم يرتكبوا منكراً» وقال العلامة اوت لماذا لم ينتقد الالمان على تجنيد روسيا مثلاً بعض القبائل الاسيوية التي هي اشد همجية من عساكر الجزائر وكيف اجازوا للنمسا تجنيد قبائل الكروات في حروبها مع ما هم عليه من البربرية . . ؟

﴿ التسمم ﴾ من اكبر المحرمات في الحرب واهم الامور الممنوعة في ايامنا هذا التسميم على اختلاف طرقه سواء كان من قبيل تسمم الابار او الانهار او الطعام او السهام . وكل من يلجأ الى استعماله اسقط نفسه من حق حماية الشرائع له وانما يجوز تحويل الانهار ومجاري المياه وتجفيف الينابيع لان العدو متى حرم من الماء اضطر الى اخلاء مركزه

﴿ الطرق الغدرية ﴾ القتال يجب ان يكون شريفاً يعني يجب على كل من المتحاربين ان يكون على ثقة من استقامة عدوه وشرفه وحفظه لشرائع الحرب فكل خدعة غير جائزة تعد غدراً واغتيالاً . مثال ذلك — لا يجوز الاخلاف بالوعد او النكث بالعهد او الكذب بالقول او المهاجمة فجأة في اثناء هدنة . والمظاهرة بالتسليم حتى اذا اقترب العدو منه قتله بسهولة . او رفع علم الصليب الاحمر الخاص بعربات الجرحى والمستشفيات على العربات التي تقل المؤن والذخائر . او الخداع باستعمال

راية المفوضين بالمخابرات السلمية اوغير ذلك مما يجري هذا المجرى . ولا يجوز استخدام الكلاب المعروفة « بول دوك » لانها حيوانات كاسرة بخلاف الكلاب الاخرى فانها تأتي بخدمات نافعة اذ تهدي الى الجرحى وتحمل الرسائل والذخائر

﴿ الحيلة ﴾ هل يجوز استعمال الحيلة في الحرب ؟ — نعم وقد قيل الحرب خدعة واجمع المشترعون على ذلك واتفق عليه معتمدو الدول في مؤتمر بروكسل (١٨٧٤) في البند الرابع عشر ولكنهم قالوا ان الحيلة في الحرب جائزة على ان لا تكون غدرية مخالفة للشرائع الحربية فالمكامن والمهاجمة فجأة او غلساً او المظاهرة بالقهقرى او التهويل به ونشر الاخبار الكاذبة او الرسائل المزورة وما اشبه ذلك فكله جائز وانما لا يسوغ استخدام اثواب الاعداء ولا ازيائهم ولا اتخاذ شاراتهم ولا تقليد راياتهم او اعلامهم . وفي شرائع الولايات المتحدة كل عدو يلجأ الى اتخاذ تلك الحيلة يخسر حقوقه من حماية الشرائع له . ولكن الشراع اختلفوا في هل يجوز تقليد نفير الاعداء وتبويقهم او اتخاذ شعارهم (الشعار نداء خاص بين الجنود يتعارفون به ويسميه العامة سر الليل) فمنهم من اجازه بحجة ان العدو طالما لم يبح بشعاره ولم يجبر عن كيفية تبويقه فلا غدر في استعماله بخلاف البسة الجنود فهي ظاهرة للعيان . ورد غيرهم بان العدو لا يتصل غالباً الى معرفة شعار العدو وسر تبويقه الا بتعذيب الاسرى ولا يخفى ما في هذا الامر القطيع من المخالفة لشرائع الحرب المتمدنة

وقد اتهم الفرنسيون البروسيانيين انهم اكثروا في الحرب السبعينية من نشر الاخبار الكاذبة والرسائل الملفقة . وادعوا ان تلك الحيلة وان كانت جائزة شرعاً فهي مخالفة للشرف العسكري . . .

وجملة القول ما قاله مولتك « ان اعظم خير في الحرب السرعة في انجازها فيجوز استخدام جميع الطرق المؤدية الى ذلك بشرط الا يكون ذلك العمل مذموماً . . . » اه

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٢

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٢ وترسل مجاناً لمن يطلبها من مكتبة وادارة الهلال بالفجالة بمصر

اسباب الحروب

الظاهرة والحقيقية

من النواميس الطبيعية الاساسية ان الحادث الواحد لا ينبغي ان يكون له الا سببٌ واحد هو السبب الحقيقي وليس في الحوادث الطبيعية سببان لحادث واحد. حتى في السياسة فان الحادث الواحد له سبب واحد . ولكن السياسيين يظهرون سبباً آخر يموهون به على الناس ليسوغوا لانفسهم اشهار العدوان ويحملوا العامة على الاخذ بناصرهم في قهر عدوهم ولذلك كان لاكثر الحروب سببان احدهما حقيقي والآخر ظاهر

واسباب الحرب الحقيقية ترجع غالباً الا مطامع الدول او الملوك في جيرانهم او الضعفاء من امم الارض يلتمسون التوسع في الملك فينتحلون اسباباً تسوغ لهم الهجوم بعدتهم ورجالهم ويختلف ذلك باختلاف الاعصر والامم . ففي العصور القديمة ايام الاستبداد والحكم المطلق كان اعلان الحرب يرجع الى رأي الملك او الامير او القائد وهو لا يسأل عن عمله . وقد يكون السبب يتعلق بشخصه لا علاقة له بالدولة او الامة فربما أعلن الحرب على مدينة أو امة انتقاماً من ملكها لانه سبقه الى اكتساب قلب فتاة او ناظره في حب حسناء . او لانه سمع عنه كلمة تعد اهانة له - وقد يغض عن تلك الاهانة أو تلك المسابقة اذا لم يعتقد في نفسه القدرة عليه ويرجح الغلبة له ح فيستحث رجاله على النهوض للحرب بسبب يختلقه يموه به على عقولهم ويثير عواطفهم فيسوقهم الى القتال في سبيل مطامعه وهم يحسبون انفسهم يفعلون ذلك في مصلحتهم . فالباعث الحقيقي على الحرب الطمع بالفتح . ولو تتبعت اسباب الحروب القديمة من حصار طروادة الى حروب بونابرت لرأيت لكل منها سببين على الاقل احدهما ظاهر والآخر حقيقي مما يضيق المقام عن تفصيله مع كثرة الحروب وتنوع اسبابها . ولكنها ترجع الى طمع الملك أو القائد بالشهرة او توسيع المملكة باضافة بلاد خصبة غنية الى بلاده يستمدها عند احتياجه الى المؤونة أو الى الرجال

جاء عمرو بن العاص الى مصر في الجاهلية ورأى خصبها وضعفها فلما اسلم وصار قائداً حرض الخليفة عمر بن الخطاب على فتحها والخليفة لا يرضى بذلك خوفاً من تشتت العرب وهم في اول دولتهم . وكان القواد يتطلبون الفتح وقد طابت لهم الغنائم واستلذوا النصر فاذا استأذنوه في فتح بلد وراء الشام والعراق لم يأذن لهم — فلما استاذنه عمرو بفتح مصر رغبه في ذلك بقوله « انك اذا فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي اكثر الارض اموالاً واعجز عن القتال والحرب » فلم يجبه عمر الا متردداً

ولما اراد بونابرت ان يستولي على مصر سأله رفاقه اعضاء الادارة الفرنساوية عن سبب عزمه على ذلك وهم لا يرون الاقدام عليه فاخذ يعدد الاسباب الباعثة على هذا الفتح واهمها ان مصر اكثر بقاع الارض خصباً وكانت اهراء لرومية والقسطنطينية ويريد ان تكون اهراء لفرنسا . وانها طريق انكلترا الى الهند فيعرقل مساعي تلك الدولة ولم يبق سواها واقفاً في سبيل مطامعه . فترددت الادارة بقبول اقتراحه فهددها بالاستقالة فقبلت فحمل على مصر باسطوله ومدافعه ورجاله . ولما دخل الاسكندرية نشر على المصريين منشوراً قال فيه ان السبب الذي حمله على ذلك الفتح ان السناجق الذين يتولون مصر منذ زمن مديد كانوا يعاملون الامة الفرنساوية بالاحتقار والاعتداء وقد جاء لمعاقبتهم وانقاذ المصريين من ظلمهم وجورهم — وما اشبه هذه الاسباب بالسبب الذي انتحله الايطاليان اليوم لاحتلال طرابلس الغرب . فترى ان حمل الفرنساويين على مصر كان له سببان احدهما حقيقي هو طمع فرانسا بخصب وادي النيل ومركزه التجاري وسبب ظاهر هو الانتقام من السناجق المماليك لانهم اهانوا الفرنساويين . ولكن هناك سبباً ثالثاً هو الحقيقي فعلاً نعني رغبة ذلك القائد العظيم في الشهرة الواسعة وحب الفتح . والا فان فتوحه في اوربا كانت كافية لفرنسا ولا حاجة الى التعرض لانكلترا وقد كان تعرضه لها سبباً في سقوطه . فاسباب الحرب في الاعصر الاستبدادية ثلاثة : اولاً مطامع القائد أو الملك وتطلبه الشهرة او لغرض خاص يتعلق بشخصه . ثانياً السبب الذي يقنع به رجاله حتى ينهضوا لنصرته . ثالثاً السبب الذي يدعيه بين يدي الناس أو يتهم به اعداءه

والدول الدستورية لا تنقاد الى ارادة ملكها أو زعيمها وانما تفعل بارادة نوابها

بعد البحث والمناقشة فهي في مأمن من الاندفاع بتيار الحدة أو الحماسة كما كانوا يفعلون من قبل فيبقى للحرب عندهم سببان حقيقي وظاهر . الاول هو الذي يحمل الدولة على الحرب والثاني تظهر به امام العالم المتمدن كالبرقع تغطي به رأسها . ومن الحوادث التي تمثل لنا هذه الحقيقة حرب فرانسا في جزائر الغرب باوائل القرن الماضي وقد كلفت فرانسا المال والرجال

حرب فرنسا وجزائر الغرب واسبابها

كان السبب الحقيقي في اشهارها رغبة فرنسا في الاستيلاء على الجزائر واستعمارها لخصبها وسعتها ولكنها لم تكن تجد ما يخولها اعلان العدوان . ثم سنحت لها فرصة هي لطمة



داي الجزائر يلطم قنصل فرنسا بالمروحة

لطمها صاحب الجزائر (الداي) لقنصل فرنسا كانت فاتحة الحرب — وذلك ان فرنسا لما ارادت فتح مصر في زمن بونابرت احتاجت الى المال فاقترضت مبلغاً من بعض اسرائيلي الجزائر وكان للداي نفع شخصي من ذلك القرض . فكان يطالب فرنسا بالدفع وهي تماطله فاتفق سنة ١٨٢٧ ان قنصلها هناك خاطب الداي بكلمة اغضبته فلطمه بمروحة

كانت يده على وجهه كما ترى في الرسم

فعظم ذلك على القنصل وشكا امره الى حكومته فاتخذت ذلك ذريعة للعدوان فارسلت عمارتها الى الجزائر ودارت المناوشات وطال امر الحرب ثلاث سنوات . فملت فرنسا فبعثت سنة ١٨٣٠ عمارة بقيادة الاميرال دوبريه فيها ٣٧,٠٠٠ من المشاة و٤٠٠٠ فارس ومعهم المدفعية ولم تستطع الجزائر مقاومة كثيرة فسلمت وعقدت معاهدة الصلح وصارت الجزائر مستعمرة فرنساوية . وعلى اثر ذلك نهض الامير عبد القادر الجزائري مع رجاله لدفع ذلك العدو الغريب ولم يهمه ما عقدوه مع صاحب الجزائر من العهود . فانه عربي يحب الاستقلال فاضطرت فرنسا لمناهضته ودامت الحرب بينهما سبع عشرة سنة قاست في اثنائها عذاباً شديداً . لكنها انتهت بنصرتها وابعدت الامير عبد القادر الى الشام كما هو مشهور

فسبب هذه الحرب الحقيقي طمع فرنسا ببلاد الجزائر والسبب الذي أظهرته للناس انها اتت لرد شرفها لان صاحب الجزائر اهان قنصلها . وهناك سبب آخر اسكتت به الدول عند اول الحرب وهو انها انما ارادت احتلال الجزائر لطلب التعويض ولكي تبطل القرصانية التي كانت لا تزال الجزائر تتعاطاها الى ذلك العهد

حرب فرنسا وبروسيا واسبابها

وكثيراً ما يتعجل رجال السياسة الاسباب او يختلقونها لتوليد العدوان واشهار الحرب اذا رأوا فيها غنيمة . واشهر الحوادث من هذا القبيل ما فعله البرنس بسمارك لاشهار حرب السبعين فانه ارتكب الكذب والتزوير في هذا السبيل ولم يهمه انه فعل ذلك في سبيل خدمة دولته . وقد افلح فجعلها امبراطورية كبيرة

والمؤرخون اذا كتبوا تاريخ الحرب السبعينية اتهموا الحكومة الفرنساوية بالهجوم ونسبوا اليها سبب تلك الحرب . ولم تنجل الحقيقة حتى اقر البرنس بسمارك لاحد الصحافيين عام ١٨٩٢ بانه زوَّر قصداً وعمداً رسالة ملكه غليوم الاول وهي الرسالة البرقية المعروفة برسالة أيمس . وكانت غايته اهاجة الشعب الفرنساوي وحمل نابليون الثالث على اشهار الحرب فكان كما اراد . ثم عاد بسمارك وذكر الحكاية تفصيلاً في مفكراته التي نشرت اخيراً بعد وفاته



بنديتي سفير فرنسا يخاطب ملك بروسيا

وذلك ان فرنسا لما وقع الخلاف بينها و بين بروسيا بشأن اسبانيا وغيرها بعثت الى سفيرها في برلين الموسيو بنيديتي ان يقابل ملك بروسيا بشأن تلك المسألة وان يطلب اليه القبول بما تريده فرنسا . فقابله في ٩ يوليو سنة ١٨٧٠ في ايمس فاجابه الملك بالرفض بعبارة لطيفة ليس فيها اهانة وانصرف السفير . وكان بسمارك عالماً ان الملك سيجيب بالرفض لكنه كان يحب ان تكون العبارة شديدة تهيج غضب فرنسا لتكون هي البادية بالعدوان واعلان الحرب . فلما علم بجواب الامبراطور اللطيف غضب واخذ يعمل فكرته في حيلة يدبرها . وقد ذكر ذلك في مفكراته الخصوصية — قال بعد ان اشار الى غضبه من ذلك التساهل « عزمت على الاستقالة من منصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٣ يوليو) و بينما نحن على الطعام جاءني ساعٍ واخطرني بوصول رسالة برقية بالارقام ممضاة من مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بحلها سريعاً . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع ضيفيَّ علت على وجوههما ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد في قحة

وأنقطعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستعدت قراءة تلك الرسالة مراراً وكان الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فاخذتُ للحال قلماً وحذفت منها جملاً واثبتُ أخرى فانقلب تأثيرها انقلاباً تاماً ثم التفتُ الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة تتعلق بثقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل استعدادنا . فاجابني للحال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل مماطلة تجر علينا اخطاراً . فقرأت الرسالة حينئذ عليهما منقحة فابرقت اسرتهما وقالا « قد تغيرت نغمتها الآن » فقلت « ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تأثيرها على الثور الفرنساوي كتأثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيراً بوقع اشهار الحرب علينا اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن أوربا باننا لسنا الا مدافعين ... » فسرَّ مولتك بذلك سروراً عظيماً ثم ارسل نظره الى السماء باسماً وصاح « اذا قدر لي البقاء لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هذه العظام (وقرع صدره بكلتا يديه) . » اه

فيظهر جليًا ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل فرنسا على اشهارها . ولو لم يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب في ذلك الى فرنسا

وأي شاهد لدينا اعظم من حرب الترانسفال الاخيرة فان انكلترا هي التي رغبت فيها وما زالت تتحرش بالترانسفاليين حتى اضطرتهم اخيراً الى اشهارها . ولما طلب كروجر وستاين السلم من اللورد سالسبوري كان جوابه انهما البادئان بالعدوان

تاريخ مصر الحديث

صدرت الطبعة الثانية من كتابنا تاريخ مصر الحديث في جزئين كبيرين وهي تمتاز عن الاولى بامتداد الحوادث الى اليوم وبالتوسع في اكثر المواد الهامة وخصوصاً من ايام محمد علي الى الان وبكثرة الرسوم فان فيها نيفاً ومئتي رسم لمشاهير الرجال من كل العصور فضلاً عن صور الحصون والالآت والنقود والخرائط ويلي ذلك فهرس ابجدي عام . وثمن النسخة مجلدة اربعون غرشاً والبريد خمسة غروش

الهلال الاحمر

والصليب الاحمر

تمهيد

اذا كانت الحرب مصيبة لا بد منها سيق اليها الانسان بفطرته وضعفه فهو ايضاً هيأ الاسباب التي تخفف ويلاتها . ولعل السابق الى هذه المنقبة المرأة لانها اكثر عطفاً وارقُ قلباً وادق عاطفة . ولا سيما في حالها الفطرية يوم كانت تشارك الرجل في مشاق الحياة فاذا ذهب هو الى القتال للدفاع عن وطنه ذهبت هي الى ساحة الحرب تحمل الماء تسقي المحاربين وتسعف الجرحى بما يحتاجون اليه من تضميد أو غسل أو علاج - كذلك كانت تفعل نساء العرب في الجاهلية يحملن قرب الماء الى ساحة القتال ويداوين الجرحى بلا شرط ولا قاعدة وانما يسقن الى ذلك بطبيعة احوال البادية

أما أهل الحضر فعندهم الجنود المنظمة لها الاطباء يذهبون في خدمتها الى ساحة الحرب يسعفون الجرحى بالعلاج المستعجل . وقد انشأوا لذلك مستشفيات تنتقل مع الملك او الخليفة أو السلطان اذا انتقل أو مع جنده في الحرب أو السلم ويسمونها في التمدن الاسلامي المارستانات النقالة كانوا يحملونها على الجمال أو البغال قطعاً أو اجزاء وفيها الخيام والفرش والادوات والآلات ونحوها ينصبونها ويركبونها اذا استقروا في مكان . وكان في معسكر السلطان محمود السلجوقي مارستان نقال يحمله اربعون جملاً يستصحبه العسكر حيثما توجهوا . ومثل هذه المستشفيات النقالة كثير الآن في الممالك المتمدنة في اتم نظام

اما الجمعيات الخيرية التي تذهب لتطبيب الجرحى في الحرب ويسمونها جمعيات الصليب الاحمر فالفضل في استنباطها للافرنج وقد اخذناها عنهم من عهد غير بعيد . وأصل ذلك ان مدينة امالفي في ايطاليا اشتهرت منذ القرن العاشر للميلاد بالتجارة فكان أهلها اكثر تجار الارض انتشاراً في الشرق وخصوصاً مصر وفلسطين فكانوا اذا قدموا اورشليم شاهدوا ما يقاسيه الحجاج اللاتين من العذاب في أسفارهم

وخصوصاً اذا اصابهم مرض أو فقرٌ . فتقدم جماعة من اولئك التجار سنة ١٠٣٢ م الى الظاهر بالله الخليفة الفاطمي بمصر ان يأذن لهم بانشاء بيمارستان (مستشفى) في أورشليم لاعالة المرضى والفقراء من حجاج اللاتين . فأذن لهم فأنشأوه باسم القديس يوحنا وجعلوا ادارة شؤونه في ايدي اخوية انقطعت لهذه الغاية . وتكاتف أغنياء أوربا على اعانته و بذلوا الاموال الطائلة في تنشيطه . وكان أعضاء تلك الاخوية او الجمعية يسمون Hospitaliers نسبة الى Hospital اي بيمارستان . وكانوا يمتازون عن سائر الناس بملابس خاصة مثل سائر أخويات تلك الايام المعروفة باخويات الفرسان . فكان الفرسان الهيكليون مثلاً يتشحون برداء اسود عليه صليب ابيض والفرسان البيمارستانيون كانوا يتشحون بأردية بيضاء عليها صلبان حمراء والفرسان التيوتونيون كان صليبهم اسود على رداء ابيض . فلما أراد أهل القرن الماضي انشاء جمعية لمعالجة جرحى الحرب اتخذوا الصليب الاحمر شعاراً لهم لانه كان شعار جمعية غرضها مثل غرضهم

جمعية الصليب الاحمر

ويرجع الفضل في انشاء جمعيات الصليب الاحمر الى محسن من اهل سويسرا اسمه هنري ديران حضر ساحة الحرب التي انتشبت سنة ١٨٥٩ بين فرنسا والنمسا في شمالي ايطاليا وشاهد اهم معاركها التي تعرف بمعركة سولفرينو وقد سقط فيها ٤٠ ألفاً بين جريح وقتيل فضلاً عن المرضى . وكان قد عاهد نفسه بمواساة الجرحى ومعالجتهم فشاهد بلواهم بام عينه وسمع انينهم وعويلهم و بكاءهم بأذنيه مما تنفطر له القلوب فنشر بعد الحرب كتاباً سماه تذكار سولفرينو شرح فيه ما عاينه ووصف حالة اولئك احسن وصف مما هاج العواطف وأثار الحاسات الانسانية في سائر الطبقات ومختلف البلدان . وشاركه في جهاده الخيري جمعية خيرية سويسرية . وكانت الغاية أولاً تأليف الجمعيات في كل البلاد لمساعدة جرحى الحرب . ولكن أشار بعض الالمان بوجوب تعاهد الدول على صيانة تلك الجمعيات وعدم التعرض لها وغير ذلك مما استلفت انظار الحكومة السويسرية فدعت في ٦ يونيو سنة ١٨٦٤ جميع الحكومات الاوربية والاميركية لعقد مؤتمر دولي في جنيف وساعدت فرنسا ذلك المشروع كثيراً فتم انعقاده في ٨ اغسطس ووضعوا مشروعاً قرروا فيه كيفية معاملة الجرحى في حومة الوغى وصادق على معتمدو

الدول الاوربية وواقفت عليه اخيراً تركيا والعجم واليابان وسيام والكونغو وغيرها . وأضيف الى ذلك المشروع بنود خاصة بالمعارك البحرية لم تتم مصادقة الدول عليها حتى الآن . وهاك اهم ما جاء في ذلك المشروع من الامور التي تختص بمعاملة جرحى الحرب نقلاً عن كتاب حقوق الملل في الحرب وهي :



وفد من الممرضات الروسيات من جمعية الصليب الاحمر

١ — قرروا وجوب حياد المستشفيات وعدم ضربها أو مسها اذا كان فيها مريض او جريح على شرط الا يكون فيها جند لاي عذر كان سواء للهجوم او الدفاع .

٢ — صيانة الاطباء والممرضين والجنود والنقالة والكهنة . فاذا وقعوا في قبضة العدو لا يمكن عدهم أسرى حرب ولكنهم اما يبقون في اجراء وظيفتهم عند العدو أو يرجعون الى معسكرهم مخفورين وليس في ذلك المشروع ذكر للجمعيات الاخرى التي تتألف عادة عند انتشاب الحرب لمساعدة الجرحى ولكنهم في الغالب يحسنون معاملة القائمين بها . والسكان الذين يعتنون بالجرحى يعفون من ضرائب الحرب وغرائمها

٣ — الاعتناء بجميع الجرحى على السواء بقطع النظر عن مللهم او اجناسهم او مذاهبهم ويحق للقواد اعادة الجرحى الى معسكرهم اذا تعذر عليه تمريضهم

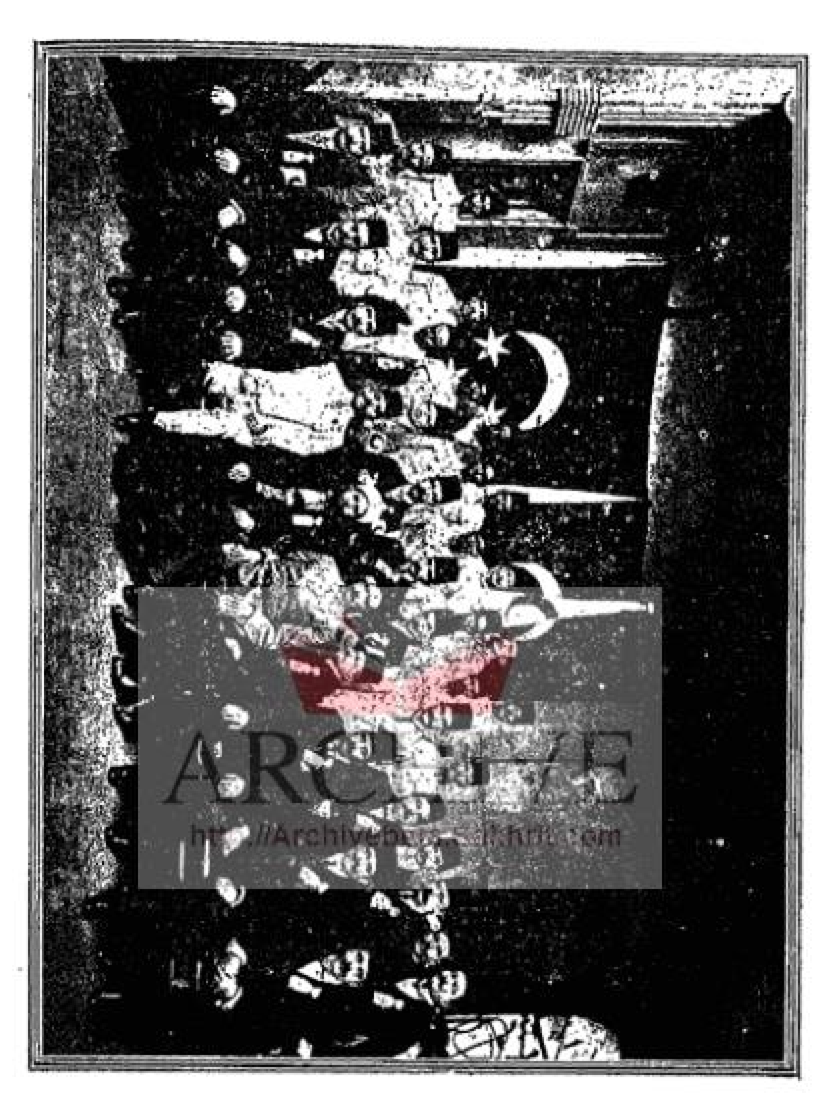
٤ — اعادة الجرحى الذين لا يصلحون للحرب بعد شفائهم الى بلادهم

٥ — لا يحق لاحد التعرض لعجلات الجرحى او لقطرها الا اذا كان سيرها مضرًّا بحركات الجند وترتيب صفوفه فيحق للقائد اجبارها على السير في طريق آخر » ا ه

جمعية الهلال الاحمر

اما جمعية الهلال الاحمر فهي جمعية اسلامية تقابل جمعية الصليب الاحمر المسيحية وغرضهما واحد . وقد انشأت الدولة العثمانية مستشفيات الهلال الاحمر للمرة الاولى في حربها الاخيرة مع الروس سنة ١٨٧٧ ونسبوها الى الهلال لانه شعار الدولة العثمانية وفعلت ذلك أيضاً في حربها مع اليونان وأرسلت اليوم غير بعثة منها الى طرابلس الغرب

وقد هبّ المصريون على أثر انتشاب الحرب بين ايطاليا والدولة العثمانية للاخذ بناصر الدولة وبجمع الاعانات والتحريض على الثبات . ومن أصدق خدماتها في هذا السبيل وأعجلها نتيجة جمعية الهلال الاحمر تشكلت في ادارة المؤيد برئاسة رصيفنا الشيخ علي يوسف رئيس تحريره بعد مفاوضة الاستانة بشأنها . وأقبل الاغنياء والوجهاء على الاشتراك فيها ببذل المال وتقديم العقاقير أو الآلات والادوات أو الثياب . وتبرع الاطباء والصيادلة للذهاب في خدمتها الى ساحة الحرب لمواساة الجرحى . وشكلت لذلك في اواسط نوفمبر الماضي بعثة طبية برئاسة الدكتور عزت أفندي الجندي وهو أول مقترح لتأليف هذه الجمعية واول منظم لشؤونها وأول من فاوض الاستانة بامرها . والبعثة المذكورة مؤلفة من رئيسها المشار اليه وخمسة أطباء وصيدليين ومساعد صيدلي وأمين صندوق وكاتب وعشرين ممرضاً وحملوا مهماتها في عربتين من عربات السكة الحديدية الى مرسى مطروح واشترت ٢٥ جملاً واستأجرت ٧٥ جملاً وخمسة افراس لركوب الاطباء الآخرين . والفت هيأة هجانة من ست هجن للمخابرة بين البعثة والجمعية المركزية . ومعها نحو مائة سرير تامة المعدات غير الخيام والادوات . وكان في مقدمة المتبرعين صاحبة الدولة والعصمة والدة الجناب العالي فانها أظهرت انعطافاً عظيماً نحو هذا العمل الجليل فقدمت للبعثة اكثر ما تحتاج اليه في معالجة الجرحى ومداواتهم والاخذ بايديهم من العقاقير والالبسة واللفائف والالات الجراحية والاطعمة والاشربة وغير ذلك مما يستغرق ذكر اسمائه فقط عدة صفحات من الهلال وانما نقول



جمعية الهلال الاحمر المصرية

بالاجمال ان مجموع عدد تلك الاشياء نحو ستة آلاف قطعة فيها الصناديق والاكياس والشوالات فضلاً عن الف جنيه دفعتها نقداً للجمعية . فلا غرو بعد ذلك اذا تسابق ذوات الخدر الى الاقتداء باعظم نساء هذا القطر

الصين

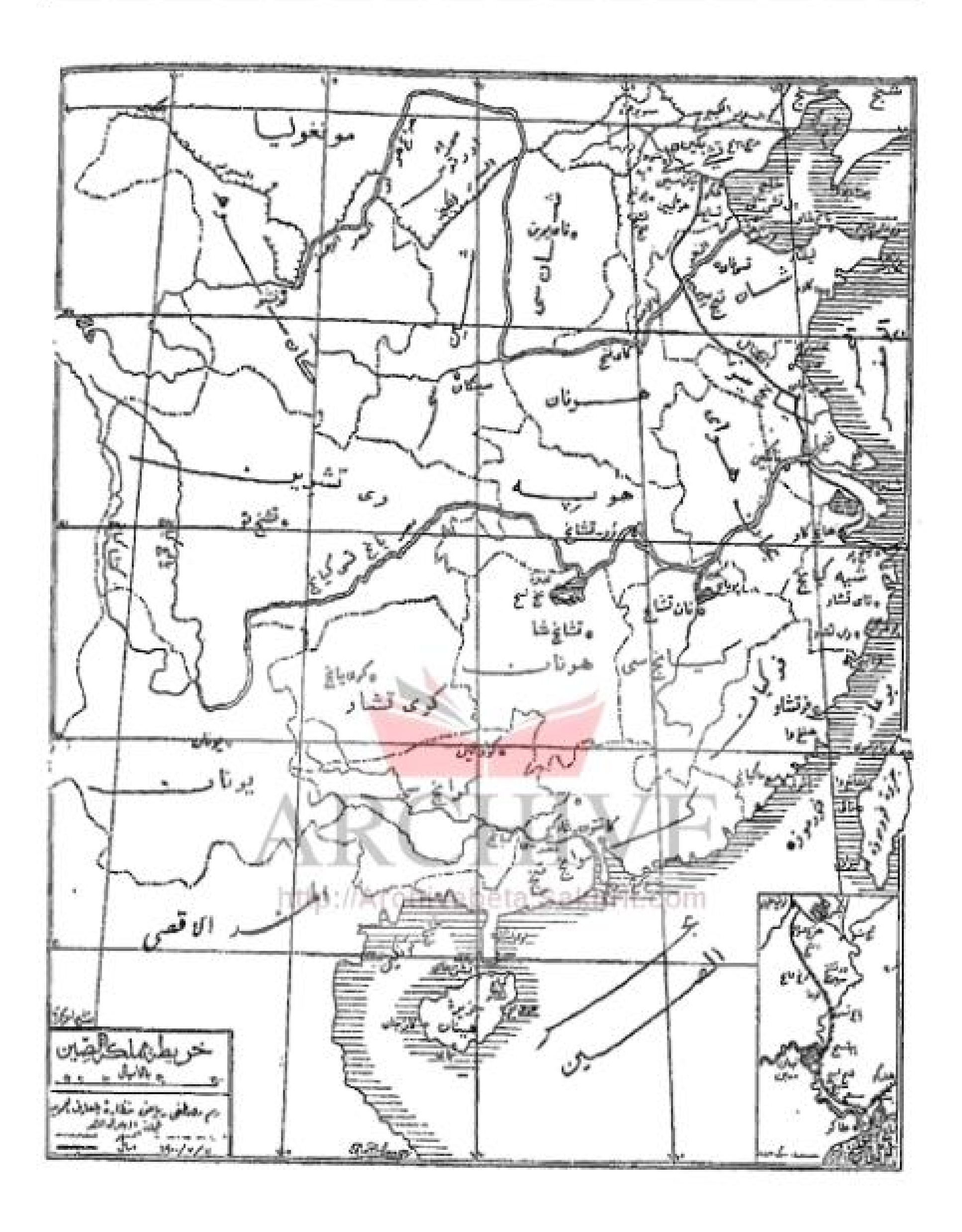
الانقلاب السياسي الصيني على الابواب

الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار

ان انهماك كتابنا بطرابلس الغرب واخبارها شغلهم عن الخوض في اهم انقلاب يتوقع حدوثه في الشرق قريباً . نعني قلب الحكومة الصينية من امبراطورية مستبدة الى جمهورية متحدة . وبعبارة اخرى انتقال ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس من الحكم الاستبدادي الى الدستوري . وكأن هذه العدوى امتدت الى الصين من جارتها اليابان او لعلها قلدت بها الحكومتين الشرقيتين الدستوريتين العثمانية والفارسية في انقلابهما منذ بضع سنوات . ولكن الانقلاب السياسي لا يتم بسنة او بضع سنين ولا بدَّ من ادوار يمرُّ بها تختلف طولاً وقصراً باختلاف الامم وطبائعها وسائر احوالها فتتمهد اسباب الانقلاب وتتهيأ نفوس الامة لقبوله . واليك اهم العوامل في ذلك

١ — التعليم

التعليم اكبر الوسائل التي تهيئ الامة لقبول الدستور وتساعدها على نيله . وقد توفر ذلك للامة الصينية في عهدها الاخير بانشاء المدارس ونشر العلم الحديث والاحتكاك بالاجانب المتقدمين — كان التعليم فيها قبل هذا العصر محصوراً في المعابد على الشكل القديم الذي وضعه قدماء الصينيين والغرض منه اداء الفروض الدينية لبوذا او كونفوشيوس أو تاو . وتدريب الشعب على الخضوع للملوك والكهنة وتقديسهما . فلما احتك الصينيون بالاجانب وبمن ارتقى من اليابانيين جيرانهم اخذوا ينفرون من ذلك الاسلوب ويميلون الى الاساليب الحديثة والعلوم الحديثة والحكومة تجاري الامة على ذلك حتى اقرت اخيراً على الغاء الاسلوب القديم بامر امبراطوري صدر في سبتمبر سنة ١٩٠٥ فآل ذلك الى نهضة عمومية في التعليم واخذ الصينيون في انشاء المدارس من عند انفسهم او سهلوا انشاءها للاجانب لتعليم العلوم العصرية . فكثرت الكليات والجامعات والمدارس على اختلاف طبقاتها وتخرج فيها العلماء والاطباء والقضاة والاساتذة وانتشرت اللغات الافرنجية وكثر الكتاب والشعراء والمترجمون



واهم معاهد العلم هناك «جامعة بكين الامبراطورية » وهي من المدارس الاميرية تعلم فيها اللغات الانكليزية والفرنساوية والالمانية واليابانية والروسية والصينية. ويدرس فيها القضاء والرياضيات والكيمياء والفيسيولوجيا ونحوها من العلوم الطبيعية على أيدي اساتذة من الاوربيين واليابانيين . اما تعليم صغار الصينيين فيناط باساتذة وطنيين • وفي بكين كلية طبية انكليزية يتخرج فيها اطباء صينيون اسستها جمعية التبشير الطبية

سنة ١٩٠٦ باموال جمعت بالاكتتاب من الوطنيين والاجانب . وقد قررت الحكومة قبول شهادتها الطبية وعينت لها اعانة سنوية

وفي مدينة تيان تسين جنوبي بكين جامعة صينية فيها خمسة اساتذة اجانب وسبعة وطنيين . وفيها كلية انكليزية صينية ومدرسة صناعية تحت مناظرة اليابانيين . وكليات طبية ومدارس تبشيرية عديدة . وفي شان تنج جنوبي تيان تسين مدارس وكليات عديدة . وفي شيفو كلية امبراطورية وعشر مدارس عالية غير المدارس الاهلية ومدارس المبشرين والمستشفيات

وقس على ذلك مدارس سائر الولايات الصينية وهي تعدُّ بالمئات لا محل لايرادها . منها ٦٠ مدرسة اميرية في وو تشاو على نهر الصين الكبير وهي بؤرة الثورة ومجتمع الاحرار وقد حولوا كثيراً من معابدها البوذية الى مدارس . وفي شنغاي قرب مصب ذلك النهر كثير من المدارس التبشيرية الكاثوليكية والانجيلية تعلم فيها اللغات الانكليزية والفرنساوية . غير الارساليات العلمية التي ترسلها الصين الى الولايات المتحدة الاميركية كل سنة وغير المدارس الحربية . وقد نقلوا الى اللغة الصينية كثيراً من الكتب الافرنجية المفيدة وهي آخذة في الانتشار باطراف المملكة . وفي شنغاي عشر صحف صينية وفي بكين عشرون صحيفة وهكذا في غيرها . وربما بلغ عدد الصحف هناك نحو ٢٠٠ صحيفة بين يومية واسبوعية وشهرية وهي آخذة في الازدياد

٣ — ظلم الحكام

ان التعليم لا يبعث على الانقلاب السياسي ان لم يشتد ظلم الحكام المستبدين . وهذا الدستور العثماني انما تعجله مبالغة السلطان المخلوع في الظلم والعسف ولو كان اقل ظلماً والطف اسلوباً لطال مكثنا تحت ذلك النير اكثر من ذلك — والصينيون اليوم قد تفتحت عيونهم بالعلم فاصبحوا لا يصبرون على فساد الاحكام وظلم الحكام وخصوصاً لان حكامهم غرباء عنهم جنساً ونزعة — نعني طائفة المنشو وهم اسرة تترية الاصل سطت على الصين في القرن السابع عشر وحكمتها ولا يزال يتوالى عليها الامبراطورون من ابنائها . والامبراطور الحالي غلام لا يزال في السادسة من عمره اسمه «بيو يي» وهو الامبراطور العاشر من ابناء هذه الاسرة . تولى الملك بعد عمه تسان تيان الملقب كوانغ هسو سنة ١٩٠٨ وهو رضيع ولقب بلقبه . وهو ابن البرنس تشون اخي الامبراطور السابق وتحت وصايته

ما قولك بحكومة امبراطورها ابن ست سنوات وقد تمكن الفساد منها بتوالي

الاجيال وانغمس اصحابها بالمطامع . والاحكام تجري فيها بالدسائس كما يشاء نساء القصر كذلك كانت تفعل تسوهسي الامبراطورة المتسلطة في زمن الامبراطورين السابقين تساي تشون وتساي تيان وقد توفيت سنة ١٩٠٨ وينوب عنها الآن امثالها من نساء القصر اشهرهن اثنتان تعرفان في اصطلاحهم باسم « دواغر » ويراد بها الامبراطورة الارملة . فالحكومة الصينية اليوم يسيطر عليها ارملتان تقتسمان النفوذ وتشتركان في الخراب . والمملكة الصينية مؤلفة من مقاطعات لكل منها استقلال اداري وانما علاقتها بالعاصمة بكين بتقرير تقدمه كل منها ومال تدفعه كل سنة . ولا يقل استقلال هذه الولايات في ادارتها واحكامها عن الولايات المتحدة الاميركية . لكنها تمتاز عنها بخضوعها لاسرة تتوارث الملك وتستنزف ثروتها وتتمتع بخيراتها وهي اسرة المنشو . وكان الصينيون راضين بذلك في عصر الظلمة على عادة الامم في عصور جهالتهم . فلما تعلموا احسوا بقيود الاستبداد فقاموا يطلبون الحرية . ولم ينهض منهم الا الطبقة الراقية وأما العامة فلا يزالون في غاية الجهالة لايقرأون ولا يعرفون من احوال العالم شيئاً وفيهم من لم يسمع بالحرب اليابانية الصينية الى اليوم .

٣ ـ رجال العمل

ولا فائدة من التعلم وشعور الامة بالظلم او الضغط ان لم ينهض ابناؤها لطلب الحرية والغالب في هذا النهوض ان يبدأ بتأليف الجمعيات السرية وبث روح الحرية في افراد الامة وتحريضهم على مقاومة الظلم والجور كما الف العثمانيون جمعية الاتحاد والترقي . فألف الصينيون جمعيات سرية تعرف بجمعيات « الصين الفتاة » كما نقول تركيا الفتاة او مصر الفتاة . واخذوا يتذمرون ويتشاكون ويسعون سراً وانما كانوا يفتقرون الى زعيم ينهض بهم ويسدد خطواتهم فوفقوا الى رجل توفرت فيه الاسباب المساعدة على هذا المشروع العظيم نعني الدكتور سن يتسان زعيم الاحرار الصينيين

الدكتور سن يتسان

ولد سن يتسان في هونولولو نحو سنة ١٨٦٢ ولايعرف عن صباه الا القليل . جاء سنة ١٨٩٢ الى جزيرة « ماكاو » في جنوب الصين الشرقي قرب مصب نهر كانتون لممارسة صناعة الطب . وكان قد تخرج بمدرسة للطب في هونغ كونغ تعرف بكلية كانتلي وتعرّف الى صاحبها الدكتور كانتلي وعائلته وتمكنت الصداقة بينهما

وماكاو هذه من املاك البورتغال دخلت في حوزتهم منذ نيف وثلاثة قرون لكن اهلها اكثرهم من الصينيين وفيهم قليل من البورتغاليين . فلقي الدكتور سن تنشبطاً من

اصحاب المستشفى الصيني الوطني هناك على غير العادة لان الصينيين يقاومون كل متخرج في المدارس الاجنبية . على ان الحكومة البورتغالية وقفت في طريقه لان قوانينها لاتسوغ لطبيب معاطاة الطب ان لم يكن في يده دبلوما بورتغالية . فانتقل الى كانتون



الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار

وكان قد تعرف في ماكاو الى جمعية الاحرار الصينيين فوافقت مبادئهم ما يجول في خاطره من حب الحرية فانتظم في سلكها ووقف حياته لخدمة مشروعها . وذكر من الاسباب التي حملته على كره الحكومة الحالية انه شهد وهو غلامٌ مقتل اناس حكم عليهم بالاعدام ثم خاطب اهلهم فسمع منهم تذمراً من الحكومة فغرس في ذهنه كرهها من ذلك الحين . فلما انتظم في الجمعية انقطع عن كل شيء في سبيل نشر مبادئها وجعل يطوف البلاد يخطب ويحث الناس على الاتحاد لطرد اسرة المنشو حكامهم . واكبر مراكز الاحرار في الصينيين القائمين بطلب الحرية ثلاث مدن في اواسط الصين على نهر يان تسي كيانغ الذي يقطع الصين من الغرب الى الشرق اهمها مدينة ووتشانغ على الضفة اليمنى في الجنوب وهنيان على الضفة اليسرى في الشمال وهانكو وهي محطة حديدية . ويبلغ عدد سكان هذه المدن الثلاث نحو ١٢٥٠٠٠٠ نفس

وعلمت الحكومة بمساعيه فقبضت عليه وسجنته سنة ١٨٩٦ فتوسط له صديقه الدكتور كانتلي لدى اصحاب النفوذ فاخلي سبيله فعاد الى العمل متنكراً . فاخذت

الحكومة في مطاردته وهو يتنقل متنكراً باسم تاجر أو طبيب أو صانع لا يدخر وسعاً ولا يبالي بتعب ولا خطر . فالحكومة لما اعياها القبض عليه وضعت جائزة خمسين الف جنيه لمن يأتي برأسه فلم يؤثر ذلك في ثباته وبسالته . وظل يطوف بلاد الصين واليابان وينتقل الى اوربا واميركا بجأش رابط وعزم ثابت . وقد تردد مراراً لزيارة عائلة صديقه الدكتور كانتلي في لندن يقضي عندهم اياماً والحكومة الصينية تطلبه وتعلم انه في لندن فتبعث في القبض عليه فلا تجده . وكان اكثر تنكراً في تجواله باسم سائح تجاري من محل « تاديشي اكومورا وشركاهم تجار وكوموسيونجية في يوكوهاما » فيختلف الى البيوت التجارية في الصين وغيرها ويعرض على اصحابها عينات من البضائع ويعقد معهم الاتفاق على الطلبيات لا يستغشه احد منهم

وقد اجمع الذين لقوه من مكاتبي الصحف في انكلترا وغيرها ودرسوه وانتقدوا اخلاقه على انه خير كفء للعمل الذي وقف نفسه له . لانه هادىء المزاج ثابت الجنان لا يعرف غير الجد ولا يلتفت الى الخيالات والاحلام . وانما يهمه العمل ولا يتكلم الا قليلاً جداً . لا تراه الا مفكراً وقد جعل قاعدة عمله « انكار ذاته » والتفاني في انقاذ وطنه من سلطة الاجنبي . وبلغ من نفوذه عند مريديه حتى نسب بعضهم ذلك فيه الى قوة مغنطيسية يتسلط بها على مخاطبيه . ولكن الذين دققوا في درس اخلاقه نسبوا ذلك النفوذ الى دقة شعوره مع مخاطبيه وصدق تفانيه في خدمة وطنه مع استعداد الامة لقبول الدعوة

ويعد اتباعه الآن بالملايين ولا تقتصر دعوته على الادباء والكتاب أو الفقراء من الناس فان بين مريديه جماعة كبيرة من اهل الثروة وقد وقفوا اموالهم لمشروعه . وأهم من ذلك ان الجند قد انحاز اليه منه كل متعلم . فالفرق النظامية الحديثة من الجند الصيني كلها من حزبه وتقدر بنحو ثلثي الجيش الصيني . ولم يبق مع الحكومة غير الجند القديم . وقد نظم جنده نظاماً خاصا وولى عليه القواد من الاحرار وقائدهم العام اسمه الجنرال لي يوان هنغ

وقاعدة تعليمه وتبشيره ان « الصين للصينيين » وقد رسم خطة الاصلاح التي ينوي ادخالها على حكومة الصين وهي تنحصر في خلع الاسرة المالكة وتحويل الحكومة الى جمهورية تتحد فيها الولايات الصينية مثل اتحاد جمهورية الولايات الاميركية . مع تجنب بعض ما يراه من النقص في نظام هذه الجمهورية بما يلائم طبائع الصينيين

وهو الآن في التاسعة والاربعين من العمر وقد رسخت قدمه في المشروع الذي



الجنرال لي يوان هنغ قائد جند الصينيين الاحرار

قام له ولم يعد يخاف الموت . وقد قال لبعض المكاتبين « من شاء أن يربح الخمسين الف جنيه الآن فليأت ويأخذ رأسي لأني لم أعد أخاف على مشروعي فقد ثبت وتأصل واذا مت قام كثيرون مقامي »

والدكتور سن يتسان متوسط القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون شديد سواد الشعر . أقرب بملامحه الى اليابانيين منه الى الصينيين وقد تثقف بالعشرة والاسفار حتى صار مثل ارقى ابناء انكلترا تأدباً وأسلوباً . وفيه ميل كثير الى تعاليم النصرانية وقد صرح غير مرة انه يسعى في اصلاح بلاده على نحو ما شاهده في أوربا وأميركا من القواعد المبنية على تعاليم الكتاب المقدس

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثاني

كتب الينا كثيرون يستبطئون صدور الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية ملحق السنة الماضية وقد قلنا في آخر صفحة من هلال السنة المذكورة انه سيصدر في هذا الشتاء وهو لا يزال موعدنا ان شاء الله



جرجس بك حنين

ولد نحو سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٩١١

تمهيد في الاقباط وآداب اللغة العربية

لما فتح المسلمون مصر كان الاقباط يتفاهمون بالقبطية بقية لسان المصريين القدماء وأراد العرب استبقاء الحكومة على ما كانت عليه قبل الفتح فعهدوا الى الاقباط

بشؤونها الكتابية والحسابية كما كانوا قبل الفتح . وهم في ذلك الحين يعدون العرب اصدقاءهم لانهم أنقذوهم من الروم . فلما افضت الدولة الى الامويين واخذوا في تعريب رعاياهم نقلوا الدواوين الى اللغة العربية وفي جملتها ديوان مصر فخسر الاقباط كثيراً من مناصب الدولة . ثم تعلموا العربية وعادوا الى خدمتها في الدولة العباسية ولم يمض زمن حتى صاروا يعدون عرباً كما يعد السوريون وغيرهم من سكان البلاد المعربة — وقد سموا عرباً لتفاهمهم بالعربية . فاخذ الاقباط يعودون الى خدمة الحكومة رويداً رويداً وصارت اليهم جباية الخراج في الدولة الطولونية وكانت قبل ذلك للعرب . فزاد دخولهم في شؤون الدولة وتعاظم نفوذهم ولاسيما في الخلافة الفاطمية . فتولوا أعظم مناصبها وكان لهم النفوذ الاكبر فيها . واشتهر منهم جماعة في السياسة والادارة ونالوا القاب الدولة وثقة الخلفاء وكثر فيهم المتمولون وارباب الفنون والصنائع . فشغلهم ذلك عن العلم والادب ولم يشتغل منهم في آداب اللغة العربية الا قليلون . وانما نبغ العلماء والكتاب منهم في الدولة الايوبية (سنة ٥٦٢ — ٦٤٨ هـ) لان الايوبيين نشطوا آداب اللغة وقربوا اهلها . ومن اشهر العلماء في ذلك العصر وما يليه اولاد العسال ولهم مؤلفات في العربية طبع بعضها وهي تدل على سعة علمهم . وجرجس بن العميد ويعرف بابن المكين كاتب الجيش كان عالماً بالتاريخ والجغرافية والفلك والمنطق ويحسن اللغات العربية والقبطية واليونانية وله تاريخ مطبوع ومشهور . وبطرس أبو شاكر الراهب صاحب كتاب الشفاء وغيرهم

فلما صارت الدولة الى السلاطين المماليك عاد الضغط الى الاقباط فشغلهم عن العلم وان لم يشغلهم عن السياسة والادارة . حتى اذا أفضت الامور الى الاسرة المحمدية العلوية وأطلق سراح المواهب والقرائح باستتباب الامن وتوجيه الهمم الى آداب اللغة العربية على الخصوص كان للاقباط حظ من تلك النهضة . ثم تواردت الارساليات المسيحية الى مصر كما تواردت الى سواها من الشرق وانشأت المدارس للتعليم على النمط الحديث . فكان الاقباط أسبق العناصر المصرية اليها لاشتراكهم معها في الدين فآل ذلك الى تمكنهم من اللغات الافرنجية والاخذ بالعلوم الحديثة فانشأوا الصحف ونبغ منهم المؤلفون . واقدمهم في القرن الماضي المعلم الياس بقطر صاحب المعجم العربي والفرنساوي ويعقوب بك نخله صاحب تاريخ الامة القبطية ورفله جرجس مؤلف كتاب الاقتصاد السياسي واقلاديوس بك لبيب العالم في اللغة القبطية وصاحب معجمها القبطي العربي وشاروبيم بك صاحب تاريخ مصر القديم والحديث وغيرهم

وحدثت في اوائل هذا القرن نهضة علمية أخرى في الامة القبطية ونبغت فيها طبقة اخرى من كتاب الصحافة واصحاب الجرائد والمجلات والمؤلفين ليس هنا محل الكلام عنهم . وانما نحن في معرض الكلام عن نابغة من نوابغ الاقباط اضاف الى آداب اللغة العربية آثاراً تزداد قيمتها مع الزمن نعني جرجس بك حنين

ترجمته

هو ابن حنين عبد السيد كبير عائلة البغيل من اقدم بيوت الاقباط في مديرية الفيوم . ولد في مدينة الفيوم وتثقف في مدرسة الاميركان هناك . فتلقى فيها اللغتين العربية والانكليزية وتمرس بما اشتهرت به مدارس الاميركان في بلادنا من تربية الاخلاق على استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في القول والثبات في العمل . وهي المناقب التي عرف بها صاحب الترجمة في ما تعاطاه من الاعمال

ولما خرج من المدرسة دخل في خدمة الحكومة المصرية على عادة المتعلمين من الشبان — ولا يزالون الى الان يفضلون تلك الخدمة على كل عمل سواها . وتدرج صاحب الترجمة في مناصب الحكومة من كاتب صغير في تفتيش الدائرة السنية الى باشكاتب فرئيس قلم فاحد مديري الاموال المقررة بنظارة المالية . ونال الرتب والالقاب والاوسمة . ولا غرابة في ذلك لان الموظف يسير فيه على خطة مرسومة يمشي عليها المجتهدون المواظبون الاذكياء . فليس هذا الذي بعثنا على ترجمته في الهلال وفي خدمة الحكومة كثيرون نالوا امثال هذا المنصب وأعلى منه وامتلأت صدورهم بالاوسمة وقرنت اسماؤهم بالالقاب ولم نترجمهم لاننا لا نرى في ترجمتهم فائدة للقراء او لانهم لم يخلفوا آثاراً تستحق الذكر

واما جرجس حنين فانما ترجمناه لما تفرد به من الخلال التي يصح ان تكون قدوة لطلاب العمل واتى اعمالاً مفيدة في المناصب التي تولاها وخلف آثاراً علمية ادبية

صفاته واخلاقه

كان رحمه الله طويل القامة مهيب الطلعة قوي البنية وقوراً محترماً واهم اخلاقه :

١ — الثبات وعلو الهمة : كان رحمه الله مثالاً في المواظبة على العمل والثبات في تحصيل ما يريده . فلم يضيع اوقات الفراغ في القهوات واماكن اللهو كما يضيعها اكثر الموظفين . وانما كان همه التوسع في معارفه ليستطيع الارتقاء في منصبه . وقد خرج من مدرسة الفيوم ولم يتم علمه في العربية والانكليزية وهما سلم الارتقاء فاخذ في

اتقان درسهما . وعكف على درس اللغة الفرنساوية وهو في الخامسة والثلاثين من عمره . ولم يتقن الخط في المدرسة ــ وحسن الخط من اسباب التقدم في الخدمة ــ ولم يكن ثمة دفاتر مطبوعة لتعليم الخط فانتزع صفحة من التوراة وجعل يقلد خطها ويمارس ذلك حتى اصبح خطه من اجمل الخطوط . وكان اذا اخذ في عمل اندفع اليه بكليته حتى يتمه . وفيه ميل شديد الى اتقان ما يعمله والتعمق في ما يبحث فيه حتى يجيده

٢ــ الاعتدال والاخلاص : وكان معتدل المزاج واسع الصدر مخلص الطوية صادق العزيمة عفيف الذيل مع دعة ولطف . وساعده ذلك على اكتساب ثقة رؤسائه وحب اصدقائه ورجوع معارفه الى توسيطه في فض ما بينهم من الاختلافات العائلية او غيرها . وكان يسمع الشكوى من الجانبين ويفصل بما يراه فيرضى الخصمان بحكمه

اعماله في الحكومة

ان اعمال موظفي الحكومة قد تكون كثيرة هامة ولا تظهر اهميتها للناقد الا اذا اعمل الفكرة في ما يترتب على تلك الاعمال من الخدمة العامة لحفظ النظام وصيانة الحقوق وما يقتضي للوصول الى تلك النتيجة من الجهد والتفكير . ولذلك فلا نظن القراء يقدرون اعمال المترجم في مصالح الحكومة حق قدرها

ذكرنا من سجايا الفقيد ثباته في عمله وميله الى اجادة ما يأخذ به من الاعمال . فهذه السجية تستوجب اصلاحات كثيرة ادخلها في المناصب التي تولاها — ونظام الحكومة يومئذ اكثر حاجة الى الاصلاح ولا سيما في المديريات . فقد ذكروا له اصلاحات كثيرة أدخلها في مديرية الجيزة وهو رئيس كتابها من سنة ١٨٨٥ وكذلك في مديرية بني سويف وغيرها . ولكن أهم اعماله ظهرت في الاموال المقررة بنظارة المالية فقد اشتغل فيها بضع عشرة سنة لا يفتر عن التفكير والتدبير فكان يجول في المديريات يفتش ويدقق. فاذا عاد الى القاهرة قضى اياماً وهو يدون ما لاحظه أو رآه مما يوجب الاصلاح . وقد وثق به رؤساؤه والقوا اتكالهم عليه. فلم يصدر في ايامه قانون أو لائحة او امر عال او منشور من نظارة المالية الا وله يدٌ في وضعه او تنقيحه

ومن مشروعاته من هذا القبيل انه قضى اشهراً يشتغل في مديرية الجيزة لدرس مسألة النخيل وتعداده فلما عاد وضع الطريقة اللازمة وهي المتبعة حتى الان . وادخل اصلاحاً هاماً في طرق المساحة ووضع قواعد خاصة لمساحة الزمام وتعديل الضرائب ولائحة للتفتيش يرجع اليها المفتشون اليوم . وتقريراً في شأن اصلاح تفتيش الوادي

وله كثير من التقارير واللوائح والمنشورات لا محل لذكرها . ووضع قبيل وفاته تقريراً في نظام الخفراء

اعماله الطائفية

كان لوجاهته وغيرته كثير الاشتغال بالمسائل الطائفية وهي كثيرة وهامة لان الاقباط في نهضة اجتماعية ادبية تقتضي تعديلاً في القوانين الكنائسية وانشاء المجالس الملية . وقد كان من اكبر المجاهدين في سبيل اصلاح تلك الشؤون . وكتب تقريراً رفعه سنة ١٨٩٩ الى البطريرك بين فيه الاصلاح اللازم . فلما تشكل المجلس الملي سنة ١٩٠٥ كان الفقيد من اهم اعضائه العاملين ونال اكثرية كبرى . واخذ في العمل بنشاط وهمة وتعقل فوضع تقريراً عن اوقاف الاقباط — وهي نقطة الخلاف بين البطركخانة والطائفة استغرق مئة وخمسين صفحة قضى في كتابتها ثمانية اشهر وهو يطوف شوارع القاهرة وازقتها للبحث بنفسه عن تلك الاوقاف لانها كانت مبعثرة فاحصاها وقاسها وقدر اثمانها وريعها واقترح ما رآه صالحاً . واشترك في وضع لائحة رسوم الاحوال الشخصية واللائحة الداخلية لادارة البطركخانة

آثاره الادبية

كان رحمه مع اشتغاله في المصالح الاميرية والطائفية يجد فراغاً من الوقت للمطالعة والدرس في المواضيع العامة فقرأ اهم كتب الادب والدواوين الشعرية والتواريخ واقتنى مكتبة نفيسة . وكان يحب مجالسة اهل الادب ويباحثهم ويستحثهم على التأليف والكتابة وكان هو نفسه يشتغل في التأليف فخلف آثاراً ادبية هامة هي اهم آثاره بالنظر الى جمهور القراء لانها تمس حاجاتهم . اهمها :

١ — كتاب الاطيان والضرائب : وهو كتاب جليل في ٧٦٠ صفحة كبيرة ضمنه اختبار عشرات من السنين ودرس سنين كثيرة ومراجعة مئات من اللوائح والمناشير والاوامر العالية فضلاً عن كتب التاريخ وغيرها . فجاء كتاباً وافياً لم يوفق احد الى مثله في موضوعه . فصدره بتمهيد جغرافي تاريخي ضمنه تاريخ التقسيم الاداري في القطر المصري وجداول اطيان المديريات ومالكيها ومقاديرها وتاريخ جباية مصر ونظام الحكومة وكيف تدرج حتى وصل الى ما وصل اليه الآن مفصلاً كل فرع على حدة واختصاصات كل قسم منها . وتوسع في تاريخ نظارة المالية وأقسامها وما صدر بشأن ذلك من الاوامر العالية الى الامر العالي الصادر سنة ١٩٠٤ بشأن الاتفاق الانكليزي الفرنساوي الجديد . وانتقل بعد هذه المقدمات الى البحث في الضرائب

العقارية فتكلم اولاً في ايرادات الحكومة اجمالاً ووحدة النقود والتاريخ الرسمي . ثم في فك الزمام العمومي أو التاريع فذكر تاريخه وما يتعلق به ومنافع الاراضي وما يتعلق بها من الزراعة وغيرها . واتى على تاريخ الخراج بوجه عام وفصل بين الاطيان الخراجية والعشورية وتاريخ كل منهما والفرق بينهما . ثم بين تسديدات الضرائب وتاريخها وشروطها وقوانينها والاوامر الصادرة بشأنها وانواع المرفوعات المقررة والاجراآت الادارية المتبعة في اخذ الاطيان . وبحث في ابطال زراعة الدخان والتنباك والحشيش البلدي ثم تكلم في عشور الخيل وعوائد المباني بالمدن وعوائد طواحين المدير . وختم الكتاب بفصول في الضرائب الغير العقارية كالجمارك والمصائد والملح وغيرها . والحقه بفرس ابجدي غير فهرس المواضع

٢ — قوانين الاموال المقررة : وهو يشتمل على ما يتعلق بالاموال المقررة من القوانين واللوائح اتمه سنة ١٩٠٩ واصدرته نظارة المالية في نحو ٨٥٠ صفحة مع مقدمة لصاحب العطوفة حشمت باشا ناظر المعارف العمومية اشار فيها الى ما بذله الفقيد من الهمة في تأليف هذا الكتاب واثنى عليه الثناء الجزيل

مضار التدخين

﴿ مصر ﴾ الشيخ اسماعيل سيد احمد بالشرابية

ما هو الضرر الذي ينتج من تدخين التبغ من الوجهة الطبية

﴿ الهلال ﴾ قال الدكتور شميل «يؤثر دخان التبغ في المدخنين في ثلاثة اعضاء رئيسية وهي القلب والرئتان والمعدة . وهذه الاعضاء الثلاثة يحييها عصب واحد هو العصب الرئوي المعدي ولذلك كان بين هذه الاعضاء الثلاثة اشتراك عظيم بحيث ان علل الواحد تؤثر في وظيفة العضوين الآخرين تأثيراً واضحاً . وقد يكون التأثير الثاني أهم من الاول واظهر للعريض فكثيراً ما يكون بالانسان خفقان في قلبه أو ضيق في تنفسه وتكون العلة الاصلية في المعدة ولا يبرأ الخفقان أو ضيق التنفس الا بمداواة علة المعدة وبرئها لما تقدم ذكره من اشتراك هذه الاعضاء في عصب واحد

« ودخان التبغ يحدث في المدخنين وخصوصاً الذين يبلعون الدخان والمدمنين استعماله نوع خدر في العصب الرئوي المعدي فيؤثر ذلك في القلب ويظهر تأثيره فيه بسرعة ضرباته التي قد تبلغ ١٠٠ و١٢٠ ضربة في الدقيقة ومع هذه السرعة تضعف



البرنس ضياء الدين افندي

نجل جلالة السلطان محمد الخامس

مرافقة تاريخية

ابصرت مصر في ٢١ نوفمبر الماضي ما لا يتفق مثله الا نادراً — ابصرت سمو البرنس ضياء الدين افندي نجل جلالة السلطان محمد الخامس قادماً من الاستانة لملاقاة جلالة ملك الانكليز جورج الخامس ببور سعيد وهو في طريقه الى الهند . فوصل سموه الى الاسكندرية في ٢٠ نوفمبر فلاقاه سمو الخديوي بما لاق من الاحتفاء وسافر

معاً الى بور سعيد براً حيث لاقتهما « المحروسة » هناك فنزلا اليها واجريت المقابلات الرسمية . فاطلقت المدافع في صباح ٢١ نوفمبر من بورسعيد ترحيباً بجلالة ملك الانكليز ورفعت باخرته « مدينة » اعلامها رداً للتحية ورفعت المحروسة الاعلام مثلها وضربت الموسيقى السلام الخديوي

وفي الساعة العاشرة والربع ركب سمو الخديوي وسمو البرنس ضياء الدين افندي ودولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب الخديوي وسعادة سعيد ذو الفقار باشا سر تشريفاتي وسعادة رمزي طاهر باشا الياور الخديوي وعطوفة اسماعيل جناني بك ناظر التشريفات بالباب العالي وسعادة احمد بك ياور البرنس وسعادة مصطفى بك سكرتير البرنس . ركبوا جميعاً وهم لابسون ملابس التشريفة الكبرى الزورق الخديوي وركب عطوفة محمد سعيد باشا رئيس النظار وسعادة حسين رشدي باشا ناظر الخارجية زورقاً آخر وساروا نحو الباخرة « مدينة » . فوصل الزورق الذي يقل سمو الجناب العالي ومن معه الى الباخرة وجلالة الملك جورج الخامس على رأس السلم لاستقبال زائريه فسلم على الجناب العالي فقدم لجلالته سمو ضياء الدين افندي . وتقدم الامير محمد علي باشا فسلم على الملك . ثم صعد الاربعة الى حيث كانت الجنود مصطفة فاستعرضوها وفي أثناء الاستعراض صدحت الموسيقى بالسلام الخديوي والسلام السلطاني

ثم نزل الاربعة الى قاعة الاستقبال حيث كانت جلالة الملكة واقفة وحولها حاشيتها وسيدات الشرف . ودخل رجال حاشية الجناب العالي وبقية اعضاء الوفد السلطاني ثم بدأ الجناب العالي فرحب بجلالة الملكة وقدم لها سمو ضياء الدين افندي . وتقدم دولة الامير محمد علي باشا وسلم عليها واخرج ضياء الدين افندي ورقة وتلا خطاباً هذا نصه :

خطبة البرنس لملك انكلترا

« اني سعيد بنوع خاص لتشرفي بان اسلم لجلالتكم الخطاب الذي اراد صاحب العظمة والدي ان يشرح فيه لجلالتكم ولجلالة الملكة بمناسبة مروركم من البحر الاحمر قاصدين الهند عواطف الصداقة الخالصة التي يضمرها لشخص جلالتكم وشخص جلالة الملكة . ومما يجعلني اكثر سعادة ان العلائق الموجودة بين المملكة القوية وشعبها الانجليزي النبيل من جانب والمملكة والشعب العثماني من جانب آخر كانت في كل وقت مطبوعة بطابع المحبة الخالصة . واني سأؤكد من صميم قلبي لجلالتكم نفس عواطف الصداقة الودية التي يشرحها صاحب العظمة والدي في خطابه . ثم اقدم لجلالتكم

وجلالة الملكة اماني الخالصة في تمتعكم بالصحة والسعادة ودوام عظمة انجلترا . اقدم لجلالتكم اماني هذه وارجو ان تتفضلوا بقبول ما اتمناه لجلالتكم ايضاً من السفر السعيد »

تلا هذا الخطاب باللغة التركية وتقدم جناني بك وتلا ترجمته باللغة الفرنساوية . وقدم البرنس الى جلالة الملك خطاب والده محمد الخامس وهذا نصه :

خطاب جلالة السلطان لجلالة ملك انكلترا

«انتهزت سفر جلالتكم السعيد الى الهند وارسلت خصيصاً ولدي المحبوب صاحب السمو الملكي ضياء الدين افندي وكلفته ان يبلغ سلامي الى جلالتكم حين مروركم من البحر الاحمر وان يعبر لجلالتكم عن صداقتي الخالصة . واني اؤكد لجلالتكم الاماني المتينة التي اتمناها لصحتكم ولطول بقائكم الثمين ثم لعظمة وسعادة انجلترا . وارجو من جلالتكم ان تعتقدوا كل ما كلفت به ولدي بان يقوله لجلالتكم عن رغبتي التامة في بقاء وتقوية العلائق الودية لمملكتينا . وكذلك عن شدة عواطفي واخلاصها نحو شخص جلالتكم المعظم وشخص جلالة الملكة »

ثم خطب جلالة الملك باللغة الانجليزية رداً على خطبة سمو البرنس فترجم الجناب العالي لسمو البرنس خطبة جلالة الملك باللغة التركية — وهذا نص خطبته :

خطبة جلالة الملك رداً على خطبة سمو البرنس

« باستلامي الكتاب الذي اودعك اياه صاحب الجلالة الملوكانيــة اريد ان أؤكد لك تقديري العظيم للعواطف الراقية التي جعلت والدك العظيم ينيبك عنه للترحيب بي في شخصه بمجرد وصولي الى هنا وانا في طريقي الى الهند . واشكرك على العواطف الجميلة نحو الملكة وشخصي الذي تفضلت انت للتعبير عنها . وانه لمن اعظم آمالي ان العلاقات الموجودة الآن بين البلادين تستمر الى ما شاء الله »

ثم قدم جلالة الملك الى البرنس جوابه على خطاب جلالة السلطان وكان قد اعده قبلاً . ثم قدم الجناب العالي رجال حاشيته لجلالة الملك والملكة . وقدم جلالة الملك رجال حاشيتـه لسمو الخديوي ولسمو البرنس ضياء الدين افندي . ثم اراد الجناب العالي ومن معه الاياب فرافقه جلالة الملك مودعاً الى آخر السلم ولم تستغرق هـذه الزيارة اكثر من ٢٠ دقيقة . ثم جاء عطوفة رئيس النظار وناظر الخارجية والمستشار المالي ومستشار الداخلية وقد قدمهم للملك جناب اللورد كتشنر نخاطب جلالته كلاً

منهم مرحباً . ثم دعاهم الى تناول طعام الغداء على مائدته . وبعد نحو ١٠ دقائق ودعوا وخرجوا من حضرته . وعاد عطوفة رئيس النظار وسعادة ناظر الخارجية الى المحروسة . وبعد ذلك جاء صاحب الفخامة كامل باشا الصدر الاعظم الاسبق وقابل جلالة الملك ولبث في حضرته نحو ١٠ دقائق

رد الزيارة

وفي الساعة ١١ ونصف جاء جلالة الملك الى « المحروسة » ليرد الزيارة فاستقبله على رأس السلم سمو الجناب العالي وسمو البرنس ضياء الدين افندي وعلى يمينهما عطوفة رئيس النظار وسعادة وزير الخارجية وعلى شمالهما عطوفة اسماعيل جناني بك ناظر التشريفات السلطانية وسعادة ونجت باشا سردار الجيش المصري . ولما صعد الملك سلم على الجناب العالي وسمو البرنس مصافحة . ثم صعد هو والجناب العالي وسمو البرنس حيث استعرضوا الجنود نحو ١٠ دقائق . فسلم الملك سلام التوديع وصدحت الموسيقى بالسلام الملوكي . ثم نزل الملك يرافقه الجناب العالي واللورد كتشنر الى الزورق فركبوه الى الباخرة . وبعدما اوصل الجناب العالي الخديوي جلالة الملك الى الباخرة (مدينة) عاد الى المحروسة وعند الساعة الواحدة الا ربع توجه سموه وصاحب النجابة البرنس ضياء الدين افندي وبقية اعضاء الوفد وصاحب العطوفه رئيس النظار وسعادة ناظر الخارجية المصرية الى الباخرة (مدينة) لحضور مأدبة الغداء

وفي الساعة ٥ بعد الظهر نزل الجناب العالي الخديوي المدينة وعلى يساره صاحب العطوفة محمد سعيد باشا رئيس النظار . واخترق بموكبه شوارع المدينة الى دار المحافظة وهناك اجريت التشريفات

وفي الساعة ١١ ليلاً سافر سموه الى القاهرة ومعه البرنس ضياء افندي وبقية الوفد السلطاني وصاحب العطوفة رئيس النظار ورجال المعية . فوصلوا القاهرة في صباح الاربعاء ٢٢ نوفمبر وقد اقترح سمو البرنس ان تكون زيارته بلا احتفال

واهدى جلالة ملك الانجليز وسام فيكتوريا من الطبقة الاولى الى سمو البرنس ضياء الدين افندي قلده اياه اللورد كتشنر في القاهرة بالنيابة عن جلالة الملك . وقضى سمو البرنس ثلاثة ايام في القاهرة بضيافة سمو الخديوي ثم عاد الى عاصمة السلطنة في ٢٥ نوفمبر الماضي رافقته السلامة في السفر والاقامة

عتاب واستصراخ

من قصيدة لخليل افندي المطران

في سبيل حرب الايطاليان

صدقت في عتبكم او يصدق الشممُ ... لا المجد دعوى ولا آياته كلمُ
يا أمتي حسبنا بالله سخرية ... منا وبما تقاضى اهلها الذمم
هل مثل ما نتباكى عندنا حزنٌ ... وهل كما نتشاكى عندنا ألم
ان كان من نجدة فينا تفجعنا ... فليكفنا ذلنا وليشفنا السقم
تمتعوا وتملوا ما يطيب لكم ... ولا تزعكم محاظيرٌ ولا حرم
او اعلموا مرة في الدهر صالحة ... علماً تؤيده الافعالُ والهمم
باي جهل غدونا أمةً هملاً ... وأي عقل تولت رعينا الامم
لا تنكروا عذلي هذا فمعذرتي ... جرحٌ بقلبي دام ليس يلتئم
نحن الذين ابحنا الراصدين لنا ... حمى به كانت العقبان تعتصم
لو لا تغافلنا لو لا تخاذلنا ... لو لا تواكلنا تالله ما اقتحموا
لم ابغ من ذكرها ان تيأسوا جزعاً ... خيرٌ من اليأس ان يستقدم العدم
يأس الجماعات داء ان تملكها ... فهو التحلل يتلوه الردى العمم
لا تقنطوا كره الله الأولى قنطوا ... اليوم يعتزم الابرار فاعتزموا
اليوم ان تبخلوا اعماركم سفهٌ ... والجاه فقر ومقصوراتكم رجم
اني لاسمع من حزب الحياة بكم ... (نصراً لامتنا سحقاً لمن ظلموا)
نعمْ لتنصر على الباغين امتنا ... لا بالدعاء ولكن نصرها بكم
ان نبغ اعلاءها لا شيء يخفضها ... فهل نموت وفيها هذه النسم
الشعب يحيي بأن يفدى ومطعمهُ ... مال البنين مزكى والشراب دمُ
عودوا الى سير التاريخ لا تجدوا ... شعباً قضى غير من ضلوا الهدى وعموا
لا شعب يقوى على شعب فيهلكه ... فان تر القوم صرعى فالجناة هم
عاذت بابائها الماضين دولتنا ... من أن يلمّ بها في عهدنا يتم
فاحموا حماها ولا تهتك ستائرها ... عن منجبات العلى يستحيها العقم
واحرّ قاباه من حرب شهدتُ بها ... سطو الثعالب لما اقفر الاجم
هانت علينا وان جلت مصيبتها ... لو ان خطاب ذاك الفخر غيرهم

اي طيف عثمان لم يبرح بهيبته … حياً على انه بالذكر مرتسم
انى تخطى حدوداً انت حارسها … جفلى الطلايين لم يخشوا ولم يجموا
لو رعت يا طيف من غيب مسامعهم … بزأرة حين جدَّ الجدُّ لانهزموا
ظنوا بملكك من طول المدى هرماً … سيعرفون فتىً لا يعرف الهرم
خذوا حقيقة ما شبهتموه لكم … مما تخبره القيعان والقمم
هل في جزائركم أم في مدائنكم … ما لم تطأه له من سالفٍ قدم
خلتم طرابلس الغنم المباح لكم … وشرٌّ ما قتل الخداع ما غنموا
هناك يلقى سراياكم وان نفلت … احلاس حرب خفاف في الوغى هضم
لله هيبتهم لله غارتهم … تحت الرصاص وفي اسماعهم صمم
هم السحائب الا انها أسدٌ … هم الكتائب الا انها رخم
يغشون بكر الروابي وهي ناهدةٌ … فتكتسيهم على عريٍ وتحتشم
وربما طرقوا الطود الوقور ضحى … فهو الخليع يصابيهم ويغتلم
وربَّ وادٍ تواروا فيه ليلهم … خاطهم بجناحيه وقد جثموا
اتنظرون بني الطليان معجزهم … وتذكرون الذي انساكم القدم
جند من الجن مهما اجهدوا نشطوا … كأنما الضيم بالاعداء دونهم
مهما تشنعت الحرب الضروس لهم … أعارها ملمحاً للحسن حسنهم
والارض راقصة والريح عازفة … والجند يمرح والاخطار تبتسم
مغلبين ولا دعوى ولا صلفٌ … معذبين ولا شكوى ولا سأم
الجوع قُبح من كفرٍ وان ولدت … منه اعاجيبها الغارات والقحم
يا رب عفوك حتى الماء يعوزهم … فمر تجدهم بنقع الغلة الديم
لكن اراهم وفي ارواحهم علل … مما تواعدها الثارات والنقم
كونوا ملائك لا جوعٌ ولا ظمأٌ … وليغلبنَّ نظامَ الخلق صبركم
أليس منكم اوان الكر كل فتى … يصول ما شاء في الدنيا ويحتكم
يقول للعلم الخفّاق في يده … فيء من الارض ما تختارُ يا علم
وكل آب بقاء ان اباه له … عزٌّ لدولته او مطمعٌ سنم
الموت ما لم يكن عقبى مجاهدة … نوم تبالد حتى ما به حلم
بعض الثرى فيه آمال يحس لها … ركز ونبض وفي بعض الثرى رمم
أرعد حديد وابرق في كتائبنا … واغلظ ورقّ كما يبغيك بطشهم

ابصق دخاناً بوجه المعتدي ولظىً اذا التفتَّ تحاذيه وفيك فم
او التمعْ في نصالٍ لا عداد لها خطافة تتغنى وهي تقتسم

ليبرز العلم من تلك الصفوف لنا علام يمكث فيها وهو ملتثم
انا عرفناك انت اليوم قائدهم وكل آياتك الكبرى لهم خدم
هل جئت تبترنا ام جئت تزجرنا من حيث توقظنا الاوجاع والغمم

تالله لو طار فوق النسر طائرهم وذللت لهم الابحارَ فلكهم
وسخرت كل آيات الفناء لهم حتى الجوارف والارياح والرجم
لن يملكوا نفس حرٍّ في طرابلس ولن يضيموا سوى الاشلاء ان حكموا

يا ايها الوطن الداعي لنجدته لبتك مصرُ ولبى القدس والحرم
ما كان خطب ليدهانا ويبكينا كما دهانا وابكى خطبك العرم
لقد شعرنا بما نالت جهالتنا منا وبالغ في تأديبنا الندم
اثر بما شئت تكفيراً لزلتنا يشفع لنا عندك الاخلاص والكرم
اموالنا لك وقفٌ والنفوس فدىً وعش ولا عاش في نعماك متهم

خليل المطران



الايطاليان عند بوميلانه بعد انكسارهم

صحة العائلة

واجبات الحامل

اعلمي يا ام ولد الجيل القادم ان الواجبات التي القيت عليك وانت حامل لا يستخف بها . هي مقدمة على سواها وجديرة باهتمامك وعنايتك بقدر مالك من الهمة والعناية ولا يخطر ببالك ان زهرة الحقل تنبت في بطن الوادي عفواً فالطبيعة كانت لها اماً اعتنت بها اياماً حتى ابرزتها بحلة جميلة تروق الناظرين

وكم يعاني المزارع من المشاق في حرث ارضه واعدادها صالحة للبذرة انه يلقيها في جوفها اشهراً يراقب نموها ويقاتل الطوارق اذا حالت دون خصبها الى ان يجيء اليوم الذي به يحصد ما زرعه وعلى وجهه علائم البشر والفلاح

ولكن لنا في الطير قدوة نقتدي به وعلم نعلم قواعده كيف ان هذا الحي الصغير او الكبير منه يحرس بيوضه مثل حرسه فراخه ويدافع عنها بجبانه . شاهدت في الصيف الماضي افعى تنسل على جذع تينة مدفوعة بحاسة الفطرة الى عش عصفور يستهان ببطشه . ولما اقتربت منه كانت ربة البيت رابضة على بابه ودافعت عن فراخها حتى قضي عليها . فذهبت فريسة محبتها بالذود عن ثمرة جهادها في هذه الحياة

وعلم الحياة الذي منه نستقي هذه المعرفة ارقى العلوم وانفسها للانسان وهو يدلنا على اهمية وظيفة التناسل في المرأة ولا سيما في طوري الحمل والولادة ويرشدنا الى التغييرات الرئيسية التي تحدث فيها والمخاوف التي تحوم حول عرش هيكلها اللطيف وينبئنا احياناً بما ينتج عن اهمال هذه الواجبات من العواقب الوخيمة على الام وجنينها أو على احدهما

واهم هذه الواجبات واولها : الرياضة . لا احالك تجهلين ما للرياضة الجسدية من الفوائد العديدة فهي تساعد الاعضاء الرئيسية على اتمام وظيفتها بنشاط من هضم الطعام وامتصاص الغذاء وافراز الفضلات القاتلة . والرياضة انواع لا حاجة الى تعدادها ولا اشير عليك وانت بعيدة عن طبيب يرشدك الى ما هو انفع منها لك بغير المشي

وهو نوع من الرياضة لطيف مفيد يلائم الحامل مهما اختلفت احوالها . ولا سيما في الطور الاخير من اطوار الحمل . الا اذا كانت الحامل معرضة للاسقاط فحتى هذا يكون سبباً لكدرها . ويصعب على الطبيب ان يعين مقداراً محدوداً من الرياضة لكل حامل ما لم يشاهدها ويفحص قواها ليكون اميناً واثقاً ان اشارته لها من النوع ومقدار الزمن الذي يجب ان تقضيه في تلك الرياضة ما يوافق مزاجها واحوالها . أما الآن فنشترط عليك الوقاية والاعتدال ليس بالمشي فقط بل بكل حركة تأتينها توجب اجهاد القوى الى درجة الانهاك . فاحذري من الافراط ولا تقربي من التفريط باعمالك الضرورية التي لا مندوحة لك عنها . واياك والاستسلام الى عواطفك ولا سيما في اثناء الدواعي الشديدة القاهرة فتجنين بذلك على نفسك ذنباً وعلى الجنين الذي تسقينه دمك سقماً اكيداً . بل حكمي العقل بخطواتك دائماً وهو يقودك الى ما يعود عليك بالفائدة المرغوبة الى الشاطئ الامين حيث يقطف العالم اثمارك وتجدين مسرة بعين الحياة حواليك

واذا تعذر عليك يوماً الخروج من البيت فدلك الجسم دلكاً لطيفاً يعوض عليك فائدة المشي والسفر بالعربة . أما الركوب على الخيل لاماكن بعيدة فغير مسموح به وخصوصاً في الاشهر الاخيرة

ثانياً : يجب ان يكون طعامك كافياً مغذياً سهل الهضم . والمقبلات او المشروبات الروحية ممنوعة وكذلك القهوة والشاي . وفي الشهرين الثامن والاخير اجعلي مواقيت اكلك اكثر من ثلاث مرات بالنهار وانهضي عن المائدة قبل الشبع . ويحسن بمن تعسرت ولادتها الاولى لنمو الجنين اكثر من العادة المنتظرة ان تقلل من اكل الحبوب كالارز والعدس والحمص والبطاطس وخصوصاً في المدة الاخيرة

ثالثاً : لا بدَّ من الذهاب الى بيت الخلاء مرة كل يوم وان كنتِ لا تشعرين بالحاجة الى ذلك . واذا حصل قبض شديد اقتصري على اللبن (الحليب) او اكثري منه مع تلطيف الطعام . او اشربي كأساً من الماء المعدني (فيشى) واذا لم تنجح هذه الوسائل استشيري الطبيب واذا حضر لا يبقى للغائب مجالٌ للكلام . انما احذرك من المسهلات القوية فكثيراً ما سمعنا بالاسقاط بسببها

رابعاً : الثياب . وهنا المصيبة الكبرى لان الموضة التي يوصي بها الطبيب تعاكسها باريز وكل زي غير باريزي غير جميل . ولكن هذه الظروف تقضي علينا بترك باريز جانباً والتمسك بما هو افضل . ان انسب ثوب اوافق الحامل على لبسه هو الذي يزيد

محيطه على محيط خصرها نصف متر على الاقل . ولا انكر على بعض الحوامل اللواتي تكررت ولادتهن وضع رباط حول وسطها اذا شعرت برخاء شديد في عضلات جوفها بل هو واجب

خامساً : يجب عليك ان تنامي وحدك ولو ادى ذلك الى بكاء طفلك او تكدير خاطر زوجك

سادساً : من الشهر السادس فصاعداً الفت عنايتك الى وجوب غسل حلمة الثدين بمحلول البورق صباحاً ومساء — وهو مركب من فنجان ماء فاتر وفنجان اسبرتو وملعقة كبيرة من البورق والمسح بقطنة مرتين في اليوم . فيمتنع التصلب الذي يحدث بالحلمة عقب الولادة . وخلاصة نصائحي :

(١) البشاشة تلازم محياك (٢) الرياضة كالمشي باعتدال (٣) عدم الاستسلام للعواطف وتجنب كل ما يدعو للكدر (٤) اذهبي الى بيت الراحة مرة بالنهار (٥) من الشهر السادس فصاعداً داومي غسل حلمة الثدي مرتين بالمزيج الذي ذكرته (٦) امسحي جسمك بالماء والسبيرتو مرة بالنهار

واستدعي الطبيب اذا شعرت بالعوارض الآتية : ١ اذا قل مقدار البول كثيراً ٢ اذا شعرت بصداع مزعج ٣ اذا شعرت بغشاوة على عينيك ٤ اذا لحظت ورماً بوجهك او برجليك ٥ اذا لازمك الامساك مدة

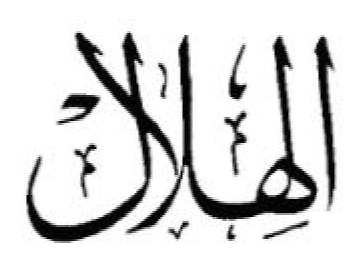
وآخر وصيتي « البشاشة تلازم محياك »

(مصر) الدكتور اندراوس شخاشيري

تاريخ آداب اللغة العربية

تعليمه في المدارس

قررت بعض المدارس الكبرى بمصر والشام تعليم كتابنا تاريخ آداب اللغة العربية لصفوف العليا فيها ولكن بعض الاساتذة الافاضل كتبوا الينا ان كبر الكتاب قد يحول دون تدريسه لانه سيدخل في ثلاثة مجلدات كبيرة . وسألونا اذا كان في العزم نشر طبعة مدرسية منه . فنجيب حضراتهم اننا عازمون بعد الفراغ من تأليفه ونشره ان نستخرج منه خلاصة مدرسية تلائم صفوف المدارس العالية والاتكال على الله



الجزء الرابع من السنة العشرين

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٢ و١١ محرم سنة ١٣٢٩

المسألة الشرقية

تاريخها واسبابها وادوارها

ان المسألة الشرقية من ابحاث اهل التمدن الحديث لكنها قديمة العهد ترجع الى اقدم ازمنة التاريخ. واساسها التنازع بين الشرق والغرب او بين الشرقيين والغربيين على سيادة العالم المتمدن. فهي في اصلها مبنية على عصبية وطنية. ولا بد من تحديد المراد بالشرق والغرب ولهم في تحديدها اقوال تختلف باختلاف الاعتبارات والاعصر والاحوال. ولكن الغالب ان يجعلوا البحر المتوسط وسطاً ويسمّوا ما كان الى شرقيه وجنوبيه شرقاً وما الى غربيه وشماليه غرباً وهو تقسيم جغرافي سياسي تختلف حدوده وسعته باختلاف الاعصر. وتقسم هذه المسألة الى ثلاثة ادوار كبرى الدور الاول يبدأ قبل التاريخ وينتهي بظهور الاسلام. والثاني من ظهور الاسلام الى ظهور التمدن الحديث. والثالث دورها في هذا التمدن

١ — المسألة الشرقية في دورها الاول

لا يمكننا تحديد الوقت الذي بدأ فيه التنازع بين الشرق والغرب ولكننا نعلم ان البلدين يختلفان في الاقليم والتربة. وبين سكانهما اختلاف في اللغة والنسب والطبائع

والاخلاق • فأدّى ذلك الاختلاف الى التباعد والتنافر على ما تقتضيه المطامع . لكن الشرق سبق الغرب في المدنية فظهرت دول بابل وأشور وفينيقية ومصر في الشرق واهل الغرب في ظلمات الجهالة والهمجية . ولما شاخت هذه الدول اخذ الغرب يفتح عينيه فظهرت دولة اليونان في جزائر اليونان • وهي اول دولة غربية ظهرت على مرسح التاريخ وهي على حدود الشرق فاستمدت اسباب المدنية والعلم من الدول الشرقية المتقدم ذكرها . ثم طمحت انظارها الى الاستيلاء عليها جرياً على سنة الاجتماع

وظهر في اثناء ذلك دولة شرقية عظيمة الشأن بل هي اعرق في الشرق من تلك الدول نعني دولة الفرس — مع انها اقرب الى اليونان باعتبار الارومة الاصلية نسباً ولغةً ولكن الفرس كانوا يعدون انفسهم شرقيين ولم تعرف تلك القرابة بينهم وبين اليونان الا بعد درس أصول اللغات في القرن الماضي — فقام التنازع بين الفرس واليونان على الاستئثار بالتغلب على بقايا تلك الدول

وكان الفرس على عهد قورش في القرن السادس قبل الميلاد قد امتدت مملكتهم من حدود الهند شرقاً الى شواطئ البحر المتوسط غرباً . وقد دخلت في حوزتهم بابل وأشور وفينيقية وآسيا الصغرى . وأما اليونان فكانت دولتهم محصورة في جزائرهم وما يجاورها من جبال البلقان وبعض شواطئ اسيا الصغري • وهي لا تعد شيئاً بالنسبة الى مملكة الفرس الواسعة الاطراف . فطمع الفرس بضمها الى مملكتهم — ذلك هو الغرض الحقيقي ولكنهم كانوا يخفونه ويظهرون سواه عملاً بالقاعدة التي قررناها في الهلال الماضي عن اسباب الحروب الحقيقية والظاهرة . واما الاسباب الظاهرة لما قام من التنازع بين الفرس واليونان ان اليونان انجدوا ولاية فارسية (ايونيا) ثارت على حكامها الفرس ثم نهبوها . فاتخذ الفرس ذلك ذريعة للحمل على اليونان فحملوا على مصر اولاً لان اليونان كانوا كثيرين فيها ولهم فيها مصالح تجارية ففتحوها سنة ٥٢٥ ق م بقيادة قمبيز بن قورش • لكنه مات قبل ان يحمل على اليونان . فحمل عليهم داريوس الاول سنة ٤٩٠ ق م ومعه ٣٠٠٠٠٠ مقاتل فغلبوه في مراتون • فاعاد الكرة عليهم ابنه زارش (كزرسيس) سنة ٤٨٠ بجيش لم يسمع بمثله ففتح بلادهم ودخل اثينا بعد ان خسر ٢٠٠٠٠٠ من جنده لكنهم غلبوه في سلاميس وبلاتيا . وفي تلك الحملة كانت واقعة

ترموبيل الشهيرة واضطر الفرس للانسحاب خاسرين . فعادت حملات الشرق على الغرب بالفشل

وفي القرن التالي اشتد ساعد اليونان وظهر فيهم اسكندر المكدوني فعمد الى الانتقام فحمل على الشرق في اواسط القرن الرابع قبل الميلاد وملك الفرس يومئذ داريوس الثالث فجند للدفاع والتقى بجيش الاسكندر في ايسوس سنة ٣٣١ ق م فعادت العائدة عليه ولكنه نجا بنفسه الى اربلا، فقتله رجاله برئاسة واحد منهم اسمه بسوس خدع مولاه وقتله . ووصل الاسكندر الى اربلا. فانبأوه بمقتل داريوس فمشى اليه ومعه كبار رجاله ووقف عند الجثة وتفرس فيها كما تجده مرسوماً في صدر هذا الهلال . وبمقتله تغلب الغرب على الشرق واستقر اليونان في اسيا وانقسمت دولة الاسكندر الى اربع دول حكمت الشرق بضعة قرون ثم خلفهم الرومان عليها وهم غربيون الى ظهور الاسلام

وكان الشرقيون في اثناء ذلك قد استغرقوا في الخمول وتقاعدوا عن الفتح فدان بعضهم للروم في مصر والشام واسيا الصغرى وتغلب الانقسام على البعض الآخر فتولدت ملوك الطوائف في فارس وغيرها . ولكن نسمة حية هبت في أعالي الشرق فوق الصين من بلاد المغول فظهرت أمة شديدة البطش عرفت بأمة « الهون » نزلت على الصين ففتحتها وحكمتها مدة ثم اخرجها الصينيون منها فتفرقت قبائل جاءت واحدة منها الى روسيا أوربا واقامت على ضفاف نهر فولكا وتوطنت هناك . فما لبثت ان تعودت الاقليم وتكاثر رجالها حتى زحفوا على شمالي أوربا في القرن الخامس للميلاد وتغلبوا على القوط وهم يومئذ قبائل رحل . ولم تمض مدة حتى انتشر الهونيون على ضفاف فولكا والطونة فارهبوا الرومان واوقعوا الرعب في قلوب الناس اهل الغرب

وكان الهونيون بقيادة ملك شديد البطش منهم اسمه اتيلا فاستولوا على مملكة جرمانيا وسائر الاصقاع في شمالي أوربا الى الاوقيانوس . ونزلوا جنوباً حتى حاصروا القسطنطينية وضيقوا عليها فرضي صاحبها بدفع الجزية . ثم غزوا غاليا (فرنسا) فافسدوا فيها وكذلك فعلوا بايطاليا وغيرها كما فعل جنكيزخان باسيا بعد ذلك بضعة قرون ولولم يمت اتيلا على غير انتظار سنة ٣٥٣ م لاسس دولة شرقية في صميم اوربا . ولكن قواده انقسموا بعده فسقطت دولته كما انقسمت دولة جنكيز . فظل الفوز



اتيلا

للغرب على الشرق من حيث ما نحن فيه . ولم يكن لهذا التنازع يومئذ شأن ديني وانما هو حب التغلب باسم الغزو او الفتح

٢ — المسألة الشرقية في دورها الثاني

ما زالت كفة الغرب راجحة على الشرق حتى ظهر الاسلام فاختلت الموازنة ورجحت كفة الشرق بما كان من اكتساح الشرقيين (المسلمين) ممالكة الروم في الشرق . ثم حملوا على الغربيين في بلادهم ففتحوا اسبانيا وفرنسا الى نهر لوار وفتحوا كثيراً من جزائر البحر المتوسط وبعض ايطاليا . فارتعدت فرائص اوربا من ذلك التيار العظيم . وتكاتف اهلها على دفعه . فتمكنوا من ايقافه في اواسط فرنسا عند تورس بالمعركة التي غلب فيها شارل مارتل على جند العرب هناك في اوائل القرن الثاني للهجرة

ثم اخذوا يستردون غربهم شيئاً فشيئاً حتى اخرجوا الشرقيين من ايطاليا في القرن الخامس ومن فرنسا واسبانيا في آخر القرن التاسع للهجرة . وحمل الغربيون في اثناء ذلك على الشرقيين في بلادهم بحجة انقاذ القبر المقدس في اورشليم - وهي الحروب الصليبية . ويمتاز هذا العصر من عصور المسألة الشرقية بصبغته الدينية



شارل مارتل يحارب العرب عند تورس

حمل الغربيون على الشرق هذه المرة عدة حملات لم يتجاوزوا بها سوريا و بعض مصر . ثم اخرجهم المسلمون منهما جميعاً فعادوا الى بلادهم . وعاد الفوز للشرقيين على الغربيين بظهور الدولة العثمانية وهي قادمة من أقصى الشرق . فوجهت أعنة خيولها الى اوربا ففتحت القسطنطينية وقضت على بقية الدولة الرومانية الشرقية واوغلت في اوربا فتحاً ونصراً حتى حاصرت فينا عاصمة النمسا

وما زالت الدولة العثمانية حتى الآن قذى في عيون الغربيين لانها استقرت في اجمل عواصمهم وامنعها . فتوجهت الابصار اليها على الخصوص بعد ان افاقت اوربا من غفلتها وأخذت في مدنيتها الحديثة وتكونت دول اوربا . وأخذت الدولة العثمانية في التقهقر وفسدت احكامها واختلت شؤونها . فاصبح هم الغربيين التخلص من هذه الدولة الشرقية او اخراجها من اوربا على الاقل

٣ — المسألة الشرقية في دورها الثالث

تغير وجه هذه المسألة في هذا الدور • وفيه وضعت هـذه التسمية لهذا البحث واصبح الشرق في نظر رجال السياسة محصوراً في المملكة العثمانية • فاذا ذكروا المسألة



محمد الفاتح على جواده وهو داخل القسطنطينية

الشرقية أرادوا بها حال المملكة العثمانية بالنظر الى مصالحهم أو مطامعهم . وقد يريدون بها الدردنيل خاصة وهو قلب المملكة العثمانية • وقد مضى قرنان وهم يختلقون الاسباب لتمزيقها ـ ليس لانها اسلامية وهم مسيحيون وانما يريدون الفتح والتغلب على دولة غريبة عنهم لغة وخلقاً وديناً . وهم يرون فرقاً عظيماً بين الغرب والشرق من كل وجه . فالغرب عنوان النشاط والحياة والعمل والشرق عنوان الهدوء والسكون . والفاصل بين الامتين بحر الدردنيل . ويعتقدون ان تلك الدولة تجاوزت الشيخوخة وآن انحلالها .

فكل دولة تطلب حصتها من تلك الغنيمة • ويتذرعون الى ذلك غالباً باسباب دينية فيزعمون انهم يريدون حماية المسيحيين في الشرق أو مقاصّة بعض الحكام العثمانيين لانهم تعدوا على مصالحهم التجارية • أو نحو ذلك مما قد يكون صحيحاً في بعض الاحوال ولكنه ليس الغرض الحقيقي لذلك التحرش . وانما هو استضعاف الدولة العثمانية والطمع ببلادها الخصبة . ولو رأوا حجة غير هذه لاحتجوا بها — فلما حمل بونابرت على مصر كان من جملة اسباب حمله حماية المسلمين !

وقد تقلبت المسألة الشرقية في اثناء هذا التمدن على اوجه كثيرة ولا سيما بعد حروب الدولة العثمانية مع روسيا . وبما ان الدولة العثمانية اسلامية صار المفهوم من المسألة الشرقية « المسألة الاسلامية » وعند ذلك تدخل ايران في جملتها . ولكن لا كثيرين يريدون بها الدولة العثمانية خاصة . ولم تختلف الدول في وجوب ازالتها . وانما اختلفوا في من يتولى الزعامة في هذا النزاع ومن منهم ينال حصة الاسد من هذه الغنيمة . وعندهم ان هذه المسألة لا تختص بامة من اممهم بل هي تهمُّ أوربا برمتها . تهمُّ روسيا لانها في طريقها الى البحر المتوسط . وتهمُّ انكلترا لانها معترضة بينها وبين املاكها في اسيا . وتهمُّ النمسا لانها عثرة في طريق مطامعها البلقانية • وتهمُّ فرنسا لرغبتها في مد تجارتها في افريقيا • وتهمُّ سائر الدول بسبب ما بينها من التحالف • فكأن الدردنيل حلق اوربا والراية العثمانية حسكةٌ في ذلك الحلق

وعند التخصيص فانهم يعدُّون الدردنيل قلب الشرق أو رأسهُ ولا تحلُّ المسألة الشرقية لا باحتلاله والخلاف في من يحتله منهم

وقد سعوا في حل هذه المسألة من وجوه كثيرة في جملتها اقسام المملكة العثمانية فيما بينهم • وقد وضعوا لذلك خرائط مختلفة لم يطل اختلافهم فيها وانما اختلفوا على الدردنيل وما يحدق به وهو حصة الاسد • واذا تدبرت ما دار بهذا الشأن وتأملت القرائن المحيطة بتاريخ هذه المسألة رأيت انكلترا أقل الدول رغبة في حل هذه الدولة وروسيا أشدَّها رغبة في حلها عملاً بوصية بطرس الاكبر الشهيرة

ومن الادلة على ذلك ان القيصر نقولا الاول زار انكلترا سنة ١٨٤٤ وتباحث مع دوك ولنتن واللورد ابردين بشأن حل المملكة العثمانية ولم يتم البحث معهم على شيء



نقولا الاول قيصر روسيا

فلما رجع الى عاصمته دوَّن آراءه في هذه المسألة بمذكرة ارسلها الى لندن . فحفظت سراً الى مارس سنة ١٨٥٤ ولما طال انتظار القيصر الحصول على نتيجة تلك المذكرة خاطب سفير انكلترا في بطرسبرج يومئذ السير الجورج سيمور بهذا الشأن ، وكان في جملة ما قاله له « ان المملكة العثمانية اشبه بمريض في حال الاحتضار لا يلبث ان يموت » وعرض على انكلترا طريقة لاقتسام مخلفاته . لكنه صرَّح في خطابه انه لا يأذن لها ان تكون القسطنطينية من حصتها . وقال في محادثة أخرى انه لا يعارض في نيلها مصر . فارسل السفير الانكليزي هذه المحادثات خطا الى اللورد جون رسل صاحب الكلمة العليا في انكلترا يومئذ فاجاب عليها « ان الحكومة البريطانية تمتنع عن فتح أي سبيل يأول الى حل تركيا » فتحول القيصر نحو فرنسا وعرض عليها ما عرضه على انكلترا فاجابت مثل جوابها

وكانت حجتهم التي يبنون عليها بحثهم في حل هذه الدولة ان صاحبها مستبدٌ يستأثر بارواح رعاياه واموالهم في عصر الحرية والدستور . وهم عناصر مختلفة ومذاهب متفرقة قد اخذ الجهل منهم وتمكنت الشحناء في نفوسهم . وكل عنصر من عناصرهم

مجتمع في ولاية على حدة وهو على غير مذهب الحكومة وغير جنسها • كالارمن في ارمينيا واليونان في كريت فيصعب جمعهم مع الاتراك المسلمين ولاسيما في عصر الاستبداد • وناهيك بالجهل وهو علة التعصب والشقاق

فكانت تلك الدول تستخرج من ذلك الاستبداد اسباباً لاقتطاع ما يستطيعون اقتطاعه من املاك الدولة ويتساندون في الوصول الى تلك النتائج وبما اختلقوا الاسباب بدسائس يدسونها لاثارة الخواطر بين المسيحيين والمسلمين . واكثرهم سعياً في هذا السبيل روسيا — كذلك فعلت في شبه جزيرة البلقان وارمينيا وغيرهما مما يلي بلادها • وقد سعى غيرها في اساليب أخرى تعود الى اغتنام الفرص كما فعلت انكلترا بمصر وقبرس وفرنسا بتونس والجزائر والنمسا في البوسنه والهرسك • والغالب ان تمهد كل دولة الطريق لاحتلالها او امتلاكها ببث لغتها ونفوذها في البقعة التي تطمع بها وتتربص للفرص اجيالاً فاذا سنحت لها فرصة لسبب من الاسباب الحقيقية او الظاهرة او حدث حادث يسوغ لها الاحتلال وجدت في اهل تلك البقعة سهولة في الرضوخ لها ليتخلصوا من نير الظلم — الا ايطاليا فانها لم تحسن الاختيار ولا اتقنت التدبير فاحتلت طرابلس الغرب بلا مسوغ واهلها قد انتعشت آمالهم بالدستور فلاقت صعوبة لم تكن تتوقعها • لكنها في كل حال لم تقدم على هذا العمل الا وهي واثقة من رضى سائر الدول وان لم تساعدها عليه • ولو رأت تلك الدول فيه ضرراً لمصالحها لقاومته • كما تفعل لو ارادت دولة من الدول احتلال القسطنطينية مثلاً فان الدول تتصدى لمنعها — وربما ادعت حينئذ انها تفعل ذلك غيرة على صيانة الدولة العثمانية ! والحقيقة انها لا ترضى ان تستأثر دولة بتلك العاصمة التي لا شبيه لها في العالم من حيث المناعة والجمال

وقد بحث الساسة ملياً في من هو اجدر بالاستيلاء على الاستانة • فقال بعضهم اليونان اولى بها لانها مدينتهم فاجابهم المعارضون ان اليونان لايقوون على الاحتفاظ بها لضعفهم • وقال آخرون روسيا اولى بها لانها اوشكت ان تستولي عليها بالسيف فاعادتها نكلترا على اعقابها فهي اولى سائر الدول بها لان البوسفور بوغاز بحرها وطريقها الى سائر البحور ومملكتها واقعة في القارتين اسيا وأوربا وهي اقرب مشرباً الى الشرقيين من الانكليز . ولكن لا انكلترا ولا غيرها من الدول يأذن للروس بامتلاك ذلك الطريق

الرهيب وهو مفتاح التجارة وامنع حصن في البحور . فسيدة البحار لا تسمح لاحد ان يستولي عليه ولا غيرها يأذن لها به . لان الدولة التي تمتلك ذلك البوغاز تتضاعف قوتها ويخشى منها على الموازنة الدولية . حتى قالوا ان من يقبض على البوسفور يقبض على أوربا كلها ولهم في ذلك اقوال لا محل لها هنا

وبالجملة ان المسألة الشرقية مبنية على طمع دول أوربا بأملاك الدولة العثمانية وحججهم التي كانوا يسوغون بها اقتسام تلك الاملاك انما هي فساد الحكومة وتظلم الرعايا منها والانشقاق بين العناصر والمذاهب حتى شبهوها بالرجل المحتضر . اما وقد صارت دولتها دستورية واخذت في النهوض فلم يبق الا ان تتحد عناصرها وتهذب شعبها حتى لا يكون للدول سبيل اليها ولا حجة في التعدي عليها



مصير الانسان

ومستقبل تمدنه

في الانسان تعطش فطري الى معرفة المستقبل والتنبؤ بما قد يكون من دواعي السعادة أو التعاسة ومايسترقبه من اسباب التقدم او الانحطاط . يكفيك دليلاً على ذلك اهتمامه بطالعه والتنبؤ عن مصيره منذ القدم واستطلاعه علوم التنجيم وتفسير الاحلام وقراءة اليد وما شابهها لهذه الغاية

ولم يكن لاستطلاع المستقبل في ما مضى اساس علمي . وانما كان الانسان يعول في معرفته ذلك على الظواهر الطبيعية كحركات الاجرام وتقلبات الطقس أو يأول الاحلام أو يفسر خطوط اليد بما يشبع ميله لمعرفة المستقبل — وقد يعول على ذلك وهو يرى مخالفته للعقل . ولكن الانسان كثيراً ما يخدع عقله ليشبع عواطفه

ظل الانسان قروناً يستطلع الغيب بمثل هذه الاوهام والخزعبلات الى ان انقشعت غيوم الاجيال الوسطى واشرقت شمس العلم الحديث . فجعل العلماء يدخلون ابواب المستقبل المظلمة ومنارهم تلك الشمس الساطعة التي اشعتها البحث والمشاهدة والقياس والاستنتاج

ولكن علمنا لا يزال طفلاً في مهده وليست معلوماته بالنظر الى مجهولاته الا نقطة من بحر . والانسان في كل حال بعيد عن اليقين حتى في المحسوسات — اي في ما يرى ويقاس ويشم ويذاق ويلمس — فكيف بموضوع مثل موضوعنا في الاتساع والغموض . وهو لا يدرك الا بالتخيل

فلا يجوز لنا ان ننتظر جواباً شافياً عن مستقبل الانسان ومصير تمدنه وانما اردنا ايقاف القارئ على اشهر الآراء في هذا الموضوع • وهي تختلف باختلاف معتقدات واضعيها ونظرياتهم

الماضي دليلنا

ولا ريب ان دليلنا الوحيد في كشف مستقبل الانسان انما هو درس ماضيه ومقابلته بحاضره والوقوف على السنن التي يسير التقدم بمقتضاها والعوامل التي تؤثر على الجنس البشري وتأول الى ابادته . فكيف تقدم الانسان حتى وصل الى حالته الحاضرة من التمدن والارتقاء ؟

لا شك ان أصح جواب لدينا على هذا السؤال هو مذهب النشوء والارتقاء . ومؤداه ان تنازع البقاء بين الحيوانات يأول الى انقراض الضعيف وبقاء الانسب . وهذا ما يسميه علماء الحيوان « الانتخاب الطبيعي » كأن الطبيعة تنتخب اصلح الحيوانات للبقاء واقواها للتناسل

هل يتغير شكل الانسان ؟

يجيب بعض العلماء على هذا السؤال بالايجاب فيقولون انه كما ارتقى الانسان بواسطة الانتخاب الطبيعي عن حيوانات تختلف عنه شكلاً . فهكذا سوف يأتي يوم يتجاوز الانسان فيه حالته المعروفة الى حالة ارقى منها يسمونها مافوق الانسان اوالانسان الاعلى (سبرمان) وهم لا يقفون عند هذا الحد بل يحددون التغييرات التي ستطرا عليه في ذلك الانتقال واليك ملخص رأيهم :

« من الامور الثابتة ان الاعضاء تنمو بالاستعمال وتضمر بالاهمال . واستعمال الانسان لجسمه وعضلاته في تناقص . فلاشك انه سيأتي يوم ينمو فيه دماغه وتقل اهمية عضلاته . فتصغر بالنسبة الى حجم الدماغ . (قالوا) وان تقدم الكيمياء والطب يؤملنا باتقان المأكولات الاصطناعية حتى تصير خلاصات مغذية يستغنى بها عن اجهاد الاسنان أوالمعدة في هضمها . ولذلك فلا يبقى من هذين العضوين في المستقبل الا بقايا أثرية . اما الرأس فيكبر وتعلو مكانته » اه

ولكن اكثر العلماء يعتقدون ان جسم الانسان لن يطرأ عليه تغيير يذكر بل ينحصر ارتقاؤه في اخلاقه ومعلوماته ـ يستدلون على ذلك بالبون الشاسع بين الانسان الاول وانسان القرن العشرين في احواله الاجتماعية وما استغرق فيه من العلوم والفنون وسائر اسباب المدنية — ولم يحدث في جسمه اقل تغيير • ويقولون ان الانتخاب الطبيعي الذي يعمل منذ الازل في ارتقاء الانسان لن يتوقف غداً عن عمله بل هو هو يظل كما كان • ويسري على الجسد والعقل معاً وقد تكون وطأته شديدة على الواحد دون الآخر باعتبار انواع الحيوان . ففي الحيوانات المنحطة يكون تأثيره على اعضاء الجسم اكثر منه على العقل ولكنه في الانسان بعكس ذلك ـ او بعبارات اخرى يقولون ان مجرى الانتخاب الطبيعي تحول في الجنس البشري من الجسم الى العقل — وهاك برهانهم :

لا تحتاج الحيوانات الدنيئة من وسائل المعاش واسباب الحياة الا الى معلومات قليلة تستعين بها على البقاء والارتزاق وتتوارثها من جيل الى جيل • فترسخ في عقلها وتصير جزءاً من حياتها تظهر عند ولادتها وتزول عند موتها • فمعلومات ابن يومه منها هي نفس معلومات البالغ . ولذا فارتقاء تلك الحيوانات ينحصر في اعضاء ابدانها . اما الحيوانات المرتقية فحاجتها الى المعلومات والاختبارات تتجدد كل يوم ـ ونظراً لكثرتها لا يمكنها ان تتوارثها كلها . فلا يرث الطفل الا الضروري منها ويكمل تعلمها في اوائل حياته . وهي فترة من العمر مخصصة لذلك نسميها الطفولية ، فينتج عند ذلك ارتقاء القوى العقلية باستعمالها

فوجود مدة الطفولية حول مجرى ارتقاء الحيوان من جسمه الى عقله . فما زال الحيوان لا تتطلب حياته من المعلومات والاختبارات اكثر مما يرثه من ابويه فلا حاجة الى تقدم عقلي — وافتقاره الى اكثر من ذلك يستوجب وجود مدة الطفولية . ولا جدال ولا انتخاب الطبيعي في الحيوانات المنحطة يؤثر على اجسادها دون عقولها . وفي الانسان يتحول مجراه من الجسد الى العقل فيعمل على نموه وترقيته وتوازن احماله

الانسانية القادمة

يعتقد الكاتب فيسك (١) انه سيكون لعاطفة الغيرية اي محبة الغير (Altruism) مكانة عظيمة في المستقبل • وهذا دليله قال « اذا رأينا في انماء نمو الحيوان وظيفة تظهر فيه ضعيفة قاصرة ثم تتكيف بالنمو وتزداد اهميتها حتى تصير عاملاً قوياً في حياة ذلك

(١) J. Fiske, The Destiny of Man

الحيوان تتأكد ان هذه الوظيفة سوف تبلغ مكانة عالية ــ وينطبق هذا المبدأ على عاطفة الغيرية فان ظهورها يرافق الطفولية في الحيوانات لانها نشأت عن انعطاف الانثى على صغارها واهتمامها بامرهم ومداراتها لهم وهي لا توجد حيث لا طفولية

« ظهرت هذه العاطفة ولم يكن لها شأن في بادئ الراي ثم اخذت تزداد اهمية حتى صارت من اكبر العوامل في ارتقاء الانسان وتقدم مدنيته ــ وبهذا المعنى يعدُّون ظهور الانسان ابتداء فصل جديد في تاريخ الكون » ويختم الكاتب كلامه بقوله « ان هذه العاطفة ستمو بينما ينقرض حب الذات والرغبة في الاستئثار . فغاية نشوء الجنس البشري وارتقائه انما هي ابادة عاطفة الشخصية وانماء عاطفة الغيرية • وبكلمات اخرى ان غاية الارتقاء ان يترك الانسان الغرائز الوحشية التي ورثها عن اسلافه

ويتنبأ اللورد افري بمجيء مثل هذا الفردوس الارضي حيث يقول [١] « ان الرذائل والمصائب التي تحيط بنا ناشئة اما عن الجهل او عن انحطاط القوى الادبية ولا شك ان هاتين العلتين زائلتان مع تقدم العلم »

وصوَّر المستر تيلر [٢] الانسانية القادمة بهذه الكلمات « سيفضي التقدم البشري الى قوم اقوياء نشيطين متوازنين جسماً وعقلاً ذوي عضلات كاملة النمو واجهزة عصبية هادئة واذهان وقادة تجعلهم يفقهون معاني الحياة ومقاصدها فينصرفون الى الحقيقة دون الوهم • والى الاهم دون المهم والى الازلي دون الزمني »

امكان تقهقر الانسان

كل ما تقدم يرجع الى آراء متفقة في ان الانسان سيرتقي في المستقبل وان اختلفت في وجهة ذلك الارتقاء • لكن هنالك فئة من العلماء ينظرون الى مستقبل الجنس البشري بعين الحذر والخوف من جملتهم براتكو (Bratco) فهو يقول :

« ليس من الضروري ان يسير النشوء والارتقاء نحو الامام او الاعلى بل هو قد يأول الى التقهقر والانقراض . مثال ذلك ان نوعاً من الحيوان نمت قواطعه لدرجة تعذر معها فتح فمه للاكل فانقرض النوع » وعلى هذا البناء يعتقد براتكو ان نمو الدماغ البشري سيعقبه انحطاط في الجسم يمنع الانسان من الارتزاق والتناسل فيبيد نوعه »

ويضرب هوبف الالماني [٣] على نفس هذه النغمة حيث يقول « ان وطأة تنازع

(١) Sir J. Lubbock: Prehistoric Times

(٢) J. Tyler: Man in the light of Evolution

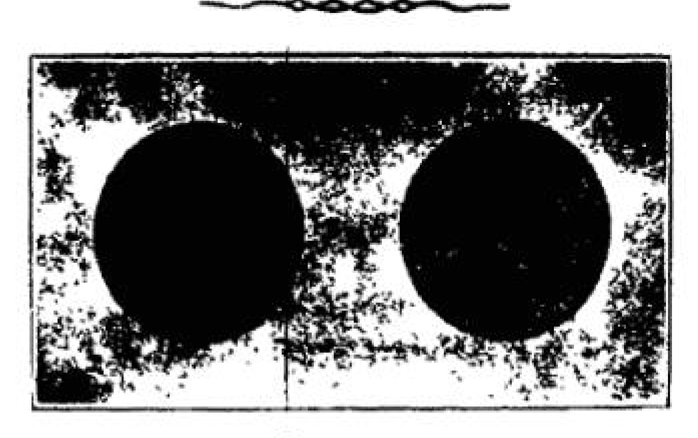
(٣) D. Hopf: The human species

البقاء تشتد يوماً عن يوم بسبب كثرة النسل • ومن المحتمل ان يأتي يوم يعجز فيه الجسم عن مجاراة الدماغ ومطاليبه . ولا ينكر احد ان التمدن يجر وراءه اخطاراً على الجنس البشري وان ازدياد الامراض العصبية وحوادث الجنون والانتحار انما هي من ثمار تنازع البقاء • وهو وحده المسؤول عنها لاسيما اذا رافقه فعل الكحول كما هو الواقع في اكثر البلاد المتمدنة . غير ما هو مشاهد في الامم الراقية من ضيق الفك وسقوط الاسنان قبل الاوان . والصلع في الرجال . وعجز النساء عن ارضاع اولادهن وضعف الصدر وما يتبعه من الامراض واهمها السل في الجنسين »

النتيجة

لا بد لنا بعد ان احطنا بأهم ما قيل في مصير الانسان ان نقول كلمة في الختام : ان مستقبل الانسان البعيد يتوقف على مستقبله القريب وهو الاهم لدينا ولا شك ان مجال العمل واسع امامنا • فنحن لا نزال على عتبة المدنية • ولفتة الى تقدم الانسان في القرن الماضي تكفي برهاناً على حداثة عهدنا في العلم . وسوف تزيد الاكتشافات في الارض وفي السماء وتكثر الاختراعات وتحسن احوال المعيشة — ولا يسعنا الا ان نعترف مع نيوتن : اننا لا نزال كالاطفال يلعبون على شاطيء البحر فيلتقطون هنا حجراً املس وهناك صدفة لامعة تظهر لنا اشدّ لمعاناً من رفيقاتها فنفرح بها ولم ندخل بحر الحقيقة الواسع امامنا بعد • فكل ما يقال عن مصير الانسان لا يخرج عن حدّ الحدس والتخمين لان ما نعلمه من نواميس هذا الكون اقل كثيراً مما نجهله فكيف يتأتي لنا الحكم فيه

(الكلية) في بيروت　　　　　　　　اميل زيدان



الجوهر الفرد كما تصوره الدكتور لوبون

(راجع مقالة « المادة قوة » في الهلال الاول من هذه السنة)

الشجاعة في الحرب

والجرأة في الرأي

تمهيد في الشجاعة على الاجمال

الشجاعة شدة القلب وقوة النفس عند البأس وهي ضرب من الصبر . وقالوا هي هيأة للقوة الغضبية متوسطة بين التهور الذي هو الافراط والجبن الذي هو التفريط . واساسها الضمير وقوة الارادة . فالرجل القوي الارادة اذا اقتنع في امر تمسك به واذا رأى الصواب في قتال ثبت فيه او في قول جاهر به . ومن دله ضميره على عمل واجب ولم يعمله فهو جبان . ولذلك عرّف الشجاعة بعضهم بقوله « تظهر الشجاعة بان لانعمل في الخفاء الا ما يمكننا عمله امام كل الناس » لان الضمير عندهم خير الشاهدين . وقال كونفوشيوس « من رأى الحق ولم يأخذ جانبه فهو جبان » وقالت العرب « الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة » وقال شيشرون « من يعدّ الالم اعظم مصائب الحياة لايقدر ان يكون شجاعاً . ومن يعدّ الملذات اعلى مطالب الدنيا لا يقدر ان يكون معتدلاً »

ويشترط في الشجاعة ان تستعمل معها الروية وصدق النظر وقياس الاسباب والنتائج لئلا يقدم صاحبها على عمل ثم يرى خطأه فيفشل . وانما يجب عليه ان يتدبر الامر فاذا تحقق وجه الصواب اقدم عليه وصبر الى النهاية . ومن اكبر اسباب الشجاعة « الحب » فان الشجاع يكون اثبت في حربه وجهاده اذا كان جهاده من اجل شيء يحبهُ ويغار عليه . وقد يكون ذلك الشيء شخصاً او وطناً اوراياً اومبدأ اوغير ذلك . فالشجاعة بهذا الاعتبار ضروب كثيرة ترجع الى ضربين : الشجاعة في ساحة الوغى دفاعاً عن دين او وطن او عرض وهي الشجاعة البدنية . والجرأة في الراي أو الشجاعة في الدفاع عن راي او مبدإ او علم وهي الجرأة الادبية او الشجاعة الادبية

١ - الشجاعة في الحرب

هي الصبر في حومة الوغى بثبات جأش وصدق عزيمة . وهي عند رجال الحرب ثلاث مراتب : الاولى اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق برز

من الصف الى وسط المعترك من ينادي هل من مبارز . والثانيــة اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر احدهم من اين يأتيه الموت فيكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لا يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه. والثالثة اذا انهزم اصحابه فيلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب اصحابه



جان دارك

ولكننا نرى فوق هذه المراتب مرتبة رابعة هي تضحية النفس عن اختيار في سبيل ما يدافع عنه . فان اصحاب المراتب الثلاث المتقدم ذكرها لا يخلو احدهم من امل في البقاء ولو كان في اشد الضيق او الخطر . واما المرتبة الرابعة فهي ان يقال لصاحبها «الق نفسك في هذه النار لانقاذ وطنك او في الثبات على رأيك» فاذا صدق والقى نفسه

قد بلغ ارقى مراتب الشجاعة . وسنقصر بحثنا هنا على اصحاب هذه المرتبة من الشجعان • وهؤلاء اما ان يفعلوا ذلك في سبيل الدين او الوطن او الشرف الشخصي

١ — الاستهلاك في الدفاع عن الدين

النعرة الدينية من اشد النعرات تأثيراً في نفوس الناس فهم يغضبون لدينهم اكثر مما يغضبون لاي شيء آخر من المصالح المشتركة . والذين استهلكوا في سبيل نشر الدين او الدفاع عنه كثيرون لما يتوقعونه من الاجر على صبرهم وعذابهم . والحروب الدينية كثيرة واخبارها طويلة لاحاجة بنا الى ذكرها . واكثر الشهداء في سبيل الدين يدخلون في باب الجرأة الادبية لثباتهم في رأيهم وسنعود اليهم . وانما نكتفي هنا بالاشارة الى جان دارك لانها ضحت نفسها في سبيل الوطن بدعوة دينية وتاريخها مشهور . وقد فعلت ما لم يفعله الرجال في حرب فرنسا وانكلترا بأوائل القرن الخامس عشر . فدافعت عن فرنسا دفاعاً لم يسمع بمثله وعرضت نفسها للقتل مراراً بارشاد هاتف كان يدعوها الى ذلك . ولما قبض الانكليز عليها وحاكموها كانت تجيب بشجاعة وثبات عزيمة . وقد قتلوها حرقاً وهي رابطة الجأش لا تبالي ولا تخاف . وآخر كلمة سمعوها منها « يسوع »

ويشبه ذلك او هو ادل منه على الشجاعة الحقيقية ما فعلته الخنساء مع اولادها في حرب القادسية وهي يومئذ عجوز ولها اربعة اولاد حرضتهم على الثبات في القتال . فلما حمي الوطيس تقدموا واحداً واحداً ينشدون الرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم • فلما بلغها الخبر قالت « احمد الله الذي شرفني بقتلهم »

٢ — الاستهلاك في الدفاع عن الوطن

هو من افضل ضروب الشجاعة وتكاد تكون حروب هذه العصور منحصرة فيه • لان الامم المتمدنة تجتمع كلها بجامعة الوطن وهي افضل الجامعات لمصلحة الامة • وليس غرضنا تعداد شجعان الامم وانما نريد ان نشير الى ما سميناه المرتبة الرابعة من الشجعان نعني الفدائيين الذين يبذلون النفس في سبيل الوطن بذلاً صريحاً لا يصاحبه امل في الحياة

واقدم من عرف هذه الفضيلة الرومانيون مثلوها في قصة قد تكون صحيحة او هي من قبيل الدرام للترغيب في تلك المنقبة لكنهم يروونها في تاريخهم ولا يبعد ان تكون واقعية • نعني قصة كورتيوس الروماني : وذلك ان الفورُم برومية — وهو اعظم احيائها وفيه مجتمع اعيانها واهم هياكلها وقصورها — فتحت فيه هوة سنة ٣٦٢ قبل



متوس كورتيوس يلقي نفسه في الهوة فداء لرومية

الميلاد بسبب زلزال او صاعقة فاضطربت رومية وخاف اهلها • واجتمع الاعيان واستشاروا الكهان والعرافين فقالوا لهم « ان تلك الهوة لا تقفل الا اذا أُلقي فيها اعز شيء على رومية » وكان في الاشراف شاب شجاعٌ اسمه متوس كورتيوس فتقدم وقال « ليس اعز على رومية من اهلها وانا منهم وها اني ملق نفسي فداء للوطن» قال ذلك وتسلح وركب جواده وهمزه فوثب به في تلك الحفرة كما تراه هاوياً في الرسم قالوا « فاقفلت الهوة وراءه » — ومهما يكن نصيب هذه القصة من الصحة فانها تمثل صورة هذه الفضيلة في اعتبار الرومانيين

ومن قبيل بذل النفس في سبيل الوطن ما فعله الفدائيون في الجمعيات السرية وهي ان يتصدّى احدهم بنفسه لقتل ملك او امير او وزير على مشهد من الناس وهو يعلم انه مقتولٌ به لامحالة . فعمله يعدُّ من أعلى مراتب الشجاعة وكثيراً ما يذهب دمه هدراً للخطأ في تقدير النفع المترتب على ذلك الفتك • وخصوصاً في الذين يقدمون على ذلك في الدول الدستورية لان قتل الملك او الوزير لايغير شيئاً من احكامها وسائر

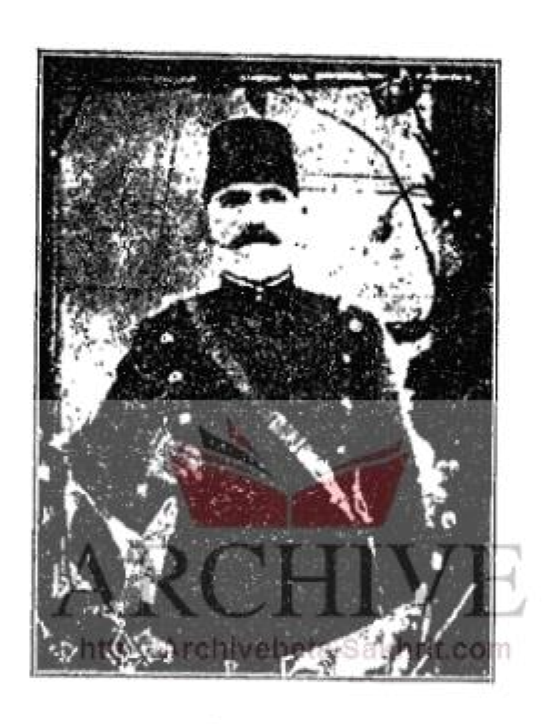
احوالها . ومع ذلك فالذين يقدمون على هذا الفتك كثيرون . وهم في الغالب من الفوضويين وا كثر احكامهم مبنية على الخطأ ويندر ان يكون غرضهم خدمة الوطن . فكنني بذكر الفدائيين الذين تعرضوا للقتل في سبيل مصلحة الوطن في الشرق واتت اعمالهم بالثمر المطلوب لانهم حاربوا حكومة استبدادية ظالمة . اقدمهم في هذا العصر علي سعاوي من ادباء الاستانة الاحرار عرض نفسه للقتل في سبيل السلطان مراد فلم يفلح فقبض عليه وقتل بلا جدوى . ولكنه احيا هذا الشعور في قلوب الاحرار العثمانيين



علي سعاوي

ثم ادخلت جمعية الاتحاد والترقي الفتك في بروغرامها التماساً للدستور وظهر غير واحد من الفدائيين الشجعان . وقد اثمرت اعمالهم بنيل الدستور . اشهرهم اثنان احدهما الشاب الضابط الذي هاجم ناظم بك واطلق عليه الرصاص ولم يقتله لكنه اول من تصدى منهم لهذا العمل واقتدى به غيره بعده . ولم نكن نعرف اسم هذا البطل لان الجرائد حتى نيازي بك لما كتب خواطره لم يصرح بالاسم . ولكننا اجتمعنا في الصيف الماضي باحد اعضاء جمعية سلانيك التي قررت الفتك بناظم فاخبرنا ان اسم ذلك

الفدائي مصطفى نجيب افندي . ويليه البطل الفدائي الذي قتل شمسي باشا في رابعة النهار وقد علمنا ان اسمه عاطف بك . وكان لمقتل شمسي باشا تأثير شديد على قلب السلطان المخلوع وعجل نيل الدستور



شمسي باشا

ومما يذكر من هذا القبيل في جهاد الفرس لنيل الدستور فتك احد شبان فارس بناصر الدين شاه سنة ١٨٩٦ لاعتقاده انه خان الامة باحتكار وافق روسيا عليه . وقالوا وقتئذ ان قاتل ناصر الدين شاه رجل معتوه . ولكن اعلى رتبة منه في البسالة قاتل امين السلطان الصدر الاعظم الفارسي

وكان هذا الصدر كثير المسايرة للروس واخذ يسعى في عقد قرض معهم فغضب الايرانيون لعمله وعدوه خيانة لان عقد هذه القروض من اسباب التسهيل للروس في وضع ايديهم على ايران . فلما اوشك الصدر الاعظم ان ينجح بعقد ذلك القرض تربصوا له وقتلوه وهو خارج من مجلس الامة ومعه السيد عبدالله الطباطبائي الفقيه العالم المشهور . قتله صيرفي صغير اسمه عباس اقا التبريزي بطلق ناري ثم قتل نفسه ووجدوا في جيبه تذكرة عليها اسمه ورقم ٤١ وهو نمرته في النادي الوطني (الفدائي



عباس اقا قاتل امين السلطان

لانه عضو فيه . ووجدوا معه ما كان ينوي تناوله لو قبضوا عليه وجردوه من سلاحه — واستعد عباس اقا المذكور لهذا العمل منذ ايام . وذكروا انه ذهب الى مصور فوتوغرافي طلب اليه ان يصوره فلما اتم الصورة قال له « احتفظ بهذا الرسم انه



امين السلطان

سيطلب منك بكثرة بعد ايام قلائل » وكان له اخ اسمه حسن اقا شاركه في السعي وكان حاضراً القتال وفرَّ الى تبريز ثم قتل نفسه فيها . واصبح اسم عباس اقا في جملة ابطال التاريخ الذين بذلوا حياتهم في سبيل بلادهم . وجعلوا قبره موقفاً للخطباء ومنشداً للشعراء فلما تغلب الشاه في ٢٣ يونيو سنة ١٩٠٨ امر بنسف ذلك القبر . ولكن التاريخ سيحفظ ذكره

٣ — الاستهلاك في الدفاع عن العرض او الشرف

ان الذين يقتلون في سبيل الشرف اوالعرض كثيرون ويغلب ان يقدموا على الفتك مدفوعين بسورة الغضب لا يملكون رشدهم فيعرضون انفسهم للقتل ولا يقدّرون العواقب . كما فعل حسن الشركسي بالهجوم على مجلس الوكلاء لينتقم من عوني باشافي رابعة النهار ولم يبال بكثرة من هنالك من الناس . وكان حسن هذا من ياوران السلطان عبد العزيز واراد عوني باشا بعد خلعه ان يبعد هذا الياور فامره بالسفر الى بغداد ليلحق بجندها فابى واخذ يشيع اتهام عوني بقتل السلطان كما اتهم بخلعه فامر عوني بالقبض عليه وسجنه . فارسل حسن بعد يومين يقول انه مستعد لاطاعة اوامره بالسفر الى بغداد لكنه يستأذنه في البقاء بضعة ايام بالاستانة ليتأهب للرحيل فاذن له . ففي يوم ١٥ يونيو وهو اليوم المعين لسفره ذهب الى بيت عوني وطلب مقابلته بالحاح فقالوا له انه سار الى منزل مدحت باشا للاجتماع بسائر الوزراء فذهب الى استامبول ونزل في مطعم تناول فيه بعض الخمر ثم تحول الى منزل مدحت في طوخان طاش فوصله نحو الساعة العاشرة وقد اجتمع فيه الوزراء وهم عشرة ومعهم شريف مكة

دخل حسن الدار كما يدخل صاحب المنزل الى منزله فسأله الحرس عما يريده فقال انه مسافر في الغد الى بغداد وعنده امور هامة يريد عرضها على السر عسكر عوني باشا قبل سفره فاجابه الحارس ان ذلك لا يتأتى الا بعد انفضاض الجلسة . فوقف حسن ريثما غافل الحرس ووثب الى السلم وتسلقه ليدخل الى قاعة الجلسة فمنعه خادم مدحت ونادى خادم عوني باشا ليشتكي هذا الشركسي لرئيسه . فصعد الخادم لمقابلة عوني وتبعه حسن ليتحقق مجلس كل من الوزراء ولم ينتظر الاذن . فدخل وسلم سلاماً عسكرياً ثم اشار الى عوني ان لا ينتقل من مكانه واطلق عليه المسدس فاصاب صدره فتناثر الوزراء فراراً من القتل ولجأوا الى غرفة اخرى . الا ناظر البحرية فانه حاول ان يقبض على ذراع حسن فافلت منه وجرحه جروحاً كثيرة في يديه


حسن الشركسي


عوني باشا

ومنكبه . وكان عوني لا يزال فيه رمق فنهض يطلب السلم فادركه حسن وطعنه طعنات عديدة وعاد الى القاعة وخاطب الصدر الاعظم وهو في الحجرة الاخرى قائلاً : « اني احتاج الى قيصرلي سامه اليّ فلا اؤذيك بشيء » . فلم يجبه فلما يئس ولم يظهر له احد جمع ابسطة القاعة وكراسيها واوقد فيها النار . فادركه رجل من رجال مدحت باشا اسمه احمد اغا وطعنه في قفاه طعنة مميتة فاطلق عليه حسن المسدس في عينه فاماته واطلق رصاصة ايضاً على وزير الخارجية فقتله . فقضى حسن في هذه المعركة نصف ساعة اجرى فيها مذبحة وهو فرد وهم جماعة وعاش الى اليوم التالي واعترف انه انما جاء لينتقم من عوني باشا وانه يأسف لقتل رشيد وزير الخارجية . فحكموا عليه بالاعدام فمات قبل تنفيذ الحكم

ويكثر هذا الضرب من الشجاعة في كبار رجال الجندية لانهم طلاب فخر وشهرة وانما تقوم شهرتهم بصيانة شرفهم والاحتفاظ بعزة نفوسهم . ويتمكن ذلك في خواطرهم بما يتعودونهُ من احترام سائر الجند لهم وتعظيمهم بالسلام العسكري والمبادرة الى الطاعة عند اول اشارة . فالحياة عند هؤلاء تقوم بعزة النفس ورفعة القدر — تلك اقصى امانيهم في الدنيا ولامعنى للحياة بدونها وقد تعودوا القتل في ساحة الحرب . فاذا مس احد الناس شرفهم بقول او فعل فكأنه تعمد قتلهم فيهون عليهم بذل النفس في رد ذلك الشرف . واذا تلطخ عرضهم بنقيصة ارتكبوها من انفسهم بادروا الى الانتحار اذ لم يبق للحياة معنى عندهم

٢ – الجرأة في الرأي

او الجرأة الادبية

ونريد بها الجرأة في ابداء الرأي بلا خوف ولا حذر. ومهما قيل في فضل الشجاعة البدنية او الحربية فان الجرأة في الرأي او الشجاعة الادبية افضل كثيراً. ويرى علماء الاخلاق والطبائع البشرية ان الشجاعة الادبية ارقى في سلم الفضائل لانها نتيجة الاقتناع بالحق وتجعل صاحبها اذا عمل بهما في الدفاع عن الحق لا يخاف مقاومة ولا يخشى اهانة اوقتلاً وقالوا « ان الشجاعة في الحرب تذري بالاخطار فتجعل صاحبها صالحاً للجندية . واما الشجاعة الادبية فصاحبها لا يهاب سائر الاراء فيصلح ان يكون مشيراً للدولة . والرجل العظيم ينبغي ان يتصف بكليهما » وتقسم الجرأة الادبية الى اربعة اوجه ستنظر في كل منها على حدة

١ – الجرأة في سبيل الدين

الجريئون في سبيل الدين يثبتون في اعتقادهم ولو ادى بهم ذلك الى القتل . وهم كثيرون منهم في النصرانية الوف ومئات الالوف . يكفي الشهداء الذين قتلوا في الاضطهادات الدينية في الاجيال الوسطى ولا يحيط الحصر بعددهم . وناهيك بديوان التفتيش الظالم – قال فلورنتي ان عدد الذين قتلهم ديوان التفتيش في اسبانيا ٣٢٠٠٠ والذين نالوا العذاب وظلوا احياء ٢٩١٠٠٠ نفس . غير الشهداء في اوائل النصرانية باضطهادات الامبراطورين الرومانيين قبل تنصرهم اخرها اضطهاد ديوقليطيان . وفي اخبار الرسل حوادث كثيرة تدل على جرأة ادبية في الاباء الاولين يندر مثلها فقتل بعضهم صلباً وبعضهم نشراً مما يطول شرحه — وهم ثابتون

اما المسلمون فقد استشهد منهم كثيرون في سبيل الجرأة الادبية في الدين. وينظر في ذلك من وجهين : الاول ما كان بين الاحزاب الاسلامية او أصحاب الاراء الدينية والثاني بين المسلمين وغيرهم

فحوادث الاستشهاد بسبب اضطهاد احدى الفرق الاسلامية للفرق الاخرى اكثرها بين السنة والشيعة . وكان في اول امره بين بني امية واتقياء المسلمين من الصحابة او التابعين لان الاسلام كان في زمن الراشدين مؤسساً على التقوى والحق والعدل فلما قبض بنو امية على الدولة حولوه الى السياسة واعتمدوا على التغلب بالسيف والقهر واضطهدوا اهل التقوى وعذبوهم . فمن هؤلاء الاتقياء من فضل الموت على الرجوع

عن اعتقاده فظل ثابتاً في قوله ومعتقده ولو خالف راي الخليفة او الامير

واقدم من استشهد في هذا السبيل ابو ذر الغفاري الذي جاهر باستقباحه جشع بني امية وكان معاوية لا يزال عاملاً للخليفة عثمان بن عفان في الشام ولم يبال ابو ذر بالقوة الغالبة . واحتال معاوية في استرضائه اوتهديده فلم يبال فاتهمه بالفتنة وكتب الى عثمان « انك افسدت الشام على نفسك بابي ذر » فكتب اليه «احمله اليّ على قتب بغير وطاء » تعذيباً له . فلما جاء المدينة حاكمه عثمان فلم يرهب سلطانه وجاهر بما يراه من طمع بني امية وخروجهم عن الحق . فاخرجه عثمان من المدينة الى الربذه بالعنف وظل هناك وهو ثابت في عزمه حتى مات

ومنهم حجر بن عدي الكندي المتوفى سنة ٥١ هـ فقد كان يعتقد فضل علي بن ابي طالب وحقه في الخلافة وان الامويين اغتصبوها منه . فلما تغلب بنوامية على علي حملوا المسلمين على لعنه . فنهم من اطاع ومنهم من ابى واحتمل القتل من اجل ذلك . واشهر الذين استشهدوا في هذا السبيل حجر بن عدي المذكور — وذلك ان المغيرة والي الكوفة من قبل معاوية كان يقف على المنبر فيستغفر لعثمان ويلعن علياً والناس يسمعون واكثرهم غير راضين ولم يجسر على مقاومته الا حجر بن عدي . فانه كان يعترض الوالي في كلامه ويقول « انا اشهد ان من تذمون احق بالفضل ومن تزكون اولى بالذم » وكان المغيرة يخوفه غضب الخليفة وهو لا يبالي فقاصه بقطع ارزاقه . فاعترضه مرة في المسجد وانحاز اليه بعض الناس وحدثت ثورة طال امرها . واخيراً قبضت الحكومة على حجر وقد صارت الامارة الى زياد بن ابيه . وكان مع حجر جماعة قالوا مثل قوله واتحدوا معه فكلفوهم لعن علي فابوا وهددوهم بالموت فلم يبالوا . ومن اقوال احدهم واسمه صيفي وقد سأله زياد « ما تقول في علي؟ » قال «احسن قول » فامر بضربه حتى لصق بالارض ثم قال « اقلعوا عنه..ما قولك في علي » فقال « والله لو شرحتني بالمواسي ما قلت فيه الا ما سمعت مني » فقال « تلعنه او لاضربن عنقك » قال «لا افعل» فاوثقوه وحبسوه . ثم ارسل زياد حجراً وبعض اصحابه الى معاوية في الشام وزوروا عليهم شهادات توجب قصاصهم . فلما جاؤا معاوية امر بقتلهم فجاء الذين تولوا قتلهم فقالوا لهم « اذا كنتم تتبرأون من علي وتلعنونه لا نقتلكم والا قتلناكم » فقالوا «لسنا فاعلين ذلك» فحفرت القبور وجيء بالاكفان وقام حجر واصحابه يصلون عامة الليل وفي الصباح قتلوهم فرضوا بالقتل ولم يرجعوا عن رأيهم في علي

ويقال نحو ذلك في من قتلهم الحجاج بن يوسف بعد واقعة الجماجم فان

الحجاج الزم من بقي حياً من رجال ابن الاشعث ان يعترف انه كفر بعصيانه على الخليفة فيخلي عنه والا قتله . فكان يؤتى بالاسير الى ما بين يدي الحجاج فيقول له الحجاج « اشهد انك كفرت » فان قال « نعم » اطلقه والا قتله . فكان كثيرون ينكرون قوله فيقتلهم . ومن هؤلاء رجل من خثعم كان معتزلاً فسأله الحجاج عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له « اتشهد انك كافر » قال « بئس الرجل انا اعبد الله ثمانين سنة ثم اشهد على نفسي بالكفر » قال « اذاً اقتلك » قال « وان قتلتني » فقتله . ومنهم سعيد بن جبير التابعي الشهير وغيره . وحوادث اضطهاد الشيعة كثيرة بتفضيلهم الموت على الخروج من طاعة العلويين او انكار فضل علي

ومن حوادث الاستشهاد في سبيل الثبات في الراي الديني حادثة احمد بن حنبل واصحابه لانكارهم القول بخلق القرآن بعد ان امرهم الخليفة المأمون ان يقولوا بخلقه وكان المأمون يعتقد ذلك . وشدّد في نشر هذا الاعتقاد بين رعاياه فكتب الى نائبه في بغداد ان يمتحن القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن اقرّ انه مخلوق خلى سبيله ومن ابى اعلمه به ليرى رأيه فيه . ففعل ذلك فاجابه الاكثرون وابى جماعة فبعث المأمون الى نائبه المذكور ان يرسل اليه منهم موثقين بالحديد . فلما رأوا ذلك التهديد خافوا واعترفوا بما اراده الخليفة الا اربعة منهم احمد بن حنبل الامام المشهور . ثم اعادوا عليهم القول وهددوهم فاجاب اثنان وظل اثنان وهما ابن حنبل وابن نوح فشدّا بالحديد وحملا الى المأمون في طوس ومات المأمون في تلك السنة . فلما تولى المعتصم احضر احمد ابن حنبل وامتحنه بالقرآن وامره ان يقول انه مخلوق فابى فامر به فجلد جلداً عظيماً حتى غاب عقله وتقطع جلده وحبس مقيداً وظل على اعتقاده حتى مات

اما حوادث استشهاد المسلمين بسبب اضطهاد اهل الاديان الاخرى فلا يخلو التاريخ من شواهد صريحة فيه غير ما يؤخذ من القرائن العديدة التي يطول بنا شرحها . اما الحوادث التي ورد ذكرها صريحاً في هذا الشأن فاكثرها في اثناء حروب الروم والمسلمين في الشرق او الافرنج والمسلمين في الاندلس . من ذلك ان تيودورة ملكة الروم كان قد وقع في حوزتها عدة آلاف من اسرى المسلمين فعرضت عليهم سنة ٢٤١ هـ ان يتنصروا فمن تنصر استبقته وجعلته اسوة من قتله من المتنصرة ومن ابى قتلته . فابى كثيرون وذهبوا ضحية ثباتهم في اعتقادهم . وهكذا يقال في مسلمي الاندلس لما غلب عليهم الافرنج وهموا باخراجهم فخيروهم بين النصرانية والموت فاختار الموت جماعة كبيرة منهم

واعتبر ذلك في اكثر الانبياء والمصلحين فان ثباتهم في دعواتهم والاستهلاك في نصرتها حتى الموت ساعد على نشرها . ومن لم يثبت منهم ضعفت عزائم انصاره وانفض الناس من حوله . كما اصاب اريوس لما انكر لاهوت المسيح في اوائل القرن الرابع للميلاد وهو من كهنة كنيسة الاسكندرية . فالتف حوله جماعة كبيرة واشتد ساعده فاهتم الامبراطور قسطنطين بالامر فأرسل اليه وحاكمه وحكم بضلال بدعته والزمه ان ينكر تلك البدعة فغلب خوف الموت على قلبه وانكرها موقتاً فاطلق سراحه فعاد الى التعليم فاستقدموه وخوفوه فاقسم انه يرجع عن ذلك التعليم وعاجلته المنية بعد قليل

ويعد من قبيل الجرأة الادبية ظهور لوثيروس صاحب المذهب الانجيلي فانه حارب اعتقادات راسخة وتقاليد متوارثة وقوانين مدونة وطغمات مسلحة ولم يبال باللعنات والاضطهادات فوفق الى تأسيس شيعة من اعظم الشيع النصرانية الآن . وهكذا يقال في اكثر اصحاب المذاهب والمصلحين فانهم يلاقون عقبات كالاطواد راسخة منذ اجيال يصعب تمهيدها ولا يفلح في ذلك الا اهل الثبات والصبر وسعة الصدر

ولا يزال عهدنا قريباً بما قاساه المرحومان الشيخ محمد عبده في سبيل الاصلاح الديني الاسلامي وقاسم بك امين بشأن الاصلاح الاجتماعي فاظهرا جرأة ادبية كبرى في مقاومة تيار التقاليد والعادات وقد وضعا اساساً لاصلاح كبير سيكون له شأن عظيم في الاجيال القادمة وسيذكرهما التاريخ

٣ — الجرأة والثبات في نصرة العلم

كثيراً ما يكتشف العلماء حقائق علمية تخالف ما تعوده الناس من العادات او تمسكوا به من الاعتقادات . فالتصريح بتلك الحقائق يحتاج الى جرأة ادبية ولاسيما في القرون الماضية يوم كان الناس عبيد التقاليد والاعتبارات . واقدم من ذهب ضحية هذه الجرأة على ما نعلم سقراط الفيلسوف واضع الفلسفة الادبية العملية او محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . فخالفت تعاليمه مصالح كثيرين من معاصريه وربما وقفت عثرة في سبيل ارزاقهم فنقموا عليه — كما ينقم عبيد التقليد على رجال الاصلاح في كل عصر . فتصدى له خطيب اسمه ايتوس واخذ في مقاومته وتحقير تعاليمه وسعى بالدسائس والوشايات عليه ورفع للحكومة تقريراً بين فيه ما ارتكبه سقراط من احتقار الآلهة وخرق حرمة القانون — وهي حجة المقلدين على المصلحين — وطلب قتله

فطلبت الحكومة من سقراط ان يدافع عن نفسه فابى لعلمه انهم قاتلوه لا محالة .



سقراط

فحكموا عليه بالاعدام فاستقبل الحكم بثبات وهدوء فسجنوه قبل الاعدام مدة تردد عليه في اثنائها بعض محبيه ونصحوا له ان يفر وسهلوا له الفرار فقال « اخبروني عن مكان لا موت فيه فافر اليه »

ولما آن الاعدام اتوه بالسم في كأس ودفعوه اليه فشربه دفعة واحدة واصحابه حوله . فلما رآهم يبكون قال « ما بالكم تبكون ونحن انما اخرجنا النساء حتى لا نسمع بكاء كونوا رجالاً وتصرفوا تصرف الرجال »

ويقال نحو ذلك في غليليو صاحب مذهب دوران الارض في القرن السابع عشر وان لم يقتل في سبيله ولكنه سجن واضطهد . وقد حوكم في مجلس ديني يرى ان هذا الرأي في العلم يخالف تعاليم الكتاب . وحاولوا اقناعه بان يعترف بفساد رأيه ويرجع عنه فابى

والزموه مرة ان يقول بثبوت الارض وهددوه فقال ثم عطف ورفس الارض برجله وصاح « ومع ذلك فانها لتدور » وقضى بقية حياته معذباً بالمراقبة والدسائس ولكنه كان مطمئناً لثباته في اعتقاده العلمي

ويعدّ من هذا القبيل قيام دروين في القرن الماضي بمذهب النشوء والارتقاء ولا يزال صدى المجادلات التي احتدمت بشأنه ترنّ في آذاننا

٣ — الجرأة الادبية في النصح والارشاد
الصحف والصحافيون

ويتناول هذا الوجه من الشجاعة الادبية نشر النصح والارشاد في العامة ويدخل فيه بث المبادىء الصحيحة والآراء المصيبة ولو خالف ما الفه العوام أو تعودوه . وهو من مقتضيات المدنية الحديثة التي صار للعامة فيها صوتٌ يسمع . ونشر النصح فيهم يقوم أكثره بالصحف والمجلات أوبالقاء الخطب في الاندية ـ وهو المراد من هذه المقالة لانا في اشد الحاجة اليه . ان الاخلاص في ارشاد العامة افضل ضروب الشجاعة لانهُ يغني عن سواه . وقادة الافكار اذا اخلصوا النصح للامة وعرفوها حقوقها وواجباتها كفوها مؤونة الخلاف بينها وبين حكامها . وقد يتصل نصحهم بالحكام فيحسنون السياسة مع الرعايا فلا تبقى حاجة الى الفتك ولا التعرض للقتل

فهل قادة الافكار عندنا عاملون بهذه الفضيلة ؟ كم من الصحف العربية لا تقول الأ ما تعتقده ؟ وكم هم المرشدون الذين يخلصون النصح فيقولون الحق ولو جرم ذلك الى اغضاب القراء ـ نقول بكل اسف ان اولئك المخلصين قليلون بيننا . واكثر كتابنا يقيدون اقلامهم بقواعد مقررة لمصالح معينة . او هم يكتبون ليرضوا قراءهم واكثرهم من العامة يؤخذون بنعرة الدين او اثارة الخواطر . فيتوخى الكاتب ما يلذ لهؤلاء ويجتذب قلوبهم . ويفرح باقبال الناس على ما يكتبه او التأمين على ما يقوله — الأ ان يكون ما يقوله مطابقاً لما يعتقده فاذا لم يطابق الواقع كان من قبيل الخطأ وله حكم آخر

وهناك طبقة اخرى من الكتاب يصرفون همهم الى مسايرة اصحاب النفوذ ورجال السلطة خوفاً من غضبهم او تزلفاً اليهم في مأرب أو غرض ويغضون عن سقطاتهم . ونحن في عصر دستوري يطلب فيه ولاة الامر من رجال الاقلام ان يساعدوهم في الآراء لمصلحة الامة بدليل ما صرح به رئيس الوزارة المصرية غير مرة . واليك فقرة قالها حازم بك والي بيروت عند تلاوة الفرمان بتعيينه امس قال :

« متى كانت الغاية المشتركة بيننا وبين المطبوعات هي سلامة الوطن وسعادته فالمساعي المختلفة تتحد حالاً . وان انتقادات الجرائد وملاحظاتها متى كانت منبعثة عن عواطف وطنية محضة وضمن الاخلاق وقواعد الآداب فهي في نظر العموم وفي نظرنا نحن المأمورين على الخصوص من قبيل الاشارة التي تنبه افكارنا وتسهل علينا التوفيق في وظائفنا . ولذلك اتمنى من حمية ارباب المطبوعات القيام بهذه المعاونة الادبية على الدوام »

فعدولنا مع ذلك الى مسايرة اصحاب النفوذ او مجاراة تيار العامة انما هو من نقص في الجرأة الادبية . يجب على الكاتب ان يمد يده ليرفع القارىء اليه لا ان يداجيه ويحسن عمله وهو يعتقد انه في ضلال

وقد آن لمصر وهي جزء من اوربا في مدنيتها وارتقائها ان تتمثل بالامم المرتقية في حرية القول وصدق اللهجة . وقد يعتذر بعض ارباب الاقلام انهم اذا فعلوا ذلك اغضبوا القراء وكسدت بضاعتهم . وهو عذر ضعيف لان الصحافة غير التجارة او الحياكة او الخياطة لتكون رهن ارادة « الزباين » في شكل ما يطلبونه من الادوات او الاثواب — حتى النجار او الخائك اذا رأى زبونه على ضلال ارشده الى الصواب وبين له خطأه في طلبه بما له من الاختبار في صناعته . فكيف بالصحافة وهي مدرسة تعليم وارشاد واصحابها اساتذة الامة وقادة افكارها ؛ فاذا كان القراء في ضلال فعلى الصحافي ارشادهم ولو اغضبهم فلا يلبثون ان يعرفوا الصواب فيشكروه . وقد لا يغضبهم اذا احسن الاسلوب في تفهيمهم

وقس على ذلك حرية القول في سائر ما يرجى منه الارشاد والنصح او ما نحتاج اليه في معاملتنا اليومية . قد تعودنا المجاملة وبالغنا فيها حتى صارت الى المداجاة او الرياء واصبح احدنا يستحيل عليه ان يعرف حقيقة منزلته بين اقرانه . ومن كان سريع التصديق صغير النفس اخذه الغرور وقضى ايامه وهو يعتقد نفسه في منزلة هو بالحقيقة احط منها كثيراً . ولو اتيح له ان يسمع اقوالهم في غيابه لرأى فرقاً بعيداً . ولا يخفى ما في ذلك من الضرر لان الانسان اذا عرف خطأه اجتهد في اصلاحه واذا فهم عجزه وقف عند حده . فالمداجاة تقف في سبيل تقدمه

ويقال نحو ذلك في ارشاد العامة الى النزوع عما استغرقوا فيه من العادات والاخلاق . والكاتب اذا فعل ذلك قد ينقمون عليه او يطعنون فيه ويتهمونه بالمروق من الدين او الوطنية . ولكنه يثبت في ارشاده ويصبر على تلك المطاعن بنسبة ما في نفسه من العظمة وما في صدره من السعة — كذلك فعل كبار الرجال الذين حفظ التاريخ اسماءهم مثل سقراط وغليليو ومحمد عبده وقاسم امين وغيرهم

٤ — الاعتراف بالخطأ

وكما يطلب من الناصح المرشد ان يخلص في القول ولو خالف المألوف فعلى السامع او القارئ ان يتدبر قوله باخلاص ويعوّد نفسه على الاعتراف بالخطأ . وهذا ايضاً يحتاج الى جراءة ادبية لا نزال مع الاسف بعيدين عنها . وقد بينا في غير هذا المكان

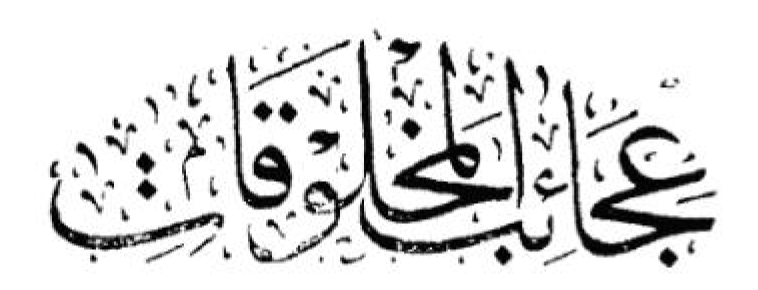
«ان الاعتراف بالخطأ صواب والاقرار بالعجز قوة» — ان الاعتراف بالخطأ من اكبر ادلة التعقل وهو هين على العقلاء لانهم يعرفون ضعف الجنس البشري وان الانسان ليس اسبق من الخطأ الى لسانه وقلمه وان العصمة لله وحده . ولا يعتقد العصمة باقواله واعماله الا الجاهل المكابر — يدلك على ذلك اجماع الناس على ذم الاستبداد بالرأي وجنوحهم الى الشورى حتى الانبياء والملوك — ومما قالوه في مدح المشورة :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لا يخفى على اثنين
المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاهُ بجمع مرآتين

فاذا سمعت نقداً على عمل عملته اوراي رأيته فلا يشق عليك ذلك ولا تسرع الى الغضب او تعمد الى المكابرة قبل تدبر النقد واعمال الفكرة فيه . فاذا تحققت خطأك اعترف به واشكر للذي اصلحه ونبهك اليه اذ يندر ان تسمع الانتقاد على عملك ولا سيما في الشرق لشيوع المجاملة فيه فلا يبلغ الى الانسان غير مدح اعماله وقلما يعلم بمواضع النقص فيها . فمن يطلعك على خطئك فقد احسن اليك فلا تقابل الاحسان بالاساءة وما في ذلك حطة من قدرك . واذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً فالمقرّ بغلطه اعظم

وقد يشق على بعضهم الاعتراف بالخطأ خوفاً من حكم الجمهور عليهم بالضعف لان العامة لا تدرك فضيلة ذلك الاعتراف . وقد يضر ذلك بمصالحهم اذا كانت مرتبطة برضى العامة . ولا يخلو خوفهم هذا من اصابة ولكنه ايضاً من ثمار الضعف . فاذا بقينا على هذا الخوف دفناً في هذا الضلال . والمرجو من ادباء الامة وخاصتها ان يرقوا اخلاق العامة ويرفعوها الى افقهم لا ان يهبطوا معهم الى مهاوي ضعفهم . ولذلك رايت كتاب الشعوب الراقية لا ينتقدون من الاعمال او المؤلفات الا ما يقع من نفوسهم موقع الاحترام . فاذا الف احدهم كتاباً ولم ينتقده الكتاب عدَّ ذلك دليلاً على احتقارهم اياه وعتبهم عليه . ولا ينبغي ان نحول طريقة الانتقاد دون الاستفادة منه . وانما العبرة في ما حواهُ الانتقاد من الاصلاح في سبيل المصلحة العامة

فالارشاد يحتاج الى جرأة ادبية وقبول الارشاد او الاعتراف بالخطأ يحتاج الى جرأة ادبية — وهو ما ندعو الى العمل به لشدة افتقارنا اليه . لان الامة مهما بلغ من رقيها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لا تزال في خطر التقهقر حتى تتعود صحافتها حرية القول ويهون على قرائها الرجوع الى الصواب والسلام



شواذ الخلق في الانسان

التوأمان روزا وجوزيفا

اتفق العلماء الطبيعيون عموماً من متأخرين ومتقدمين على ان سبب حدوث شواذ الخلق في عالمي النبات والحيوان ما هو الا اختباط وعدم انتظام في التشكل الحيوي المستحيل والمادة المكيفة فيأتي الناتج مخالفاً في شكله ورسمه للحالة الاعتيادية المتصف بها جنسه والمتميز بها نوعه . وكذلك في الجنس البشري فان الشواذ التي توجد فيه بوجه عام سببها عوارض تحدث عند التلقيح أو في الحمل وقد تكون وراثية

أما هـذا الاختباط وعدم الانتظام فيكثر حدوثه في عالم النبات ويقل في عالم الحيوان وهو اندر في الانسان . لكنه مع هذا لم يخل زمن من الازمان من مخلوق شاذ غريب عن نوعه في جهة من جهات المعمور لكن يندر من هذه الشواذ من يعمر طويلاً لان العدد الاكبر منها يولد بدون رؤوس أو ناقصة الاعضاء أو متعددتها كمولود باربع سوق أو برؤوس حيوانات . وقد شاهدت اشكالاً منها في المتاحف الاوربية ولا سيما في متحف التاريخ الطبيعي في باريس فهؤلاء المواليد يكادون لا يخرجون من العدم حتى يعودوا اليه

غير انا لم نقف على بيان أقرب الى المعقول والصواب في يختص بسبب وجود شواذ الخلق البشري مما ذكره العالم الشهير جوفروي وهو بنصه « اذا سقطت من المبيض الى الرحم بيضتان تلقحتا في وقت واحد وتأصلتا في جوانبه والتصقتا بنقطة من طرفيهما فانهما تحدثان مخلوقاً مزدوجاً أو مثلثاً وهلم جراً . . . أو ان ينتج عنهما

مخلوق مزيد أي فيه أعضاء زائدة . أما اذا كان قد توقف الجنين [1] عن دورته في اثناء حركته فيتسبب عن ذلك ان يتمثل عضوان من الجنين في عضو واحد وهو نتيجة المخلوقات الناقصة الاعضاء . وكلما زاد الاختباط الذي يحصل في الرحم أتت المسوخ [2] متخاذلة وغير منتظمة التركيب . ويغلب على الظن ان النساء اللواتي ابتلين ببعض الادواء العصبية كالهستريا والرجفة ونحوهما . والنساء المتقدات المزاج وذوات الوساوس . واللاتي يتخوفن من لا شيء فهؤلاء على الغالب اكثر استعداداً لولادة المسوخ أي شواذ الخلق . واذا اتفق لواحدة من هذه الامهات انها أصيبت برعدة مفزعة في اليوم الثامن من حملها أو أصابتها رجفات قوية فائقة الحد . أو اتاتها كابوس مخيف تخيلت فيه مثلاً انها التقت باحد الوحوش الضواري أو كانت هدفاً لتخويف احدى الساحرات — ففي حالات كهذه يضطرب عمل الحمل من تقلص الرحم وتشنجه ويصبح الجنين أقل أو اكثر تغيراً وتشوهاً » انتهى

وكانوا يتخوفون فيما مضى من مولود تضعه أمه شاذ الخلق لا سيما اذا كانت له ملامح تشبه ملامح الحيوانات . فكانوا يئدونه ويضحون الضحايا ويعملون التبخير والتطهير بعد مولده لتشاؤمهم وتخوفهم منه . أما اليوم وقد سطعت انوار المدنية وبسطت أشعتها على اكثر الامم فان هذا التخوف الوهمي يتقلص شيئاً فشيئاً

ولا يسعني المقام أن أسهب في بيان شواذ الخلق والاقسام التي قسمها اليها العلماء الطبيعيون وأن أورد تواريخها ونوادرها فقد استوفيت ذلك في كتابي « تاريخ الانسان الطبيعي »

وانما حملني على كتابة ما تقدم الفتاتان اللتان شاهدتهما أخيراً في باريس « روزا وجوزيفا » وهما تناهزان الثامنة والعشرين من العمر عبلتا الجسمين مربوعتا القامتين

(١) يكون المخلوق البشري في اول طوره نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم تصويراً ثم جنيناً ثم مولوداً ثم رضيعاً ثم الى نهايته . .

(٢) جاء في اللسان المسخ تحويل مولود مشوه الخلق وقد اطلق المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي لفظ الغولة وجمعها غول أي ما هال منظره الانسان . المخلوق الشاذ الخلق وقصد بذلك تعريب لفظة Monstre



روزا وجوزيفا

بيضاويتا البشرة ملتصقتان من جانبيهما كما يظهران في الرسم

وليس وجه الغرابة فيهما أنه ليس لهما نظير بين البشر فان أستير ويهوديت وهما الاختان المولودتان في هنغاريا واللتان عاشتا الى الثانية والعشرين وكانتا ملتصقتين من العجز تقربان شبهاً من روزا وجوزيفا وان اختلفت فيهما جهة الالتصاق وكيفيته الا ان وجه الغرابة في روزا وجوزيفا — لانظن فتاتين ملتصقتين توصلتا الى مثله قبلهما — هو ما يقف عليه القاري، من السياق الآتي :

ولدت الاختان روزا وجوزيفا من أسرة بلزك في بوهيميا وهما ملتصقتان من جانبيهما . ولكل منهما رأس وذراعان وساقان مستقلة على حدة . اما باقي أعضائهما فهي ملتصقة متلاحمة (١)

وقد حدث من مدة لامر تجهله جوزيفا كما اقرت بذلك مدعية ان روزا أصبحت

(١) يذكر التاريخ الطبيعي كثيراً من المخلوقات الشاذة ولدت ملتصقة وعملوا لها عملية جراحة لفصل نقطة الاتصال فيهما وان كانت ضيقة فان العملية كانت تنتهي غالباً بالموت بعد زمن قصير

حاملاً وبعد مضي مدة الحمل وضعت مولوداً ذكراً تام الخلق جميل المنظر غير ان شقيقتها جوزيفا المسكينة وان لم تشاركها في الحمل والوضع فقد شاركتها في آلام المخاض التي شعرت بها واحتملتها معها. ومما يقضي بالعجب ولم يسبق له نظير ان ابنة تقاسي آلام المخاض واوجاع الوضع والنفاس وتبقى بتولاً عذراء

أما الشاب الذي خدع روزا ونال منها بغيته يروم اليوم ان يكفر عن سقطته ويصلح خطأه بان يقترن بها قراناً شرعيًا ويعترف بابنه ويطلق عليه اسم أسرته . ولنكد طالعه ليس من السهل أن ينال امنيته ويتخذ روزا زوجة شرعية له . لان الشرع لايسمح له أن يقترن بالواحدة دون الثانية ومن الجهة الاخرى يمنعه عن الزواج بامرأتين معاً وتعداد الزوجات عقابه السجن لا محالة

وعلى فرض انه توصل بافتاء او حيلة شرعية الى ان يعقد زواجه على روزا فهو لا ينجو من مشكلة الا ويقع في سواها اعقد منها . لانه يقترف بذلك انتهاك حرمة الآداب وهذا لا يسمح له الشرع به ايضاً . ولايباح ايضاً لروزا وجوزيفا أن تقترن كل منهما في وقت واحد ويكون لكل منهما زوج

أما الخطيب فلم يجد حيلة لقضاء مرغوبه مع بقائه في الديانة المسيحية فعزم أن ينتقل الى سواها وينتمي الى طائفة المورمون التي تبيح تعدد الزوجات فتسمح له بان يقترن بالاختين معاً. هذا اذا كانت جوزيفا ترضى بذلك وتوافق عليه

وفي اثناء اقامتي في باريس دعا احد ارباب الصحف نخبة من الاطباء المشهورين ليقفوا على حالة هاتين الفتاتين ويبدوا رأيهم فيهما قبل ان تعرضا لمشاهدة الجمهور اياهما . وبعد ان فحصوهما فحصاً طبيعيًا لم يجدوا فيهما شيئاً مخالفاً للحالة الاعتيادية غير كيفية الاتصال بينهما

وقد تمَّ عرضهما في دار تمثيل اولمبيا بالشارع الكبير في باريس حيث ظهرت امامنا روزا وجوزيفا مرتديتين بالثوبين المرتسمتين بهما تسيران جنباً لجنب وكل منهما تحمل على كتفها كمنجة وهما متعا كستان وطفقتا تضربان ضرباً متقناً بديعاً ثم دخلتا الى غرفة وخرجتا منها ثانية واحداهما (روزا) تحمل على ذراعيها طفلها الرضيع كما يظهر في الرسم . وهو طفل حسن التركيب بهي المحيا وبالقرب منها والده وهو شاب يناهز الثلاثين

ربيعاً وهو الذي يود أن يقترن بها شرعيًا . وقد قيل لنا هنالك والعهدة على الراوي انه لما اتى اللبن الى ثديي روزا بعد وضعها اتى مثل ذلك الى ثديي جوزيفا شقيقتها

على انه بعد مشاهدتنا هاتين المخلوقتين الغريبتين وتكلمنا معهما كلمات لاتعرفان سواها باللغة الفرنسوية تأملت بامر شواذ الطبيعة ومخلوقاتها الغريبة ورأيت أن لا أحرم قراء العربية مما علمته وشاهدته عن روزا وجوزيفا

مصر الياس الغضبان



واجبات القابلة وكيف ينبغي ان تكون

دعيت لمعالجة بعض النساء وقد أصبن بامراض ناتجة عن جهل القوابل غير المتعلمات فرأيت ان ا كتب كلمة في هذا الموضوع اخاطب بها تلك القابلة :

قبل ميعاد الوضع بثلاثة اسابيع زوري الحامل في بيتها مرة بالنهار ولاطفيها وشجعيها واذكري لها حوادث ينشرح لها صدرها . وفي خلال زياراتك ادرسي احوالها واحوال من في البيت معها وارشديها الى امور ينبغي ان تعلمها حتى تتمكني من ثقتها . فيهون عليك ان تلقي عليها اسئلة تدركين من الجواب عليها مقدار ارتياحها الى مكالمتك . تفقدي بنفسك ثياب الجنين وثيابها عند الوضع وبعده وما يجب وجوده ساعة الولادة وبعدها من الرباطات والقطن المعقم والحفاضات والوسائد والاواني من صحون ومغطس او حوض صغير وحقنة ورباط الحبل السري وعقاقير لتعقيم الماء . وانتقي للولادة غرفة واسعة مطلقة الهواء خالية من الستائر والفرش ليس فيها الا طاولة لوضع الادوات عليها . وتغسل القاعة اوتبخر بحرق الكبريت فيها بعد سد منافذها ٢٤ ساعة

وتغسل الطاولة بالماء الفاتر والصابون جيداً ثم تجفف وتغطى بملاءة نظيفة معقمة . ويلزم للحامل سرير تلد عليه فاذا تعذر وجوده ففرشة فوقها مشمع وشرشف و بطانية . وفوق هذه الفرشة طراحة توضع تحت مقعدة المرأة ومشمع وملاءات لامتصاص السوائل التي تخرج في اثناء الولادة . و بعد انتهاء الوضع ترفع الطراحة وما عليها و يبقى ما تحتها كما وصفناه . ولا اخالك تجهلين ان المدة الكاملة للولادة من ابتداء الطلق الى انتهائه في بكريات الولادة اطول منها في المتكررات . فالاولى تستغرق من ١٨ ساعة الى ٢٢ والاخرى من ٨ ساعات الى ١٠ وقد يختلف هذا التعديل

ولما كانت الغاية من هذه المقالة الاقتصار على الواجبات العملية لا العلمية في هذا الموضوع لذلك لا اذكر فيها ما تجدين عذراً على عدم قيامك به لجهلك القواعد الفنية . ولو كنت ممن درسن بالمدارس او تخرجن على غير يد الاختبار لما وجدت عذراً عليه ولا غرض لي غير ارشادك الى ما يعود عليك وعلى الوالدة بالنفع وحسن العاقبة فارجو ان تحليها محل القبول واليك ما اشترطه عليك وانت مسؤولة عنهُ امام الله وضميرك

عندما تنوين الذهاب الى بيت الحامل في وقت المخاض خذي معك قميصاً طويلاً او كسوة شبه مريول من الكتان الابيض معقمة ومقراضاً (مقصًا) لقص الحبل السري وقليلاً من الحامض البوريك ولفافة قطن معقم وحالما تدخلين البيت قابلي اهله بالبشاشة ثم اقتربي من الحامل وسري اليها سؤالك عن نوع الطلق والوقت الذي ابتدأ به ومدة النوبة والفترة بين النوبات . فاذا كانت الفترة نصف ساعة تكون مدة النوبة نصف دقيقة والالم خفيف . ومتى حصلت النوبة وكانت المرأة ماشية اضطرت الى الوقوف والاستناد الى ما تجده بجانبها وترتسم على وجهها علامة التألم لكنها تزول عنها بسرعة . واذا كان قد مضى عليها في هذا الدور بضع ساعات اشيري عليها بالمغطس او الاستحمام بماء فاتر وان تلبس ثياباً نظيفة . وبعد قليل لا بد من الحقنة بماء فاتر مع كمية قليلة من الزيت في المستقيم

وعندما يشتد الالم ويتكرر الطلق مرة كل عشر دقائق وتمكث النوبة دقيقة واحياناً يرافق هذا الدور وعوارض اخرى مثل تكرار التبويل والشعور بسيلان نطفة ماء لرأس يجب ان تذهب الحامل الى فراشها ويجب ان يكون بالقرب منك الماء الحار والفاتر

ومغطس صغير او حوض لاجل الطفل الذي ستستقبلينه من عالم الاجنة وتسلمينه الى احضان هذا العالم . مع بقية الادوات التي ذكرناها من مناشف وقطن ووسائد

والعادة في الشرق ان تجلس الحامل على كرسي تسهيلاً لقذف الجنين من جوفها وهذا وهمٌ فضلاً عما فيه من الاضرار الجسيمة. والافضل ان تستلقي على ظهرها توفيراً لقواها ودفعاً للخطر الذي ينجم عن جلوسها في الكرسي . وتكونين انت قد لبست قميص التوليد وشمرت عن ساعديك الى فوق الكوع وجئت بمن يصب لك الماء الفاتر فاغسلي يديك وساعديك بالماء والصابون الى الكوع وقلمي اظافرك قبلاً وليطل وقت غسيل يديك خمس عشرة دقيقة اغمسي يديك بمحلول الحامض البوريك وهو الوحيد الذي يمكنني وصفه لك مع وجود سواه افضل منه للغرض ولكن لا باس به . فضعي مقداراً كبيراً بوعاء يسع لتر ماء فاتر. ومتى صار الطلق مصحوباً بالم اشد من السابق وطالت مدة النوبة دقيقة ونصف وسمعت للمرأة صراخاً شديداً استعدي للعمل الذي دعيت له فاجلسي بجانب المرأة . وقوي عزيمتها بكلام ترتاح اليه وفي بدء هذا الدور في الغالب ينسكب ماء الجيب فنظفي جسمها منه . واشير عليك باستعمال الجس الخارجي فقط فاذا شعرت بتمدد العجان واندفاع الراس الى الخارج مع كل طلق انهي المرأة ان لا تصرف قواها في الطلق الاعتصابي الا متى رأيت الراس ابتدأ في المرور فدي يدك اليمنى من تحت فخذها اليمنى واسندي الاجزاء الواقعة هناك بكفك عند كل طلق . وعند بزوغ رأس الجنين اسنديه بيدك الثانية واعترضي مروره فجأة وكلما مددت يدك الى جسم المرأة اغمسيها بالماء المعقم ولا تلمسيها بدون ذلك . واياك ان تستعملي الجس الداخلي فان الطبيب مع الوسائط التي يتخذها للتعقيم والتطهير يحجم عن الجس الداخلي الا بظروف قاهرة. وقبل ان يقدم عليه يصرف نصف ساعة في غسيل يديه لعلمه ان الوالدة رغم هذه التحوطات لا تنجو من خطر العدوى

وعندما يخرج الراس جسي حول عنقه اذا شعرت بحبل السرة ملتفاً عليها لا تخافي ولا يظهر عليك الوجل بل قولي للمرأة ان تطلق طلقاً اغتصابياً وانزعي الوسائد من تحت راسها بحيث يكون استلقاؤها على ظهرها مستوياً . وفي بضع دقائق يحل المولود من عقاله واذا تأخر وكان الحبل السري ينقبض لا تخافين عليه فالطبيعة تساعده

على النجاة انما اجتهدي ان تخلصيه بمرور اصبعك بين الحبل والعنق واسحبيه الى فوق الرأس . واذا عجزت عن ذلك وكانت علائم الاختناق قد بدت على وجه الجنين ولم يكن بقربك طبيب اربطي الحبل السري ربطاً محكماً رباطين يبعد الواحد عن الآخر قليلاً وقصي الحبل بين الرباطين فيخرج الجنين بسرعة

ومتى اصبح الجنين طفلاً تسمعين بكاءه عقب خروجه بمدة قصيرة . وهذا البكاء اشارة على وجوب قطع الحبل السري اذ لم يعد في حاجة الى الغذاء بواسطته . فاربطي الحبل السري على بعد بادخال اصبعك بينه وبين الصرة ربطاً متيناً . واربطيه رباطاً ثانياً يبعد عن الاول قليلا واقطعي الحبل بالمقراض المعقم وسلمي الطفل الى من يعتني به كما يجب ولا حاجة الى انتظار خروج الرفيقة حتى تربطي الحبل السري وتقطعيه كما شاهدتك تفعلين ذلك مراراً . فقد يتفق ان لا تخرج الرفيقة الا بعد نصف ساعة او اكثر

وبعد ان تسلمي الطفل لمن يعتني به الزمي جانب الوالدة ومري يدك على بطنها واضغطي بلطف على جسم الرحم فيتنبه الى وجوب قذف الرفيقة . وعند خروجها افحصيها جيداً بعد ان تنظفي جسم المرأة وترفعي من تحتها الخرق الملوثة . وفي ثاني يوم ولادتها اعطيها اصبع ملح انكليزي ولا تشيري عليها بالاكل الاعتيادي قبل مرور اسبوع . اما الطفل فادهني جسمه بالزيت واغسليه بالماء الفاتر والصابون ثم طهري السرة ورشي عليها قليلا من الحامض البوريك وغطيها بقطن معقم برباط على وسطه لحفظها ولا يتغير هذا الرباط الا عند وقوع قلفة الصرة بعد ثلاثة الى اربعة ايام . وفي فرصة اخرى نتكلم عن واجبات الامم نحو طفلها

مصر الدكتور اندراوس شخاشيري

تاريخ علم الادب

للخالدي المقدسي

وهو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الادب عند الافرنج وما يقابله من ذلك عند العرب من ايام تمدنهم الى عصورهم الوسطى . وما اقتبسه الافرنج عنهم في الادب والشعر في نهضتهم الاخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوكو . ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان

الحرم المدني

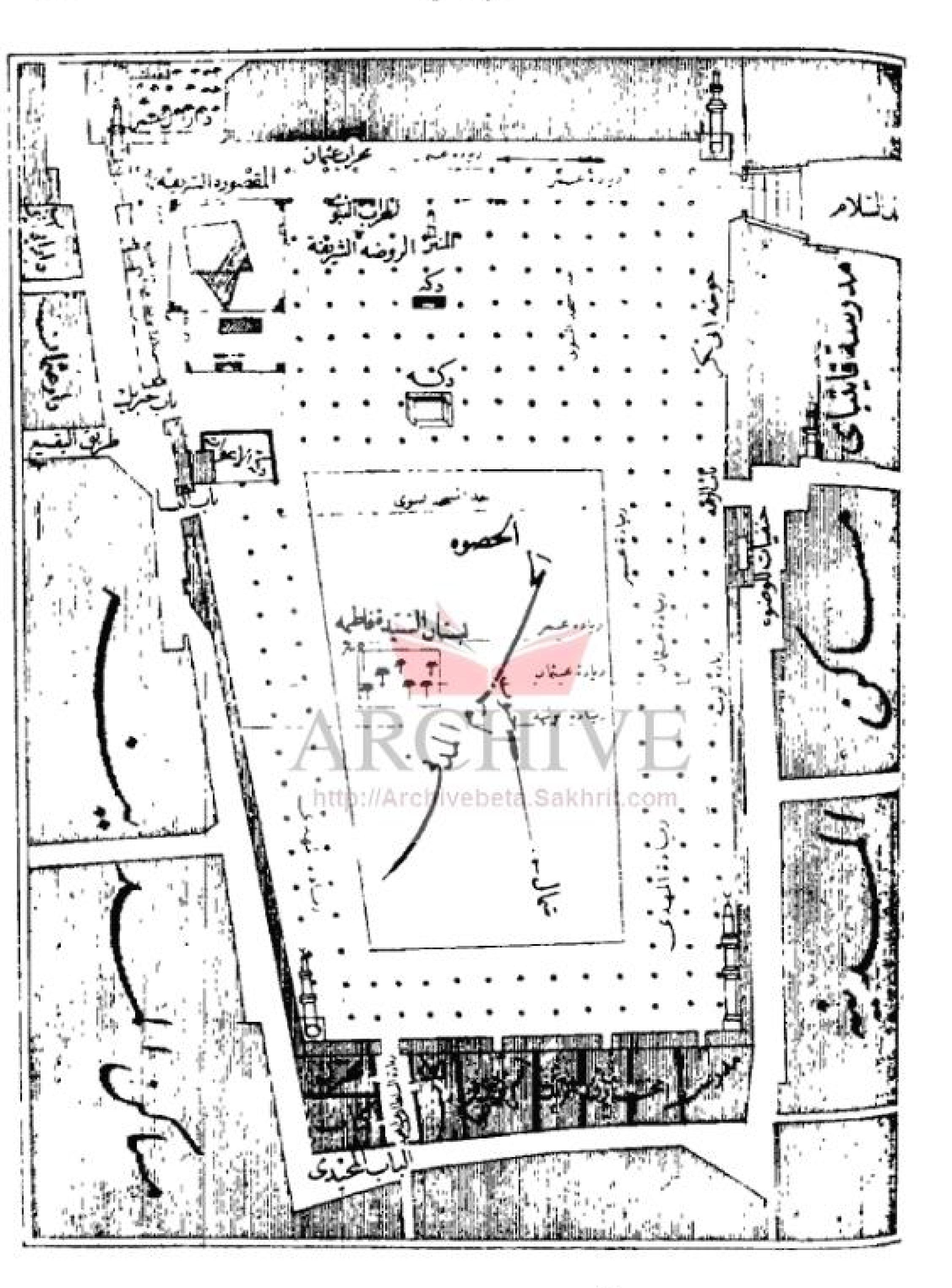
خريطته وتاريخ عمارته

الحرم المدني هو مسجد النبي في المدينة وفيه قبره وقبر ابنته وخليفته . والمسجد بجملته من التحف التاريخية بالنظر الى ما يحويه من الذخائر الدينية الاسلامية وكثيراً ما تاقت نفسنا الى معرفة اجزائه ورسمه . ولا سبيل الى زيارته بنفسنا • ولم نجد من حجاج المدينة من وصفه وصفاً وافياً . فبتنا نترقب الفرص التي تساعدنا على درسه حتى ظهر كتاب « الرحلة الحجازية » لمؤلفه محمد لبيب بك البتنوني فكفانا مؤونة الدرس بفصل نشره في ذلك الكتاب اوضحه بالرسوم اللازمة لا يبقى معه حاجة في نفس المطالع وهو اول من وفّى هذا الموضوع حقه على ما نعلم واليك قوله :

الحرم الشريف يحتوي الآن على مسجد النبي (صلعم) وعلى بيت عائشة التي دخل عليها فيه في الشهر السابع للهجرة وعلى حجرات زوجاته (رضه) مع الزيادة التي زيدت فيه وكان يحيط بمسجده الشريف في مدينة (صلعم) مساكن زوجاته واصحابه رضي الله عنهم. فكانت مساكن ازواجه في الجهة الجنوبية وفي بعض الشرقية من الحرم . وكان يفصل بينه وبينها طريق عرضه خمسة اذرع

وكانت دار ابي ايوب الانصاري ودار عثمان بن عفان رضي الله عنهما في جهة الشرق ولا تزالان موجودتان الى الآن . وان كانت صورتهما قد اختلفت عما كانت عليه في صدر الاسلام . وفي زاوية دار عثمان المقابلة للحرم الشريف حجرة فيها شباك عليه لوحة من الخارج مكتوب عليها « مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه » ويسكن شيخ الحرم عادة في هذه الدار

وكانت منازل آل عمر الى جنوب المسجد الشريف ويوجد الى الآن بستان ملاصق للحرم في اتجاه الحجرة الشريفة من جهة القبلة جعل حرماً له . وبه باب في خارجه مكتوب عليه « ديار آل عمر » وكان بجوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله (صلعم) ثم دار مروان بن الحكم وكانت على يمين الداخل من باب السلام . وكان في غرب المسجد دار ابي بكر . والى جوارها شمالاً مما يلي باب الرحمة دار عبد الرحمن ابن عوف . وهذه الدور كانت لها فتحات على المسجد فرأى (صلعم .) ان يسدها



حريطة الحرم المدني او المسجد النبوي في المدينة

والقصد بالخطوط حوله تدل على ما يجاوره من مساكن المدينة وخص منها بالتعريف القبة الواقعة الى اليمين تحت باب السلام وامامها مدرسة قايتباي وقبالتها في اليسار فوق طريق البقيع دار عثمان وفوقها دار ابي ايوب كما ترى في الرسم

فقال « لايبقين في المسجد خوخة الا خوخة ابي بكر » فسدّت جميعها الا خوخته ولا يزال في جدار المسجد شمال باب السلام باب صغير مخزن تجاه المقصورة الشريفة يمثل هذه الخوخة وعليه لوحة كبيرة مكتوب فيها الحديث المذكور بخط غاية في الجمال

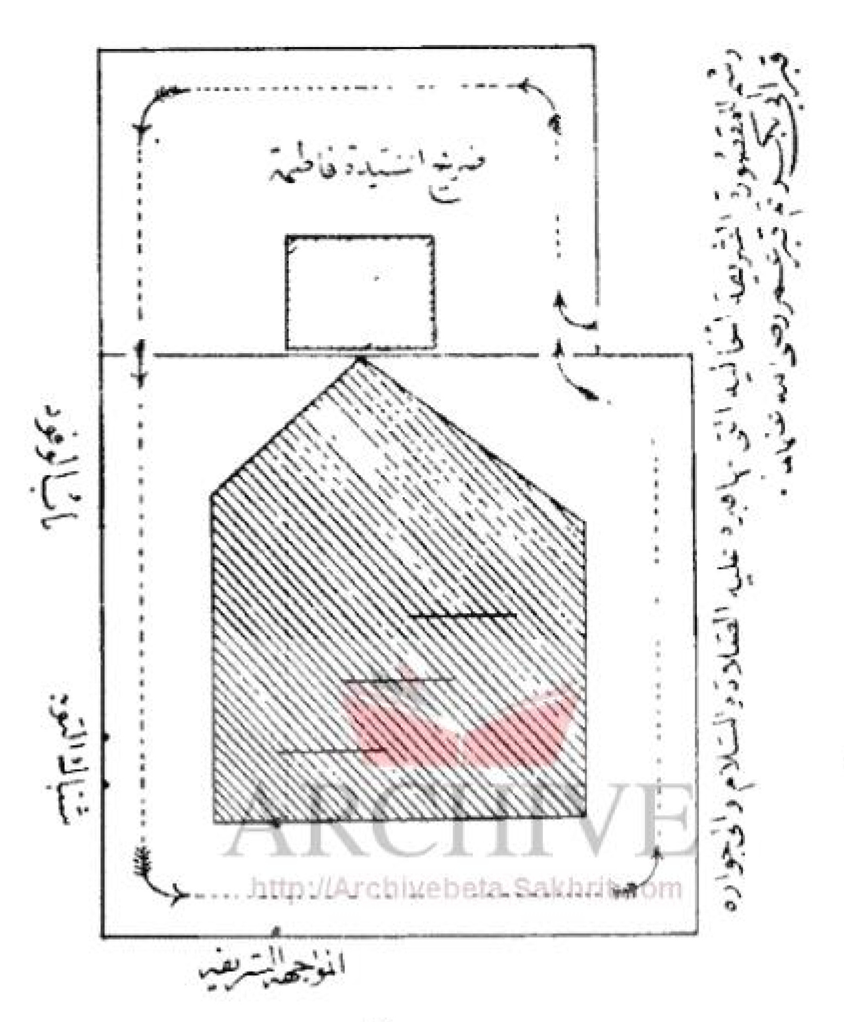
واول من جدّد في عمارة المسجد النبوي عمر بن الخطاب . فبنى حوائطه وغير بعض اساطينه ووسّع فيه قليلاً . اما عثمان فقد زاد فيه قبلته الجنوبية وبناه بالجص والحجارة . وفي سنة ٨٨ ارسل الوليد بن عبد الملك عامله على المدينة عمر بن العزيز فزاد في المسجد شرقاً وغرباً وجنوباً وادخل فيه حجرات ازواج النبي وبنى له اربع مآذن وفرش ارضه بالرخام ووشى حوائطه بالفسيفساء (الموزاييك) وكسا سقفه بالذهب وجعل اساطينه من المرمر . ثم زاد فيه المهدي العباسي سنة ١٦٠ وقام بعمارته احسن قيام . ثم عمّرهُ الخليفة المستعصم ثم الظاهر بيبرس . وفي سنة ٦٧٨ اقام الناصر قلاون قبة الحجرة الشريفة ولم يكن لها قبة قبل ذلك • ثم عمره الاشرف برسباي سنة ٨٣١ ثم الظاهر برقوق سنة ٨٥٣ وفي سنة ٨٨٦ انقضت صاعقة على المسجد فاحرقته جميعه بحال مريعة لم يرَ الراؤون مثلها • ولم يمكن اهل المدينة ان يقوموا في وجه النار التي لم تكن تبقي على شيء في طريقها . الا انها لم تمس الحجرة الشريفة بشيء بالمرة . وبمجرد ما بلغ هذا الخبر السلطان قايتباي ملك مصر امر في الحال بان ينقل الى المدينة جميع عماله الذين كانوا يشتغلون في الحرم المكي ومازالوا يشتغلون بهمة فائقة في الحرم المدني حتى اتموه على احسن هندام على هذا القوام الحالي • وبنوا الحجرة الشريفة على الفخامة والجمال اللذين نراها عليهما الآن • واقاموا على القبة الشريفة قبة أخرى اعلى منها • وبنوا في الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة واوقف عليها قايتباي الاوقاف الكثيرة وتسمى بمدرسة قايتباي الى الآن . وقد رايت له باباً كان أرسل من مصر في اثناء هذه العمارة ووضع على باب السلام ولما وسع هذا المدخل في عمارة السلطان عبد المجيد نقلوه الى الباب المجيدي وهو من الخشب الثمين المغطى بالقطع النحاسية المنقوشة او المكتوبة • بل هو اخر ما يرى الناظرون من الصناعة المصرية القديمة التي قبرت من عهد بعيد • وفي سنة ٩٨٠ عمره السلطان سليم الثاني وبنى فيه بين المنبر الشريف ومدرسة قايتباي قبلة جميلة وشاها بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بالخط الثلث الجميل يشاهده السالك من باب السلام الى الحجرة الشريفة • وفي سنة ١٢٣٣ بنى السلطان محمود القبة الشريفة ثم امر بترميمها ودهانها باللون الاخضر في سنة ١٢٥٥هـ ومن ثم سميت

القبة الخضراء . وفي سنة ١٢٧٠ امر السلطان عبد المجيد خان رحمه الله بعمارته والزيادة فيه الى الشمال . فكان ذلك وتمت عمارته على ما هي عليه الآن ووشاه بالنقوش والزخارف التي تفوق حد الوصف وكتب على جداره مبتدئاً من باب السلام الى الشرق سورة الفتح بالخط الثلث المجوّف . وفي السطر الذي تحتها سورة أخرى بخط ارفع منه ولكنه اكثر تعليقاً . ومن تحته سطر آخر اصغر من الذي فوقه فيه اسماء النبي (صلعم) وقصيدة البردة مكتوبة في محيط قباب المسجد . وفي الزوايا التي ترتكز عليها هذه القباب اسماء الله ورسوله وآله وبعض صحابته . وكل ذلك مكتوب بخط غاية في جماله وحسن تنسيقه وكمال وضعه . وحسبك انه اثر ذلك الخطاط الشهير المرحوم عبد الله بك زهدي الذي اوفده السلطان عبد المجيد الى المدينة لهذه الغاية . ومكث فيها بضع عشرة سنة يعمل في بيت رسول الله بما آتاه الله من احكام في صناعته ونبوغ في مهنته وقد ورد في مرآة الحرمين ان هذه العمارة صرف عليها نحو مليون ليرة عثمانية . وليس هناك اثر يذكر لمن بعده من الملوك سوى ما ادخل اليه من اسلاك النور الكهربائي في زمن السلطان عبد الحميد . وابتدأت الانارة به في الحرم الشريف رسميا يوم الاحتفال بافتتاح السكة الحجازية بالمدينة المنورة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦

والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر غاية في حسن الصناعة عملت في مدة العمارة التي قام بها قايتباي في سنة ٨٨٨ . ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة او باب الوفود والى جانبه من جهة الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج شباك التوبة وهو الذي يذكرونه في قسمهم فيقولون « وحياة النبي الذي وضعت يدي على شباكه » ولها ايضاً منفذ الى جهة القبلة في المواجهة الشريفة ويفتح عند الامور الهامة للدعاء والاستغاثة

ويتصل بهذه المقصورة من جهة الشمال مقصورة السيدة فاطمة وهي على استقامتها من الغرب وتدخل عنها بمسافة متر ونصف من الشرق

وطول المقصورة النبوية الشريفة من ضلعها الجنوبي والشمالي ١٦ متراً . ومن الشرقي والغربي ١٥ متراً . وفي زواياها الاربع أعمدة مزوية عظيمة . بنيت من الحجر الصلد على ارتفاع السقف . وعليها ترتكز قواعد القبة الشريفة . اما مقصورة السيدة فاطمة الزهراء فطولها من الجنوب ١٤ متراً ونصف . ومن الشمال ١٤ متراً فقط . ومن الشرق والغرب نحو سبعة امتار ونصف . وهي تتصل بالمقصورة الكبرى



من الداخل ببابين : احدهما الى الشرق والآخر الى الغرب . قد اقيم فيما بينهما ضريح على المكان الذي دفنت فيه السيدة فاطمة على قول الكثيرين . وفي داخل المقصورة الكبرى الحجرة الشريفة وهي المكان الذي توفي به رسول الله (صلعم) في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة ١١ للهجرة ودفن فيه عليه الصلاة والسلام في اليوم التالي : لقوله (صلعم) « ما قبض نبيّ الا دفن حيث قبض » وراسه عليه الصلاة والسلام الى الغرب . ولما توفي ابو بكر في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة دفن الى جنبه من جهة الشمال وراسه الى قدمي الرسول عليه الصلاة والسلام . ولما طعن عمر رضي الله عنه استأذن من عائشة ان يدفن مع صاحبيه . فأذنت له . فلما مات يوم الاربعاء ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن الى جوارهما . وراسه محاذٍ لمنكبي ابي بكر رضي الله عنهما . وقد اقيمت على هذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء على شكل ذي خمسة اضلاع ارتفاعه اكثر من ستة امتار .

واول من بنى هذه المقصورة عمر بن عبد العزيز في عمارته للمسجد . ونزل باساسها الى غور بعيد . وجعلها على الشكل المزور المتقدم حتى لا تكون مثل الكعبة في تربيعها خوفاً من ان يتخذها الناس قبلة لهم • وكانت الحجرة الشريفة تسع قبراً رابعاً ويزعمون انه مكان قبر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء في آخر الزمان ؟؟؟ وقد قيل فيه لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة «لو اتيت المدينة واقمت بها فان مت دفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما» • فقال « والله لان يعذبني الله عزوجل بكل عذاب الا النار احب الي من ان يعلم اني ارى نفسي لذلك اهلا ! » فانظر الى درجة ادب الرجل وتمسكه مع ما كان فيه من سعة الملك الذي حاز على اطراف المعمورة باجمعها

وفي سنة ٥٥٧ هـ بلغ نور الدين زنكي ان الصليبيين الذين كان مشتغلاً بمحاربتهم كانوا يعملون لسرقة الجثة الشريفة . فامر بمحاطة الحجرة الشريفة ببناء آخر . نزل باساسه الى منابع الماء . ثم صب الرصاص على دائره حيث لا يمكن ان تتناوله يد الزمان . وقد وضع على هذا البناء ستر من الحرير الاخضر مكتوب فيه « لا اله الا الله محمد رسول الله » يحيط بها احجبة مكتوب فيها قوله تعالى « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وفيما بين ذلك دوائر مكتوب فيها اسماء النبي (صلعم) . ويحيط بهذا الستر (على ارتفاع مترين ونصف تقريباً) حزام من الحرير الاحمر عرضه نحو ثلاثين سنتيمتراً مكتوب فيه بقصب الذهب اسم السلطان الذي امر بعمل هذا الستر الشريف • وهذه الكسوة ترسل من الدولة العلية عند تولية كل ملك من ملوكها . والكسوة الحالية وصلت الى الحجرة الشريفة بعد اعلان الدستور • واول من كسى الحجرة الشريفة الخيزران ام هارون الرشيد • عندما قدمت في حجها لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام • وصارت من بعدها سنة للملوك والسلاطين • وبين بناء المقصورة والشبكة النحاسية الخارجية طرقة متوسطة سعتها نحو ثلاثة امتار من جهاتها الشرقية والغربية والقبلية • وفي زاوية هذه الطرقة من الجنوب كرسي موضوع عليه مصحف شريف كبير • اهداه الى الحجرة الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفي • ويقولون انه من المصاحف الستة التي كتبها عثمان ابن عفان

وسماء هذه الطرقة مملوءة بثريات من الذهب والفضة • وخصوصاً في الجهة الجنوبية فيما يقابل الوجه الشريف : فان فيها كثيراً من المشاكي الذهبية منها احدى وثلاثون

مشكاة مرصعة بالماس والزمرد والياقوت • ومعلقة بسلاسل الذهب • ومجموع مصابيح الحجرة الشريفة مائة مصباح وستة

وفي مقابلة الوجه الشريف على جدار المقصورة حجر من الماس البرلانتي في حجم بيضة الحمام الصغيرة • يحيط به اطار من الذهب المرصع ويقدر ثمنه في ذاته بثمانمائة الف جنية • اما في شرف سبته الى الحجرة الشريفة فقيمته اكبر من ان تقدر بثمن • ويسمونه الكوكب الدري لشدة تألقه وعظيم سنائه وبهائه • وهو مثبت في لوحة من الذهب ورصع محيطه بمائتين وسبع وعشرين قطعة من الجواهر الثمينة • وهذا الكوكب اهداه للحجرة الشريفة السلطان احمد خان الاول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان في مبادىء القرن الحادي عشر الهجري • وقد علق تحته كف من الذهب المرصع بالجوهر • وفي وسطه حجر من الماس اصغر من الكوكب الدري • اهداه اليها السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد الاول في سنة سبع واربعين والف للهجرة • وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جميل جداً بحجارة الماس البرلانتي « لا اله الا الله محمد رسول الله » اهدته اليها صاحبة السمو والعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة الف ومائتين واحدى وتسعين هجرية

وفي هذه الحجرة الشريفة عير هذا • كثير من الجواهر الفاخرة التي لا تقدر بثمن : منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس اسم السيدة فاطمة الزهراء وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي • والى جوارها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم • لا يماثله شيء في عظمه وجوهره • وعقود اخرى من المرجان النادر المثال • ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة • منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين • اهداهما اليها السلطان عبد المجيد خان في سنة اربع وسبعين ومائتين والف . وشمعدانان آخران اهداهما السلطان محمود . والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ . ومراوح مرصعة بالاحجار الكريمة . وعصاقي ومباخر مرصعة . وهذا عدا ما يوجد في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المجوهرة والتحف الفاخرة . وكثير من الاحجار الكريمة والجواهر الثمينة التي لم تكن مشغولة . وغير ذلك من الاساور والاقراط وخلافها • وبالجملة فقد قدر ثمن ما للحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات

ولقد كانت الملوك والكبراء والعظماء يهدون لها في كل الازمان كثيراً من الجواهر الفاخرة والذخائر الثمينة . وكثيرا ما كانت تتطاول اليها يد الاشرار من ولاة المدينة

مثل جماز بن هبة الذي نهب في سنة احدى عشرة وثمانمائة من ذخائر الحرم المدني ما قدره السمهودي بعشرين قنطاراً من الذهب • وتبعه في ذلك الشريف حسن بن زبير المصوري سنة ٩٠١ هجرية فاخذ منه شيئاً كثيراً • وفي مبدا القرن الثالث عشر الهجري كانت الحجرة الشريفة عامرة بما لا يحصى من الذخائر الثمينة • فنهبها الوهابي سنة احدى وعشرين ومائتين والف • وباع بعضها الى الشريف غالب بمبلغ حسين الف ريال • وبعد تميم الصلح بين ابن سعود وطوسون باشا اشترى منه هذا الاخير بعض ما نهبه ابوه من آثارها الذهبية بمبلغ الى جنيه مصري . وردها للحجرة الشريفة • وكذلك رد اليها محمد علي ما اعطاه اياه الوهابي من ذخائرها واهداها هو بشمعدان كبير من الذهب الخالص وشمعدانين من الفضة مكتوب عليها « العبد المذنب محمد علي والي مصر سنة ١٢٢٨ » . واهداها عباس باشا الاول شمعدانات من الفضة وثريتين (نجفتين) من الفضة : واحدة ذات ٣٦ شمعة معلقة في المحراب العثماني . واخرى ذات ثلاثين شمعة معلقة تجاه الوجه الشريف . وثريات وشمعدانات اخرى من البلور . ولسعيد باشا وبعض كريمات العائلة الخديوية بالحرم الشريف هدايا اخرى . واخر ما قدم للحجرة الشريفة لهذا العهد دواليب ثمينة جداً قدمتها دولة والدة الجناب الخديوي لتحفظ فيها هذه الآثار الكريمة جزاها الله خيراً

وخدمة الحجرة الشريفة يغسلونها في السنة ثلاث مرات : واحدة في يوم ٩ ربيع الاول . والثانية في اول رجب . والثالثة في الثامن والعشرون من ذي القعدة ويكون لذلك احتفال كبير . وماء غسيلها يفرقونه في قوارير على اكابر المسلمين للتبرك به . انتهى

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من سنة ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

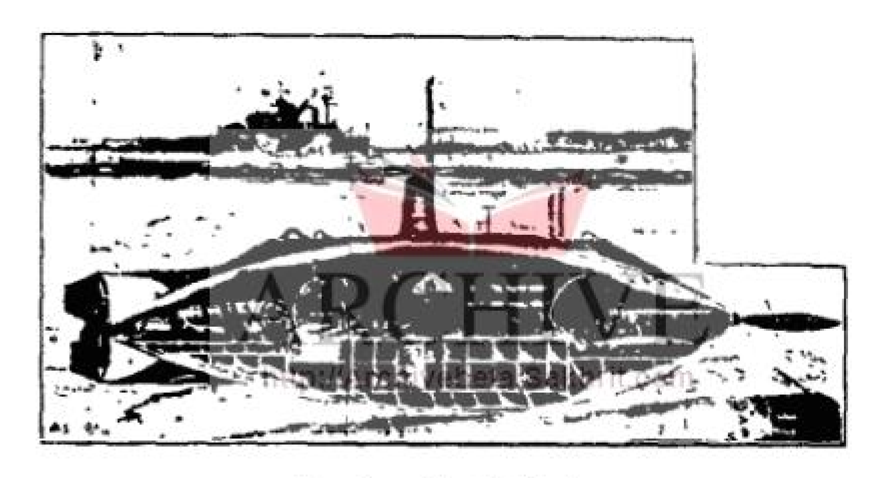
قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٢

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٢ وترسل مجاناً لمن يطلبها من مكتبة وادارة الهلال بالفجالة بمصر

الطوربيد والالغام

في حروب البحار

الطوربيد من اهم الاختراعات الحربية البحرية وهو قديم استخدمه الروس في حرب القرم ثم الاميركان وهو عبارة عن مقذوفات كالقنابل المستطيلة ترسل في الماء تحت السفن او فيما بينها ثم تنفجر فتفتح في البحر هوة تبتلع السفينة او السفن الى قاعها . ثم تفننوا في اصطناع الطوربيد وفيه ما ينفجر بالمصادمة او بالكهربائية ومنه ما ينفجر من تلقاء نفسه بعد مدة معينة وغير ذلك



غواصة لاطلاق الطوربيد تحت الماء

قد رسمت هذه الغواصة مقطوعة قطعاً عمودياً لتظهر آلاتها وكيفية العمل بها :

(١) الطوربيد مطلقاً من مقدم السفينة (٢) طوربيد محفوظ للاطلاق عند الحاجة
(٣) المدخنة وفيها المرقب فوق الماء (٤) سطح السفينة (٥) القوالب الرصاص
(٦) مخازن المهمات (٧) مخازن الهواء المضغوط (٨) مائدة عليها الطارة لمحاورة المراقبين خارجاً (٩) الآلات المحركة للسفينة (١٠) مخازن الماء

وفي سنة ١٨٧١ اخترع بعضهم طوربيداً يعرف بالسمكة البيضاء الرأس فابتاعت انكلترا سرّ ذلك الاختراع واصطنعت له سفناً خاصة ثم اقتدت بها الدول الاخرى واصبح الطوربيد المذكور شائعاً . وكانوا يطلقون الطوربيد اولاً تحت الماء من فوهة في اسفل مقدم الدارعة ثم وجدوا في هذه الطريقة خطراً فاصطنعوا سفناً صغيرة تغوص في الماء لا يبدو منها الا رأس المدخنة. وحول المدخنة مرقب يشاهدون منه حركات سفن الاعداء فوق الماء ويرسلون الاوامر الى المقيمين في داخل الغواصة لاطلاق الطوربيد يميناً او شمالاً او غير ذلك كما ترى في الشكل

فالغواصة المذكورة كثيرة الشبه بالسمكة في احد طرفيها اللولب المحرك لها في سيرها وهو بمنزلة ذنب السمكة والطرف الآخر عبارة عن راس السمكة ومنه يطلق الطوربيد من انبوب بواسطة الهواء المضغوط . واما قنبلة الطوربيد التي تطلق من ذلك الانبوب فانها تسير الى المكان المطلوب حتى تنفجر حال مصادمتها الدارعة او تبقى الى وقت يعين بآلة ملصقة بها . لان القنبلة المذكورة مستطيلة الشكل والمادة المفرقعة مستقرة في راسها وبجانب الراس غرفة صغيرة سرية فيها الآلات اللازمة لتعين العمق الذي يجب ان تسير القنبلة فيه



اللغم في صندوقه والاسلاك ممتدة منه

والالغام من قبيل الطوربيد ايضاً لانها مؤلفة من مواد مفرقعة لكنها لا تطلق اطلاقاً مثلها وانما هي توضع في صناديق ترسل في الماء حتى تستقر في المكان المراد لغمه . وفي الصندوق آلة منظمة على اسلوب خاص . واللغم من حيث اطلاقه على ثلاثة انواع : الاول بين صندوقه وبين البر او السفن الاخرى اسلاك كهربائية تحت الماء فاذا اراد اصحاب اللغم اطلاقه عالجوا الاسلاك فيشتعل اللغم بالكهربائية وينفجر فيفتح في الماء شبه واد يبتلع ما هنالك من السفن . والنوع الثاني يطلق بالكهربائية ايضاً لكن يشترط في اطلاقه ان تصطدم به السفينة فتتم الدائرة الكهربائية المتصلة فيطلق اللغم . واما النوع الثالث فلا علاقة له بالكهربائية وانما هو عبارة عن صناديق

قد وضعت فيها المواد المفرقعة على اسلوب ميكانيكي فاذا اصابت الصندوق صدمة اشتمل اللغم وانفجر حالاً . ويستخدم النوع الاول في المرافيء التي يكثر فيها مرور السفن التجارية اودوارع الدول المتحابة فتسير آمنة . والثاني يستخدم في المرافيء او البواغيز التي يقل مرور السفن التجارية او المتحابة فيها . واما الثالث فيوضع حيث يراد قطع الطريق على العدو والصديق

تحية شوقي للهلال الاحمر

في الحفلة التي أقيمت في تياترو برطانيا بمصر

يا قوم عثمان والدنيا مداولةٌ تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا
كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به فالله قد جعل الاسلام بنيانا
امسى السبيل لغير المحسنين دماً فشأنكم وسبيلاً نوره بانا
البرّ من شعب الايمان افضلها لا يقبل الله دون البر ايمانا
هل ترحمون لعل الله يرحمكم بالقفر اهلاً وبالصحراء جيرانا
في ذمة الله او في ذمة نفر على طرابلس يقضون شجعانا
ان سال جرحاهم من غربة ووغى باتوا على الجمر ارواحاً وابدانا
هذا يحنّ الى البوسفور محتضراً وداك يبكي الغضا والشيح والبانا
يودعون على بعد ديارهم وينشدون بنيات وصبيانا
اذنبهم عند هذا الدهر انهمو يحمون ارضاً لهم ديست واوطانا
ماتوا وعرضهم الموفور بعدهمو والعرض لا عزَّ في الدنيا اذا هانا

***

قومي وجلتْ وجوه للقوم مصريكم القت على كرماء الدهر نسيانا
لا تسألون عن الاعوان ان قعدوا وتنهضون الى الملهوف اعوانا
اكلما هزكم داع لصالحة قمتم كهولاً الى الداعي وفتيانا
لو صوَّر الشرق ابداناً اخا كرم لكنتم الروح والاقوام جثمانا
اذا اهتززتم تلاقي السيف منصلتا والريح مرسلة والغيث هتانا
اذا المكارم في الدنيا اشيد بها كانت كتاباً وكنا نحن عنوانا

ان الحياة نهارٌ او سحابته … فعش نهارك من دنياك انسانا

ارى الكريم بوجدان وعاطفة … ولا ارى لبخيل القوم وجدانا

هذا الهلال الذي تحيون ليلته … ابهى الاهلة عند الله الوانا

اراه من بين اعلام الوغى ملكاً … وما سواه من الاعلام شيطانا

فان ففيه من الجرحى مشاكلة … حتى اذا قيل ماتوا اخضرَّ ريحانا

لحامليه جلالٌ منه مقتبس … كأنما رفعوا للناس قرآنا

كأن ما احمرَّ منه حول غرته … دم البراءة زكى شيب عثمانا

كأن ما ابيض في اثناء حمرته … نور الشهيد الذي قد مات ظمآنا

كأنه شفقٌ تسمو العيون له … قد قلد الافق ياقوتاً ومرجانا

كأنه من دم العشاق مختضبٌ … يثير حيث بدا وجداً واشجانا

كأنه من جمال رائع وهدى … خدود يوسف لما عفَّ ولهانا

كأنه وردة حمراء زاهية … في الخلد قد فتحت في كف رضوانا

« شوقي »



نشأت بك

قائد الجند العثماني في طرابلس الغرب

مطبوعات جديدة

كتب في مواضيع مختلفة

﴿ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية ﴾ صدرت الطبعة الثالثة لهذا الكتاب المفيد تأليف الياس افندي انطون الياس منقحة ومكبرة . وهو من احسن الكتب المدرسية لتعلم اللغة الانكليزية . وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش والبريد غرش

﴿ Advanced Arithmetic ﴾ هو مطول في الحساب باللغة الانكليزية تأليف منصور افندي حنا جرداق استاذ الرياضيات في المدرسة الكلية في بيروت الفه بايعاز عمدة الكلية لتعليم الصفوف المتقدمة في القسم الاستعدادي . فوضعه على نسق سهل التناول . وفي شهرته بالرياضيات ما يغني عن الاطناب . ويطلب من حضرته

﴿ تاريخ روسيا ﴾ هو اطول كتاب لتاريخ روسيا في اللغة العربية تأليف حضرة الخوري باسيليوس خرباوي كاهن الكنيسة الارثوذكسية السورية في بروكلن (نيويورك) وقد جعله تقدمة لنيافة السيد رفائيل اسقف بروكلن ورئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية . ويدخل في نيف وسبعمائة صفحة كبيرة بسط فيها جغرافية روسيا وشعوبها وتأسيس دولتهم ومن توالى منهم على الملك وحوادث كل ملك مفصلاً . وقد بسط الكلام في حروبها مع الدولة العثمانية من ايام بطرس الكبير الى الحرب التي انتهت بمعاهدة برلين . وحروبها مع نابليون واوج الى حربها الاخيرة مع اليابان . وزينه بكثير من الرسوم والاشكال . وبالجملة فانه كتاب كبير الفائدة وياحبذا لو شفعه بالخرائط التي تدل على حال المملكة الروسية وتشرح الوقائع الحربية . والكتاب يطلب من حضرته في بروكلن

﴿ المحررات السياسية ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب النفيس في نحو خمسمائة صفحة وهو يحتوي على المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان من ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٦٠ الى ٥ مارس سنة ١٨٦١ تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة الارز . وقد وصفنا هذا الكتاب في الهلال الثاني من هذه السنة . وفي هذا الجزء محررات هامة عن حادثة ١٨٦٠ الشهيرة تكشف القناع عن كثير من دخائلها . وهو يطلب من مطبعة الصبر في جونية (لبنان)

﴿ الرحلة الحجازية ﴾ هي رحلة الجناب الخديوي الى الحجاز سنة ١٣٢٧ هـ لمحمد لبيب بك البتنوني الكاتب المعروف . وقد وصفناها في السنة الماضية عند صدور طبعته الاولى . وبين يدينا الآن الطبعة الثانية وفيها كثير من الزيادات الهامة مما لم يسبق له نظير فيما كتب عن احوال الحجاز ومعاهده . وقد نشرنا في هذا الهلال مقالة عن الحرم المدني وتاريخه مع وصف ما حواه موضحاً بالخرائط . فهو مثال من هذا الكتاب . وفيه فضلاً عن شرح رحلة سمو الخديوي تاريخ المزارات وصورها ولاسيما مكة والكعبة والمدينة وحرمها ومنى والمسجد الاقصى وبطرا . ووصف الطرق ومن فيها من الناس وعاداتهم ونظام القوافل وسيرة النبي والخلفاء الراشدين . وفيه جدول باسماء امراء مكة من الفتح الى اليوم مع سنة الولاية . وقد توضح ذلك كله بالخرائط والرسوم . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٢٥ غرشاً والبريد ٤ غروش

﴿ كتاب نقطة الكاف ﴾ هو كتاب فارسي في ظهور الباب وتاريخه وتاريخ البابية من اول ظهورها تأليف حاجي ميرزا جاني كاشاني بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٢ وقد عني بطبعه وضبطه وعلق حواشيه صديقنا الدكتور براون المستشرق الانكليزي استاذ الفارسية في جامعة كمبريدج . وطبع بنفقة لجنة تذكار جيب التي اشتهرت بخدمة الآداب الشرقية ونشر مؤلفات الشرقيين . والكتاب عظيم الاهمية لانه يوضح سيرة الباب من اول امره وكيف ظهر بالدعوة . وهو جدير ان ينقل الى اللغة العربية لتعم الفائدة المرادة منه . على ان في مقدمة هذه الطبعة خلاصة ما حواه الكتاب بالانكليزية فنثني على الدكتور براون لهذه الخدمة

﴿ الاحصاء السنوي العام للقطر المصري لسنة ١٩١١ ﴾ اصدرت ادارة عموم الاحصاء الاميرية المجلد الثالث من احصاءاتها السنوية عن القطر المصري وهو يشتمل على نحو ٣٠٠ صفحة مزدوجة فيها جداول احصائية عن السكان والارصاد الجوية والصحة العمومية والمدارس والمحاكم والسجون والسكك الحديدية والبوسطة والملاحة والتجارة والزراعة ومالية الحكومة والدين العمومي والنقود والمكاييل والمقاييس وغيرها

﴿ مجلة جمعية التعاون الاسلامي ﴾ اهدانا حضرة الشريف منصور افندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي المجلدين الاول والثاني من مجلة هذه الجمعية وفيها فوائد كثيرة في العلوم الاسلامية

﴿ مفكرة المعارف ﴾ صدرت مفكرة المعارف لسنة ١٩١٢ وهي سهلة الحمل لطيفة الشكل ثمنها ٤ غروش وتطلب من مكتبة الهلال

﴿ مسرات الحياة ﴾ هو كتاب اخلاقي يبحث في فلسفة الحياة اليومية للورد افبري الفيلسوف الاجتماعي الشهير • عني بنقله الى العربية وديع افندي البستاني معرب « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » لنفس هذا المؤلف • ومن فصول هذا الكتاب واجب السعادة وسعادة الواجب وتحية الكتب واختيار الكتب ونعمة الصداقة وقيمة الوقت وتقدم العالم • وابحاث في العلم والمال والصحة والشعر ومصائب الحياة ومصير الانسان من حيث الخلود وغير ذلك من المواضيع التي ترقي التصور وتهذب النفس وقد طبع بنفقة مطبعة المعارف بمصر ويطلب منها

﴿ رواية الميت الحي ﴾ هي الحلقة الاولى من سلسلة الروايات العصرية لترقية فن التمثيل العربي في مصر تأليف محمد افندي لبيب امين الكتبخانة الخديوية مزينة بالرسوم . فنثني على حضرته لاننا في اشد الحاجة الى ترقية هذا الفن

﴿ كتاب البنين ﴾ هو كتاب اخلاقي تهذيبي تأليف بول دومر رئيس مجلس الامة الفرنساوية وقد نقله الى العربية عبد الغني افندي العريسي احد صاحبي جريدة المفيد البيروتية . يشتمل على حكم واداب وقواعد للتهذيب وتحسين احوال الحياة مما نحن في افتقار الى مثله في نهضتنا هذه جزى الله حضرة المعرب خيراً

﴿ المعارف ﴾ هي سلسلة كتب مدرسية في العلوم الطبيعية والرياضية عني بنشرها عبد الوهاب افندي سليم التنير ومحمد افندي طاهر التنير من ادباء بيروت . وقد صدر الكتاب الاول منها في علم الفلك وذكرا في مقدمته ان الغرض منه احياء قوة التصور في الولد لمعرفة قدرة الله تعالى . وزيناه بخمسة واربعين رسماً لتصوير الافلاك والسيارات وغيرها من احوال النظام الشمسي والابراج والالات الفلكية وغيرها . وسيليه الكتاب الثاني في الطبيعيات والكيمياء — ان هذا المشروع من اهم المشاريع المدرسية لانه يسهل تدريس العلوم الطبيعية وهي اساس سائر العلوم وتعود العقول على تفهم الحقائق والتفريق بين الصحيح والفاسد . ثمن الجزء ثلاثة غروش

﴿ الدليل الامين ﴾ هو كتاب كنائسي في خدم التكريس والتدشين المختصة بالكنيسة الارثوذكسية جمعه وعربه نيافة السيد رفائيل اسقف بروكلين للطائفة الارثوذكسية السورية باميركا

﴿ لوسيوس الحمار ﴾ هي قصة ادبية فكاهية خيالية من آثار لوسين الفيلسوف اليوناني وقد نقلها الى العربية عن الفرنساوية صالح افندي حمدي حماد لما فيها من المغزى الادبي والفكاهة

الهلال

الجزء الخامس من السنة العشرين

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١٢ و ١٢ صفر سنة ١٣٣٠

مملكة ايران

بين انكلترا وروسيا

تاريخ علاقتهما بها والاسباب التي ادت الى اقتسامهما النفوذ فيها

تمهيد

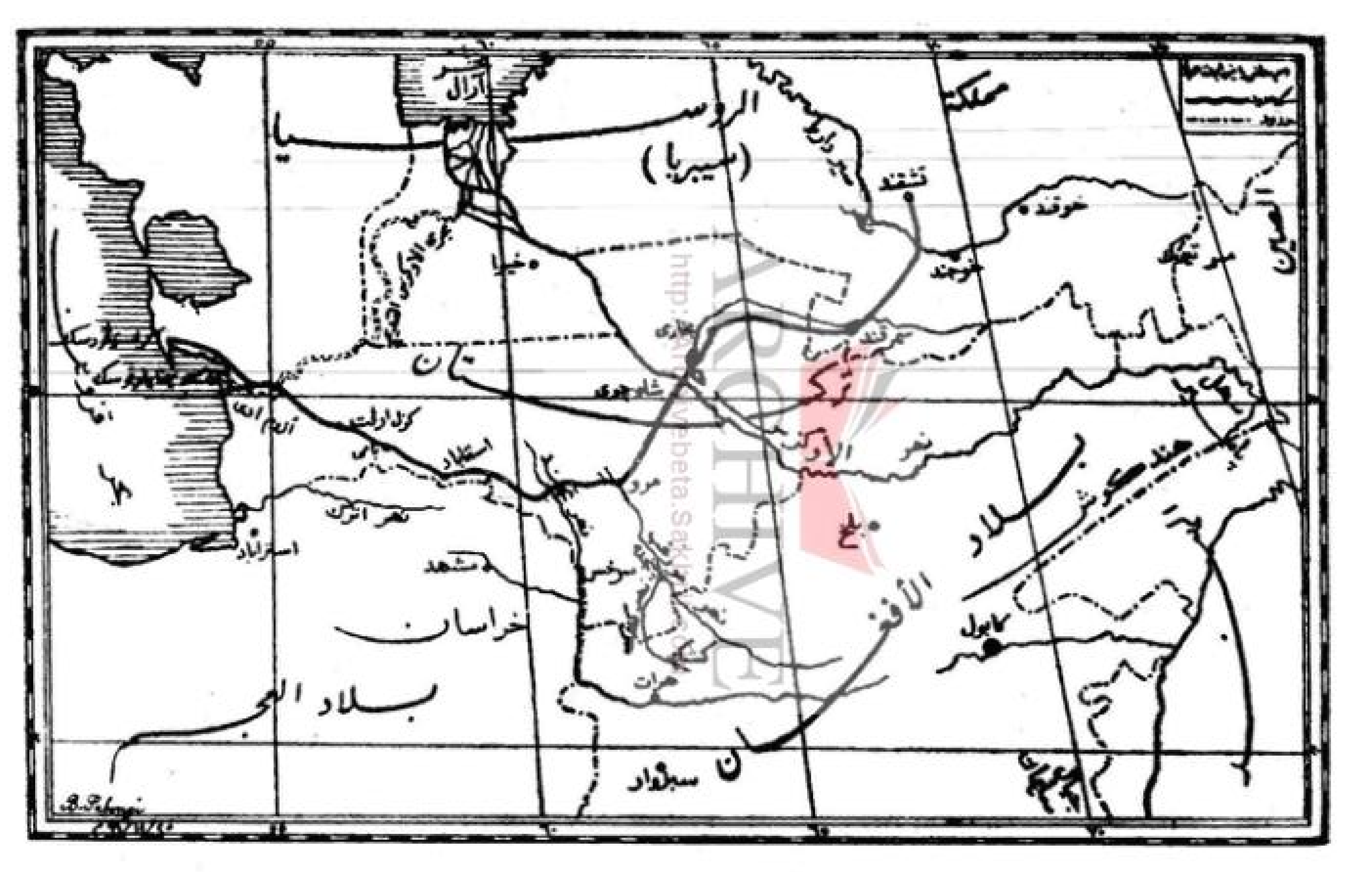
كشفنا في مقالة تاريخ المسألة الشرقية في الهلال الماضي عن مطامع دول اوربا في الشرق على العموم وفي العالم الاسلامي على الخصوص ولا سيما المملكة العثمانية . وكل دولة من تلك الدول تطمح انظارها الى البقعة التي ترى لها مصلحة فيها او سبيلاً اليها . ومن اهم اسباب المطامع الجوار . ويصدق ذلك خصوصاً على روسيا لانها اقرب الدول العظمى جواراً من العالم الشرقي وخصوصاً الاسلامي . فهي تلامس تركيا من جهة وافغانستان من جهة وايران من جهة اخرى والصين من اخرى . وهي طامعة بها جميعاً لكن مطمعها في تركيا وايران اشد منه في غيرهما عملاً بوصية رجل تلك الامة بطرس الاكبر المتوفى سنة ١٧٢٥ فانه خلف وصية اورثها اعقابه مؤلفة من ١٤ مادة تتضمن ارادته في الخطة التي يجب ان يسير عليها خلفاؤه لتوسيع نطاق مملكتهم واخصّ العالم الشرقي بمادة من موادها هي المادة التاسعة وهذا نصها :

« المادة التاسعة : ينبغي الاقتراب من الاستانة والهند بقدر الامكان لان من يستولي على الاستانة فقد اصبح قادراً ان يستولي على الدنيا باسرها. فلا بدَّ من موالاة الحروب مع الدولة العثمانية والدولة الايرانية وتحصين البحر الاحمر وضبطه لبناء السفن الحربية في دور صناعة تنشأ لهذه الغاية . ويجب الاستيلاء على بحر البلطيك والاسراع في اذلال ايران واخضاعها للمرور فيها الى خليج العجم . وقد نستطيع بذلك اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة بطريق سوريا والوصول منها الى بلاد الهند مخزن الدنيا باسرها فنستغني عن ذهب انكلترا »

وقد بذل الروسيون جهدهم في تنفيذ هذه الوصية فحاربوا الدولة العثمانية مراراً واكتسحوا بعض بلادها واستعانوا على ذلك بكل واسطة وضموا بعض املاكها الى املاكهم كما هو مشهور . اما ايران والهند فلم يظهر سعيهم في سبيلهما الا من عهد قريب ولاسيما الهند « مخزن الدنيا باسرها » كما قال بطرس . ولكن الهند يحميها الاسد البريطاني فلا يسهل اكتساحها او فتحها او الدخول في شؤونها على ان روسيا حاولت النزول عليها من الشمال بطريق افغانستان وانكلترا لها بالمرصاد . فلما احست بعزمها على ذلك جعلت تسابقها الى مصادقة امير الافغان بكل وسيلة . فاكتسب الانكليز صداقة



الامير عبد الرحمن امير افغانستان باثناء سياحته في بلاد الهند والى يمينه دوك كانوت والى يساره اللورد دوفرين



خريطة افغانستان وحدود روسيا

الامير عبد الرحمن المتوفى سنة ١٩٠١ حتى استزاروه . فزار الهند فاحتفلوا به احتفالاً عظيماً . والتقى باللورد دوفرين في بندي سنة ١٨٨٥ ودار بينهما ذكر الروابط الودية بين البلدين . فاكد الامير عبد الرحمن احترامه لمملكة الانكليز ورجال حكومتها وقال بين يدي جمهور غفير من رجال الدولتين وقد استل حسامه من غمده المرصع وشهره بيمينه « ساقتل عدو انكلترا بحد هذا السيف »

وبالواقع انه لم يدخر وسعاً في خدمة مصلحة انكلترا ضد روسيا ولا سيما في المؤتمر الذي عقد لتعيين الحدود الشمالية لافغانستان بعد احتلال الروس مرو

وكان السبب في ذلك طمع الروس في الهند فارادوا ان يغتنموا اشتغال الانكليز بالسودان سنة ١٨٨٥ فزحفوا على افغانستان حتى وصلوا الى مرو . واهتم الانكليز بذلك وخافوا على مستعمرتهم فعدلوا عن السودان وعقدوا المؤتمر المشار اليه فتعينت الحدود بين روسيا وافغانستان كما ترى في الخريطة على قفا هذه الصفحة

وازدادت انكلترا حذراً من الروس واخذت تسعى في عرقلة مساعيهم والوقوف في سبيلهم . ولم تكن حرب روسيا واليابان منذ بضع سنوات الا فصلاً من تلك الرواية السياسية فعادت على روسيا بالفشل كما هو مشهور

تنازعهما في ايران

اما تنازعهما في ايران وهو المراد من هذه المقالة فانه يبدأ من زمن ناصر الدين شاه المتوفى سنة ١٨٩٦ وكانت روسيا اكثر سعياً في اكتساب قلبه وهو الملك المطلق الذي لا يسأل عما يعمل . فتذرعت بكل وسيلة لبث نفوذها ولغتها وهي اقدر على ذلك من الانكليز بسبب الجوار . ولم يكن هؤلاء غافلين فكانوا يترقبون الفرص لعرقلة مساعي الروس — على عادتهم في سياستهم . فسعوا في ذلك من طريق المشروعات التجارية فاغتنموا سياحة ناصر الدين شاه في اوربا سنة ١٨٨٩ وحسنوا له انشاء بنك وطني فاجاز انشاءه للبارون يوليوس دي روتر وخوله حق البحث عن المعادن ونحوها . وفي السنة التالية ٩ مايو سنة ١٨٩٠ تمكنت شركة انكليزية راسمالها ٦٥٠٠٠٠ جنيه من احتكار التبغ في مملكة ايران لمدة خمسين سنة على ان تدفع للشاه او للحكومة ١٥٠٠٠ جنيه كل سنة مع ربع الربح بعد اخراج النفقات والفوائد . وعقدوا بين الشركة والحكومة شروطاً تشبه الامتيازات الاجنبية من جملتها انه اذا وقع خلاف بين الحكومة والشركة يفوض حله الى محكمين من نواب حكومات اميركا والمانيا والنمسا

في طهران وغيرذلك . فعظم فوز انكلترا على الروس لان هذا الاحتكار بهذا الشكل فضلاً عما فيه من المكاسب يجعل لاصحابه دخلاً في كثير من شؤون الدولة الايرانية

وكان الايرانيون قد اخذوا يفكرون في الحرية ويتظلمون من الحكم الاستبدادي بما بثه فيهم المرحوم جمال الدين الافغاني من روحه الحرة واعانه على بثها في تلك الاثناء البرنس ملكولم خان سفير ايران في انكلترا . وكان قد استاء من تصرف ناصرالدين شاه فاعتزل السفارة وانشأ جريدة سماها « القانون » حمل فيها على الاستبداد والمستبدين وانكرعلى الشاه تسليمه زمام الامورالى غير اهل الكفاءة والذمة من رعاياه . وشكا من كثرة مداخلة الاجانب في شؤون الدولة . وهو لاشك ينشر ما تلقه او اكتسبه من طول اقامته في عاصمة بلاد الانكليز ام المدائن الدستورية . فكان لكلامه وقع شديد زاد روح جمال الدين انتشاراً في نفوس الايرانيين فاصبحوا يحلمون بالحرية والدستور . وظهر على اثر ذلك كثير من الجرائد الفارسية الحرة خارج ايران تدعو الى مثل دعوته . ويؤثر عن جمال الدين انه قال « لا تصلح ايران حتى يقطع فيها ستة رؤوس او سبعة اولها رأس ناصر الدين شاه والثاني رأس امين السلطنة (وزيره) » وقد تمت نبوته كما سترى

احتكار التبغ

وكان احتكار التبغ شؤماً على ايران لانه لم يكد يظهر حتى قامت قيامة الايرانيين عليه يشكون من ضياع اموال الوطنيين — ولعل الروس نبهوهم الى هذا الامر حسداً من انكلترا ومسابقةً لها على النفوذ . فاثاروا خواطر رجال الدين على الخصوص ونبهوهم الى ان التبغ الذي يدخنه اكثر رجال الامة الايرانية لا يصل الى مدخنيه الا بعد ان يمر بايدي النصارى . فهبت الامة الفارسية بهذا المحرك الديني . واول من قام منها اهل تبريز وهم دائماً في مقدمة الاحرار الايرانيين . فاخذوا في نزع اعلانات الشركة عن الجدران والتعويض عنها بمنشورات مهيجة . واشتدت الازمة حتى ضاق الشاه ذرعاً فاستعان بالروسيين على اخماد الثورة فاسرعت روسيا الى هذه الفرصة واتخذتها ذريعة للسعي في الغاء ذلك الامتياز

ولكن الحكومة الفارسية مقيدة مع الشركة بعهود وشروط لايمكنها التخلص منها الا بالغرامات المالية . اما الاهالي فان المجتهدين (الائمة) اخذوا يحرضونهم على الثبات في مقاومة المشروع . واخيراً اصدر المجتهد حاجي ميرزا حسن الشيرازي امام سامرا منشوراً دينياً يحرم فيه التدخين على المسلمين حتى تحل تلك الشركة . فاطاعه الناس

وعملوا بمنشوره . فاصبح امتياز الشركة لا معنى له اذلم يبق واحد يدخن في ايران . فازدادت الازمة شدة واصبحت انكلترا لاترى مندوحة عن حل الشركة ففاوضت الشاه بذلك فنشر خبر حلها فهدأت الافكار نوعاً . ولكن الأئمة ما زالوا يحرمون التدخين لانهم ظنوا ذلك المنشور حيلة موقتة لتسكين الخواطر . ولما تحققوا وقوعه الغوا التحريم فكان ذلك الفشل ضربة شديدة على انكلترا وتحول النفوذ الى الروس . واصبحت روسيا صاحبة الرأي في ايران . وتولى الصدارة العظمى على أثر ذلك امين السلطان وهو من اعوانها الآخذين بسياستها المسهلين لاغراضها . وكان يقاومه في ذلك طبيب للشاه اسمه حكيم الملك تثقف في انكلترا وتشرب حب الحرية والدستور



حكيم الملك

ألغي امتياز التبغ وانقضت ازمته وسكنت خواطر الناس ولكن اصحابه طالبوا الحكومة بالتعويض المالي واتفقوا على نصف مليون جنيه تدفعه لهم وليس عندها منه شيء . فاضطرت الى الاقتراض وهو سبيل آخر الى النفوذ الاجنبي . وكانت روسيا تحب ان تكون هي صاحبة هذا القرض لكن الحكومة اقترضته بفائدة ٦ المئة من البنك السلطاني الايراني (شاهنشاهي) ومؤسسه انكليزي كما علمت . فزادت نفقات الحكومة ٣٠٠٠٠ جنيه كل سنة فائدة ذلك المبلغ . فتنبه الايرانيون من ذلك الحين الى سوء مغبة

القروض وعلمت ان ذلك انما حدث لفساد سياسة الشاه فنقموا عليه وهم يومئذ يستعدون للاحتفال بيوبيله لدخوله في السنة الخمسين من حكمه . فتصدى له رجل اسمه ميرزا محمد رضا كرماني رماه برصاصة وهو داخل مسجد شاه عبد العظيم في اول مايو سنة ١٨٩٦ فقتله



ميرزا محمد رضا كرماني قاتل ناصر الدين شاه

فقبضوا على الرجل واطالوا محاكمته وتكهن الناس في السبب الذي حمله على ذلك العمل واتهمه بعضهم بالجنون وآخرون بالرشوة . ثم ظهر عند نشر اوراق استجوابه انه فدائي ضحى نفسه في سبيل الوطن وانه انما قتل الشاه لاعتقاده انه لا يليق للحكم — يستدل على ذلك من قوله في أثناء الاستجواب « ان الملك الذي يقضي خمسين سنة على عرش مملكته ويبقى عاجزاً عن ادارة شؤونها لا ينبغي ان يبقى حياً . والشجرة التي لاتثمر الا امثل وكيل الدولة وعزيز السلطان وامين خاقان (من رجال ناصر الدين الضعفاء) وامثالهم من الاشرار يجب ان تقطع حتى لا تحمل مثل هذه الاثمار . والسمك يبدا فيه الفساد من رأسه لا من ذيله فاقطع الرأس يذهب الفساد »



مظفر الدين شاه

فافضت السلطة بعد مقتل ناصر الدين الى ابنه مظفر الدين شاه . فكان من تباشير اعماله انه عزل الصدر الاعظم امين السلطان وعين مكانه امين الدولة وهو اكثر حباً لوطنه وحرصاً على مصلحة الامة . وعين نصير الملك ناظراً للمالية وهو من المثقفين محبي الاصلاح تخرج في جامعة اكسفورد فشب على المبادىء الانكليزية . لكنه لم يستطع عملاً لان الشاه اعتلت صحته فوصف له الاطباء السياحة في اوربا والاستحمام بمياه كونترا كسفيل فاحتاج الى الاموال فاراد امين الدولة ان يستدين مليون جنيه من لندن فلم يفلح فاستقال فعاد مناظره امين السلطان الى الوزارة سنة ١٨٩٨

وكان امين السلطان قوي العزيمة وفيه ذكاء ودهاء لكنه لم يستخدمها في مصلحة بلاده فقضى في الوزارة هذه المرة خمس سنوات ساق البلاد فيها الى الخراب وصارت الجمارك في ايامه بقبضة جماعة من البلجيكيين يتولون شؤونها في المملكة كلها . وتخال

ذلك قرض عقده مع روسيا سنة ١٩٠٠ بمبلغ ٢٢ مليون روبل (او ٢٤٠٠٠٠٠ جنيه) بضمانة دخل الجمارك في بلاد ايران ماعدا ولاية فارس وخليج العجم . ومن شروط هذا القرض ان يستهلك في ٧٥ سنة بفائدة خمسة في المئة وان يوفى من اصله القرض الاول الذي استقرضته حكومة الفرس من البنك الشاهنشاهي (الانكليزي) للتعويض على اصحاب احتكار التبغ . والغرض من ذلك كله ان تبقى روسيا هي الدائنة الوحيدة لبلاد ايران فتستقل بالنفوذ فيها . ومع ذلك فان معظم هذه الاموال انفق على الشاه في رحلته . وهاج الشعب بطهران في اثناء غيابه وحدث شغب كثير طلباً للقوت وهو يتمتع بالاموال في باريس وبطرسبورج . وبلغت المنافسة بين روسيا وانكلترا على النفوذ معظمها سنة ١٩٠١ وانكلترا مشتغلة بالحرب في جنوبي افريقيا فاغتنم الروس اشتغالها وارسلوا سفينة لهم زارت بوشهر ومسقط وبندر عباس ولنجه في خليج فارس تستلفت الانظار الى سلطانها . واتفق في اثناء ذلك فتح طريق سجستان من الهند تحت مناظرة الكبتن بوبر . وعاد الاضطراب الى طهران وثار الشعب على الصدر الاعظم وطعنوا في وطنيته وأنه يبيع البلاد الى الاجانب

وفي السنة التالية (١٩٠٢) عزمت حكومة الفرس على عقد قرض آخر مع روسيا مقداره مليون جنيه بفائدة ٤ في المئة فدارت المخابرة بشأنه واغتنمت روسيا تلك الفرصة فاشترطت مصادقة الفرس على انشاء طريق من جلفا الى قزوين بطريق تبريز فاجابوها . وعاد الشاه ثانية الى اوربا وجاء لندن قضى فيها اسبوعاً ومعه وزيره امين السلطان وهو اذ ذاك في ابان نفوذه وحكيم الملك التبريزي طبيب الشاه الخاص وصديقه . وذهب الشاه لزيارة الملك ادوارد وهو يرجو ان ينال منه وسام ربطة الساق فخاب رجاؤه واهداه الملك صورته فلم يقبلها وجاراه رجال حاشيته فلم يقبلوا الوسامات التي امر لهم بها

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ رأت انكلترا ان تكتسب قلب الشاه فاهدته وساماً حمله له وفد الى طهران برئاسة الفيكونت داون ولم يعد داون من هذه المهمة حتى عقد مع الشاه وفاقاً تجارياً يقابل الوفاق التجاري المعقود مع روسيا لانه اضرَّ بواردات انكلترا ولا سيما الشاي الهندي . فالتعريفة الجديدة غاظت الاهالي ونهض بعضهم للاحتجاج على الحكومة في طهران ويزد وتبريز وقبضوا في هذا البلد الاخير على مجتهد اتهم انه يدعو الى الثورة وهو انما يشكو من النفوذ الاجنبي

الفرس والدستور

ورافق هذه الحوادث رغبة الايرانيين في الدستور وقيامهم لطلبه وكانت انكلترا قد تخلصت من حربها في جنوبي افريقيا ورأت روسيا قد احتكرت صداقة الشاه ووزيره امين السلطان فعمدت الى استرجاع نفوذها في ايران بواسطة الشعب الفارسي بتشجيعهم على طلب الدستور — وذلك طبيعي لان انكلترا ام الحكومات الدستورية وروسيا مثال الحكومات الاستبدادية في اوربا . واخذ يناصر انكلترا في غرضها حكيم الملك المتقدم ذكره فألف حزباً من التبريزيين اقوى دعاة الدستور في ايران . وشاع انهم يعدون مكيدة لخلع الشاه وتنصيب ابنه الثاني شعاع السلطنة . فاكتشفت المكيدة وقبض على شعاع السلطنة ولم يمض كثير حتى مات حكيم الملك في رشت وغلب على اعتقاد الناس انه قتل مسموماً نكاية في انكلترا

فاشتد النزاع بين الانكليز والروسيين على تلك الغنيمة وسعت كل منهما ضد الاخرى وروسيا مشتغلة باليابان . فاخذ الروسيون يشيعون عزم انكلترا على ضم ايران الى الهند . وفي مارس سنة ١٩٠٥ اعلن الشاه عزمه على تنظيم الجيش وانه يريد الحج الى مشهد وان يكون ابنه محمد علي ولي العهد يومئذ نائباً عنه في غيابه . وشعر الناس ان سفره الى مشهد لغرض سياسي يتعلق بمطامع الروس . فهاجوا واقفلوا حوانيتهم وانسحب جماعة منهم الى شاه عبد العظيم وهم يشكون من استئثار الاجانب على العموم بمرافق المملكة ونفوذ الدولة . وفي جملة المستأثرين رجل بلجيكي اسمه ناوس مدير الجمارك فانه استبد في معاملة الايرانيين وسخر بهم فتصور بثوب شيخ منهم « ملا » فعدوا ذلك اهانة دينية فازداد حنقهم على الشاه وحكومته

وكانوا قد شكلوا جمعيات وطنية اشهرها « الجمعية السرية » و « المكتبة الوطنية » وكانت المكتبة مجتمع الاحرار ومركز ائتمارهم ومفاوضاتهم . فغضبت الحكومة وجعلت تطارد الاحرار فالتجأوا الى الوكالة البريطانية نصيرة طلاب الدستور وازداد عدد اللاجئين اليها حتى تجاوز بضعة عشر الفاً . فخاف الشاه واضطر الى مسايرة رعاياه باعلان الدستور واذن لهم بتأليف مجلس النواب . فاجتمع هذا المجلس للمرة الاولى في ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ واحست روسيا برجوع نفوذ انكلترا بسبب ذلك فمالت الى الاتفاق معها في اقتسام النفوذ بايران

واحتاجت الحكومة الايرانية في ذلك الحين الى مال فطلبت قرضاً مقداره ٤٠٠ ٠٠٠ جنيه تستدينه من انكلترا او روسيا فرفض المجلس ذلك وعده ضربة

اخري على استقلال ايران بزيادة النفوذ الاجنبي . فابطل القرض بعد ان كاد يتم عقده مع الشاه ومشيريه

وكان ولي العهد البرنس محمد علي (الشاه المخلوع الان) من اشد الناس كرها للدستور وللانكليز لانه شب بين يدي رجل روسي يهودي اسمه شبسال خان فغرس في خاطره حب الروس والاستبداد ومقاومة طلاب الحرية . فهاج التبريزيون فقاومتهم الحكومة فالتجأوا الى الوكالة البريطانية شأنهم في مثل هذه الحال



شبسال خان مربي الشاه المخلوع

واصبح هم المجلس بعد تشكله تقرير القانون الاساسي وانشاء بنك وطني للتخلص من نفوذ الاجانب فوضعوا القانون وقدموه للشاه فوقع عليه في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٠٦ قبل وفاته بخمسة ايام اما البنك فلم ينجح السعي فيه لان انشاءه لا يوافق مطامع الروس ولا الانكليز

فلما توفي مظفر الدين شاه خلفه ابنه محمد علي ربيب الروس لكنه اضطر الى المصادقة على القانون الاساسي واخذ يسعى سرًّا في عقد القرض المتقدم ذكره مع الدولتين وهو انما يهمه قبض النقود ليتمتع بها وكاد ذلك ان يتم له فقاومه المجلس اشد المقاومة وصمم على ذلك وقرر قراراً رسمياً على عدم عقد اي قرض مع انكلترا او روسيا وان يعين للشاه راتب يقبضه وقرر تأسيس بنك وطني والتخلص من البلجيكيين

في الجمارك . وقد افلح بعض ذلك القرار فنال الرخصة بأنشاء البنك في اول فبراير سنة ١٩٠٧ وعزل ناوس البلجيكي صاحب الجمارك فخرج مغضوباً عليه لانه كان من جملة الساعين في عقد القرض الروسي الانكليزي طمعاً بالسمسرة



محمد علي شاه المخلوع

فارتبك الشاه في امره فعمد الى نصير الاستبداد امين السلطان فعهد اليه بتشكيل الوزارة واستعانه في تدبير الاموال وحرضه على الاحرار . وكان الجو قد خلا له بعد موت حكيم الملك فاخذ يسعى في عقد قرض مع المانيا فلم يفلح فعاد الى عقده مع روسيا على يد مجلس النواب وكان قوي الحجة فاستمال حزب الاكثرية فقرر المجلس عقد ذلك القرض مع روسيا وانكلترا . لكنه لم يعش بعد ذلك القرار الا قليلاً فقتله عباس آغا التبريزي في ٣١ اغسطس سنة ١٩٠٧ وهو اليوم الذي وقع فيه على القرض في بطرسبرج وقد ذكرنا تفصيل قتله في الهلال الماضي باثناء كلامنا عن الشجاعة في الحرب والجراءة في الراي وصورنا القاتل والمقتول

ورافق عقد ذلك القرض الروسي الانكليزي عقد الوفاق بين هاتين الدولتين على اقتسام النفوذ في ايران وهذه خلاصة مواده :

١ حفظ استقلال ايران بحيث لا تتمكن دولة اجنبية من القبض على شيء من ارضها

٢ ضمانة حياة شخص الشاه وتأييد سيادته

٣ ان اصفهان وكرمانشاه تدخلان في نفوذ روسيا فضلاً عن القسم الشمالي من ايران

٤ يكون نفوذ انكلترا سائداً في القسم الجنوبي الشرقي من ايران

وقد اوضح ذلك صديقنا الدكتور براون بخريطة نشرها في كتابه « الانقلاب الفارسي » نقلناها عنه في صدر هذا الهلال . ويظهر للمتأمل فيها ان نفوذ روسيا يشمل اهم مدائن ايران واخصبها الا دزفول وكرمان وششتر وشيراز . اما نفوذ انكلترا فاكثره في ارض قاحلة الا كرمان



جماعة من جند الشاه المخلوع مع ضباط روسيين

أما الشاه فانه عمل على مقاومة الاحرار وله معهم تاريخ لخصناه في الهلال ٧ سنة ١٧ ولا محل له هنا . وانما نقول بالنظر الى ما نحن فيه ان في الخصام بين الشاه ورعيته كان الروسيون دائماً في جانب الشاه لمقاومة رجال الدستور وهذا رسم جماعة من جند الشاه مع الضباط الروسيين وقد حاصروا تبريز في بعض نهضاتها ضد الاستبداد واعانوا الشاه في هدم مجلس الامة والفتك باعضائه . فرجعت ايران الى الاستبداد في اواسط سنة ١٩٠٨

لكن الاحرار ثبتوا في الدفاع عن دستورهم حتى سنحت لهم فرصة اخرى هجموا

فيها على طهران بجيش متحمس متحالف على الموت او الحرية فدخلوها عنوة في ١٣ يوليو سنة ١٩٠٩ واستولوا على القلاع والحصون . وفي ١٧ منه خلعوا الشاه محمد علي وولوا مكانه ابنه احمد ميرزا وعمره ١٢ سنة واقاموا وصيا عليه عضد الملك رأس قبيلة القاجار . وقد توفي عضد الملك في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ عن ٦٥ عاماً

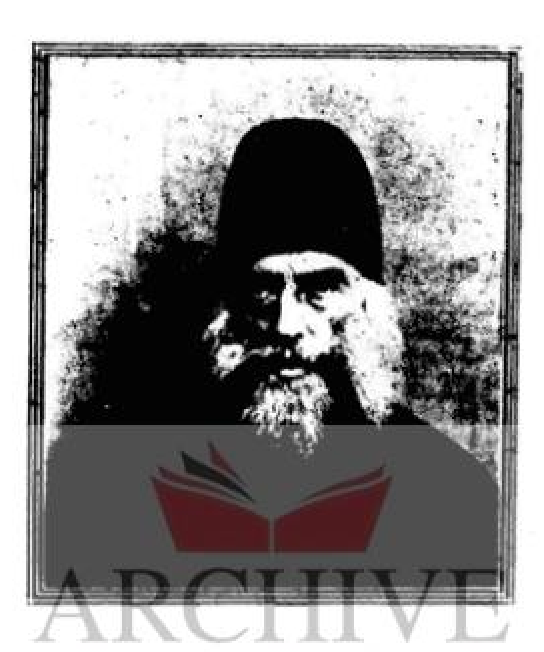


احمد شاه ملك الفرس الحالي

واشترطوا خروج الشاه محمد علي المخلوع من طهران فخرج الى روسيا وبعد فوز الاحرار الايرانيين فوزاً لانكلترا وفشلاً لروسيا . فاصبح هم الروس تأييد هذا المخلوع ونصرة دعاته وان كانت لا تتظاهر بذلك لكنها اتخذت السعي فيه وسيلة لتأييد سيادتها في منطقة نفوذها بشمالي ايران . فتأتى لها ذلك في الشهر قبل الماضي بحجة ماقام من الثورة في تلك البقاع بين الدستوريين وانصار الشاه المخلوع . وذلك ان الشاه المشار اليه استعان باخويه ووجد من ينصره من طلاب المال أو الناقمين على الدستوريين من الارتجاعيين الذين اضرَّ الدستور بهم وذهب بأسباب رزقهم وكسر شوكتهم . فجرد جيشاً حمل به على ايران فحاربه الدستوريون في رشت وتبريز وازلي — حتى اذا اصبح على قاب قوسين من طهران عاصمة الاحرار حمل عليه جند الاحرار فاعادوه على أعقابه فلحق بسبب ذلك ضرر بالقوات الروسية او بمصالح روسيا في بعض البقاع التي جرت فيها الحرب . فاصبح لروسيا الحق ان تدافع عن مصالحها فادعت ان المسيو شوبند

الاميركي الذي عينه الاحرار لاصلاح ماليتهم يسوء التصرف في مصلحة الروس فبعثت روسيا انذاراً حربياً في عزل الرجل واتباعه واحتلت لتلك البقاع

وهذا بلاغ شبيه بالرسمي صدر من بطرسبورج في ١٧ دسمبر الماضي :



عضد الملك وصي الشاه الحالي

«بعد البحث في الحالة التي وصلت اليها تبريز ورشت وانزلي بسبب اعتداء الاهالي على القوات الروسية وما اعقب ذلك من ارتكاب الفظائع مع المقتولين وغيرهم اصبح من الضروري استعمال القوة الشديدة في معاقبة المعتدين . وبما انه ظهر ان الحكومة الفارسية لا دخل لها في هذه الاعمال ولكنها غير قادرة على الاقتصاص من الثائرين فاصبح من الواجب على الحكومة الروسية ان تتخذ خططاً فعالة لتوقف المعتدين عند هذا الحد في تلك البلاد التي اشير اليها من قبل . ولهذا الغرض قد سافر القواد الروسيون لاستعمال ما يلزم بالاتفاق مع قنصلي روسيا في تبريز وانزلي لمعاقبة المجرمين المعتدين وازالة الاسباب التي ادت الى هذه النتائج

اما التدابير التي ستتخذها روسيا فهي كما يأتي :

١ القبض على الرعايا الروسيين والايرانيين الذين اشتركوا في مقاومة الجنود الروسية ومحاكمتهم امام المحكمة العرفية

٢ تجريد الفدائيين والايرانيين المشاغبين من السلاح

٣ هدم المباني التي ربما يحصل منها مقاومة . وستتخذ خططاً أخرى لاعادة النظام ومعاقبة الجانين » اه

وجردت روسيا حملة اكتسحت بها ايران وحاصرت تبريز وحاربتها في ٢١ دسمبر وفتكت في اهلها وهم يقاومونها اشد المقاومة فغلبت عليهم واحتلتها واقامت فيها جيشاً مؤلفاً من ٤٠٠٠ مقاتل ونصبت الراية الروسية وختمت دار الوالي وقررت تعيين والٍ من حزبها

واعتدى بعض الايرانيين على قنصل انكليزي في تلك الاثناء فقررت انكلترا احتلال القسم الجنوبي الداخل في منطقة نفوذها بقوة هندية . وستقيم جندرمة هندية وانكليزية لضبط الامن . وحزب الشاه المخلوع يساعد روسيا وحزب الدستوريين يسهل على الانكليز لانهم ينصرونهم على عدوهم — تلك عاقبة الانقسام بين احزاب الامة وعناصرها فانها لا تلبث ان تلجأ الفئة المغلوبة الى اجنبي قوي تستنصره فينصرها واذا غلب كانت الغنيمة له . ولو راجعت تاريخ الامم قديمها وحديثها وانتقال الممالك من دولة الى دولة لرأيت اكثره يجري على هذه الخطة ولله في خلقه شؤون

تقطير الدموع

لاسماعيل باشا صبري

يخاطب يوسف باشا سابا ناظر المالية على اثر نكبته بنجله المرحوم فريد بك في الشهر الماضي

سابا اتق الله وخلّ الأسى	لجاهل يُعذر في جهله
لا تكترث بالرزء وانهض به	فالرأي كل الرأي في حمله
مثلك من يلجأ ان راعه	يومٌ بمكروه الى عقله
قضى فريدٌ وهو غضّ الصبا	وخلف الحسرة في اهله
وقابلته في الجنان العلى	ملائك الله في شكله
واهاً له من غصن ما نما	حتى ذوى واجتثّ من اصله
سابا آبك لكن كالحكيم الذي	يخاف ان يطعن في نبله
واصبر فكم من جزع آكلٍ	من صحة المرء ومن فضله
فالليث لا تنسيه احزانهُ	مقامه ان ضيم في شبله



رياض باشا

من خطبة القاها احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار على قبر رياض باشا في حفلة الاربعين

ترجمنا رياض باشا في الهلال الاخير من السنة الماضية مختصراً وقد وقفنا في خطاب زكي باشا على امور لا بد من تدوينها خدمة لتاريخ مصر الحديث قال :

ترعرعنا وقد استرعى اسماعنا ثلاثة من اسمى الاسماء مختلفة في العنصر ولعلها كانت متفقة في المرمى . ثم نشأنا فشاهدنا منها مثلثاً متساوي الاضلاع : رؤوسه نوبار وشريف ورياض . هذا ترتيبهم بحسب الاقدمية ولكنني اعتقد ان هؤلاء الساسة الثلاثة سواسية في الاهمية . وقد استداروا بمثلثهم حتى جعلوه كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وان كان اولهم متمصراً والثاني نصف مصري . وأما الاخير الذي تبكيه هذه الامة اليوم فكان مصرياً بكل معنى الكلمة : من حيث المنبت والمشرب من

حيث النزعة والغاية من حيث الاماني والاحلام

وظل الثلاثة يتناوبون الوزارة حتى تداعى ذلك المثلث عنـد ما درج الى ربه الوزير الشريف . ثم هوى بعده ذلك النجم السيار الذي كان مصباحاً لنوبار واما شيخ الوزراء رياض فكان فينا البقية الصالحة والقدوة النافعة . وهو الآن في قبره ونحن من حوله فصانا نستفيد من مونه كما كانت مصر قريرة العين به في ايام حوله وطوله

كيف وصل الى هذه السيادة ؟

— بالجد والاقدام . وبالترفع عن الدنايا ظاهراً وباطناً . وبالاخلاص في خدمة الامة والوطن . ولو اردنا أن نعرف السبب في تلك الجلالة التي كانت له في النفوس وفي ذلك السلطان الذي امتلك به القلوب لرأينا الامر بسيطاً وطبيعيا وهو ان رياضاً تدرج في سلم الوظائف والاعمال . من ادناها الى اقصاها . فكان عليما عليما بكل الشؤون . ضليعاً مضطلعاً بجميع الامور

دخل الفتى رياض افندي في خدمة الحكومة المصرية بوظيفة مبيض في مجلس العموم بديوان المالية في ١١ صفر سنة ١٢٦٤ بماهية قدرها ١٤٥ قرشاً صحيحاً . ولاحت عليه مخايل النجابة وملامح الاستعداد . فارتفعت ماهيته بعد ستة شهر الى ١٩٣ قرشاً صحيحاً و ١٣ بارة . وكانت هذه الزيادة في نظير تكليفه بعمل آخر وهو قيد الخلاصات . ثم صدر الامر بالغاء ذلك المجلس فخرج فتانا من الخدمة في ١٠ ربيع الاول سنة ١٢٦٥ . ولكنه بعد شهرين ونصف توصل للدخول في المعية السنية للتبييض والقيد بماهيته المذكورة . فلم يأت الثاني من ربيع الاول سنة ١٢٦٦ حتى انفصل من الخدمة وعاد الى الفراغ . ولكن يوماً واحداً . لانه انتظم في اليوم الثالث في سلك عساكر الموسيقى برتبة الملازم . فقام بهذه الخدمة الجديدة قياماً جعله اهلاً لنيل رتبة اليوزباشي بعد شهرين . ثم ارتقى الى رتبة الصاغ قول . ثم الى رتبة البكباشي في بحر سنتين . كل ذلك في خدمة الموسيقى العسكرية

فلما كانت سنة ١٢٦٨ انتظم في سلك رجال المعية السنية . برتبة القائمقام وبصفة ياور بمعية عباس الاول . وهنالك ارتقى (٥ صفر سنة ١٢٦٩) الى رتبة امير الاي وبوظيفة مهردار لوالي مصر المشار اليه . وكان ذلك كله في مدة لا تزيد عن اربع سنوات وسبعة شهور

ومن ذلك العهد دخل الفتى رياض بك في الزمرة التي كانت تعرف في تلك الايام باسم « الذوات الكرام » وبلغت ماهيته ٣٤٨٠ قرشاً صحيحاً

رأى فيه عباس الاول ما يؤهله لخدمة الاهلين . فاسند اليه مديرية الجيزة والطفيح (١١ صفر سنة ١٢٧٠) . وبعد سنتين تدرج في سلم الصعود بالصعيد . فانتقل مأموراً لادارة الفيوم بمديرية بني سويف . ثم مديراً لقنا بماهية قدرها خمسون جنيها في الشهر . وعاد بعد ذلك الى العاصمة حيث اسندت اليه وكالة المرور والسكة بمصلحة السكة الحديدية . ثم تحرك منها (سنة ١٢٧٤) بصفة مأمور لادارة النصف الاول من روضة البحرين . اعني الدلتا الحقيقية المحصورة بين فرعي النيل شرقاً وغرباً والبحر الابيض المتوسط شمالاً . وهي اليوم عبارة عن مديريتي المنوفية والغربية . والنصف الاول المذكور كان في اصطلاح ذلك الوقت ما نسميه الان بمديرية المنوفية . ثم صدرت الارادة السنية بجعله وكيلاً لهذه المديرية . وبلغت ماهيته ٧٥ جنيهاً . فبقي في هذه الوظيفة لغاية ٤ جمادي الثانية سنة ١٢٧٧. ثم اقيل منها بغضب

لكن مدة هذا الغضب لم تطل فقد حظي رياض بالرضا ثانية بعد شهور قليلة لان سعيداً والي مصر استعاده في معيته «لخدمة الكتابة» في ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ . وفي سنة ١٢٧٩ انعم عليه برتبة الميرميران وجعل ماهيته مائة جنيه في الشهر . وكان منذ خمسة عشر عاماً مبيضاً لا يتقاضى في الشهر الا جنيهاً واحداً ونصف جنيه

حتى اذا كانت سنة ١٢٨١ صدر الامر العالي بتعيينه عضواً في مجلس الاحكام . وهذا المجلس يماثل ما نسميه الان محكمة النقض والابرام . ثم احيلت الى عهدته نظارة « امور خاصه خديوي » . اعني الخاصة الخديوية حسب العرف المألوف في ايامنا هذه بسبب السيادة التي بدأت تعود الى اللغة العربية . وانتقل رياض باشا الى وظيفة مهردار الى ١١ شوال سنة ١٢٨٤ . فغضب عليه اسماعيل واصدر للمالية ارادة سنية مختصرة باللغة التركية هذه ترجمتها الرسمية : « بحسب الايجاب قد صار رفت رياض باشا مهردارنا سابقاً من معيتنا فلاجل اجراء ايجاب ذلك بالمالية لزم الاشعار »

ولا عجب في هذا الغضب . فمواقف رياض مع اسماعيل اشهر من نار على علم . ولكن رياض باشا وان كان يرفض الخدمة لاقل سبب . فان مولاه كان في حاجة ماسة الى مثله . فلذلك اضطر اسماعيل لاعادته الى حظيرته . واسند له في معيته وظيفة كانت تسمى « خزينه دار » فجعل صاحب الترجمة عنوانها « خازن خديوي » رجيحاً للغة العربية التي كانت قد اخذت تنازع التركية وتسترد منها مكانتها في الرجحان . وكان ذلك في سنة ١٢٨٦ . ولكن ماهيته نزلت الى ٦٠ جنيهاً . ولم يكن صاحبنا من عباد المال وانما كانت امانيه ترمي الى خدمة الاوطان بغير نظر الى

قيمة الاجر الذي يتناوله في آخر الشهر . وفي سنة ١٢٨٧ نال رتبة الروم ايلي بكلر بكي وزادت ماهيته الى ٧٥ جنيهاً (وهو مرتب الرتبة المذكورة) . وارسله اسماعيل في مهمة سياسية الى مقرّ السلطنة بالقسطنطينية

فلما عاد منها صدر الامر العالي بتعيينه مستشاراً لرئاسة المجلس المخصوص (وهو الذي خلفه مجلس النظار في النظام الحديث للحكومة المصرية الى هذا العهد) وصار مرتبه ١٢٥ جنيهاً . ومن هذه الوظيفة ارتقى الى وظيفة مدير المدارس والاوقاف (٢١ رجب سنة ١٢٩٠) واضمت اليه وظيفة مستشار الداخلية ورياسة المجلس الحسبي ايضاً في السنة التالية . ثم صار ناظراً للخارجية فالزراعة (وكانت هذه النظارة قد انشئت في سنة ١٢٩٢) فالحقانية (ومن ذلك العهد اضيفت على ماهيته مصاريف الضيافات والجمعيات وقدرها ١٢٥ جنيهاً في الشهر فبلغ مجموع ما يتناوله ٢٥٠ جنيهاً) فالمدارس فالتجارة والزراعة (وصارت ماهيته ٢٥٠ جنيهاً في الشهر) . وكانت هذه الدواوين تابعة للمعية مباشرة . على غير النظام المعروف الآن في مجلس النظار فانه لم يتأسس الا في سنة ١٨٧٨ ميلادية

وهنا مجال لاستطراد لا اراه خارجاً عن الموضوع . لان رياض باشا هو عبارة عن صحيفة كبيرة من تاريخ مصر الحديث وكانت له اليد الطولى والباع الكبرى في تحويل نظام الادارة المصرية ووضع كثير من القواعد التي جرى عليها نظام البلاد الجديد

مجلس النظار والنظام الدستوري

كانت ادارة الحكومة في مصر منوطة بالخديو راساً . وانما يعاونه (ان صح التعبير) جماعة من ارباب المناصب العالية كالذوات الكرام على اصطلاح تلك الايام . وقد وضعهم الخديو على رؤوس الدواوين ومرجع كل واحد منهم اليه مباشرة وبصفة فردية اي بغير اجتماع وبلا تضامن . وعند حلول الخطوب كان الخديو يستشير هيئة تتألف من اولئك الرؤساء ومن غيرهم . وتلك الهيئة هي التي كانت تسمى بالمجلس المخصوص . وفي هذه التسمية بيان كافٍ لمعرفة المسمى ومقدار سلطته الفعلية . فكان هذا المجلس يتألف من نظار الدواوين ورؤساء بعض المصالح الكبيرة ومن اعضاء آخرين يكونون فيه بمثابة وزراء بلا مساند : « Ministres sans portefeuille » كما كان الحال الى عهد قريب في بعض بلاد اوروبا وفي الدولة العثمانية . وكان رياض باشا في جملة اولئك « الذوات الكرام » بصفة ناظر للحقانية سنة ١٨٧٦

وما زالت الحال تجري على هذا المنوال الى ان تداخلت اوروبا في شؤونها

الداخلية لضمان الديون التي جرها التبذير والاسراف . فرأى اسماعيل ان الازمة التي تورط فيها العرش لا دواء لها الا بالتنازل عن سلطة الفرد فاصدر باللغة الفرنسية في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ (غرة رمضان سنة ١٢٩٠) امراً عالياً الى نوبار باشا بتشكيل مجلس النظار . ولما كان هذا الامر الكريم وهو الاساس الجوهري والقاعدة الاولى للنظام الحديث . فقد رأيت من الواجب ان اذكر مقدمته وخاتمته في هذا المقام نقلاً عن ترجمته العربية الرسمية القديمة . ولان رياض باشا كان له اشتراك معهم في وضع هذا الاساس وتولى مقاليد نظارة الداخلية في هذه الهيئة الجديدة - قال اسماعيل :

« اني اطلت الفكر وامعنت النظر في التغييرات التي حصلت في احوالنا الداخلية والخارجية الناشئة عن تقلبات الاحوال الاخيرة واردت في وقت مباشرتكم لمأمورية تشكيل هيئة النظارة الجديدة التي فوضت امرها اليكم ان اؤكد لكم ما توجه قصدي اليه وثبت عزمي عليه من اصلاح الادارة وتنظيمها على قواعد مماثلة للقواعد المرعية في ادارات ممالك اوربا

« واريد - عوضاً عن الانفراد بالامر المتخذ الآن قاعدة في الحكومة المصرية - سلطة يكون لها ادارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة من مجلس النظار . بمعنى اني اروم القيام من الآن فصاعداً باستعانة مجلس النظار والمشاركة معه . وعلى هذا الترتيب ارى ان اجراء الاصلاحات التي نبحث عليها يستلزم ان يكون اعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلاً فان ذلك امر لازم لا بد منه . ويجب على مجلس النظار ان يتفاوض في جميع الامور المهمة المتعلقة بالقطر ويرجح راي اغلبية اعضائه على رأي الاقل فيكون حينئذ صدور قراراته على حسب الاغلبية وبتصديقي عليها اقرر الراي الذي تكون عليه الاغلبية .. ..

« ينعقد مجلس النظار تحت رياستكم لاني فوضت هذا التنظيم الجديد الى عهدتكم وجعلت مسئوليته عليكم واني ارى ان تشكيل هيئة نظارة حائزة لهذه الخصوصيات ليس مخالفاً لعوائدنا واخلاقنا ولا لآرائنا وافكارنا بل موافقاً لاحكام الشريعة الغراء وبتعميم ترتيب محاكم الحقانية يكون فيها الكفاية لحاجات هيئتنا الاجتماعية والمساعدة على تتميم مقاصدنا الحقيقية ونياتنا الخيرية ... الخ » اه

وما دمنا قد جرنا الكلام الى طرق هذا الموضوع فاني استميح العفو من السامعين في ذكر مقدمة الامر الاول الذي صدر في ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ لشريف باشا بتشكيل الوزارة على أثر المشاكل المالية والدسائس الاهلية والاجنبية التي وقعت في البلاد . قال اسماعيل :

« اني بصفة كوني رئيس الحكومة ومصرياً أرى من الواجب علي ان أتبع راي الامة واقوم باداء ما يليق بها من جميع الاوجه الشرعية ولكن لما نظرت السير الذي كانت عليه النظارة السابقة حصل لي غاية الاسف من ان ذلك السير كان على غير رضاء الملة والاهالي حتى نشأ عنه اضطراب ونفور سرى في جميع القلوب وحركها وكانت قبل ذلك في غاية الهدو والسكون ... ... قد وكلتكم بتشكيل هيئة النظارة بناء على الارادة الصادرة في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ وان تكون تلك النظارة مشكلة من اعضاء اهليين مصريين يتبعون في سيرهم الطرق المنصوص عليها في الارادة المذكورة وان يحفظوا على مأمورياتهم كل التحفظ اذ انهم مكلفون بالمسئولية لدى مجلس الامة الذي سيجري انتخاب اعضائه وتعيين مأموريته بوجه كاف للقيام بتأدية ما يلزم للحالة الداخلية ومرغوب الامة نفسها ... هذا ولعلمي بحسن اخلاصكم بخدمة الوطن فلا اشك في ان تستعينوا على تلك المأمورية بالرجال المشهود لهم مثلكم بالامانة والاحترام لدى الجميع لتتم بكم المقاصد المؤدية الى التمدن والعمارية التي اريد ان يقترن بها اسمي »

هذا هو مبدأ النظام الذي اخذ يتدرج في طريق التقدم والارتقاء الى الآن . وقد تخلله انتكاس ظاهري اوحقيقي ولكنه لم يدم زماناً طويلاً . وذلك ان الاضطرابات التي اقترنت باواخر حكم اسماعيل وباسمه اوجبت تنحيه عن العرش وقيام ولده الخديوي محمد توفيق . فاستعفى شريف كما هي السنة الواجبة في مثل هذه الاحوال فاصدر الخديوي الجديد في ٣٠ شعبان سنة ١٢٩٦ امره بالغاء رياسة مجلس النظار وبان كل ناظر يكون مسئولاً عن جميع الامور المختصة بنظارته . وهذا نص الارادة بالحرف الواحد :

« بما ان مجلس النظار صار لغوه وابطاله وتقرر لدينا ان كل منستر يكون مسؤولاً عن الاشغال المنوطة بادارة نظارته وان المواد التي كان جارياً تقديمها ورؤيتها بذلك المجلس هذه من الآن فصاعداً يكون النظر فيها بمجلس يجري انعقاده بمعيتنا من النظار تحت رياستنا . وكل من النظار اذا وجد عنده أشياء من هذا القبيل يستصحب معه اوراقها ومعلوماتها عند حضوره الى المجلس لاجل رؤيتها وحصول المداولة عنها حسب اللازم . فعلى هذا وما هو معلوم لدينا فيكم من كمال واللياقة والاهلية قد عينا كم ناظراً على ديوان ..... »

هذه هي النكسة الارتجاعية التي اطرتها الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) في ذلك العهد ولكن صناديد مصر الثلاثة لم يكونوا على هذا الراي . ولذلك لم يشترك

احد منهم في هـذه الوزارة الرجعية التي لم تعش سوى اربعة وثلاثين يوماً . ولم تعمل في الحقيقة شيئاً وذلك لان الخديوي استدعى رياضاً وطلب منه تشكيل الوزارة المتضامنة على ذلك الأساس الذي شرحناه

وهذه هي اول مرة تقلد فيها رياض باشا رياسة الوزارة (في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩) وكتب الخديوي الى الفقيد كتاباً جاء في مقدمته :

« عزيزي رياض

« اني لما اخذت اخيراً زمام رياسة مجلس النظار بيدي لم يخطر بفكري اعادة الحكومة الشخصية وانما كان ذلك بالنظر لاحتياجات الوقت مع الرغبة في تقريب وتأييد العلاقة المحكمة بيني وبين اعضاء هيئة النظار . ولم يخطر ببالي ان يكون ذلك امراً قطعياً ولا امراً مخالفاً للاصول التي اتخذتها منذ اخذي بزمام الحكومة اعني على الحكم بالاشتراك مع نظاري وبواسطتهم . وهذه الاصول من مقتضى الامر الصادر بتاريخ ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ ولا يتعلق لي ان لا تكون مرعية الاجراء على الدوام »

وقد تقلد رياض باشا نظارة الداخلية ايضاً . وما زال يتقلدها بعد ذلك . كما دعاه صاحب الامر لرياسة مجلس النظار . وفي بعض الاحايين كان يضم اليها نظارتي المالية والمعارف العمومية . منفردتين او مجتمعتين معاً . لانه كان اكثر من غيره خبرة ودراية بحاجات القطر الداخلية . وهذه اعماله وحياته كلها شاهدة بانه الفلاح وابن الفلاح وابو الفلاح

نحن في مقام لا يكفي فيه الكلام بطريق الابهام . بل ينبغي لمثلنا في حق مثله ان يؤيد القول بالبرهان . ولما كان عمله الجليل كبيراً ولا يسعنا الاسهاب في الاتيان عليه رايت ان أتوسط في الامر وأشير بنهاية الايجاز الى بعض اياديه على بلاده واهليه

اعماله

فرياض هو الذي قوى دعائم مجلس النظار وجعل له سلطة فعلية حقيقية في ادارة شؤون البلاد . وبهذه الوسيلة توصل الى خدمة الامة خدمة تحفظها له القلوب وسيتحدث بها التاريخ

فاول عمل انصرفت اليه همته هو النظر بعين الحكمة الى مصدر الثروة في مصر وهي ارضها . فابطل الانعام بالاطيان لانها ملك الامة ولا يجوز لاحد ان يتصرف فيها بالهبة . وقد اوقف تنفيذ الاوامر التي كانت صدرت بهذا المعنى . مما لم يكن قد

دخل في حيز الفعل . (٢٣ شوال سنة ١٢٩٦ ـ ١٩ اكتوبر سنة ١٨٧٩)

واستصدر في سنة ١٨٩٤ امراً عالياً بان ارباب المعاشات والباشبوزوق الذين اعطيت اليهم اطيان لتعيشهم على شرط اعادتها لجانب الحكومة عند وفاة من يتوفى منهم عن غير زوجة ولا اولاد يكون له ولورثته حقوق الملكية التامة في الاطيان المذكورة . ولو لم يدفع المقابلة عنها . وان الاطيان المعطاة للعربان ولم تدفع عنها المقابلة تكون ملكاً صريحاً للمعطاة اليهم الاصليين او لورثتهم

وهو الذي وضع القواعد لبيع املاك الميري للاهالي . (سنة ١٢٩٧ — ١٨٨٠) واما اسرد اعماله في الحكومة اثناء وزاراته المتعددة مسرودة بحسب الموضوع لا بحسب التواريخ

الثروة العقارية

رياض باشا هو الذي وضع اول لائحة للآلات الرافعة المعدة لري الاراضي وتجفيفها (٥ رجب سنة ١٢٩٧ — ١٣ يونيو سنة ١٨٨٠) . واستصدر قانوناً للترع والجسور (سنة ١٨٩٠) ثم استصدر قانوناً للسكك الزراعية (١٨٩٠) وهي التي افادت البلاد والمزارعين ايما فائدة . ولها الان شأن كبير في تسهيل المواصلات ونقل المحصولات وتوطيد دعائم الثروة الاهلية في سائر ارجاء القطر

ومما يجب ذكره في هذا المقام انه قرأ بنفسه في مجلس النظار هذا القانون مادة مادة حتى اتى على الاربعين بغير ملل ولا كلل مع التمعن والتفكر في كل حكم من احكامه . ونظم المعاملات في حلقات الاقطان (غاية شوال سنة ١٢٩٦ — ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٩) . وها هي الشكوى عامة الان بسبب رجوعها الى الفوضى القديمة . ومن مزايا هذا الفلاح على الفلاح انه وضع طريقة ثابتة لتحصيل ضرائب الاطيان في اوقات معينة . ورفع الى الخديوي تقريراً بين له المضار التي تحيق بالفلاح من جراء اضطراره لوضع رقبته في قبضة المرابين . لعنهم الله ! واين هذه المزية من تلك التي واصل السعي فيها حتى جعلها من الحقائق الملموسة باليد لكل انسان الى الان . اعني بذلك تسوية الاهالي بالاجانب في دفع الاموال الاميرية . فالامر العالي المشهور باسم دكريتو ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ (٤ ربيع الاخر سنة ١٢٩٧) هو من حسنات ابن الفلاح . ولو كنا في بلاد اخرى لسماه الناس قانون رياض

نظر الرجل الى مسألة الاملاك الكائنة في الاستانة . وهي المعروفة بالساحلخانة فسواها في مصلحة مصر ولفائدة الامة . وقد كان بعض اعضاء العائلة الخديوية

ينازعون في امتلاكها دون الحكومة المصرية . (٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٦ ـ ٢ دسمبر سنة ١٨٧٩)

﴿ الآثار القديمة ﴾ نظر ابو الفلاح الى ارض اجداده فرأى ان يضم الى العناية بها وبزرعها عناية اخرى بما في بطونها من الآثار القديمة سواء كانت هيروغليفية او عربية . اراد ان يستبقي للبلاد فخارها الفني فقرر « بان كل شيء يتعلق بعلم الآثار القديمة مثل المومية والحفر والنقش القديم وبوجه الاجمال كافة الاشياء التي نوعها من نوع المحفوظات بالانتيكخانة ببولاق ممنوع تصديرها بالكلية . وكذلك الاشياء التي للمساجد والمعابد والاضرحة او المأخوذة منها تصديرها ممنوع بالكلية » (١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٧ او ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٠)

ثم ادخل في حكمها الآثار القديمة « صناعية العرب » . (٣٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٧ او ٧ مارس سنة ١٨٧١)

﴿ المواصلات ﴾ من الحسنات التي تذكر لوزارته الاولى انشاء خط البوسطة بين اسيوط واسوان مرتين في الاسبوع على الوابورات البخارية . وقد كان ما بعد اسيوط من ارض الفراعنة محروماً من المواصلة مع سائر القطر اللهم الا بطريق القوافل او المراكب الشراعية (١٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٦)

عمال الحكومة والأمن العام

جعل رياض عمدة الماهيات في جميع انواع الملكية بالوظائف لا بالرتب وقال : « ان الرتب انما هي عنوان شرف وفخار » وقرر بدل السفرية ومصاريف الانتقال لموظفي الحكومة حتى لا يستمروا عالة على الاهالي في أثناء قيامهم بالمأموريات التي تعهد اليهم . وسعى لدى الدول الى ان رضيت بعدم جواز الحجز على ماهياتهم او التنازل عنها . وقد كان اغلبهم — ان لم نقل جلهم — اسيراً في قبضة المرابين . ففك رياض رقبتهم وحفظ كرامتهم

وكان قد سبق له ان استصدر امراً عالياً في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٨ بان ريع الاراضي الاميرية الموقوفة على اعضاء العائلة الخديوية وذريتهم المعطاة لهم بدلاً عن مرتباتهم التي كانت لهم في السابق لا يجوز التنازل عنه ولا حجزه الا لتحصيل الاموال الاميرية

وكانت همته على الدوام منصرفة لتأييد سلطة الموظفين ولاسيما المحافظين والمديرين ليتمكنوا من تنفيذ مقاصده في تعميم الامن وترويج التجارة وتحسين الحالة الاقتصادية

واستصدر امراً عالياً (١٣ اغسطس سنة ١٨٨٨) بان كل محافظ وكل مدير هو النائب الوحيد عن هيئة الحكومة في المحافظة او المديرية الموكولة الى عهدته. وان جميع الموظفين الموجودين في المحافظات او المديريات يجب عليهم الاذعان لسلطة المحافظ او المدير اية كانت النظارة التابع لها هؤلاء الموظفون

وكان في جميع ادوار حياته العمومية يعمل على تأييد نفوذ المحافظين والمديرين لانهم عماد الامن العام والركن الحقيقي لكل نظام

هذا وقد طهر البلاد من الاشقياء الذين كانوا يعيثون في الارض فساداً حتى هدأ روع القطر واستقر الامن العام في نصابه وانقطع دابر تلك العصابات المسلحة التي لا يزال ذكرها في الاذهان. وحينئذ الغى الاحكام الاستثنائية التي اضطرت الحكومة (قبله وفي ايامه) لتقريرها. وحل تلك اللجنات المعروفة بقومسيونات الاشقياء. (الامر العالي الصادر في ١٥ مايو سنة ١٨٨٩)

الحالة المالية

وهو الذي سوى الحالة المالية في سنة ١٨٧٩ وكانت على شفاجرف هار بسبب ما تقدم هذه المدة من ضروب الاعسار. وفي عهده صدر قانون التصفية. وتصفية كل حساب — مهما فيها — فهي افضل من بقاء الاضطراب واستمرار الاختلال

ورياض باشا هو اول من وضع قواعد الميزانية على المنهاج المنتظم الذي لا يزال العمل مستمراً به الآن مع اختلاف طفيف في بعض التفاصيل والجزئيات. وكان ذلك في يناير سنة ١٨٨٠

فسارت الامور بتدبير حكيم وعلى اسلوب رشيد الى ان تسنى لصاحب الترجمة اصلاح الاحوال المالية اصلاحاً عظيماً. فبعد ان كانت مصر لا تعرف غير العجز بدأت تستطيع رفع رأسها. فكان صاحبنا اول من اسس الاحتياطي في ميزانيتها بعد ان بذل لدى الدول المساعي تلو المساعي. فاصبحت مصر ولها احتياطي قدره مليونان من الجنيهات (الامر العالي الصادر في ١٢ يوليو سنة ١٨٨٨)

تخفيف الضرائب والغاء بعض العوائد والرسوم والمكوس

ان انتظام الشؤون المالية ساعد صاحب الترجمة منذ سنة ١٨٨٨ على تخفيف كثير من التكاليف عن عاتق الاهلين. فالغى ضريبة الملح التي كانت مفروضة على رؤوس جميع السكان. وقدم في ذلك تقريراً طويلاً هو من الآيات التي ينبغي مراجعتها لمعرفة مقدار غيرة الرجل على افراد امته ورفع الضيم عنهم (١٢ ديسمبر سنة ١٨٧٩)

والغى « المقابلة » مع حفظ حقوق الاهالي في ما نالوه بسبب دفعهم بعض الاقساط منها . (٦ يناير سنة ١٨٨٠)

ثم نظر الى بعض العوائد والمكوس التي كانت تثقل كاهل الاهالي . فقدم تقريراً وافياً في ١٧ مايو سنة ١٨٨٠ يقول فيه للخديوي توفيق : « ان جملة من العوائد لا تستحق البحث فيها . فان قاعدة ضرائب بعضها سيئة وطريقة تحصيلها اسوأ . وكلاهما مخالف المخالفة الكلية لشؤون العدالة والانصاف التي هي من شيم حكومتكم السنية والبعض الآخر من تلك العوائد مع كونه مضايقاً للممولين ومعطلاً لتقدم التجارة والصنائع . فلا يحصل منه لجهة الخزينة الا مبالغ واهية لا تكفي في غالب الاحيان مصاريف تحصيلها » وبهذه الوسيلة توصل الى الغاء العوائد الشخصية والويركو وعوائد التمغة على المصنوعات البلدية

واري من الواجب الاشارة الى ما قاله في هذا الصدد : « ان الاجانب لا يدفعون شيئاً من هذه العوائد فلا يتيسر للصانع ابن الوطن ان يجاري او يباري بصناعته الاورباويين في اشغالهم »

وكان في جملة ما الغاه عوائد الدخولية في النواحي اي القرى والكفور وعوائد معاصر الزيوت وعوائد المساكن في القرى والكفور (وكانت الحكومة تحصلها باسم تنظيم) « مع ان المصاريف على التنظيم في تلك النواحي هي عديمة الوجود تقريباً » كما قال

وقال في ختام التقرير الذي قدمه بهذا المعنى : « ان حسن التحصيل في اموال الاطيان يعوض النقص الظاهر في الايرادات التي يجري عليها الالغاء السادئ ذكره بل ربما يزيد عن التعويض »

ولو اردت ان اذكر هذه العوائد بالتفصيل لضاق السامعون ذرعاً ولعجبوا من ان اجدادهم الاقربين كانوا يحملون هذه الاعباء التي اصبح ابناؤهم وهي لا تخطر على احلامهم حتى في المنام . ولكنني اشير الى الامر العالي الذي صدر بها لمن يريد التوسع في معرفة اليد التي اسداها رياض باشا الى قومه وبلده . هنالك يرى الطالب المعجبات المطربات بل المحزنات المخزيات . فتاريخ هذا الامر العالي ١٧ يناير سنة ١٨٨٠ وكان رياض باشا في هذا العهد مهيمناً على نظارة المالية بصفة مؤقتة

ثم الغى عوائد الاغنام والشعاري وعوائد الدخولية على البذور الزيتية وعلى الزيوت المستخرجة منها . ثم خفض عوائد الدخولية على حيوانات الذبيح والمواشي

(من اول يناير سنة ١٨٩١)

هذا ولقد كانت مصر قبل سنة ١٨٨٠ تدفع ضريبة خصوصية على زرع الدخان والتمباك مقدارها تسعة جنيهات . فأنزلها رياض باشا الى ستة ثم انزلها الى جنيهين ونصف فقط . ثم راى ان المصلحة المالية تقضي بمنع زراعة الدخان بالكلية لقاء زيادة الرسوم الجمركية على الوارد من الخارج . وله في ذلك تقرير مبلغ مؤيد بالحجج والبراهين . والغى الرسوم التي كان مشايخ البلاد يدفعونها عند تقريرهم في الشياخة . ثم اعفاهم هم والعمد واولادهما من الخدمة العسكرية في نظير الواجبات الكثيرة التي يقومون بها لمصلحة الامة والحكومة

﴿ العونة ﴾ ولكن ذلك كله مجموعاً لا يوازي عشر معشار المنقبة الكبرى والمفخرة العظمى التي طوق بها دولته الفلاح عنق كل فلاح . اعني سعيه في الغاء العونة في سنة ١٨٨٩ . وله في ذلك تقرير ضاف واف . فضلاً عن مواقفه المعدودة في الجمعية العمومية وخطبه الطنانة التي القاها ارتجالاً في جلساتها مما يحاكي صنيع اكبر الوزراء في اعظم مجالس النواب بديار اوربا . ولو اردت ان اسرد شيئاً من دررها على الاسماع لاضطررت الى الاتيان عليها برمتها من اولها الى اخرها . فليراجعها من شاء في محاضر الجمعية العمومية

﴿ المحاكم الشرعية ﴾ ووجه رياض نظره الى معاملات الناس في احوالهم الشخصية . فوضع نظاماً كافلا لحسن سير المحاكم الشرعية على قدر ما وصلت اليه يد الامكان في ذلك الزمان (٩ رجب سنة ١٢٩٧ — ١٧ يونيو سنة ١٨٨٠) . فهو في الحقيقة اول مصلح لهذا النوع من المحاكم التي تعددت أنواعها وأصنافها في مصر على خلاف النظام المعقول الذي يتمتع به الجمهور في سائر بلاد الدنيا

﴿ المعاملات التجارية ﴾ اشار رياض باشا بوجوب العمل بالطريقة العشرية في الموازين والمكاييل : وذلك « نظراً للتغييرات التي طرأت مع توالي الايام على الموازين والمكاييل المصرية ولما هنالك من تعدد واختلاف الموازين المستعملة في انحاء القطر المصري والفروق الموجودة بينها . ونظراً لان معاملات الناس يجب ان تكون مؤسسة على موازين ومكاييل معلومة ومعينة بالضبط والدقة » (انظر الامر العالي الصادر في ٢٨ ابريل سنة ١٨٩١)

﴿ القرعة العسكرية ﴾ في ايام رياض باشا صدر قانون القرعة العسكرية (٢٣ شعبان سنة ١٢٩٧ — ٣١ يوليو سنة ١٨٨٠) ولم يرض الرجل بنشر قانون ك

للاحكام العسكرية بصفة رسمية

﴿ بيت المال ﴾ ونظم مصلحة بيت المال بعد ان كانت الفوضى ضاربة فيها اطنابها . (انظر تقريره للخديو في ١٤ شوال سنة ١٢٩٧ - ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٠) وفيه يقول : « لما علم مجلس النظار مما ابديناه له ان مصلحة بيت المال لم تكن منتظمة وان ايراداتها لم تف بمصروفاتها مع كرور الايام راى ان وجود ديوان عمومي لبيت المال بمدينة القاهرة يوجب مشقة على الناس وكلفة لا معنى لها فالغاه ووزع اقلامه على المديريات والمحافظات » (سنة ١٨٩٠)

﴿ الصحة العمومية ﴾ صدرت في وزارته الاولى نظامات محكمة لسير الصحة العمومية والصحة البحرية على الوجه الشافي . وهو اول من استصدر امراً عالياً بجعل تلقيح الجدري الزامياً في مصر . (١٠ يوليو سنة ١٨٩٠)

﴿ انشاء مصالح متنوعة ﴾ الغى رياض ذلك النظام القديم السقيم ان صح لنا ان نطلق عليه اسم نظام . وهو الذي كان معروفاً في المديريات باسم قلم الدعاوي . ورتب اقلام القضايا التي ظهرت ثمرتها لانها نفعت الحكومة في كثير من المواطن وردتها عن التورط في امور كثيرة كانت تعود عليها بالخسائر ولا تزال تهديها في كثير من الاحوال الى محجة الرشد وجادة الصواب (١٦ اكتوبر سنة ١٨٨١)

وكانت لرياض يد طولى في تأسيس القمسيون البلدي بمدينة الاسكندرية وقد صدر قانونه في عهد وزارته التي قبل الاخيرة (سنة ١٨٩٠)

﴿ الاعمال الانسانية ﴾ كانت له فيها اليد الطولى في حياته الخصوصية وفي حياته العمومية . ولا حاجة للاطناب في هذا الباب . لانه من قبيل تحصيل الحاصل . وانما يجب ان نقول انه كان يغتنم فرصة المواسم والاعياد . فيلتمس العفو من سيد البلاد عن بعض المحبوسين الملكيين والعسكريين الذين كانوا يستحقون الشفقة والرأفة لاي سبب من الاسباب

وهو الذي سعى في العفو عن كثير من المجرمين السياسيين نذكر منهم الامام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه

﴿ المعارف العمومية ﴾ هذا باب طويل لا يمكنني ان اوفيه بعض حقه في هذا المقام ولكنني اكتفي بالاشارة الى امرين فقط واترك الباقي لفرصة اخرى إن سنحت

اولاً — كان رياض باشا يستعين دائماً في ادارة شؤون المعارف العمومية بشيخ المتعلمين وابي المتاديين المرحوم المبرور على مبارك باشا او يتولى هو زمامها بنفسه .

وقد سعى مع صاحبه حتى توصل الى وقف نحو الفي فدان على دار الكتب الخديوية.

ثانياً — كان رياض وصاحبه أميل الناس لنشر التعليم باللغة العربية . وآثارهما باقية خالدة وهي فينا وفي امثالنا محسوسة مشاهدة . ولكن الايام جعلت رياضا يستأثر بتزنة كبرى فاصدر امراً عالياً في ٢٢ يونيو سنة ١٨٩٣ بان تكون بروغرامات المدارس الاميرية محتوية على اكثر ما يمكن من المواد لتعليم اللغة العربية حتى تتأتى معرفتها معرفة تامة اكيدة . وان لا تعطي نظارة المعارف العمومية شهادة الدراسة الابتدائية او الثانوية او الشهادة النهائية من اي نوع كانت الى احد الطلاب مهما كانت معارفه في المواد الاخرى الا اذا كانت معرفته باللغة العربية . مستوفاة للشرائط المنصوص عليها في بروجرامات الحكومة الرسمية

افلا يصح لنا بعد تلاوة هذا الامر العالي ان نترحم على رياض وهذه اعماله وهذه خطته وهذا حبه للغة العربيـة التي تفانى في اعلاء كلمتها من اول وقوفه في ميدان السياسة والادارة الى آخر لحظة من حياته .

وقد اشتهر رياض بحسن الخلق والخلق وامتاز بحب العلم ومساعدة اهله وطالبيه وله القدح المعلى في خدمة مصر في الداخل وفي الخارج وذهب الى بلاد الشمال والى القسطنطينية بمهمات سياسية افاد بها بلاده وامته واتقن لسان العرب والاتراك والافرنج وخدم خمسة من ملوك مصر وهم : عباس الاول وسعيد واسماعيل وتوفيق وعباس الثاني مد الله في عمره . وقد مات رياض ولسان حاله يقول :

خدمت مصراً وملوكاً اربعه وخامساً هذا الذي نحن معه

يلزم لادارة الهلال الاعداد الآتية

من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و١ من سنة ٢ و٣ من سنة ١٥ و١ و٢ و٦ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و٣ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٢

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ٩٠٢ وترسل مجاناً لمن يطلبهـا من مكتبة وادارة الهلال بالفجالة بمصر

الالعاب

فلسفتها وأنواعها وفائدتها

ينظر الناس الى اللعب نظرهم الى أمر قليل الاهمية وقد يأذنون لاولادهم به لكنهم يحظرون عليهم التمادي فيه . وهم يتوسمون الخير في التلميذ الهادىء الساكت المطيع المنصرف الى المكاتب والمحابر الغارق في التفكير والاستفادة ممن هم اكبر منه سناً بما يتلونه عليه من المواعظ والحكم . ولو علم الناس ما للعب من التأثير في تقدم الانسانية الى حالها الحاضرة وأهميته لحياة الفرد والمجتمع وما يرجى منه اذا احسن استخدامه في تثقيف التلميذ لأحلوهُ مكاناً أرفع وتسامحوا مع ابنائهم في أعمال يعدونها الآن عصياناً أو طيشاً . لان اللعب من جملة ما أعدته الطبيعة لحفظ الانسان وترقيته يساعد الجسم على النمو وهو أعظم واسطة لتعريف الطفل بمحيطه على أسهل طريق فيعدهُ للرجولة . وقبل البحث في فائدة اللعب وسببه نذكر أهم الالعاب التي اصطلح عليها الناس

ان كثيراً من الاعمال نتعاطاها ونحن لا نرمي بها الى غاية مهمة ولا نتوقع من ورائها سوى اللذة والتسلية . وهذا كله يطلق عليه اسم اللعب . ولا يقتصر ذلك على ما ألفناه منه كالركض والرمي والسباحة لكنه يشمل أفعالا ابسط من ذلك . وكثيراً ما لا نفطن له ولا نعدُّه لعباً لانه لا يشاركنا فيه شخص آخر . وهناك العاب بسيطة جداً نأتيها ونحن لا نفكر فيها — كأن يلعب الانسان باصابعه أو بشاربيه او ان يردد الفاظاً في نفسه . ولسهولة البحث نقسم الالعاب الى قسمين : الاول العاب الانسان وحده والثاني العابه مع سواه . والعاب الانسان لوحده اما أن تكون عن طريق الحواس باستعمال الاعضاء الحاسة والمتحركة أو باستعمال القوى العقلية كالارادة والشعور والمميزة . واللعب مع سواه من بني جنسه يكون غالباً بالمقاومة الجسمية او الفكرية في سبيل المسابقة ويشمل اكثر الالعاب الاجتماعية . وهي أرقى من الاولى تتمرن بها القوى العصبية التي يستعملها في العابه الشخصية . ونحن موردون بعض الامثلة توضيحاً لما سبق وتمهيداً للمباحث التالية

الالعاب الانفرادية

كثيراً ما نرى في ايدي الناس العصي أو المسابح أو السلاسل يتشاغلون بتحريكها أو يلاعبونها بين أصابعهم وهم على الغالب لا يقصدون بذلك سوى التسلية عن طريق حاسة اللمس. ومن هذا القبيل الترويح بالمراوح ووضع الاظافر في الفم والتدخين. وكثيراً ما يكون اللعب بواسطة الحواس الاخرى كاللعب عن طريق السمع مثل سرور الطفل بالاصوات التي يسمعها أو يخرجها تلذذاً بذلك ومنه سرور الطفل بالتصفير والصراخ والعويل. ومن هذا الباب أيضاً ألعاب الطفل عن طريق البصر فان الضوء الباهر في الليل يسر له الكبير فضلاً عن الصغير. وكذلك رؤية الاشباح المتحركة فجلوس الانسان الى نافذة يشرف منها على شارع تزاحمت فيه الاقدام يرى الذاهب والآيب يفضله كثيرون على سواه من الالعاب. ولا يقتصر هذا اللعب الشخصي أو الانفرادي على التلذذ بما تنقله الاعصاب الخاصة للدماغ بل يجد الانسان لذة عن طريق الاعصاب المحركة بتحريك الاعضاء كاللعب بالاصابع. ومنها تدرج الطفل في المشي ثم الاستمتاع بالتسلق والركض والسباحة وغيرها. وقد يلعب الولد بتحريك أشياء ليست من جسمه كرمي الحجارة وكسر الآنية أو بناء بيت من الطين ونحو ذلك من العاب الاولاد

أما اللعب بواسطة القوى العقلية فمنه ما يكون عن طريق الذاكرة فيتذكر الانسان حوادث مرت به وهي كثيرة في العاب الاطفال. ومنه اللعب بالخيال كأن يخدع المرء نفسه ويتوهم الخيال حقيقة. فالولد يركب العصا ويوهم نفسه أنها فرس حقيقة فيطارد رفاقه عليها. ويوهم نفسه أن كومة ارمل جبل والفتاة الصغيرة تتوهم اللعبة التي في يدها شخصاً حياً. وكثيرون يرون في القمر وجه بشر وفي السحاب أشكال حيوانات. ومن هذا النوع الالعاب عن طريق الانتباه والتحفظ كتوقع أمر ما وحبس النفس كما هو يجري في اللعبة المسماة « بالغميضة ». وقد يلعب الانسان أيضاً بالقوى المميزة كما يحدث في المغالطات المنطقية والاحاجي العقلية. ويدخل في هذا اللذة الولع بان يكون سبباً لامر ما ولو كان مضراً. فان كثيرين من التلامذة يتلذذون بتسبيب الكدر لمعلمهم وقهره

أما اللعب عن طريق الشعور فيكون بسماع الاغاني المهيجة للنفس واستعمال المنبهات

من مشروب أو نحوه . وكثيراً ما يشعر الانسان بفرح وهو غارق في احزانه . ومن هذا القبيل الشعور الملذ برؤية ما يدهش أو يعجب . والفرج بعد اليأس والامل بعد الفشل ومنه التخويف وسماع غرائب الحوادث

وكذلك يكون اللعب باستعمال قوة الارادة كحمل الاثقال واحتمال الالام ومنع النفس عما ترغب فيه . وكثيراً ما نرى الاولاد يمتحنون قوة الارادة في رفاقهم ببعض الالعاب كحملهم على تثبيت العين عند ما تدنى اليد اليها

أما الالعاب الاجتماعية التي يشترك فيها اثنان فاكثر بغرض واحد فهي كثيرة ومعروفة منها الملاكمة والمقاومة الجسمية والعقلية والجدال في الكلام والسباق بالركض اوغيره . واللعب بالورق وسائر الالعاب التي يحتاج فيها الى مهارة وحظ كلعاب الزهر وما اشبه . ومن هذه الالعاب أيضاً الاحتفالات العمومية والرقص

لماذا يلعب الانسان

لم اذكر من الالعاب الا طرفاً صغيراً وهو كاف لتوضيح ما نريد بيانه وأول ما يتبادر الى الذهن بهذا الشأن « ما هو تأثير هذه الالعاب على الفرد وعلى المجتمع وما هو السبب في وجودها » واذا اجبنا على السؤال الثاني اولاً سهل علينا فهم أهمية اللعب في حياة الانسان.

لا يكفي في تعليل اللعب قولنا أنه مسبب عن اللذة أو الراحة التي يشعر الانسان بها في اللعب لان اللذة ان لم تكن مصحوبة بفائدة للجسم الحي لا يبقيها الانتخاب الطبيعي . فاللذة المصاحبة للتناسل لها غاية هي حفظ النوع . والشعور بالجوع واللذة بالطعام يصاحبها حفظ حياة الانسان بواسطة الغذاء . فاللذة التي يشعر بها اللاعب لابد من ان يكون لها دخل في حفظ الجسم الحي . قال سبنسر « ان فائدة اللعب صرف القوى الزائدة التي اذا تجمعت في الجسم ربما أضرت به فاللعب يصرفها »

ومع ما في هذا القول من الصحة لا نراه كافياً للتعليل الصحيح عن اللعب . لان كثيرين يلعبون حين لا يكون في أجسامهم قوى زائدة . وان كان هذا القول صحيحاً فما هذه الانواع المختلفة من الالعاب ؟ وقال آخرون « ان الانسان يلعب لاراحة الجسم من عناء الشغل لان الانتقال من عمل الى آخر يحدث راحة »

وهذا القول قلما يفيدنا في التعليل عن اللعب وفائدته في الجسم . وأقرب ما يكون الى الصواب ان للعب فائدة خصوصية في حياة الانسان نعني « اعداده في صغره للحياة الاجتماعية في كبره لان اللعب يمرن قوى جسمه الحيوية والعقلية ليكون مستعداً لما سيلقاه في الحياة الانسانية الكثيرة التركيب » واذا قابلنا الانسان بغيره من انواع الحيوان رأينا زمن الطفولية في حياته أطول منه في حياة سائر الحيوانات . لان الانسان أرقى منها في تركيب جسمه واحتياجاته فيحتاج الى زمن طويل في اعداده لمعاناة حياة أحكم وضعاً واكثر تقلباً مما في سائر الحيوانات . فان معظم ما تحتاج اليه الحيوانات الدنيا لبقائها تتكفل بها الغرائز الموروثة فيها وهي لا تحتاج الى التفكير واستعمال القوى العاقلة العليا . أما الانسان فحياته ملأى بالاختبارات الجديدة والتنقلات المتعددة فكان لذلك أحوج الى طفولية طويلة يتمرن فيها الغلام باللعب على تعرف محيطه واعداد نفسه له

تأثير اللعب في حياة الفرد والمجتمع

اذا نظرت الى طائفة من الاولاد يلعبون بعض الالعاب المألوفة رأيت في لعبهم مثالاً من أحوال النظام الاجتماعي كالتعاون لغرض واحد وحب التغلب والأثرة . وقد ينتظمون جماعات يطيعون رؤساءهم فوق طاعتهم لوالديهم لا عن اكراه كما يطيع التلاميذ المعلم بل طوع شخص حر أسلم امره لمن هو فوقه قدرة ومعرفة . وفي أثناء لعبهم تظهر قوى كل منهم واستعداده الفطري . فالقائد لا يحتاج الى اكثرية لتعيينه وانما تظهره شخصيته وكل ما فيه يصرح لمن حوله انه أهل للقيادة . انظر الى بونابرت وهو صبي كيف كان يتسلط على رفاقه وينظمهم ويقودهم ويحارب بهم . وقابل ذلك بما كان من شأنه في حروبه وغزواته . فيظهر لك معنى اللعب في حياة الانسان ومعظم هذه الالعاب الاجتماعية بين الاولاد تمثل الحياة الحقيقية . أو هي مثال مصغر لما هم مقبلون عليه من أحوال الحياة . فاطماع الصبي القليلة هي عنوان مطامعه الواسعة وانتصاراته الصغيرة هي مبدأ انتصاراته الكبيرة . وانكساراته ومصائبه الصغيرة تعلمه كيف يجب أن يلاقي الخسائر والمصائب التي تعترضه في مستقبل حياته

هذا في حياة الفرد لتهيئته ان يكون رجلاً اجتماعياً لكن الالعاب نفسها من حيث هي العاب كان لها تأثير عظيم على حياة المجتمع الانساني . وكثير مما نعده ضرورياً

للمجتمع ان هو الا نتيجة بعض الالعاب

خذ نشوء الآلات الموسيقية مثلاً فهي نتيجة تجارب عديدة عاناها الانسان القديم وهو يلعب في محاكاة اصوات الطبيعة كهزيم الرعد وصفير الريح وحفيف الشجر اراد تقليدها فادى ذلك الى اختراع الالات المتعددة . وكثيراً ما نرى الاولاد يعالجون ورقة من الحشيش بين ايديهم وينفخون عليها بشدة فتخرج صوتاً يفرحون له فهذه تمثل كيف اخترع الانسان القديم آلات النفخ . وهذا القياس نقدر ان نجاريه على سائر الفنون الجميلة كالتصوير والنقش . فهذه جميعها مصدرها اللعب

واذا تأملنا في الرقص رأينا له تأثيراً عظيماً في العصور الهمجية القديمة وان يكن له في الوقت الحاضر من المضار ما يعادل منافعه فقد كان واسطة لتآلف الجماعة او القبيلة واجتماعهم لغاية واحدة . وكما قال بعض الكتاب « ان هذه الالعاب تجمع بين افراد قبائل مختلفي الاطوار والاحوال عائشين حياة الانفراد وتعلمهم ان يعملوا معاً بقصد واحد وغرض واحد . فهي ترتب حياتهم وتجمع كلمتهم واياهم بعد ان كانوا متفرقين وهي اهم امر يبين لهم منفعة تكافلهم وتعاونهم »

واحسن مثال على تأثير الالعاب في حياة الامة ما يذكره التاريخ عن الالعاب اليونانية القديمة . وكذلك تأثيرها في العصر الحالي لا يقدر

الكلية . بيروت عزيز مرموره . ب . ع

تاريخ مصر الحديث

صدرت الطبعة الثانية من كتابنا تاريخ مصر الحديث في جزئين كبيرين وهي تمتاز عن الاولى بامتداد الحوادث الى اليوم وبالتوسع في اكثر المواد الهامة وخصوصاً من ايام محمد علي الى الآن وبكثرة الرسوم فان فيها بيفاً ومئتي رسم لمشاهير الرجال من كل العصور فضلاً عن صور الحصون والآلات والنقود والخرائط — ويلي ذلك فهرس ابجدي عام . وثمن النسخة مجلدة اربعون غرشاً والبريد خمسة غروش

السيف العثماني

من الصواعق لا يبقي ولا يذر … اذا انتضاه لاهل النقمة القدر
يرمي به الله رجماً لا تقوم له … هام الشياطين الا ريث ينحدر
في حده من شعاع الموت بارقة … يموت من هولها في الضربة النظر
ترفض اطرافها يوم الوغى شرراً … يفني الموت والارواح تستتر
فلا يساريه الا لحظ حامله … ولا يجاريه الا الموت يبتدر
سيف تجرده الدنيا لمن جحدوا … بأس الاوائل حتى يشهد الأخر
فكلما بلي التاريخ جدده … وكلما كاد ينسى اهله اذكروا
سيف الطبيعة تنتفض الطبيعة في … اثاره وبها من غيظها زور
فترجف الارض من اجبالها انفصلت … اذا جنود بني عثمانها انتشروا
ويعصف الجو من انفاسه التهبت … اذا هم لاشتياق الحرب قد زفروا
وتسأل الشهب رب الكون يرسلها … هدارة كبني عثمان ان هدروا
سيف الطبيعة بل سيف الفجيعة بل … سيف الشريعة فيه العدل والعبر
في كف كل فتى صنت سواعده … صب الحديد فلا وهن ولا خور
يمده القلب والابطال مدبرة … والموت ينفخ في نار وهم شرر
مستحفز العزم يرمي كل نائبة … بنفسه وله من نفسه وزر
يرى الجراح هناء كلما كثرت … وثجّ من دمه كالغيث ينهمر
فان اهنا موت ان يكفنه … دم كرايته الحمراء ينتشر
من المساعير في الهيجا نهارهم … حرب وليلهم في حربهم سهر
فلا كلال ولا صد ولا هرب … ولا ملال ولا خوف ولا حذر
فوق الطبيعة بالايمان قد خرجوا … من مصنع الله لا جن ولا بشر
في الماء موج . وجمر في اللظى . وهم … صخر الثرى . وكما اطهرتهم طهروا
رموا بهم شعب طليان احالهم … جنونهم شعب طغيان ليزدجروا

* * *

يا امة مرضت واهتاج هائجها … فقارفوا كل مكروه وما شعروا
اهلاً بمرضاكم انا أساتكم … ستبرأون فلا يأخذكم الضجر
نجس داءكم بالطعن يقرعه … قرع البنان فان الداء ينفجر

وبعد نشنقكم موتاً يحدركم — وفي (الجراحة) نعم الراحة الحذر
وبعد نفصدكم فصداً سيبرئكم — من الغرور فمنه استفحل الخطرْ
وبعد نكويكم كيّاً سيحسم من — داء الحماقة ما اعيي به البطرْ
رميتمونا بجمد لا نبات لهم — الأ كما نبتت للارجل الأكر
يا رامي الشهب بالاحجار تحسبها — كالشهب هيهات يندى طبعه الحجر
وان مُنْيَة هذي الحرب انهم — هشيمها المطفى والحربُ تستعرْ
جؤا الينا سواداً كالدجى فبدا — من بيض اسيافنا خلف الدجى السحر
ويلُ امها من سيوفٍ في ظهورهم — قد صيرتها عصياً هذه الحُمُر
والليث يكرم ان يلوي على جيفٍ — وربما هان فيها الناب والظفر
جاؤا الينا كجيش النمل منسرباً — وفيهمْ بعض ابطال ولا صرر
يقود كلّ كميٍّ منهم املٌ — في طيه اجلٌ يقظان ينتظر
خاطوا لاجسامهم من نقعنا كفناً — فان اسيافهم في حربنا ابر
اسطولهم ام كلاب البحر تنبحنا — ام الضفادعُ قد ضجت بها الغدر
هذا وذاك سواء في طرابلس — والكل في مسمعي محرائها هذر
ان البعوضة في الصحراء اضخم من — اسطولهم ولها من دونه اثرْ

***

يا ويلها حومة كانت وطيس وغى — فصيروها (سباقاً) حينما انكسروا
ظنوا القيامة فيها قد بدت لهم — وبرّزت لاعادي ربها سقرْ
فما السيوف تهاوت في جوانبها — الا جهات سماء الله تنفطر
وما القنابل تهوي بينهم كسفاً — الا النجوم بامر الله تنكدر
وما الفوارس من ترك ومن عرب — الا زبانية لله قد نفروا
هم حاربوا الله يوماً ثمت انهزموا — فكيف لا يقبل العذر الذي اعتذروا
تالله لو انهم جنّ جماجمهم — ذرى الجبال يغطي جلدها الشجرْ
ومن رقابهم في الجوّ اعمدةٌ — وفوق كل عمود في السما قمر
وتحت ارجلهم قاع المحيط ومن — اطراف ايديهم يسترسل المطر
وكان (فيزوف) فوق الماء مارجة — وخلفه كلٌّ بركان سينفجر
واقبلوا ولهم هذي القلوب لما — صدّوا عدوّاً ولا فازوا ولا انتصروا

***

لا بدَّ من ثورة رجافة حنقاً هوجاء لا نظرٌ فيها ولا فكر
يمشي بها الموت مجنوناً وكيف خطا فليس الا قبورٌ ثم تحتفر
لا بد من غضبة ان ثار ثائرها على الشياطين من جنّ الفلا ذُعروا
ثأرٌ تلفف منه كل منتقم على البلاء الذي يمضي به الخبر
ثأرٌ تعاظم فيهم ان يقال له ذنبٌ مخافةَ ان الحلم يغتفر
ثأرٌ كثأر الافاعي لا ينفسهُ الا المغارزُ فيها الناب يُعتصر
ثأرٌ العرين اذا جاعت ثعالبه فلم يرِ الشبلَ فيه الضيغم الهصر
ثأرٌ اليتامى وثأر الثاكلات وثأ ر الخدر يُنضى وثأر العرض يُشتهر

***

واهاً لها عذرة تخزى النساء بها لو تعذر امرأة يوماً كما عذروا
يا للرجولة من قوم اذا انفردوا بالطفل يلعب ردُّوا الطفل يُحتضر
يا للحفيظة من قوم اذا انفردوا بالبائسات غدت اكفانها الأزر
يا للشهامة من قوم اذا انفردوا بالشيخ يرعش لم يعطفهمُ الكبر
يا للمروءة من قوم اذا نظروا للمستغيث بهم في موته سخروا
يذبحونهمُ ثأراً بمن فقدوا فلا تَ قد ربحوا اضعاف ماخسروا
هل يخسرون سوى اشباههم وهم معرَّة الارض ان قلوا وان كثروا
هل يخسرون سوى رعديدة فرق كأنه رجلٌ في الحرب محتضرُ
يلقي المهند خوفاً ان يجدَّ به جدُّ الذهول فعند البأس ينتحر
وان تقحم منها الغمرة انقلبت عيناه رعباً فما يهدي له بصر
وفرَّ لا فزعاً منها ولا جزعاً لكن خيالٌ وجبنٌ منه مبتكر
يا أمة النحتِ والتصوير ويحكمُ حتى جنودكم الانصابُ والصور

مصر مصطفى صادق الرافعي

من بواعث الاقدام

قال محمد بن غالب

لولا شماتة اعداء ذوي حسد او اغتمام صديق كان يرجوني
لما خطبت الى الدنيا مطالبها ولا بذلت لها مالي ولا ديني

صحة العائلة

واجبات الام نحو طفلها

بعد الوضع

بعد ان يرفع الطفل من المغطس الاول عقب ولادته وينشف جسمه جيداً تغسل السرة بمحلول البوريك لتطهر من الاوساخ التي تعرضت لها وتنشف بالقطن المعقم ويرش عليها مسحوق البوريك وتغطى بالقطن وتحفظ برباط يلف على وسط الطفل فوقه رباط آخر من الفلانلا اعرض منه واطول بحيث يحيط بجسمه ثلاث مرات ويغطي معظمه وخصوصاً الجوف البطني ويلبس ثياباً ناعمة دافئة. ثم ضمي طفلك بغرفة معتمة بعيدة عن الضوضاء او بالقرب منك اذا لحظت في اطرافه زرقة فحرارة جسمك تساعده على استرجاع ما خسره من الحرارة عند حلوله في هذا العالم

ومن العادات الجارية في العالم الشمالي وقد تأكدت فائدتها ان يقطر بعين الطفل محلول نترات الفضة بنسبة ٢ الى ١٠٠ من الماء. اما انا فلا اشير عليكِ باستعمال هذه القطرة لا لعدم فائدتها بل لكونها غير لازمة لنا مثل لزومها لذلك العالم المملوء بالامراض الوراثية. انما افضل عليها قطرة محلول البوريك فانها تفي على بساطتها بالغرض الذي ارجوه من استعمالها • والكحل الذي تعودت امهات الشرق تكحيل عيون اطفالهن بها وربما عيونهن ايضاً قد ينجم عنه اضرارا وخيمة فتركهُ اولى

وفي الثاني من ايام الطفل تغيرين ثيابه وقبل ان تحلي رباط السرة اغسلي يديك وطهريهما فاذا كشفتِ عن السرة ورأيت القطنة المغطاة بها مبلولة انزعيها واغسلي السرة بمحلول البوريك حسب الاشارة المتقدمة. واذا لم تكن القطنة مبللة وكانت السرة ناشفة فلا تمسيها • وبعد ربط السرة امسحي جسم الطفل بماء فاتر فيه نحو ثلثه من السبيرتو ونشفيه جيداً قبل ان تلبسيه الثياب النظيفة ولا يذهب عن بالك مسح وجهه وغسيل عينيه بمحلول البوريك مثل اليوم الاول • ولا تختلف معاملتك له في اليوم الثالث

عن اليوم الثاني ولا في اليوم الرابع بل واظبي على هذا المنوال الى ان تسقط قلفة السرة ويكون ذلك غالباً في اليوم الخامس واحيانا تظل الى السابع او الخامس عشر وقد لا تتعدى اليوم الثالث • وبعد وقوعها بيوم يجوز بدل المسح استعمال المغطس اليومي مع بقاء رباط السرة الى ان يصير عمر الطفل ستين يوماً • واشارة صغيرة في كيفية استحمامه يوميا لا تذهب بغير فائدة • بل بالعكس اجد ذكرها واجباً مراعاة للموضوع الذي اطرحه بين يديك

أنسب الاوقات لغسل الطفل الساعة التاسعة او العاشرة صباحاً وفي منتصف ميعاد الرضاعة . واترك تعديل حرارة الماء لفطنتك ويستحسن القاء حفنة كبيرة من الملح في الماء بضعة ايام فقط • وقبل تنزيل الطفل في المغطس امسحي وجهه وعنقه • واقفلي منافذ البيت كلها حتى يوضع في فراشه • ويغلب ان ينام بعد الاغتسال نوماً هادئاً فلا تزعجيه واذا كان جسمه نحيفاً لا يحتمل صدمة الماء غطساً فالمسح افضل منه له

واما تغذيته فهي جديرة بعنايتك خليقة بك دون احد من البشر • ولا عذر لمن تسلم ولدها لاخرى فترضعه لبنها وقد تزرع فيه مع اللبن اقبح الاخلاق واسفلها • فتكون سبباً لشقائه او قتله كالزارع الذي القى حبوباً في ارضه وتعهدها بنفسه فاخصبت ولما جاء وقت الحصاد لم يذهب ليقطف ثمار تعبه بل ارسل الخدم فكان حساب الحقل اقل من محصول البيدر • وربما كان هذا هو السبب في ما نلاحظه على بعض اولاد الاغنياء من النقص في اخلاقهم واستمساكهم باسقط العادات واشنعها • وهم في الغالب ضعفاء البنية معرضون للامراض الوافدة وغيرها اكثر من سواهم • ولعمر الحق ان التي ترضع طفلاً من غير جوفها لا تحن اليه حناناً طبيعياً ولا تكون اهلاً للاعتناء به • فالام التي تحرم ولدها لبنها لا لعذر صحي هي في نظري جاهلة خدعت الطبيعة حتى جعلتها اما

ولا بد من كلمة عن سعة معدة الطفل قبل ان تضعي فيها اللبن لتكوني على بصيرة وتعتقدي بوجوب الاخذ بنظام الرضاعة والاحتفاظ باوقاته اذ عليها تتوقف سلامة طفلك من الامراض الناشئة عن الاهمال وسوء التصرف • فتسع هذا العضو اللطيف من الولادة الى تمام الاسبوع الأول اوقية واحدة • ومن نهاية الاسبوع الاول الى منتهى الاسبوع الثاني نحو اوقيتين • وفي الشهر الثالث لا يحتمل اكثر من اربع أواق ونصف

وقية · وفي الشهر السادس يبلغ متسعه ست أواق ومنه الى اثني عشر تسع أواق وعند بلوغه الشهر الثامن عشر يسع اثنتي عشرة اوقية · واذا عرفت هذا تماماً فلا تحاولين بالطبع ان تضعي في المعدة فوق متسعها من اللبن كما انك تعجزين ان تصبي ماء فوق كاس مملوء ولا تطفح منه الزيادة

دخلت في عصارى يوم في الاسبوع الماضي الى حديقة الازبكية بالقاهرة و بينما انا اطوف في جوانبها امتع الطرف بمحاسن اشجارها وتنسيق نباتها رأيت البستاني يسقي اغراسها واستلفت انتباهي عنايته في سقاية الاشجار الكبيرة وترك الصغيرة بلا سقاية فسألته « لم لا تسقي الصغيرة ايضاً فانها تحتاج الى الري مثل الكبيرة » فقال « صحيح ولكن لم يأت ميعاد سقايتها بعد ومتى ازف الوقت ارويها » فسرني جوابه واعجبتني محافظته على النظام وقلت له « واي خطرعليها اذا تركت الماء يجري على جذعها دائما وماء النيل غزيز » فقال « لا خطرعليها بذلك غير الموت المعجل يحلُّ فيها . انتظر هذه الى الشجرة لو ابقيت الماء على جزعها بضعة ايام لذبلت ويبست »

هذه امثولة اكتفي بها ولو شئت الافاضة لضاقت صفحات الهلال عن امثالها · فكوني على استعداد لاجلال كلامي محل العمل به . والام التي تسير بموجبه ترتاح مع طفلها وهو يكون سعيداً بايامه — فمولود اليوم لا اسمح له بالرضاعة الا بعد اربع وعشرين ساعة . وقد وجدت الماء الفاتر في هذه المدة أفضل له · فاعطيه منه ملعقة في كل اربع ساعات مرة ولا يحتاج في الليل الى غير النوم · ولحظت العادة في سوريا ارضاع الطفل حال ولادته واذا لم يجدوا لبناً في صدر امه اتوا بامرأته ترضعه وعذرهم انه يكثر من البكاء ولا يعود يسكت . ولكن البكاء لايكون دائماً علامة الجوع وقد لا يكون مطلقا وانما السبب غالباً البرد او تبليل ثيابه او من العوامل الخارجية فامعني نظرك فيها قبل ان تضعيه على مرتبة الرضاعة . وفي اليوم الثاني ضعيه على صدرك كل ست ساعات مرة وان لم يكن عندك لبن بعد · فان لذلك فائدة تعود عليك · ولذلك يسمح بعض الاطباء بارضاعه في أول يوم كل ست ساعات مرة ولا يلزم ارضاعه في الليل . وفي اليوم الثالث كل اربع ساعات مرة وفي الليل مرة · ومن اليوم الرابع الى ثلاثة اسابيع كل ساعتين مرة وفي الليل مرة واحدة · ومن الاسبوع الثالث الى التاسع كل ساعتين

ونصف مرة وفي الليل مرتين • ومن الشهر الثالث الى الشهر الخامس كل ثلاث ساعات مرة وفي الليل مرة واحدة • ومن الشهر الخامس الى الثاني عشر كل ثلاث ساعات مرة وفي الليل ولا مرة • ويجب قبل كل رضاعة و بعدها غسيل حلمة الثدي بماء محلول البوريك

وخلاصة ما تقدم في اليوم الاول ماء فاتر وفي اليوم الثاني اربع رضاعات وفي اليوم الثالث ست رضاعات وفي الليل مرة • ومن اليوم الرابع الى ثلاثة اسابيع عشر رضاعات وفي الليل رضاعة واحدة ومن الاسبوع الثالث الى التاسع ثماني رضاعات وفي الليل رضاعتان • ومن الشهر الثالث الى الخامس سبع رضاعات وفي الليل رضاعة . ومن الشهر الخامس الى الحول ست رضاعات . فاذا سرت على هذا النمط في تغذيته تغرسين فيه ملكة الترتيب والنظام ويفهم بالسليقة ان له وصياً ساهراً على راحته وسلامته فتنشأ فيه بذرة الحبّ وتنمو بنموه مع الاجلال والاحترام لارادة ذلك الوصي . وبالمحافظة على نظام تغذيته تفرشين بيتك بالبشاشة والسكينة وتملئين جوانبه محبة وسلاماً وترفعين عليه علم السعادة العائلية ويصبح العالم حواليك ضاحكاً زاهراً كزهرة الوادي الجميلة

ولما كان دماغ الطفل اشبه باسطوانة حساسة معدة لطبع ما يقع عليها من اصوات المطربين فخليق بالام الفاضلة ان تجتنب ما يحدث الجلبة والحركة المزعجة او التكلم بالصخب والحدة . وتتحرى ان لا تنظر الى وجه طفلها ان لم تكن البشاشة تشع من عينيها فتضيء على وجهها وحركاتها وتكثر من ملاعبته في وقت ضجره والقاء الطف الكلام والذه على سمعه و باستطاعتها ان ترسخ فيه من العادات والاميال ما يعود بالنفع عليه وعلى وطنه في مستقبل ايامه • والسلام على من قرأ سطوري وعمل بموجبها

الدكتور اندراوس شخاشيري
حكيم كرنتينة نقطة حل عصر

مشاهير الشرق

في القرن التاسع عشر

باب السؤال والاقتراح

العهدة النبوية

(القاهرة) محمد افندي مصطفى الحسيني

اطلعت في جرائد سوريا ومصر على صورة عهد امان يقولون ان النبي (صلعم) اعطاه للنصارى كافة وكنت قد اطلعت على صورة أخرى له منذ بضع سنين تختلف عن هذه بعض الاختلاف فايهما اصح وما رأيكم في صحة هذا العهد وهل كتبه النبي على هذه الصورة

﴿ الهلال ﴾ ان لهذه العهدة صوراً متشابهة ومغزاها واحد وهذه صورة منها نشرها افريدون بك في كتاب منشآت سلاطين :

« هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس اجمعين رسوله مبشراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً كتبه لاهل ملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الارض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جعل لهم عهداً فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه الى غيره وتعدى ما امره كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً وبدينه مستهزئاً وللعنة مستوجباً سلطاناً كان أم غيره من المسلمين — وان احتمى راهب أو سائح في جبل او واد اومغارة اوعمران اوسهل او رمل او بيعة فانا اكون من ورائهم أذبُّ عنهم من كل غيرة بنفسي واعواني واهلي وملتي واتباعي لانهم رعيتي وانا اعزل عنهم الاذى في المؤن التي يحمل اهل العهد في القيام باخراج ما طابت له نفوسهم وليس عليهم جبر ولا اكراه على شيء من ذلك . ولا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء منازلهم فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة وانا احفظ ذمتهم اينما كانوا من بر او بحر

في المشرق او المغرب والجنوب والشمال وهم في ذمتي وميثاقي واماني من كل مكروه وكذلك من ينفرد بالعبادة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعونه لاخراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم افواههم ولا يعاونون عند ادراك الغلة ولا يلزمون بخروج في حرب وقيام بجبرية ولا من اصحاب الخراج وذوي الاموال والعقارات والتجارات مما هو اكثر من اثني عشر درهماً بالجملة في كل عام . ولا يكلف احد منهم شططاً ولا يجادلون الا بالتي هي احسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم اذية المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا — وان صارت النصرانية عند المسلمين فعليها برضاها ويمكنها من الصلاة في بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله . ويعاونون على مرمة بيعهم مواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وافعالهم بالعهد ولا يلزم احد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذبون عنهم ولا يخالف هذا العهد ابداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا » اهـ

ويليه اسماء الصحابة الذين شهدوا كتابته

اما صحة هذا العهد فلنا فيه نظر . ليس لان النبي لم يعط عهوداً فانه عاهد كثيرين على الامان منهم صاحب ايلة (في العقبة) وهذا نص كتابه اليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحيى بن روبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثاً فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ما يردونه ولا طريقا يردونه من بر او بحر »

ومثله كتابه الى اهل اذرح واهل مقنا وقد نشرناه في تاريخ التمدن الاسلامي ٩٢ج٣

اما العهدة النبوية التي نحن في صددها فانها موجهة الى النصارى كافة . ويقولون انها كتبت بخط علي بن ابي طالب ووضعت في مسجد النبي في السنة الثانية للهجرة وحملت منه نسخ الى الاديار . ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طورسينا فنقلها السلطان سليم الفاتح العثماني الى الاستانة في اوائل القرن السادس عشر للميلاد بعد ان عرضها على مجلس شرعي فنقلوها الى اللغة التركية وابقوا النسخة التركية في الدير وصورة الاصل العربي مع عهود برعاية حقوقهم الواردة في نص ذلك العهد وحملوا النسخة العربية الاصلية الى الاستانة

وقد اطلعنا محمد افندي حسني العامري على الترجمة التركية على أثر سياحته في دير طورسينا منذ بضع عشرة سنة نقلها عن الاصل الموجود هناك . وكلفنا احد المتضلعين في اللغة التركية ان يترجمها فتعذر عليه ذلك لتشويش بعض الفاظها بالنسخ وكثرة ما فيها من الخروم فضلاً عن اختلاف لغة عصر السلطان سليم عن هذا العصر لكنه نقل مقدمتها وهو المحضر الذي كتبه مجلس الشرع النبوي بمصر على عهد ذلك السلطان في اوائل القرن السادس عشر للميلاد وخلاصته :

« جاء بعض القسوس وخيار النصرانية الى مجلس الشرع النبوي في عهد السلطان سليم بمصر [1] وقالوا انهم اتوا من قديم الزمان الى مقام كليم الله في الوادي المقدس وصعدوا الى جبل المناجاة وزاروا طورسينا وشاهدوا الدير المبني هناك من زمن الجاهلية وتحققوا بالعيان ان النبي محمد بن عبد الله احسن الى اهل هذا الدير بعهدة نالوا بها الرعاية ودخلوا في ذمة المسلمين وتمتعوا هم واجدادهم واساتذتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم بالحرمة والرعاية وانهم حصلوا بمقتضى هذه العهدة من الخلفاء الراشدين واسلاف السلاطين نور الله مضاجعهم بانوار اليقين الى يوم الدين على اوامر او منشورات تقضي بمعاملتهم بالحسنى . وان تلك الاوامر تتضمن ذكر هذه العهدة وانهم جاؤا بصورة العهدة المشار اليها ونظرت فاذا هي لا تخالف الشرع الشريف »

ويلي ذلك ترجمة العهدة وتواقيع الصحابة وهي ٢٣ توقيعاً :

اما من حيث صحة نسبتها الى النبي فالغالب في اعتقادنا ان النبي اذا كان قد اعطى عهداً للنصارى والرهبان عموماً فهو غير هذا العهد أو لعله كان مختصراً وطولوه او نوسي وضاع اصله فكتبوه من عندهم . او ان النصارى وضعوا هذا العهد من عند انفسهم لغرض سياسي اذ لم يذكر خبره احد من مؤرخي الفتوح او غيرهم من كتاب المسلمين في الازمنة الاولى فضلاً عما في عباراته والفاظه مما لم يكن معروفا في صدر الاسلام وخصوصاً في السنة الثانية للهجرة والله اعلم

العرب قبل الاسلام

جزء اول — يبحث في اصل العرب وتاريخ دولهم القديم من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد الى ظهور الاسلام ويدخل في ذلك التاريخ دول العمالقة وتاريخ العرب القحطانية وعرب الشمال من عدنان وحروبهم ثمنه ٢٠ قرشاً والبريد ٢

(١) وفي الاصل التركي التباس بين ان يكون ذلك على عهد السلطان سليم او عهد السلطان سليمان

طائفة القرائين

﴿ موسكو . روسيا ﴾ ايلي افندي باروخ مسعودة

اني اسرائيلي قرائي فارجو منكم ان تفيدوني (١) ما معنى كلمة (قرّاي) وهل الحقيقة في جمعها (قرايين) أو (قرايم) لانهم في مصر يسموننا (قرايين) وفي روسيا (قرايم) فما هو الاصح . (٢) ارجو ان تشرحوا لنا تاريخ القرائين متى ظهروا واين يوجدون لاننا نعلم انهم يوجدون في القاهرة والاستانة وفي عموم تركيا وفي بلدة من بين النهرين اسمها (الهيت) وفي عموم روسيا وجالتسن . ومنهم نحو عشرة انفس في القدس الشريف . هذا الذي نعلمه والان ظهر جماعة منهم في بلاد العجم لكن القرائين في روسيا أبوا الاعتراف بهم . وبلغنا ان في بلاد الحبش ايضاً عدداً عظيماً يسمونهم باللسان الحبشي (قرا) ويقدر عددهم نحو خمسمائة الف نفس يتبعون شريعة موسى فقط ولايعتبرون غيرها . ويقال انهم يصعدون المحرقات لغاية الان وعلمت بهم الجمعية الصهيونيـة من اليهود الربانيين فارسلت اليهم بعض مرشديها لتضمهم الى الشريعة التلمودية فابوا

﴿ الهلال ﴾ القراؤون عند اليهود مثل الانجيليين عند النصارى والوهابيين عند المسلمين . نعني انهم يتمسكون بالاساس من كتب الدين ويتركون ما خلاه . فالقراؤون يمتازون عن الربانيين (سائر اليهود) بانهم يؤمنون بالتوراة فقط ولا يهتمون بالتقاليد السماعية التي دونت في التلمود . ويظن ان اسمهم مشتق من هذا المعنى اي القراءة لانهم انما يعولون على ما يقرأونه في التوراة لا ما يسمعونه من الحاخامين . واللفظ قارىء قرا «קרא» في العبرانية معناها القارىء فبعضهم يجمعه على صيغة الجمع العربية فيقول «قارئين اوقرائين» والبعض الاخر يجمعهُ على صيغة الجمع العبرانية «قرائيم» وهذا هوسبب الخلاف في لفظ الاسم كما ذكرتم . وقد يسمون «بني مقراء» ويقابلهم «الرابيون» وهم ما بقي من اليهود لانهم ظلوا على راي علمائهم او كهنتهم و «العالم» في لسانهم «ربي»

اما تاريخ هذه الشيعة اوالطائفة فاراد بعضهم ان يرده الى جماعة الصدوقيين قبل الميلاد المسيحي . ولكن الثابت عند المحققين ان تاريخهم يبدأ في اواسط القرن الثاني للهجرة (الثامن للميلاد) وزعيمها نبغ في بغداد واسمه عنان بن داود ولذلك عرفت شيعته ايضاً بالعنانية . وكان عنان من كبار علماء اليهود متبحراً في التلمود فضلاً عن التوراة .

فلما قام بدعوته قاومه الاحبار واتهموه انه انما يفعل ذلك طمعاً بالرئاسة . فرفع عنان دعواه الى الخليفة فلم ينجح مسعاه فبالغوا في اضطهاده حتى تمكنوا من حبسه مدة . ثم اذن له في الخروج مع اتباعه الى بيت المقدس فبنى فيه معبداً يجتمع فيه مريدوه . وتوارثه اتباعه الى زمن الحروب الصليبية . وانتشر القراؤون من هناك الى سائر سوريا ومصر حتى الاندلس وما يجاورها

توفي عنان المذكور سنة ٧٦٥ م وخلف كتباً تعليمية في لغة اليهود يومئذ وهي العبرانية المختلطة وتعرف بلغة التلمود . وكتب ايضاً في العربية وكل مؤلفاته ضاعت كما ضاع سواها من الكتب التي تخالف مصلحة الفئة الغالبة من الحكومة او الكهنة او غيرهم — ولهذا السبب ضاع كثير من كتب الفلاسفة المسلمين الذين ظهروا بعد ازهو العباسي لان المؤرخين كانوا يسايرون القوة الغالبة فيختصرون في اخبار اولئك الاحرار او يهملونها

فضياع مؤلفات عنان ذهب بكثير من اخبار هذا المذهب وحقيقة الفرق بينه وبين مذهب الربانيين . اذ لم تصلنا تعاليمه الا على ايدي الربانيين اعداء القرائين قاصرةً على الاختلاف في بعض الطقوس او المصطلحات كالاختلاف في مواقيت الاعياد وفي اوائل الشهور . فالقراؤون لا يثبتون اول القمر الا اذا راوه والربانيون يعولون فيه على الحساب الفلكي . ويقال نحو ذلك في سني الكبيس ومنزلة يوم السبت وشروط الزواج بين الاقربين . وقد روى كتاب المسلمين شيئاً من تعاليم عنان هذا واليك ما نقله الشهرستاني في كتاب الملل والنحل قال :

« العنانية نسبوا الى رجل يقال له عنان بن داود راس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد ويقتصرون على اكل الطير والظباء والسمك ويذبحون الحيوان على القفا ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وارشاداته ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قررها ودعا الناس اليها وهو من بني اسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون بنبوته ورسالته . ومن هؤلاء من يقول ان عيسى عليه السلام لم يدع انه نبي مرسل وانه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من اولياء الله المخلصين العارفين احكام التوراة . وان الانجيل ليس كتاباً منزلاً عليه ووحياً من الله تعالى بل هو جمع احواله من مبدئه الى كماله . وانما جمعه اربعة من اصحابه الحواريين فكيف يكون كتاباً منزلاً — قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه اولاً ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخراً ولم يعلموا بعد

محله ومغزاه . وقد ورد في التوراة ذكر المشيحا في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة وورد فارقليطا وهو الرجل العالم وكذلك ورد ذكره في الانجيل فوجب حمله على ماوجد وعلى من ادعى ذلك تحقيقه وحده» ا ه

ونظراً لما لاقوه من الاضطهاد لم يتكاثروا واكثرهم الان في روسيا فان منهم هناك حسب آخر احصاء ١٢٠٠٠ نفس في القرم وسباستبول وبولندا وغيرها

ولهم في القرم معبد مشهور في التاريخ كان يعرف قديماً باسم قلعة اليهود قرب بغجة سراي هو مهجور الان . ومنهم جماعات في مصر وفلسطين وسوريا والاستانة وغيرها من المملكة العثمانية يصعب معرفة احصائهم . اما ما ذكرتموه عمن في بلاد الحبشة منهم فلم يثبت خبره عندنا . والمشهور من مناقبهم انهم اهل صدق وعزيمة وثبات ومواظبة يؤثرون البسيط من احوال الحياة ويختلفون عن اخوانهم الربانيين بميلهم الى التجارة والزراعة اكثر من الصيرفة . يتكلمون في كل بلد لغة اهله فسكان القرم منهم يتكلمون اللغة التترية أي اللغة التركية الاصلية وسكان غربي روسيا يتكلمون البولاندية وهم على وفاق مع الروسيين

بنو هلال

﴿ باريرا في الارجنتين ﴾ خليل افندي مخول ناصر

هل لبني هلال ذكر في التاريخ الصحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ جاء في التاريخ ان بني هلال وبني سليم بطنان من مضر كانوا في القرن الرابع للهجرة احياء ناجعة اهل بادية يقيمون وراء الحجاز مما يلي نجد — بنو سليم من جهة المدينة وبنو هلال من جبل غزوان عند الطائف . فكانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء اطراف العراق والشام فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة وربما اغار بنو سليم على الحاج ايام الموسم بمكة وايام الزيارة بالمدينة . ثم ظهر القرامطة فتحيز بنو سليم لهم وعاثوا في البلاد وقد عجز الخلفاء العباسيون عن قمعهم . فلما افضت خلافة مصر الى العزيز بالله الفاطمي كان القرامطة قد تغلبوا على الشام فانتزعها العزيز منهم وردهم الى قرارهم في البحرين ونقل اشياعهم من بني هلال وسليم وانزلهم بالصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل . فاقاموا هناك وكان لهم اضرار في البلاد والخلفاء يداورونهم ويبحثون عن وسيلة يتخلصون بها منهم . فاتفق بعد سنين ان عامل الفاطميين في افريقية شق عصا الطاعة وبايع للدولة العباسية وقطع اسم الخليفة

الفاطمي من الخطبة والطراز والرايات فعظم الامر على الخليفة بالقاهرة وهو يومئذ المنتصر بالله فاشار عليه وزيره الحسن بن علي ان يقرب اليه احياء هلال وسليم المذكورين ويصطنع مشائخهم ويوليهم اعمال افريقية ويرسلهم لاستلام امورها فاذا فازوا كانت احدى الحسنيين والا فانه يتخلص من شرهم . فبعث الخليفة وزيره الى هذه الاحياء سنة ٤٤١ هـ وحرضهم على الذهاب الى المغرب وتملكه ففرحوا وجازوا النيل وساروا براً الى برقة ففتحوها . ثم تبعهم غيرهم من بطون دياب وزغب طمعاً بالكسب واصبحت افريقية مقر هذه القبائل من ذلك الحين فاقتسموا البلاد فيما بينهم

فندق

(ديبوا . الولايات المتحدة) عبد افندي معلوف

ارجو ان تفيدوني عن كلمة « فندق » كيف تلفظ فقد اختلف الادباء هنا بلفظها بالضم او الفتح فارجو ضبطها وما هو اصلها

(الهلال) هي لفظة يونانية الاصل تكتب في اليونانية هكذا [illegible]
وقد عربها العرب « فُندُق » بضم الفاء والدال وسكون النون



الهضم خارج المعدة

للهضم في الحيوان قواعد يمر الطعام عليها في القناة الهضمية فيتحول في اثناء سيره من الفم الى المريء فالمعدة فالامعاء . او ما يقوم مقام هذه الاعضاء على اختلاف انواع الحيوان . فيتحول بالمضغ والهضم المعدي والمعوي الى سائل لبني تمتصه الاوعية الماصة وتحمله الى الدم وهناك يتم تكونه للتغذية . والحيوانات تتفاوت اعضاؤها الهاضمة في الكمال من القناة البسيطة في الديدان الى الامعاء المركبة في الانسان . والهضم في كل حال يتم داخل الجسم

لكنهم عثروا في بعض الحشرات على ما يخالف هذه القاعدة . اذ يهضم الطعام فيها بدون ان يمرّ في جوفها . وقد عني احد العلماء في درس طبائع نوع منها اسمه بالافرنجية ديتيك يكون في دوره الدودي اي قبل ان يتحول الى فراش مستطيلاً معقداً كما تراه في هذا الشكل يسبح في الماء ويقتات بالاسماك بدون ان يبتلعها لان ادوات الهضم في راسه فيهضمها وهي في فمه



ديدان الديتيك سابحة في الماء
وفي اليسار والاسفل رأس احداها مكبرا

وذلك ان راسه كما تراه في اسفل الرسم ويساره مؤلف من صفيحة مثبتة لها في جانبيها نتوان معكوفان كالقرنين يتقابل طرفاهما في مقدم الراس وقد يتقاربان حتى يلتقيا فيتألف منهما شبه حلقة . واذا تفحصت مكان الفم في هذا الراس لا تجد له تجويفاً وان كان ينتهي في اسفله بانبوب كالقناة الهاضمة . ولكن الهضم لا يتم فيها وانما يتم في مكان الفم بواسطة ذينك القرنين وهما مجوفان في رأس كل منهما ثقب دقيق يستطرق الى قاعدته ومنها الى القناة الهضمية في الداخل

فبواسطة هذين القرنين وتجويفها يتم الهضم والامتصاص . وذلك ان تلك الحشرة اذا لقيت سمكة همت بها والتقمت بعضها وغرست قرنيها فيها من الجانبين كما ترى في الرسم واخذت تمتص مافيها من السوائل التي لا تحتاج الى هضم كالدم واللمفا . اما الجوامد كالعضل والعصب وغيرهما فانه ينفث فيها من قرنيه عصارة تعمل عمل الهضم وتحول تلك الجوامد الى سوائل مهضومة فتمتصها تلك الحشرة وتغتذي بها

وقد وجد الموسيو بورتيه صاحب هذه التجارب ان هذا العمل لا يستغرق وقتاً طويلاً لان ذلك الحيوان يثب على السمكة ويغرس قرنيه في جانبيها بأسرع من لمح

النصر . فينفث فيها اولاً سائلاً مخدراً يشلُّ اعصابها حتى لا تقوى على الدفاع . ثم يمص سوائلها . ولا يمضي بضع ثوان حتى ينسكب منه سائل اسود يحترق السمكة ويأخذ في تذويب اعضائها رويداً رويداً . فترى جسمها يتناقص حجمه ويبقى الجلد حافظاً شكله من الخارج . ويمكن للمتفرج ان يتتبع عمل المصم في تلك العلقة الى آخرها . فيرى انسكاب السائل الاسود دفعات بينها فترات يمتص بها الحيوان ما ذاب من بدن فريسته — والفترة نصف دقيقة . ولا يزال يكرر ذلك حتى لا يبقى من الفريسة غير العظم والجلد فيلفظهما

اصل الحياة

اكتشاف جديد

ما برح العلماء منذ ادهار يبحثون عن اصل الحياة وماهيتها وكانوا يحسبونها نوعاً من تنوعات القوى الطبيعية كالنور والحرارة والكهربائية لا يرون بينها وبين عالم الجماد حدًّا فاصلاً . ثم ثبت بالبرهان ان لعالم الاحياء خصائص مستقلة وان الحياة مبدأ مستقل . وايدوا ذلك بان الحي (وهو يشمل مملكتي النبات والحيوان) لا يتولد من غير الحي . وانه يتوالد بالتناسل على كيفيات متشابهة لا شبيه لها في عالم الجماد

واذ تقرر ذلك بقي علينا النظر في مصدر تلك الحياة وكيف وجدت اولاً في المادة . فارتأى بعضهم انها تولدت من ذاتها بالتدريج من الجمادية الى الحيوية في الازمان القديمة . اذ كانت محاطة باحوال مناسبة لتولدها وقد زالت تلك الاحوال الان . فاستلزم رايهم هذا ان يكون بين الحي وغير الحي حلقة موصلة لها خصائص الاثنين اي ان يكون في الطبيعة مادة فيها خصائص الحياة عند اول انتقالها من الجمادية الى الحيوية . ولما كانت الحيوانات الدنيئة تكثر دائماً في المياه اخذوا يفتشون عن تلك الحلقة في البحور ولكن مساعيهم ذهبت عبثاً

ومما يحكى من هذا القبيل وفيه فكاهة ان احد كبار علماء الانكليز الداهبين هذا المذهب عثر وهو يبحث في الصخور عند شواطيء البحر على مادة جلاتينية بسيطة تهتز اهتزازاً ضعيفاً فلاح له ان ذلك الاهتزاز حركة حيوية لا تزال في اول عهد ولدها . فحمل تلك المادة الى منزله ليبحث فيها بحثاً دقيقاً لتأييد رايه فلاقاه في طريقه بعض اصدقائه المتشيعين له في مذهبه فاخبره العالم بما عثر عليه وبما يرجو تحققه

بفحص هذه المادة . فتبادر الى ذهن صاحبنا ان صديقه قد عثر على الحلقة الموصلة بين الحي وغير الحي واسرع في نشر خبر هذا الاكتشاف وصديقه لا يعلم

ففي ذات يوم دعي العالم المكتشف الى حفلة قام فيها صديقه خطيباً وموضوع خطابه شرح ذلك الاكتشاف والثناء على مكتشفه والاطناب في سعة علمه وكيف انه وجد الحلقة الموصلة بين العالمين في مادة جلاتينية تهتز بمبدإ الحياة الاصلي . الى غير ذلك من عبارات الاطراء . فلما اتم الخطيب كلامه وقف صديقه امام الحضور واطرى غيرة الخطيب على العلم الى ان قال « اما الاكتشاف الذي اشار اليه صديقي فبكل اسف اخبر حضراتكم اني فحصت تلك المادة الجلاتينية بحثاً دقيقاً فوجدتها مادة بسيطة زلالية لا أثر للحياة فيها وانما كانت تهتز اهتزازاً ميكانيكياً بحركة الهواء» فاسقط بيد الخطيب وزال الوهم من عقول سامعيه

ومما يليق ذكره في هذا المقام ان المتشيعين لاصحاب المذاهب العلمية او الدينية اكثر تمسكاً بها من اصحابها . ويؤيد ذلك — ان داروين صاحب مذهب الارتقاء قال من جملة ابحاثه في اصل الانواع وترقي الانسان بعد شرح طويل « ان الانسان ربما كان متسلسلاً هو وبعض انواع القرود من اصل واحد مشترك بينهما وقد انقرض » فبالغ متشيعوه في قوله هذا حتى شاع على ألسنة الناس ان داروين يقول ان الانسان اصله من القرد وهو لم يقل ذلك

فالحياة مبدأ مستقل بثه الخالق في المادة في زمن لا نعرفه وعلى كيفية لا نفهمها ووضع لها النواميس والشرائع الخاصة بهـا وقضى عليها بالتوالد والموت لحكمة لا تدركها عقولنا

على ان غموض سر الحياة لا يمنعنا من البحث في الابنية الحية وطبائعها . وخلاصة ابحاثهم في ذلك ان الانسجة الحية (في النبات والحيوان) على اختلاف مواضعها ووظائفها مؤلفة من حويصلات او كريات صغيرة الحجم فيهـا مادة جلاتينية شفافة لا لون لها كالزلال في تركيبها تسمى « بروتوبلاسم » ويراد بها مادة الحياة الاصلية ويحيط بها او يشتملها غلافٌ غشائي . وتستقر فيها مادة كالنقطة السوداء يقال لها « النواة » وفيها مقرُّ مبدإ الحياة

ووجدوا لكل حويصلة حياة مستقلة تتناسل بالانفجار اي ان الحويصلة اذا (شاخت) و[illegible] اجلها انفجرت [illegible] حويصلات [illegible] الام . وهي تتناول الاغذية التي تدور في الجسم وتحولها الى مواد حية من نوعها . ومن اجتماع

هذه الحويصلات تكون انسجة النبات والحيوان . ويختلف شكل الحويصلة باختلاف تلك الانسجة وباختلاف الاعضاء التي تتألف منها . اما جوهرها فانه واحد

هذه خصائص الحويصلات الحيوية على الاجمال . وكان الاعتقاد الى عهد قريب أنها لا تحتوي غير الغشاء والبروتوبلاسم والنواة • وفي النواة شيء يسمونه كروموسوم قالوا انه وسيلة التوارث بين الحويصلات اي ان به تنتقل خصائص الحويصلة الى ابنائها



الحويصلات الحيوية وفيها الميتوخوندري باشكاله

(١) حويصلة عصبية قد استطالت ميتوخوندريها بشكل الالياف العصبية (٢) حويصلة عضلية تشكلت فيها الميتوخوندري بشكل الالياف العضلية (٣) حويصلة كبدية تحت ميتوخوندريها مثل كريات العصارة الكبدية (٤) حويصلة نباتية في حب الحمص أخذت ميتوخوندريها بالاستطالة والاختناق لاجل الانقسام (٥) حويصلات من ساق الشجرة وفيها الميتوخوندري آخذة في التحول الى كلوروفل

ولم ينبغ عالم من علماء الحياة الا جعل همه درس تلك الحويصلات • فعثروا على حبيبات دقيقة سابحة في البروتوبلاسم سموها « ميتوخوندري » عرفوا وجودها باصطباغها تحت الميكروسكوب بلون احمر او بنفسجي تظهر به واضحة وضوحاً تاماً • ولم يعبأوا بها في بادئ الرأي ثم وجهوا همهم الى درس خصائصها . وسبب اهتمامهم — اولاً : انها موجودة في كل حويصلة نباتية او حيوانية . ثانياً : انها تتكاثر بالانقسام أي انها تستطيل ثم تختنق حتى تنقطع الى نصفين كل منهما ميتوخوندري مستقلة تختلف في شكلها باختلاف موقع الحويصلة

ومما اكتشفوه من خصائصها حتى الآن ان تكاثرها بالانقسام من الاسباب الهامة في التوارث الذي تقدم ذكره . وتشكلها بشكل النسيج الذي تكون فيه يدل على ان تحول الحويصلات الحبوبية الى ذلك النسيج يبدأ فيها . فهي تحول في العضل الى الحويصلات العضلية . وفي العصب الى الالياف العصبية . وفي اوراق النبات الى الكلوروفل . وفي الحبوب الى الحويصلات النشوية . والعلماء يوالون البحث في خصائص هذه المادة ويتوقعون الوصول الى حقائق ذات شأن من حيث اصل الحياة

جمعية رعاية الاطفال

يا حماة الطفل خير المحسنين ... يدكم فيها يد الله المعين
انظروا عند توافي جمعكم ... تجدوا في الجمع جبريل الامين
ظلل الطفل ووافاه على ... مهرجان الله عرس المرسلين
يذكر الفضل على الدهر لكم ... من رعيتم من بنات وبنين
عرفوا البؤس ولما يولدوا ... قبل الدهر اكانوا مذنبين
غرباء الاهل نزاح الحمى ... وجدوا الدار بكم والاقربين
قل لمن ان قيل في البر لهم ... قبضوا الراح وولوا معرضين
اتقوا الايام في اعقابكم ... أأخذتم لهمُ عهد السنين
يأخذ الله وان طال المدى ... ويدانُ المرء ما كان يدين
خلق الحظ جماداً وحصى ... خالق الانسان من ماء وطين
ولامر ما وسرّ غامض ... تسعد النطفة اويشقى الجنين
فوليد تسجد الدنيا له ... وسواه في زوايا المهملين
وابن كسرى لا يلقى راية ... يتلقاها ابن عبد باليمين
رب مهد ازرت البؤسى به ... فيه كنز خبأ الغيب ثمين
مرضع يفطر بؤساً يومه ... مغدق النعمى غداً في العالمين
او ضعيف الركن في الفاقه ... هو ركن القوم ضرغام العرين
اوطويل الصمت اعمى في الصبا ... بين برديه المعرّي المبين
او فتاة هينة فوق الثرى ... ولدت من بالثريا يستهين
سيد النيل وواديه معاً ... مصرك الغرة والشرق الجبين

ملئت عدلاً وعلماً وغنى | وحكت بغداد من دنيا ودين
انت ان عشت لها عش ابداً | بالذي قد رام جداك ضمين
كل يوم انت مسديها يداً | شكرها فوق بيان المفصحين
تسبغ النعمى عليها بدداً | انت والنيل وايدي المحسنين
سعد الكل بناديك فلا | بائس يشقى ولا طفل حزين
ارحم الحساد واغفر للعدى | انت عند الله والشعب مكين

شوقي

اعظم رجال التاريخ

اختلف الناس في تعريف العظمة باختلاف نظرهم في الوجود . فبعضهم يعدون العظمة في الحرب والعظيم عندهم الفاتح الغازي . وآخرون يعتبرون العظمة في ما ينتج عن الاعمال من الآثار النافعة في الانسان وعندهم ان اعظم الرجال اكرمهم نفعاً للانسانية فيدخل في هؤلاء المخترعون والمكتشفون . ويرى آخرون ان العظمة بفرط الذكاء والاقتدار على التفكير في المواضيع الصعبة او البحث في فلسفة الوجود كما يفعل الفلاسفة وكبار العلماء . ولو سألنا القراء عن عشرة هم في اعتبارهم اعظم رجال التاريخ لاختار كل منهم اسماء طائفة تطابق مناقبهم ما يعتبره هو من اسباب العظمة . وقد جربنا ذلك في السنين الاولى من الهلال مرة في الاقتراح على من هو اعظم رجل في الاسلام ، ومرة اخرى سألنا القراء عن اشعر شعراء العصر وقد اختلفوا في ذلك كثيراً . ولو سألناهم عن اعظم رجال التاريخ لكان اختلافهم مضاعفاً — وربما فعلنا ذلك في فرصة اخرى

اما الآن فقد وقفنا على اقتراح من هذا النوع في مجلة المجلات الانكليزية بدأ به اندروكارنجي المثري المحسن الشهير وهو من اكثر الناس حبًّا للعظمة وتقديراً لاصحابها . والقراء يعرفون احساناته المتوالية في سبيل ترقية العقول بما انشأه من المكاتب والمعاهد الادبية والعلمية في العالم المتمدن . فرأيه جدير بالاحترام والثقة وقد انتخب من رجال التاريخ عشرين رجلاً يعدهم اعظم رجاله وهم :

١ شكسبير الشاعر المشهور	١١ موست مخترع طريقة عمل الفولاذ
٢ مورتن مكتشف الاثير	١٢ كولمبوس مكتشف اميركا
٣ جنر « لقاح الجدري	١٣ وُط مقدم الآلة البخارية
٤ نيلسن مخترع طريقة صهر الحديد	١٤ بل مخترع التلفون
٥ لينكولن السياسي المشهور	١٥ اركرايت مخترع آلة الغزل
٦ برنس الشاعر الاسكتلاندي	١٦ فرنكلن مكتشف الكهربائية
٧ غوتنبرج مخترع الطباعة	١٧ مردك اول من استنار بالفحم الحجري
٨ اديسن المخترع الكهربائي	١٨ هرجريف مخترع آلة الغزل
٩ سيمنس مخترع مقياس الماء	١٩ ستفنسن » الآلة البخارية
١٠ بسمر « طريقة عمل الفولاذ	٢٠ سمتون » » الدوّارة

والقارىء يرى في قائمة كارنجي آثار ميله الغريزي الى صناعة المعادن والآلات المحركة وهي الاعمال التي عاناها وجمع منها ثروته . وقد عرضت هذه القائمة على جماعة من كبار المفكرين الانكليز ليبدوا آراءهم فيها ويقول كل منهم رأيه في عشرين رجلاً هم في اعتباره اعظم رجال التاريخ . واليك اهم الاجوبة :

اولها قائمة المستر فريدريك هريسن وقد انتخب ٢٠ رجلاً في كل سبب من اسباب المدنية او العلم او الصناعة بعدهم اعظم سائر رجال التاريخ وهم :

١ موسى في التمدن الثيوقراطي القديم	١٢ وليم الصامت مؤسس هولندا
٢ هوميروس في الشعر القديم	١٣ ريشليو مؤسس فرنسا الحديثة
٣ ارسطو في الفلسفة القديمة	١٤ فريدريك الاعظم مؤسس مملكة بروسيا
٤ ارخميدس في العلم القديم	١٥ نيوتن مؤسس علم الفلك والطبيعيات الحديثين
٥ يوليوس قيصر في الدولة الرومانية	١٦ فرنكلين مكتشف القوى الكهربائية
٦ بولس الرسول رسول النصرانية	١٧ وُط مخترع الآلة البخارية
٧ شارلمان مؤسس الحكومات الحديثة	١٨ وشنطون مؤسس جمهورية اميركا
٨ دانتي ابو الشعر الحديث	١٩ داروين مؤسس العلم الحديث
٩ غوتنبرج مخترع الطباعة	٢٠ كونت مؤسس الفلسفة الايجابية
١٠ شكسبير مؤسس الشعر الحديث باوربا	
١١ كولمبوس مكتشف اميركا	

ونظر كارليل في العظمة من جهة اخرى فاختار عشرة سماهم اعظم رجال الارض وهم:

اودن	بيرنس
محمد النبي	جونسن
دانتي	روسو
شكسبير	كروموبل
لوثير	نابوليون

ونظر الدكتور الفريد ولس من جهة أخرى وهذه قائمته وفيها عشرون رجلا :

١ هوميروس ابو الشعراء	١١ شكسبير
٢ بوذا صاحب المذهب المعروف	١٢ نيوتن
٣ بريكليس الفيلسوف	١٣ سويدنبرج
٤ فيدياس النحات	١٤ وشنطون
٥ سقراط الفيلسوف	١٥ ولترسكوت
٦ الاسكندر الاكبر	١٦ روبرت اوين
٧ ارخيدس الرياضي	١٧ فاراداي
٨ يسوع الناصري	١٨ داروين
٩ الفريد الاعظم	١٩ شارلس دكنس
١٠ ميشال انجلو	٢٠ طولستوي

واختار المستر كورتني محرر مجلة الفورتنايتلي رفيو عشرين آخرين هم :

١ هوميروس	١١ كولمبوس
٢ بوذا	١٢ شكسبير
٣ افلاطون	١٣ ديكارت
٤ ارسطو	١٤ كروموبل
٥ يوليوس قيصر	١٥ نيوتن
٦ بولس الرسول	١٦ بطرس الاعظم
٧ محمد النبي	١٧ كانت
٨ شارلمان	١٧ نابوليون
٩ دانتي	١٩ ستيفنسن
١٠ غوتنبرج	٢٠ داروين

واختار غوردون سلفريدج الآتية اسماؤهم :

١ كونفوشيوس	١١ لونزو
٢ سقراط	١٢ ميشال انجلو
٣ الاسكندر	١٣ أكبر شاه
٤ يوليوس قيصر	١٤ شكسبير
٥ محمد النبي	١٥ كرومويل
٦ شارلمان	١٦ وشنطون
٧ الفريد الاعظم	١٧ قوطي الشاعر الالماني
٨ دانتي	١٨ نابوليون
٩ غوتنبرج	١٩ ستيفنسن
١٠ كولمبوس	٢٠ لنكولن

ونشرت مجلة المجلات بضعاً وعشرين قائمة جملة من جاء ذكرهم فيها من العظماء مئة وخمسون رجلاً هذه اسماء من نال فيهم اكثر من خمسة اصوات الى ٢١ صوتاً :

	عدد الاصوات		عدد الاصوات
شكسبير	٢١	لنكولن	٩
كولمبوس	١٦	موسى	٨
يوليوس قيصر	١٤	سقراط	٨
غوتنبرج	١٤	بولس الرسول	٨
نيوتن	١٤	وط	٨
دانتي	١٣	كونفوشيوس	٧
داروين	١٢	شارلمان	٧
ستيفنسن	١١	لوثير	٧
هوميروس	٩	افلاطون	٦
بودا	٩	محمد النبي	٦
ارسطو	٩	الفريد الكبير	٦
ميشال انجلو	٩	كرومويل	٦
فرنكلن	٩	وشنطون	٦

هؤلاء اعظم رجال التاريخ في نظر الانكليز وربما وافقهم على ذلك اكثر الاوربيين

كأنهم ينظرون في الاختيار من حيث تواريخهم • وقل فيهم المطلع على كنه تاريخ الشرق وتقدير رجاله حق قدرهم • فان بين رجال الاسلام على اختلاف اللغات والعصور جماعة كان يجب ذكرهم في مقدمة العظماء في الشجاعة او السياسة او العلم او غير ذلك

انشودة البراهمة الوطنية

باندي مترام

الهنود البراهمة من اشد الامم تعلقاً بوطنهم ولهم انشودة في لسانهم يسمونها « باندي مترام » معناها « السلام لك يا أمنا » انشدوها في اثناء ثورتهم على الانكليز سنة ١٩٠٥ وكان لها تأثير عظيم في نفوسهم وهذه ترجمتها :

« اسجد لك يا اماه . الغنية بالانهار والاثمار ونسيم الجنوب المنعش . حقولك خضراء بالحصاد لياليك تشعشع نور القمر الفضي . تكللك الاشجار المزهرة . ابتسامك يتألق كالنور • صوتك رخيم والفاظك تتساقط كالجوهر البراق . انت تسدين حاجاتنا من يقدر ان يسميك عديمة النجدة . انك تنجدين الاصدقاء وتطاردين الاعداء . انت منقذة شعبك . اسجد لك انت الحكمة انت الديانة انت القلب . بل انت صميم قلوبنا ومجرى انفاسنا وقوة سواعدنا . نصب تمثالك في هياكلنا انك الهة درغا تحملين عشرة اسنة بيديك انت لكشمي (الهة السعادة) تقيمين في بحيرة الجبقوق • انت ساراسواتي (الهة العلم) • اسجد لك • اسجد لك . ايتها الام الطاهرة الجميلة الباسمة المخلصة المزدانة بالجواهر »

ولهم انشودة كالصلاة يخاطبون بها الههم هذا مثال منها :

« يا الهي • انك كثير الاسماء بلا اسم . كثير الاشكال بلا شكل • الصامت واصواتك ملء آذاننا • اقبل صلاتي في خلال كل ذرة من ذرات الوجود • ارفق بهذه الارض القديمة • بعث القديسين والابرار . ارض التلال المباركة والصحاري المقدسة والاحراج الغضة المظلمة والسهول الفسيحة المشرقة . انها مجد الشرق القديم ومساكنه ورونق الشمس . يا وطننا ومسقط رؤوسنا يا بلاد الهند لتتآلف شعوبك ويكرم بعضها بعضاً بهدوء وسكينة . امنحها يا الهنا السلام الذي لا تقدر الملوك ان تمنحه اعطها السعادة التي تعجز الثروة عنها . ليعمل كل واحد لنفسه وللجميع . يشتغل ويدع الناس يشتغلون بعيش ويدع الناس يعيشون ... »



الجزء السادس من السنة العشرين

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٢ و ١٢ ربيع اول سنة ١٣٣٠

عمر بك لطفي

العالم القضائي والمصلح الاقتصادي

ولد سنة ١٨٦٨ وتوفي سنة ١٩١١

تمهيد

يمتاز هذا العصر في الشرق عما تقدمه من العصور بظهور النوابغ في الاصلاح الاجتماعي اوالاخلاقي او الاقتصادي . وكانت مطامع اصحاب المواهب قبله تتجه الى المناصب السياسية او الشهرة العلمية لتقيد الشؤون الاجتماعية بالتقاليد الموروثة ولاتكل الامة في شؤونها الاقتصادية او السياسية على حكومتها . فلم يكن يتصدى احد من رجال الامة الى الاهتمام في شيء من ذلك حتى انبثت الروح الدستورية في الناس واشربت نفوسهم بالحرية واطلع العقلاء على ما يشوب هذا المجتمع من النقص فعملوا على السعي في اصلاحه . واتخذ كل منهم طريقاً في الوصول الى ذلك الاصلاح . واعترضتهم عقبات تختلف وعورة باختلاف مايسعون في اصلاحه وما اعدوه من الوسائل لتمهيدها . فمنهم من افلح ومنهم من فشل فشلاً كليًا او جزئيا على نسبة اغراضهم وقواهم . ولا يشترط في فضل الرجل ان يتم نجاحه في سعيه وانما فضله في اخلاصه وتفانيه في ذلك السعي . وقد نبغ غير واحد من رجال الاصلاح في هذا العصر فدوَّن التاريخ فضلهم . وفيهم في

مصر الشيخ محمد عبده وقاسم امين ومصطفى كامل وقد ترجمناهم في الهلال وفي تراجم مشاهير الشرق . ونحن مترجمون الآن مصلحاً اقتصادياً اتخذ في الاصلاح سبيلاً آخر نعني عمر بك لطفي

ترجمته

نشأته الاولى

اصله من اسرة مغربية وفدت على الديار المصرية في زمن محمد علي باشا . وكان رئيسها من وجهاء بلاده يمثل دولة المغرب الاقصى لدى الحكومة المصرية . ولد عمر بك رحمه الله في الاسكندرية سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧) وتلقى العلم في مدرسة الجمعية الخيرية هناك وانتقل الى القاهرة فاتم دروسه بمدرسة الفرير . ثم دخل مدرسة الحقوق وتخرج فيها حتى نال شهادتها سنة ١٨٨٦ فبرز لعالم العمل وصدره مملوء بالآمال وله همة عالية فتدرج في المناصب بسرعة غريبة . فنبغ واشتهر وامتاز في مدة قصيرة كما يتضح مما يلي

فاستخدم اولاً في قلم قضايا الحكومة مدة قصيرة ثم في مكتب سعد باشا زغلول وهو يتعاطى المحاماة . واشتغل مدة اخرى في النيابة العمومية . ثم انتدبته الحكومة لتدريس القانون الروماني في مدرسة الحقوق الخديوية في عهد رئيسها المرحوم فيدال باشا . ثم توفي فيدال وظلت المدرسة حيناً بلا رئيس وهو يدير شؤونها ريثما صدر الامر بتعيينه وكيلاً لها ومدرساً لقانون العقوبات وتحقيق الجنايات . وفي سنة ١٨٩٠ افضت رئاسة المدرسة الى الموسيو شارل تستو فكان الفقيد خير عون له يشتغل بهمة ولذة لانه كان يشاهد ثمار ما يبثه في تلامذته من الاخلاق العالية فضلاً عن الدروس القضائية . لكن ذلك لم يدم طويلا فتوفي الرئيس سنة ١٩٠٢ وخلفه الموسيو جران مولان فلم يأتلف عمر معه . فاستقال آسفاً على ضياع ما كان يرجوه من خدمة الشبيبة المصرية بطريق التعليم

نشأته الثانية

فلما ترك التدريس تاقت نفسه الى الاشتغال في الفن الذي قضى شبابه في درسه وقد اتقنه واحبه نعني القضاء — وهو من المهن العلمية التي لا يشغف بها الا اصحاب العقول الراجحة نظراً لما تفتقر اليه من اعمال الفكرة والقياس العقلي والنظر المنطقي . فاختار الاشتغال بالمحاماة . وكان بعض الوجهاء لا يقدرون هذه الصناعة حق قدرها وفيهم

من يستنكف ان يرشح ابناءه لها وبعضهم من تلاميذ الفقيد فاحب ان ينزع هذا الاعتقاد من نفوسهم فطلب من الحكومة وهو وكيل لمدرسة الحقوق ان تقيد اسمه في سجل المحامين ويؤذن له في المرافعة كما يجري في فرنسا . فقيدت اسمه سنة ١٨٩٣ فلما خرج من المدرسة تفرغ للمحاماة . وكان فيها مثالاً لصدق اللهجة وقوة العارضة وطهارة الذمة بما يصح ان يكون مثالاً لطلاب هذه الصناعة . وما زال عاملاً فيها حتى توفاه الله في اواخر السنة الماضية

وكان لموته رنة اسى شملت الناشئة المصرية على الخصوص وسائر اهل القطر المصري على العموم لما عرفوه من اياديه البيضاء في خدمة المصالح العامة في انشاء الاندية والنقابات والجمعيات وتأليف الكتب والقاء الخطب . فاحتفلوا بتأبينه في نادي المدارس العليا وأبنه اعضاء النادي لانه رئيسه وابنه ايضاً نواب عن المحامين وعن مدرسة الحقوق وعن المدارس والجمعيات والنقابات التي له فضل في انشائها او تنشيطها كما سيجيء

أعماله

اولاً — في سبيل العلم

كان رحمه الله واسع الاطلاع في المواد القضائية مع نظر وانتقاد . لا يكتفي بحفظ القواعد لكنه كان ينظر فيها ويستخرج النتائج النافعة . وقد جعل وجهته في بحثه رفع شأن الشرع الاسلامي واظهار ما اشتمل عليه من الاحكام الراقية في كل موضوع . فكانت فاتحة اعماله في هذا السبيل ان الحكومة المصرية انتدبته سنة ١٨٩٤ لينوب عنها في مؤتمر المستشرقين في جنيف فالف للمؤتمر كتاباً باللغة الفرنساوية موضوعه « الدعوى الجنائية في الشريعة الاسلاميه » ثم الف غيره وغيره . وهذه اشهر مؤلفاته :

١ الدعوى الجنائية في الشريعة الاسلامية : كتبه في اللغة الفرنساوية وقسمه الى اربعة اجزاء الاول في الاتهام بالشريعة الاسلامية والثاني في درس الدعوى الجنائية من حيث اقامتها وغير ذلك والثالث الاحكام وطريق الطعن فيها . والرابع طرق التنفيذ . ومهد الكلام في قوانين العرب الجاهلية ووجه عنايته على الخصوص لنزع الاعتقاد السائد في اوربا ان الشريعة الاسلامية تقصر قواعدها عن ان تتناول مقتضيات التمدن الحديث واتى بالادلة الكثيرة على نقض هذا الاعتقاد . وافاض في بسط سائر اجزاء

الكتاب. وكان لكتابه هذا وقع عظيم لدى علماء القانون في اوربا وكتب اليه جماعة منهم يهنئونه على ذلك الفوز . وقرظته جرائدهم احسن تقريظ فاشتهر اسمه بسبب ذلك الكتاب في اوربا شهرة واسعة واهل وطنه لا يعلمون عنه الا قليلاً

٢ حرمة المساكن : هي رسالة بالفرنساوية ايضاً بين فيها ان تحريم انتهاك حرمة المساكن ليس من مخترعات الشرائع الحديثة بل له اصل ثابت في الشريعة الاسلامية واسند قوله الى القرآن والحديث

٣ حق المرأة : رسالة بالفرنساوية طبعت بمصر سنة ١٨٩٧ هي خلاصة خطاب القاه على مجمع السيدات في جنيف ابان فيها حقوق المراة في الشريعة الاسلامية وقارن بينها وبين ما للمرأة الغربية وان الاسلام خول المراة حقوقاً لا تزال المراة الافرنجية محرومة منها

٤ حق الدفاع : رسالة مستخرجة من مجموعة مقارنة القوانين بالفرنساوية ابان فيها مشروعية حق الدفاع في الشريعة الاسلامية وهي ترمي الى الغرض المتقدم ذكره

٥ كتاب الامتيازات الاجنبية : في اللغة العربية وهو اول كتاب عربي بهذا الموضوع صدره بمقدمة في اصل الامتيازات الدولية بمصر قبل المحاكم المختلطة وآخر في الامتيازات بعدها . وفصل في سريان القانون الجنائي على الحوادث التي تقع خارج القطر . ويتخلل البحث انتقادات على اعتداءات دولية

٦ الوجيز في شرح القانون الجزائي : قسمه الى جزئين الاول يشتمل على القواعد العمومية في قانون العقوبات اقتداء بما فعله الاستاذ جارو . ويشتمل الجزء الثاني على تحقيق الجنايات وفيه ابحاث جليلة في الجريمة وماهيتها واقسامها واركان الجرائم وما يتعلق بذلك . وفي العقوبة وماهيتها واقسامها واحكامها والكتاب يدخل في ٤٠٠ صفحة كبيرة يدل على علم مؤلفه

٧ انشاء شركات التعاون بمصر : هي آخر ما كتبه رحمه الله دونها في الفرنساوية وبعث بها للمؤتمر القضائي الدولي لشركات المساهمة وشركات التعاون الذي عقد في بروكسل سنة ١٩١٠ وقد نشرت في مجموعة ذلك المؤتمر

ثانياً — في سبيل الاجتماع والاقتصاد السياسي

ولم تقتصر خدمته على تأليف الكتب فقد كان بين جنبيه قلب يتقد غيرة على امته ووطنه . واشتهر بذلك بين اصدقائه ومريديه فاكتسب ثقتهم واصبحوا اذا هموا

بعمل كبير استعانوا به او شاوروه فيه ولا سيما اذا كان في سبيل مصر او الاسلام . ولما جاء غصبرنسكي المصلح الروسي منذ بضع اعوام بمشروع المؤتمر الاسلامي لقي من الفقيد عوناً كبيراً وقد تصورا معاً ومعهما رصيفنا محمود بك حسيب صاحب مجلة المجلات العربية كما ترى في هذا الرسم



محمود بك حسيب غصبرنسكي عمر بك لطفي

على ان ثمار سعيه ظهرت في المشروعات المصرية لصالحة الامة الاقتصادية او الاجتماعية بانشاء الاندية والجمعيات والنقابات مما لم يسبق له مثيل في هذه الديار . وهي في نظرنا اشدُّ تأثيراً في رقي المجتمع المصري اجتماعياً واقتصادياً

نادي المدارس العليا

واول اعماله من هذا القبيل الاخذ بناصر نادي المدارس العليا وتحمل عبء رئاسته وهو يشتمل على نخبة الشبيبة المصرية من العلماء والادباء المتخرجين من المدارس العليا والتجهيزية . وصاحب الفكرة في تأسيس هذا النادي الدكتور عبد العزيز نظمي الطبيب المشهور . اقترح على طلاب المدارس العليا انشاء نادٍ خاص بهم فلقي اقتراحه اصغاء فاجتمع جماعة منهم عقدوا جلسة عنده اقروا فيها على انشاء النادي

واخذوا يهتمون في جمع النقود على يد لجنة عينوها لذلك . فلما اجتمع لديهم المال اخذوا يبحثون عن رجال اكفاء للقيام بادارة هذا العمل . فعقدوا جلسة في قاعة مدرسة الطب انتخبوا فيها لجنة من نخبة اهل الوجاهة والفضل وكيلها عبد الخالق باشا ثروت . وسكرتيرها محمد علي دلاور بك . وامين صندوقها الدكتور عبد العزيز نظمي وامين مكتبتها حافظ افندي عفيفي . فاهتمت اللجنة في انتخاب رئيس يصلح للقيام بهذا العمل الجليل فوقع انتخابهم على صاحب الترجمة وكانت ثقتهم في محلها لان هذا النادي يضم بين جناحيه نخبة الادباء والفضلاء . وقد افتتح رسمياً في افريل سنة ١٩٠٦ في حفلة حضرها طائفة من كبار الموظفين والمستشارين ونظار المدارس والاعيان . وقبيل اعلان الافتتاح بساعات قليلة جاء بلاغ من دولة البرنس عبد المنعم ولي عهد سمو الخديوي المعظم يعلن رغبته في الاشتراك فيه . فكان لذلك وقع عظيم وتوطدت الامال بنجاح هذا العمل وقد نجح واتى بفوائد جمة في جملتها انه اثار الغيرة في صدور الادباء على انشاء اندية اخرى من نوعه . وما زال الفقيد رئيساً له حتى توفاه الله وهو يتفانى في سبيل خدمته

النقابات الزراعية

ومن مشروعاته لمصلحة الامة ايضاً انشاء النقابات الزراعية . نبهه الى ذلك ما رآه من اشتداد الازمة المالية سنة ١٩٠٧ وما كان يتكبده الفلاح من ظلم المرابين والمضاربين . فاخذ يبحث عما يضمن نجاة هذا القطر من مثل هذه الازمة في المستقبل فارتأى ان يقتدي بما فعلته المانيا وايطاليا في مثل هذه الحال فأقرّ على انشاء النقابات الزراعية . تتشكل النقابة في كل بلد من اوجه اهله وتجمع مالاً تدينه للفلاحين او المزارعين الصغار بفائدة معتدلة لابتياع التقاوي والمواشي مما يحتاج اليه الفلاح اوسمه القادم فينجو بذلك من الفوائد الفاحشة التي كان يتكبدها في هذا السبيل . واخذ في تحقيق هذه الامنية ولا يخفى ما يقتضيه ذلك من السعي لادخال هذه الفكرة في اذهان المزارعين غير اسفاره الى اوربا لدرس هذا المشروع . فرحل الى اوربا سنة ١٩٠٩ ومكث في ايطاليا مدة يدرس المشروع نظرياً وعملياً ثم اتى فرنسا فسويسرا . ولما عاد اخذ يبث هذا الفكر في انحاء القطر لا يبالي بما يلاقيه من المشاق وقد فاز بما اراده فانشئت النقابات المشار اليها واتت بثمار حسنة تتضاعف مع الزمان

وآخر مساعيه في سبيلها انه عمل على ايجاد علاقة تجارية راساً بين المزارعين المصريين والمصانع الاوربية بواسطة تلك النقابات على امل ان تخابر المصانع المذكورة بشأن

ابتياع الحاصلات المصرية رأساً مع اصحابها بمصر بدون ان يتوسط بينهما المرابون او المضاربون . فعزم على انشاء نقابة عامة تجمع النقابات الزراعية المصرية يؤلف منها لجنة تنوب عنها لهذا الغرض فعاجلته المنية . لكن بلغنا ان نادي المدارس آخذ في اخراج هذا الفكر الى حيز العمل

ومن مشروعاته في سبيل خير الامة المصرية الاقتصادي انشاء شركة التعاون المالي وشركة التعاون المنزلي في الاسكندرية ومثلها في المنصورة وبني سويف والمنيا ومنوف وحلوان . وانشأ نقابة عمال الصنائع وغيرها

وقد نال رحمه الله من علامات الشرف الفرنساوية وسام الاكاديمة ووسام المعارف العمومية من درجة اوفيسيه . ووسام اللجيون دونور من درجة شفاليه ومنحته الحكومة المصرية النيشان المجيدي الثالث

رثاء شوقي

ونختم المقال في هذه الترجمة بقصيدة قالها شوقي بك شاعر الامير في رثاء هذا النابغة وهي :

اليوم اصعدُ دون قبرك منبراً وأقلد الدنيا رثاءك جوهرا
واقصُّ من شعري كتاب محاسن تتقدم العلماء فيه مسطرا
ذكراً لفضلك عند مصر واهلها والفضل من حرماته ان يذكرا
العلم لا يُعلي المراتبَ وحده كم قدم العمل الرجالَ واخرا
والعلم أشبه بالسماء رجاله خلطت جهاماً في السحاب وممطرا
طفنا بقبرك واستلمنا جندلاً كالركن ازكى والحطيم مطهرا
بين التشرف والخشوع كأننا نستقبل الحرم الشريف منوّرا
لو انصفوك جنادلاً وصفائحاً جعلوك بالذكر الحكيم مسورا
يا من اراني الدهر صحة ودّه والودُّ في الدنيا حديثٌ مفترى
وسمعت بالخلق العظيم روايةً فاراني الخلق العظيم مصورا
ماذا لقيت من الرقاد وطوله انا فيك القى لوعة وتحسرا
نمْ ما بدا لك آمناً في منزل الدهر اقصر فيه من سنة الكرى
ما زلتَ في حمد الفراش وذمه حتى لقيت به الفراش الاوثرا
لا تشكونَّ الضرَّ من حشراته حشرات هذا الناس اقبح منظرا
يا سيد النادي وحامل همه خلّفته تحت الرزية موقرا
شهد الاعادي كم سهرت لمجده وغدوت في طلب المزيد مشمرا

وكم اتقيت الكيد واستدفعته ورميت عدوان الظنون فاقصرا
ولبثت عن حوض الشبيبة ذائداً حتى جزاك الله عنه الكوثرا
شبان مصر حيال قبرك خشعٌ لا يملكون سوى مدامعهم قرى
جمع الاسى لك جمعهم في واحد كان الشباب الواجد المستعبرا
لولاك ما عرفوا التعاون بينهم فيما يسرُّ ولا على ما كدرا
حيث التفتَّ رأيت حولك منهم آثار احسان وغرساً مثمرا
كم منطق لك في البلاد وحكمة العقل بينهما يباع ويشترى
تمشي الى الاكواخ ترشد اهلها مشي الحواريين يهدون القرى
متواضعاً لله بين عباده والله يبغض عبده المتكبرا
لم تدر نفسك ما الغرور وطالما دخل الغرور على الكبار فصغرا
في كل ناحية تخط نقابة فيها حياة اخي الزراعة لو درى
هي كيمياؤك لا خرافة (جابر) تذر المقل من الجماعة مكثرا
والمال لا تجنى ثمار رؤوسه حتى يصيب من الرؤوس مدبرا
والملك بالاموال اشمخ جانباً واعز سلطاناً واصدق مظهرا
انا لفي زمن سفاه شعوبه في ملكهم كالمرء في بيت الكرا
اسواك من اهل المبادي من دعا للمجد او جمع القلوب النفرا
الموت قبلك في البرية لم يهب طه الامين ولا يسوع الخيرا

***

لما دُعيت اتيت انثر مدمعي ولو استطعت نثرت جفني في الثرى
ابكي يمينك في التراب غمامة والصدر بحراً والفؤاد غضنفرا
لم اعط عنك تصبراً وانا الذي عزيت فيك عن الامير المعشرا
ازنُ الرجال ولي يراعٌ طالما خلع الثناء على الكرام محبرا
بالامس ارسلت الرثاء ممسكاً واليوم احتفل بالثناء معنبرا
غيرتني حزناً وغيَّرك البلى وهواك يأبى في الفؤاد تغيرا
فعليَّ حفظ العهد حتى نلتقي وعليك ان ترعاه حتى نحشرا

« شوقي »

القرود

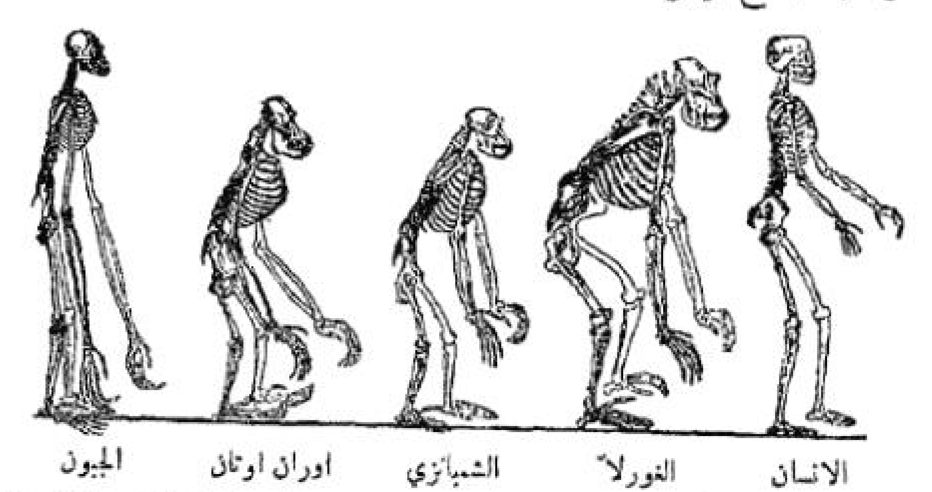
الشبيهة بالانسان

لحضرة انيس افندي الخوري المقدسي م . ع . (١)

لم ارَ بحثاً علميًّا في هذا الشأن جامعاً بين الحقيقة والفكاهة كالبحث الذي اعتمده في هذه المقالة . وهو للعلاَّمة هكسلي جمع فيه ما رواه العلماء الرحَّالون وما اختبره بنفسه عن هذه القرود . فرأيت ان انقله الى العربية طمعاً بما فيه من اللذة للخاصة والتفكهة للعامة لاسيما . والمنشور بين ظهرانينا في هذا الموضوع قليلٌ يكاد لا يذكر واكثره خرافيٌّ لا صحة له

نظرة عامة

القرود الشبيهة بالانسان اربعة هي : « الجبون » و « والاوران اوتان » و « الشمبانزي » و « الغورلا » وانما اطلق عليها هذا اللقب دون غيرها من القرود لخصائص مشتركة بينها سنأتي على اهمها — وهذه صور هياكل الانواع الاربعة المتقدم ذكرها بالمقابلة مع هيكل الانسان :



الجبون اوران اوتان الشمبانزي الغورلا الانسان

(١) ان لها في كل فك اربعة قواطع ونابين واربعة اضراس كاذبة وستة اضراس حقيقية فيكون مجموع ما لها في الفكين ٣٢ سناً . اما اسنان « الحليب » فعشرون

(١) خطبة تليت في جمعية حلقة الادباء في المدرسة الكلية السورية الانجيلية (بيروت)

في كل فك منها اربعة قواطع ونابان واربعة اضراس

(٢) الفاصل بين المنخرين ضيق ولذلك تراهما يشبهان منخري الانسان من حيث انحدارهما وانفتاحها نحو الاسفل .

(٣) الذراع في هذه القرود اطول من الساق على النسبة الآتية :

الجبون ١/١٤ : ١ الاوران ١/١٤ : ١ الشمبانزي ١/١٦ : ١ الغورلا ١/١٥ : ١

(٤) تنتهي اطرافها بايدٍ لها ابهام شبيهة بابهام الانسان الا ان هذه في قدم الانسان أكبر منها في القرود واقل التواء وحركة

(٥) لا اذناب لهذه القرود ولا اكياس خدية كما لغيرها . ووطنها جميعها النصف الشرقي من الكرة الارضية اي اسيا وافريقيا

والجبون اصغرها وانحفها واطولها اطرافاً بالنسبة الى جسمه فاذا انتصب مست يداه الارض وهما اطول من قدميه . ومن مميزاته انه ليس لشعره لون خاص تعرف به افراده بل هي على الوان شتى وان له ما للقرود الدنيا من الاستاه المتصلبة

اما الاوران فذراعه لاتصل الى اوطأ من كعبه وابهام يديه ورجليه قصيرة جداً وقدماه اطول من يديه وهو مغطى بشعر اسمر ضارب الى الحمرة

واذا انتصب الشمبانزي وصلت يداه الى ما تحت الركبة فقط لكن ابهامه كبيرة ويداه اطول من قدميه . شعره اسود وجلد وجهه اسمر ضارب الى الصفرة

الغورلاَّ اذا انتصب لا تصل يداه الى ابعد من منتصف ساقه . اما ابهامه فكبيرة وقدماه اطول من يديه . وجهه أسود وشعره اربد ابرش

هذا جل ما يقال عن تلك القرود بوجه عام على اننا سنحاول هنا وصفها طائفة طائفة مستندين في ذلك على العلماء الذين ربوا هذه الحيوانات او عاشروها ودرسوا اخلاقها ثم كتبوا ما عرفوه عنها مما شاهدوه بانفسهم . ولا يسعنا هنا الا ان نقول ان المصادر التي كان الباحثون يرجعون اليها في معرفة طبائع القرود اكثرها خرافي لا دليل علمي على صحته . اذ قلما يتفق ان يقوم شخص له ما لواليس Wallace من القوى الجسدية والادبية فيخاطر بنفسه في غابات اسيا واميركا ويدقق في وصف ما رآه وسمعه ثم يستخرج من كل ذلك نتيجة ملؤها السداد والحكمة . نعم قلما يقوم رجل كهذا الرجل خصه الله بكمال القوى العقلية والمادية . ولذلك لا تزال معرفتنا عن هذه القرود ناقصة وان تكن اثبت مما كانت عليه قبلاً

قسم العلماء هذه القرود الى ثلاث طوائف : الاولى سيميا وهي طائفة الاوران

اوتان . والثانية الهيلوباتيس وهي طائفة الجبون . والثالثة مختلف فيها فبعض يسميها تروغلوديتس ويجعل الشمبانزي والغورلا نوعين منها . وبعضهم يجعل هذين النوعين طائفتين مستقلتين اي يجعل هذه القرود اربع طوائف لا ثلاث . والطائفتان الاوليان بستوطنان اسيا اما الاخيرة فوطنها افريقيا — ولنبدا بالاسيوية منها

١ — طائفة الجبون

المعروف من هذه الطائفة ستة انواع منتشرة في الارخبيل الاسيوي من حد سومطره الى بورنيو وملقا وسيام وبعضها في الهند وهي اصغر القرود الشبيهة بالانسان اجسامها نحيفة جدًا واكبرها لا يبلغ طوله اكثر من ثلاث اقدام وبعض القدم . الدكتور سولومون ملر وهو عالم ثقة زار الارخبيل الاسيوي ودرس بنفسه هذه القرود درساً مدققاً . وقد اعتمدناه في كثير من الحقائق بهذا الشأن —



الجبون

الجبون جبلي يحب السكنى على جوانب التلال والمنحدرات ويقضي اكثر وقته على الاشجار فاذا جاء المساء نزل الى السهل ومشى فيه جيوشاً جرارة . لكنه اذا احس قدماً كرّ مسرعاً الى الجبال يتوارى في اوديتها المظلمة

ولهذا القرد صراخ يصم الآن ومما قاله الدكتور ملر عن احد انواعه السم

سيامانغ « ان صراخه هائل جدًا وكانك تسمعه يصيح على هذا النمط « جويك – جويك – جويك – ها – ها – ها – ها ها ها ها ! » ويمكنك لارتفاع صوته ان تسمعه الى مسافة نصف فرسخ ومتى صرخ اتسع الكيس الغشائي الواقع تحت البلعوم (كيس الحنجرة) وانتفخ جدًا ثم يعود الى حالته الاصلية متى عاد الى السكوت »

وعن المستر ديفوسل « ان صراخ هذا القرد يسمع الى اميال بعيدة » وقال المستر مارتن « ان صراخ الجبون يصم الآذان » ووصفه المستر واترهوس وهو موسيقي ومن علماء الحيوان « بان صوته يزري باشد اصوات المغنين الذين سمعهم الى الآن » وهذا الحيوان اخف من الانسان كثيراً وقامته لا تجاوز نصف قامة الانسان طولاً وهو يمشي منتصباً والادلة على ذلك كثيرة نجتزئ بعضها :

قال المستر جورج بنت يصف النوع المسمى هيلوباتيس سندكاوس وكان ربه عنده « يمشي هذا القرد منتصباً في السهل فيستعين بذراعيه على حفظ الموازنة . وذلك انه يدلي ذراعيه الى الارض فيتوكأ عليهما توكأ او يرفعهما عمودياً في الهواء ويسرع في مشيته لكنه يتمايل كالسكران فاذا سابقه عدوٌ سريع سبقه الا اذا تمكن من الوصول الى احدى الاشجار فانه يتسلقها بسرعة البرق . ومتى مشى منتصباً ادار قدميه وساقيه الى الخارج فتراهما كالقوس وهذا هو سر تمايله »

وقال الدكتور بورو في وصف النوع المسمى هورلاك « انه يمشي منتصباً في السهل ويحفظ توازن جسمه برفع يديه الى ما فوق راسه لكنه يثنيهما عند الرسغ قليلاً ثم يسرع متمايلاً من جانب الى جانب فاذا اضطر الى الاسراع الشديد ارخى يديه وسار يثب وثباً »

وعن الدكتور ونسلو لويس « ان هذا الحيوان لا يمشي الا على قدميه وانه يستعمل يديه لحفظ الموازنة فقط وهو لا ينقل القدم قبل الاخرى على نحو ما نفعل نحن في المشي لكنه يجمعهما معاً ثم يثب بهما وثباً » . والدكتور ملر المار ذكره يؤيد ذلك

ومن اقوال المستر مارتن الذي قضى وقتاً طويلاً في درس هذا القرد ومراقبته « ان الطبيعة مع تجهيزها الجبون بما يكفل له البقاء على الاشجار لم تحرمه مع ذلك من المقدرة على المشي منتصباً وهو كالشمبانزي يضع اخمص القدم دفعة واحدة على الارض وينقله كذلك »

فيستدل من جميع ما ذكر ان هذا الحيوان يمشي منتصباً في اكثر الاحيان ولا

يستعمل يديه الا للتوازن . الا انه اذا كان على الاشجار استعمل يديه ورجليه معاً للتسلق فتراه ينتقل من غصن الى آخر بسرعة عجيبة ورشاقة يعجز عنها الوصف

واليك ما رواه المستر مارتن المذكور عن احد القرود في مسارح الحيوانات قال — « يضيق نطاق اللغة دون التعبير عن خفة هذا الحيوان ورشاقته العجيبة . فانه يثب من غصن الى آخر بسرعة البرق فبينا نراه متدلياً باحدى يديه من احد الاغصان اذا هو يثب الى غصن آخر فيمسكه بيده الاخرى وما هو الا ان يلمسه حتى يثب الى غيره ويقطع بوثبته مسافة تتجاوز ثمانية عشر قدماً ويستمر على هذه الحال ساعات متوالية لا يظهر عليه فيها تعب او عياء — ولا غرابة فيما رواه ديفوسل من ان بعض هذه القرود يثب مسافة اربعين قدماً وثبة واحدة — ومن غريب امره انه قد يمسك غصناً بيد واحدة ثم يدور حوله في الفضاء بسرعة لا تصدق . ومن غرائبه انهم افلتوا عصفوراً في القسم الذي كان الجبون فيه فجعل القرد يراقبه وهو طائر ثم ما لبث ان رمى بنفسه في الهواء فامسكه بيد وأمسك احد الاغصان باليد الاخرى . وبسرعة البرق قطع راسه ونتف ريشه ثم رماه الى الارض ولم يأكله

« ورمى بنفسه مرة مسافة ١٢ قدماً الى احدى النوافذ الزجاجية فظن الجميع ان الزجاج متحطم لا محالة على ان الواقع كان غير ما ظنوا لان القرد تمكن من التمسك بالبراويز الضيقة الكائنة بين الالواح الزجاجية فلم يسقط الى الارض ولا كسر الزجاج ثم كرَّ راجعاً الى حيث كان »

والظاهر ان الجبون لطيف المعشر غير شرس الطبع لكنه اذا اغتاظ يصبح وحشاً كاسراً ونابه حادة جداً يعض بها عضاً اليماً . فقد عضت احدى اناث هذا الحيوان مرة رجلاً عضة كانت القاضية عليه . وهو يأكل الحشرات ولا يستطيب لحم الحيوانات الاخرى الا انه قد يأكله احياناً . قال المستر بنت انه شاهد سيامانغ يأكل ورلاً حياً (سقاية او سعلاية)

والجبون يشرب بيلّ اصابعه في الماء ثم يلحس الماء عنها بلسانه وهو ينام جالساً لا متمدداً

ومما رواه ديفوسل واكده لنا ان اناث هذه القرود تأتي بصغارها الى الماء فتغسل لها وجوهها بالرغم عن صياح الصغار وتمنعها . وهذه القرود اليفة انيسة متى دجنت والظاهر ان لها شيئاً من الوجدان كما يستدل من قصة رواها المستر بنت قال :

« للجبون الذي عندي ميل الى نقل الاشياء من محلها ووضعها في محل آخر

واكثر ما يفعل ذلك بقطع الصابون وقد عاقبته على ذلك مراراً فلم يرتدع . ففي احد الايام كنت جالساً اكتب في غرفتي والقرد معي في الغرفة اذا به قد تسرق الى المغسلة واخذ قطعة من الصابون كانت هناك فرايته يتلمص وقلت في نفسي اصطبر حتى ارى ماذا يفعل بها . ثم انه مشى بها متمهلاً وهو يلحظني خلسة ليرى اذا كنت عارفاً بصنعه ام لا . فجعلت اكتب متظاهراً باني مشغول جداً وكان هو من حين الى اخر ينظر الي نظرة الخوف والحذر حتى اذا وصل الى منتصف الغرفة ناديته بهدؤ خوفاً عليه من بغتة الرعبة فاذا به اسرع بقطعة الصابون ووضعها في محلها الاول »

ولا ريب ان في عمل كهذا شيئاً غير الغريزة ـ وجداناً عرف به الخطأ من الصواب واذا لم يكن هذا العمل من مظاهر الادراك فما هو الادراك اذن ؟

٢ — طائفة الاوران اوتان

اصدق الروايات التي نعرفها عن هذا القرد رواية الدكتور سولومون ملر والدكتور سخليجل الالمانيين ولقد اعتمدناهما فيما نكتبه عن هذه القرود واضفنا الى اقوالهما نتفاً من اخبارات والس وبروك وغيرهما من العلماء الطبيعيين



الاوران اوتان

يندر ان يزيد طول الاوران على اربع اقدام طولاً على ان جسمه ثقيل جداً . محيطه لا يقل عن ثلثي طوله وهو يستوطن سهول سومطره وبورنيو ومنخفضاتها .

ولا يوجد في سواهما . واكثر وجوده في اعماق الغابات بعيداً عن الجبال والسكان . وقلما يعيش الذكر والانثى معاً الا في فصل التزاوج اما في ما عدا ذلك فالانثى تستقل بنفسها يصحبها صغارها والحوامل منها تنقطع في محل منفرد تبقى فيه الى ان تلد

والظاهر ان نمو الاوران بطيء ولذلك يطول دور طفوليته فيبقى في حجر امه وتحت رعايتها زمناً طويلاً فاذا تسلقت الام الشجرة جعلت طفلها بين صدرها والشجرة وصعدت به الى حيث تريد . ولا يعلم تماماً زمن بلوغ الاوران وانما يرجح انه لا يبلغ قبل العاشرة او الخامسة عشرة من عمره . وهو يعمر الى الاربعين او الخمسين وليس له ما للجبون من الخفة والرشاقة . بل هو بليد خامل لا يحركه الا الجوع فاذا شبع عاد الى خموله وكسله ومتى جلس قوّس ظهره واطرق يتفرس في الارض وكثيراً ما يفعل ذلك وهو متمسك باحد الاغصان الدانية ويظل على هذه الحال ساعات متوالية كانه صنم لا حياة فيه

وهو يقضي اكثر اوقاته على الاشجار لا ينزل الى الارض الا عند المساء . فاذا احسَّ بخطر تغلغل بين الاشجار وتعمق في ظلمات الغابة . وقلما يبرح مكانه اذا لم يضطر الى ذلك ولا يبيت في اعالي الشجر خوفاً على نفسه من قرس البرد وشدة الريح . ومبيته اشبه بعش الطائر يصنعه بشبك الاغصان بعضها ببعض ثم يحمل اليه احمالاً من الاوراق المتساقطة من الاشجار

والاوران ينام طويلاً لا ينهض من منامه قبل ان تعلو الشمس في قبة السماء . وعلى رواية بعضهم انه ينهض الساعة التاسعة صباحاً وينام الساعة الخامسة مساء . ومتى نام استلقى على ظهره او جنبه واضعاً راسه على يده فاذا اشتد البرد غطى جسمه باوراق الاشجار التي يفترشها . وهو يفضل الجلوس على الاغصان الرفيعة والسبب على ما يظهر ان استه غير متصلبة كاستاه سائر القرود ولا عظام حوضه منبسطة كعظام احواضها بل هو في ذلك شبيه بالانسان . ومتى تسلق الاشجار صعد عليها بكل تأنٍ كانه انسان يخاف على قدميه ان تدميا ولا يثب كسائر القرود من غصن الى آخر بل ينقل يديه ورجليه تباعاً كما يفعل الانسان . ولا يتوكأ على غصن الا متى هزه وتيقن قوته واذا اراد العبور الى شجرة غير التي هو فيها لوى غصناً طويلاً من الثانية فيربط به الاولى ثم يزحف عليه زحفاً الى المكان المقصود

وهو يمشي على الاربع واذا جوري جرى مسرعاً في اول الامر لكنه يدرك حالاً . وهيأته ماشياً اشبه بهيئة شيخ احنت ظهره الايام فصار يمشي متوكئاً على عصاه .

ولا يقف الاوران على اخمص قدميه بل على جانبيهما الخارجية وذلك بعكس اليدين فانه يتوكا على جانبيهما الداخلية

ولذراعيه الطويلتين فائدة اخرى غير المساعدة على المشي فانه يستعملهما لتناول طعامه من الفواكه من حيث لا يستطيع الوصول بنفسه وهو نباتي لا يفترس الحيوان وقد يدجن اذا أخذ صغيراً على انه في الطبيعة حيوان شرس حذور . وقد اثبت بعضهم انه اذا جُرح هاج هيجاناً مخيفاً وهجم على عدوه بحنق شديد وويل لعدوه اذا لم يركن الى الفرار حالاً . ومع شدته قلما يسرع الى مهاجمة الصيادين ولا سيما اذا كان معهم اسلحة نارية لكنه يحاول الانزواء عنهم بين الاوراق الكثيفة في اعالي الاشجار . قال بعضهم وللاوران عدوٌ يدانيه في البأس والبطش وهو التمساح فانه قد يفترسه على ضفاف الانهار . على ان هذا القرد يتغلب عليه احياناً فيشق حنكه ويرمي به الى الارض جثة بلا روح

قال الدكتور ملر واصفاً ذكراً من هذه القرود طوله اربع اقدام كان في قفص تحت مراقبته « لهذا الحيوان قوة هائلة وهو شرس مراوغ غدار فاذا اقترب احد من قفصه وقف على مهل ثم نبذت نظره فيه ومدَّ يده ببطء بين القضبان الحديدية متظاهراً بالهدوء والسكينة ولكنه لا يلبث ان يثب بسرعة البرق فيقبض على وجهه قبضة لا يعرف هولها الا من ذاقها »

اما ادراكه فكبير ولو رآه كوفيه العالم الشهير لغير اعتقاده في « ان ادراك القرد ليس ارقى من ادراك الكلب الا قليلاً » وحاسة السمع فيه حادة جداً اما بصره فضعيف وهو يستعمل شفته للمس والشرب فيقلبها بحيث تصبح كالاناء ثم يملأها ماشرابا

ويُعرف الاوران في بورنيو باسماء كثيرة لا يزال العلماء على اختلاف فيها . فمنهم من يقول انه انواع مختلفة ومنهم من يقول بل هو اصناف من نوع واحد . وقد لخص واليس نوعاً يسمى « مياس باباس » فقال « يعرف هذا النوع بكبر جسمه وباتساع وجهه وانتهاء جلد الوجه فيه بزوائد لحمية فوق العضلات الصدغية . وقد قست خمسة منه فوجدت طولها يتراوح بين ٤ اقدام وقيراط واحد و٤ اقدام وقيراطين . ومحيط جسمها بين ٣ اقدام و٣ و٧ قراريط ونصف . وطول الذراعين وهما مبسوطتان بين ٧ اقدام وقيراطين و٧ اقدام و٦ قراريط . اما الشعر فيختلف في لونه وطوله باختلاف الافراد . وقد يختلف في القرد الواحد في اقسام جسمه المختلفة . وليس ثمت فروق عظيمة بين هذه القرود تحملني على تسميتها انواعاً . على ان من درس الجمجمة في

هذه القرود وجد اختلافات كثيرة من حيث الحجم والشكل فلا ترى اثنين متشابهين في ذلك . والفرق بينها في انحدار الوجه وشكل الفم والانف وحجم الجمجمة كالفرق بين الافريقي والاوربي من حيث الوضوح

فيستنتج مما ذكرناه عن القرود الاسيوية وهو ما اجمعت عليه العلماء ما يأتي :

(١) ان لهذه القرود قوة على السير منتصبة او نحو ذلك دون ان تتوكا على اذرعها

(٢) ان صراخها عال جداً وقد يسمع الى مدى ميل او ميلين

(٣) انها متى هيجت اصبحت شرسة جداً وشديدة البطش

(٤) انها تبتني لها مضاجع كالاعشاش تبيت فيها

وسنأتي على وصف النوعين الآخرين في الهلال القادم



واحة سيوا

جغرافيتها وتاريخها واهلها وسائر احوالها

كثر تحدث الناس عن الواحات لعلاقتها بالسنوسيين القائمين لنصرة الدولة العثمانية في طرابلس الغرب ونظراً لتوسط واحة سيوا بين مصر وطرابلس راينا ان نأتي على خلاصة ما يعرف عنها نقلاً عن اوثق المصادر واحدثها فنقول :

جغرافيتها

مساحتها ومياهها وزراعتها

الواحات على الاجمال بقاع خصبة في وسط البادية كالجزر في البحار وهي عديدة في صحراء افريقيا اشهرها في هذه الايام واحة جغبوب التي كان يقيم فيها السيد السنوسي وواحة الكفرة التي يقيم فيها الان . وواحات اوجيله وجلو وسيوا وغيرها

اما سيوا فانها في منخفض من الارض . وليست هي بلد او قرية ولكنها تتألف من قرى ومغارس منتشرة في مسافة ثلاثين ميلاً طولاً من الشرق الى الغرب في خمسة اميال عرضاً من الشمال الى الجنوب فمجموع المساحة نحو ١٥٠ ميلاً مربعاً لا يزرع منها الا ربعها والباقي رمال وجبال

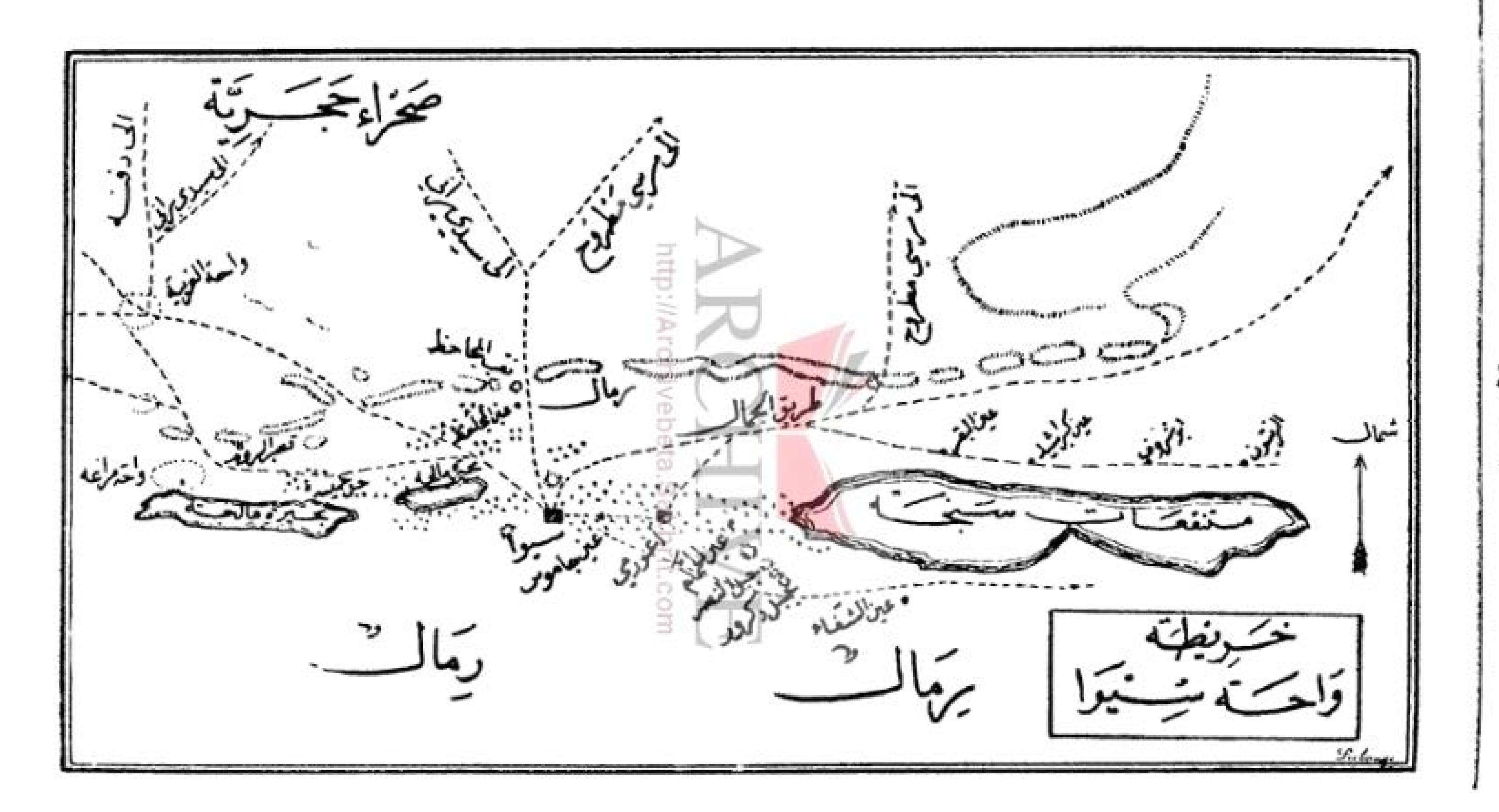
تنتهي سيوا في الشرق بقرية يقال لها الزيتون وفي الغرب بواحة مراغة تخللها مغارس وعيون وبحيرات كما ترى في الخريطة بالصفحة المقابلة

ويغلب في البقاع المزروعة هناك ان تعلو سائر ارض الواحة بضع اقدام خلاف المألوف في سائر البقاع الزراعية فانها تكون غالباً في المنخفضات ليسهل جر الماء اليها . واما في سيوا فانها عالية ويحيط بكل حقل او مزرعة سياجٌ من سعف النخل يفصلها عن الرمال . وبين المزارع طرق مرصوصة تخترق الرمال يسير عليها الناس والدواب

واهم الواحات هناك ثلاث : واحة سيوا في الوسط يليها واحة اغورمي في الشرق ومراغة في الغرب ويتخلل ذلك ويجاوره كثيرمن البحيرات والعيون . فالبحيرات اهمها بحيرة كبيرة في الشرق ماؤُها مستنقع سبخ يمتد الى جوار الزيتون . وفي غربي واحة سيوا بحيرة خميسة وراءها جبل خميسة ثم بحيرة مراغة . وكلها مالحة ينصب فيها الماء من ينابيع حولها غير ما ينتهي اليها مما يبقى بعد ري الارض المجاورة

واما العيون والينابيع فانها كثيرة تزيد على مئة عين لا يستخدم منها للشرب والري الاّ ثمانون ويغلب في العين ان يكون قطرها ٣٠ — ٨٠ قدماً وعمقها نحو ٢٠ قدماً . والماء على الاجمال صافٍ يتصاعد من اسفله الى سطحه فقاقيع تتسارع متناسقة توهم الناظر ان الماء يغلي . على ان بعض الينابيع ماؤها حار اهمها عين الحمام بقرب غورمي وعين الجاموس (او تاموس) بجانبها يغتسل فيهما الناس ويخالط مياه سائر الينابيع املاحٌ يختلف مقدارها باختلاف الينابيع . واعذب المياه كافة ماء عين الشفاء على اربعة اميال شرقي سيوا . ويحيط ببعض الينابيع احجارٌ متناسقة كالسور لا تزال باقية من زمن الرومانيين . ولبعض الينابيع احواض يخزنون فيها الماء لاستخدامه عند الحاجة . لكن العادة ان يجري الماء من النبع الى الحقول فيرويها وينصرف ما يفيض منه الى البحيرات ويستقر فيها واهم العيون مرسومة في الخريطة

وتقسم الارض الزراعية في سيوا الى عزب يمتلكها الاغنياء لكل عزبة عين ترويها وقد يشترك بضعة اشخاص في عزبة واحدة . واهم حاصلاتها التمر والزيتون يحملونهما الى الخارج . واما سائر الغلال فتصرف في سيوا نفسها وفي جملتها العنب والتين والمشمش والليمون الحلو والبرتقال والرمان . وفيها من الخضر والافاويه البامية والباذنجان والقرع والطماطم والكرفس والبصل واللوبياء العريضة والثوم والنعناع والفجل والبهار ويكثر فيها البرسيم فضلاً عن القمح والذرة والشعير . والنخيل عندهم قصير لكنهُ مثمر وهو ثمانية اصناف لكن اكثره من الصعيدي


خريطة
واحة سيوا
شمال
صحراء حجرية
الى مرسى مطروح
الى مرسى مطروح
الى السيدي براني
طريق الجمال
سيوا
رمال
رمال
رمال
عين الشفاء

بلادها وقراها

اهم بلادها أثنان سيوا واوغورمي واهمهما سيوا التي تسمى تلك البلاد بها . وهي مبنية على مرتفع من الارض تظهر المشرف على الواحـة عن بعد كالتل الكبير من الحجارة السمراء كانها قطعة واحدة بيوتها متراكبة طبقة فوق طبقة او هي تتدرج في مواقعها في سفح ذلك التل فتظهر كأنها مؤلفة من ثماني طبقات أو اكثر . تخترقها نوافذ صغيرة متناسقة في اشكال مثلثة نافذتان في الاسفل وواحدة بينهما في الاعلى

والبلد بجملته كالحصن له مدخل واحد كان قديماً في الشمال تحت الجامع العتيق . وهو ضيق منحوت في الصخر الذي بنيت البلدة عليه . الى يسار الداخل فيه سجن قديم منقور في الصخر فوقه مخزن الاقوات وقت الحصار . وقد اهمل هذا المدخل



ابنية سيوا من جهة الشرق وفي اسفلها منازل وحوانيت

الآن واستعاضوا عنه بمكان آخر بالقرب منه . ولم يكن لسيوا مدخل غير هذا الباب فلما استقر الامن فتحت فيها منافذ اخرى . على ان بعض السيويين اخذوا في البناء خارج البلدة على الرمال كما فعل اهل مصر القاهرة بعد اخذهم باسباب التمدن الحديث فعمروا شبرا والفجالة والعباسية ونحوها . والسيويون يبنون منازلهم بالحجارة والقرميد يجعلون جدرانها ثخينة في الاسفل ثم تدق نحو الاعلى حتى يخشى تداعيها لكنهم يقوونها بجذوع النخل بين اجزائها ويندر ان يبيضوها من الخارج . ولذلك فان المقبل على سيوا تظهر له سمراء اللون

واما طرقها فانها على غير نظام واكثرها ضيق وفيها ما لا يزيد عرضه على متر وناهيك بالانحدارات الوعرة . وترى وانت ماش فيها مداخل المنازل الى اليمين واليسار صغيرة لا يزيد ارتفاع بعضها على اربع اقدام . والابواب مصنوعة من جذوع النخل وبعض الطرقات مسقوفة بتلك الجذوع ايضاً . ولذلك فيختلف مقدار النور هناك . وقد يكون بعضها مظلماً في رابعة النهار ويستقي اهل البلدة من آبار اهمها بئر احمد وبئر شامي

وخارج سيوا (البلدة) بقاع بعضها مدافن او مقامات . ففي الشمال مقام سيدي سليمان وليّ سيوا يجتمع عنده السيويون في الاحتفالات . وبجانبه جامع حديث العهد بنته نظارة الاوقاف . وفي بلدة سيوا ١٢ مسجداً قديماً وزاوية للسنوسي وزاوية للمدني . وفي الشرق ساحة للبيع والشراء وهي السوق فيها اكواخ كالحوانيت ترى رسمها في الشكل . واكثر الباعة من العرب . وعلى نصف ميل نحو الجنوب آثار المركز القديم اي مقرّ الحاكم وعدد سكان سيوا ٣٥٠٠ نفس

اما اغورمي فهي على ميل ونصف من سيوا نحو الشرق قائمة على صخر عال مشرف من الجهات الاربع . يتفجر من اسفله ١٢ عيناً بعضها حار مالح وبعضها عذب بارد . وفيها كثير من شجر النخيل . طرقها اعرض قليلاً من طرق سيوا لكن ابنيتها ونوافذها وترتيبها مثل سيوا تماماً . ولها مدخل واحد وفي وسطها بئر تعرف ببئر اغورمي ماؤها عذب . وعدد سكانها ٧٥٠ نفساً

سكانها

اجناسهم

اختلف علماء الانسان في اصل السيويين والاكثر على انهم من البربر سكان شمالي افريقيا . يستدلون على ذلك من لغتهم ويزعم اهل بلدة سيوا ان اهل اغورمي من قوم يعرفون بالنزراني (النصراني ؟) وعدد سكان واحة سيوا على آخر تقدير نحو ٤٥٠٠ . نفس رجالهم طوال القامة فوق المعتاد فيهم طائفة سود البشرة لاختلاطهم بالسودانيين وتزوجهم بالجواري السود . ولكن الغالب في الوانهم السمرة الصفراء . وهم قصار الانوف رقاق الشفاه صغار الذقون شعورهم مسترسلة مظلمة لكنها غير سوداء الا في الفتيات فانهن يدهنَّ شعورهنَّ بالزيت ويتزينَّ باقراط من الفضة كالحلق الكبيرة في اذانهن ويتقلدن اطواقاً من الفضة حول اعناقهن . الجمال فيهن

قليل ولكن يندر ظهورهن للناس . والسواد غالب في عيونهن وقد تجد فيهن عيوناً زرقاء او شهلاء ولكن نادراً . ويغلب في المرأة السيوية السمن وامتقاع اللون لانزوائها وقلة الحركة . ولباسهن جميعاً على زي واحد ولون واحد هو الازرق المخطط يحملون نسيجه من الجيزة . واكثراشتغالهن بصنع السلال وهن ماهرات فيه

اما الرجال فالغالب فيهم لبس الأثواب البيضاء او الزرقاء من القطن . وفوقها الجبة تشبه العباءة بتخطيطها والشيوخ والوجهاء يلبسون الثياب العربية البدوية

وينقسم السيويون من حيث الدين الى السنوسيين في الغرب اتباع السنوسي وهم ثلاثة اخماس الاهلين . والمدنيين في الشرق اتباع محمد ظافر المدني نزيل الاستانة وهم ما بقي . على انهم ينقسمون ايضاً الى الشرقيين والغربيين وكل منهما خصم للآخر ينازعه ويحاربه . وهو انقسام قديم لا يعرف اوله . اما اهل اغورمي فانهم على الحياد ينظرون الى ذلك الخصام عن بعد . وآخر نزاع جرى سنة ١٨٩٦ قتل فيه كثيرون ـ وذلك أن رئيسي الحزبين الشرقي والغربي حسونه منصور وموسى عثمان تخاصما في بعض الايام وافترقا وكل يضمر الشر للآخر . فاوعز حسونه الى احد مريديه ان اقتل ابن اخ عثمان . فاطاع وقتله فهاج حزب عثمان وقتلوا القاتل ودمروا داره حرقاً وبعد ذلك بيومين بينما كان الغربيون ذاهبين الى الغيط تعرض لهم الشرقيون واوسعوهم ضرباً فعاد هؤلاء بحماسة وتجمهروا واشتبك القتال بين الفريقين يومين . ثم خرجوا الى ظاهر البلدة لكي يتسع لهم مجال الطعن والضرب . وهناك حمي وطيس الحرب فقتل من الشرقيين ٧٥ ومن الغربيين ٤٨ وجرح كثيرون من الجانبين ولو لم يدخل شيخ جغبوب ويصلح بين الفريقين لافنيا بعضهما بعضاً . وتوسط في الصلح ايضاً شيخ نافذ الكلمة اسمه محمد منصور شيخ السراحنة في الغرب وهو من الراغبين في الامن وتأييد سلطة الحكومة توفي سنة ١٩١٠ فانتخب مكانه ابنه الشيخ عمران

والعرب هناك ينظرون الى السيويين بعين الاحتقار لكنهم يخافونهم لاعتقادهم فيهم المهارة في السحر . والسيويون يعاملون العرب بالحذر وهؤلاء يقيمون في المضارب خارج سيوا . على ان السيويين ينظرون بعين الاحترام والولاء الى جغبوب لانها مقر الشيخ السنوسي وكثيراً ما يتقاضون الى شيوخها اذا اشتد الخصام بينهم . وكذلك يفعل اكثر اهل الصحراء . واشتهر اهل سيوا بفساد الآداب لكنهم اخذوا في اصلاحها بعد شيوع السنوسية بينهم . يقلّ فيهم القارئون ولعل هذا من اسباب فساد احوالهم . ولذلك فالحكومة المصرية جديرة بان تنشئ لهم مدرسة ترقي احوالهم الادبية

والصحبة . عادات الزواج عندهم تشبه ما في فلاحي القطر المصري لكن الطلاق بينهم كثير لان مقدار المهر ستة ريالات فقط . وهم يحبون الرقص والضرب على الطبل والقيثار (العود) والنفخ بالزمور . منازلهم صغيرة وفرشها حقير . يتعاطون الشاي بكثرة ويضيفون اليه النعناع أو يشربون منقوع النعناع وحده

عاداتهم وخرافاتهم

هم راسخو الاعتقاد بالسحر والعين مثل سائر العامة ولكنهم اعرق في ذلك من سواهم نظراً لبعدهم عن اسباب المدنية والتعليم . فلا تجد منزلاً او شجرة او عيناً الا وعليها تعويذة او تميمة تقيها العين الشريرة . واكثر تعاويذهم من جماجم الجمال او القردة وقرون الغزلان او عظام اخرى أو بعض انواع الاغصان او حزم الاعشاب او شقف الخزف . ولا يخلو رجل من تعويذة او حجاب يعلقه في عنقه او في ذراعه

اذا مات الرجل حجبوا امرأته عن الناس اربعة اشهر وعشرة ايام وعليها لباس ابيض في غرفة لا يدخل عليها فيها الا فتاة تحمل اليها حاجياتها لكنها لا تمكث معها . فاذا انقضت تلك المدة اغتسلت في عين جاموس ويعلنون على الناس يوم مجيئها والساعة التي ستخرج فيها فلا يظهر احد في الطرق حتى تعود الى منزلها

اما الجان والعفاريت فلا يخلو منها رأس ولا فكر . فهي عندهم تسكن الينابيع وتخرج من تحت الارض وقد يخرج عفريتهم من البئر ويتصاعد ويتطاول حتى يبلغ عنان السماء أو يظهر بشكل خروف او حمار وربما ضرب على الطبل او نفخ بالزمور او رقص . . .

ويقابل العفاريت « الملائكة » وهم يسكنون تحت الارض او في السماء فاذا اصيب احد الناس بمرض عقدوا حوله مجلساً من عجائز النساء يوقدن ناراً يطبخن عليها أكلاً يأكلنه ويتركن منه جانباً للملائكة . ويحرقن البخور وتأخذ عجوزة العجائز بالتعزيم وتطلب من الملائكة ان تشفي ذلك المريض وتغنيه . فاذا بقي شيء من الطعام متروك الى اليوم التالي عدوا ذلك فألاً حسناً واطعموا المريض شيئاً منه . واذا غاب عن رشده يحملون ثيابه مع بعض النقود الى وكيل سيدي سليمان فينام بها ليلة ثم تعاد الى المريض فيشفى

وتذهب طالبات الزواج الى بئر احمد ليلاً وينضحن انفسهن بمائها فيقترب زواجهن ولا بد من اغتسالهن ليلة الزواج في عين جاموس . واكثر علاجاتهم الطبية من الوصفات القديمة المشهورة بين عامة الشرقيين

تاريخها

تعدُّ سيوا من بلاد مصر القديمة فقد عاصرت دول الفراعنة . ولما فتح الاسكندر مصر في القرن الرابع قبل الميلاد اراد الشخوص اليها لزيارة معبدها فقيل له ان الطريق وعر قليل الماء . فلم ينثن عن عزمه فركب من الاسكندرية وقضى في الصحراء اياماً ومعه جماعة من رجاله فقاسوا جهداً شديداً من العطش والتعب ولو لم يدركهم الله بالمطر لماتوا عطشاً فزاروا المعبد وعادوا . ويقال ان الفرس لما فتحوا مصر قبل الاسكندر انفذوا الى سيوا جنداً لاخضاعها فلم يرجع منهم مخبر . ويظن انهم هلكوا بريح عاصفة غطتهم بالرمال فماتوا خنقاً

ويندر ذكر سيوا في تاريخ الاسلام والظاهر انها قلما خضعت لاحكامهم حتى تولى المغفور له محمد علي باشا ولاية مصر فانفذ اليها جنداً بقيادة حسن بك المعروف بالشماشرجي سنة ١٢٣٥ هـ ومعهم طائفة من البدو فافتتحوها وما زالت في حوزة الحكومة المصرية حتى الان

وقد نقل الكبتن ستانلي مندوب الحكومة المصرية الصحي الى سيوا في العام الماضي تاريخ سيوا كما يرويه الوطنيون — قال انه رواه له الشيخ عمر مسلم احد اعيان سيوا عن اوراق عنده خلاصتها :

ان اقدم رجل تولى سيوا ملك من اخميم الطالب ارسل اناساً من غرب مصر ليرودوا البلاد . فاعجبتهم سيوا فارسل ابنه في جند ومهندسين وبنائين واخذ بناء المدينة فبنوها ورفعوا خبرها اليه فامرهم بحراثتها وزرعها ففعلوا . وصارت مملكته تمتد من برقة الى الصحراء واصوان والنوبة . واستشار السحرة والمنجمين فاشاروا ببناء هيكل ام بيضة (هيكل جوبيتر امون) وصار مزاراً للناس من اقصى الارض . وصنع الملك تمثالاً في الهيكل سماه سيوا ومنه اسم البلد وكانت تدعى قبل ذلك سنتريا . وكان في قرية الخزينة التي تدعى الآن اغورمي اناسٌ اسمهم الطوات ودربي . ثم انقسمت سيوا الى مملكتين شرقية وغربية كان منتر ملك القسم الشرقي في خمسة . وامتدت سيوا في تلك الايام الى الاسكندرية ونوبيا وبلد الكفار . وبين سيوا والاسكندرية مسافة ١٢ يوماً كانت ماهولة في ذلك الزمان

وقال : ان اول من ملك سيوا كان يونانياً مسيحياً استنجده ملك طرابلس الغرب مرة فانجده بثمانين الف فارس بقدٍ واحد وسنٍ واحد ولون واحد وانتصروا . وما

زالت تابعة لليونان الى ايام الاسلام . ففتحت في زمن عمر بن الخطاب على يد خالد . وكان خالد قد جاء البهنسا وخافه ملك مصر فاستنجد ملك سيوا فانجده بجند اهلكته العواصف في الصحراء . فلما بلغ ذلك الى ملك سيوا اخربها وردم اثارها وافسد مياهها لان السحرة اخبروه ان المسلمين سيفتحونها وينتفعون بمائها

ويقول السيويون ان الامام علياً فتح سيوا وقتل ملكها وكان اسمه رشام وينكر ذلك اخرون . وانتقلت سيوا الى المسلمين وهم قليلون وبعضهم من بني هلال والبرابرة وذكر الراوي تاريخاً آخر للقسم الشرقي من سيوا وتاريخاً للواحة الداخلة والخارجة وأطال في تاريخ سيوا الحديث على الاسلوب الذي قدمناه

اثارها

من اهم آثارها بقايا هيكل ينسب لجوبيتر امون على ميل ونصف شرقي سيوا على احجاره كتابات هيروغليفية وبجانبه عين ردمت تعرف بعين الشمس

ومن اثارها القديمة في جبل دكرور كهوف منحوتة في الصخر تسمى تاسور وفيه ست اساطين مربعة وبجانب الاساطين والوراء نقش باللغة اليونانية باحرف كبيرة



قصر الروم وعليه نقوش يونانية

وفي جبل مصابرين على نصف ميل شمالي سيوا تل له شكل يستلفت النظر لانه مغطى بالقبور او هي قبور منحوتة . وتسمى لذلك جبل الموتى . والقبور عبارة عن غرف تحت الارض مثل سائر قبور الفراعنة في مصر مستطرقة بعضها الى بعض ولها

مدخل واحد وعلى بعضها بقايا هيروغليفية وفيها كثير من العظام البالية . وبعض القبور في شمالي الجبل المذكور يسكنها العرب . وفي قرة البلد في غربي سيوا وفي خميسة وعين الجاحظ وغيرها قبور من هذا النوع

وهناك اكمة من الاحجار المنحوتة بين خميسة ومراغة على سبعة اميال من سيوا تعرف بقصر الروم عليها نقوش بالاحرف اليونانية مصبوغة سوداء وبجوارها قبور كثيرة وامثال هذه الاثار متفرقة في اماكن اخرى (انظر الرسم)

لغتهم

للسيويين لغة خاصة بهم هي من لغات البربر سكان شمالي افريقيا . لكنها كثيرة الشبه بالعربية لكثرة ما دخلها من الفاظها . كما حدث في لغة النوبة في اعالي النيل ولكن لغة سيوا اقرب كثيراً الى العربية . على ان السيويين يتكلم اكثرهم اللغة العربية وتكاد لغة سيوا تصير عربية ولكن اللفظ فيها يختلف كثيراً . وقد نشر الكبتن ستانلي في تقريره المشار اليه قائمة كبيرة من الالفاظ السيوية كالمعجم وفسرها بالانكليزية هذه امثلة منها في العربية :

عربي	سيوي	عربي	سيوي
فوق	سنيتج	حمار	ايديت
نصيحة	انيشا	خالة	اخا
خائف	ارقبا	عاطل	اشمل
عفش	دُباش	شعير	تمزين
زاوية	لودا	فرشة	ايلانين
حول	جنبينو	امام	ازدات
سهم	سد	خلف	ازفير
نائم	يندبم	احسن	كويس
يقظ	يتبعا	تحت	سدبغ

وعلامة التأنيث عندهم التاء تضاف في اول اللفظ مثل ذلك « فوناس » ثور « تافوناس » بقرة « اتشا » عطشان « تتشا » عطشانة . وقد تلحق التاء في الآخر كما في العربية . والجمع يصاغ باضافة « ين » او « ينا » الى المفرد وعندهم صيغ كثيرة

لجمع التكسير . والاعداد كالاعداد العربية الأ الواحد فهو عندهم « ايجين » والاثنان « سن » والعشرون « ايجنسين » . واسم الاشارة « هذا » للمذكر « اغروك » والمؤنث « اختوك » وهذه الضمائر :

انا	نبش	نحن	انشيني
انت	شيك	انتم	انكنم
هي	اشانت	هم وهن	اشنهن

وهاك مثالاً من تصريف الفعل عندهم في فعل « يفلا » ذهب



اذهب	جافلاغ
تذهب	تفلات
يذهب	يتيفال
نذهب	جانفيل
تذهبون	تفالم
يذهبون	تفالن

وقس على ذلك مما يطول بنا شرحه

تاريخ الصناعة بمصر

في عهد محمد علي

كانت الصناعة في مصر قبل محمد علي باشا مثل بقية اخواتها من المرافق على حال الاندثار والانقراض ولا بدع في ذلك على بلاد اختلف عليها الظالمون وتقسمها الحكام المدمرون . فما كنت ترى رقعة في طول هذا القطر وعرضه الا وعليها ظالم يصبح اهلها بالعذاب ويمسيهم بالارهاق ويخترع لهم كل يوم من فنون الضرائب والجبايات انكالاً والواناً ان لم يسلط الاغارة على حوانيتهم لانتهاب ما نشروا من السلع والعروض وعلى دورهم لاستلاب ما ادخروه من الاموال والاعلاق . فلمن كان يعمل الصانع وصنعته نهب مقسم ؛ والى من يبيع التاجر وسلعته نهب مباح . ولقد اومأ المرحوم علي باشا مبارك الى هذه الحال في بعض كتبه فسطر عنها ما نصه « وانعدمت الصنائع من

القطر الا الدنيء وانحصرت صنائعه بعد السعة في قزازة الكتان والصوف وعمل الضبب بعد ان كانت القزازة في مصر من اشهر الاعمال في الاقطار وكذا النجارة والسباكة فلم تزل تتقهقر ويرحل الصناع لتسلط الفقر وكثرة الهرج وموت البارع جوعاً حتى انمحت آثارها وعمت هذه الاحوال جميع انحاء القطر » اه

ولم يبق هناك من اثر للصناعات سوى صناعة الحصر والاحذية البلدية (المراكيب)

أما صناعة النحاس فقد كاد ينمحي اثرها من البلاد واصبحت آنية النحاس مما يعتز به الوجهاء ويتنافس في اقتنائه الامراء حتى لقد كان الكثير منهم يطبعون اسماءهم والقابهم على حواشيها اعتزازاً بها وافتخاراً باقتنائها . فاذا وقع شيء منها لمن دونهم فتلك الذخيرة الكبرى تدخر في جملة اعلاقهم ونفائسهم وكانت اعلى ما يتنازعه ورائهم من ابنائهم وحفدتهم

واما الصياغة فاحر بمن عز عليهم النحاس ان لا يسيل بين ايديهم النضار . واخلق بمن كانت تشق جلودهم وتسمر آذانهم حتى يخرجوا الى الحكام ما دسوا من الدراهم في جوف الجدران او خلال السقوف ان لا يطرحوا تحفهم وحلية نسائهم بين ايدي الصاغة على وضح الطريق

وكان عامة الناس يسرجون بالزيت في بيوتهم اما الكبراء الذين كانوا يتخذون الشمع فقد كانوا يصنعونه في دورهم

واما فنون العمارة والبناء التي اشتهرت بها مصر من قديم الزمان وبلغ الصناع فيها اقصى حدود البراعة والاتقان فقد تغير لها الدهر فيما تغير . ولا عجب في هذا ما دام اهل البلد كانوا اخوف الناس ان تظهر عليهم آثار النعمة بتشييد البناء واتخاذ القصور وما دام الصناع كانوا على وجل من تسخيرهم للعمل في ابنية الامراء من غير اجر ولا جزاء

هذا بعض ما يقال عن الصناعة الوطنية في مصر لآخر عهد المماليك حتى اصبح اكثر ما يباع وما يشرى من واردات البلاد الاخرى . وكان ارباب الحوانيت في الاسواق لا يأمنون على بضائعهم من الاغارة عليها فكانوا يلجئون الى انتحال النسبة الى بعض الامراء على جعل معلوم يقدمونه لهم في مقابلة حمايتهم بالانتماء اليهم فكان الباعة يغالون في الاسعار حتى يتيسر لهم اخراج ما التزموه للامراء ثمناً لصيانة متاجرهم

استلم محمد علي باشا زمام الحكم في مصر وشأن الصناعة على ما تقدم فنظر اليها نظرة الطبيب الحاذق وصرف همه الى احيائها فبدأ بالتقاط من بقي من ارباب الصنائع

وحشدهم في القلعة سنة ١٢٢١ هـ وجمع لهم ما تفرق في الشوادر من الخشب والحديد فشرعوا في صنع آلات الحرب وصب المدافع وما يلزمها من العربات والعجلات

ولما اصدر السلطان محمود فرمانه سنة ١٢٢٤ هـ بتأييد محمد علي وبقائه على ولاية مصر وامره فيه باستخلاص مكة والمدينة من ايدي الوهابيين راى ان ينشىء عمارة بحرية مركبة من خمس عشرة سفينة لتسير بالجنود في البحر الاحمر فامر بقطع ما يلزم لبنائها من اشجار التوت والنبق في الوجهين القبلي والبحري . واقام على ساحل بولاق ترسانة كبيرة وصلها بالمعامل المختلفة وحشد اليها الآلاف من الصناع وتم فيها بناء تلك السفن وحملت على ظهور الجمال قطعاً الى السويس حيث انشىء فيها دار الصناعة تم فيها تركيب تلك السفن واعدادها

ثم انشأ رحمه الله المعامل الكثيرة لغزل القطن بعد ما ادخل زراعته الى القطر المصري وامر بغرس الكثير من شجر التوت حتى اذا نما وعظم اتى له من الشام وغيرها باهل الخبرة في تربية دود القز . وشيد معامل الحرير حتى اصبح من الحاصلات المصرية وباتت صناعته من جملة الصناعات الوطنية

واقام كذلك معامل الجوخ وغيره من مختلف الاقمشة والبسط والطرابيش والزجاج والشمع واستخراج الزيوت والاعطار وعمل الصابون وتكرير السكر وطبع السيوف وصب المدافع وصنع سائر الاسلحة النارية والسكاكين والمطاوي والساعات وطقوم الخيل وسبك المعادن وتركيب الاحجار الثمينة والتجليد وصناعة الورق وغير ذلك مما لا يكاد يبلغه الاحصاء من المعامل المتعددة التي بثها في كثير من بلاد القطر بعد ان استقدم اليها في اول الامر من يدير شؤونها من مهرة المعلمين والصناع باوربا

ومع انشائه رحمه الله مدرسة للصنائع واخرى للمعادن فقد بعث البعوث في هذه الاثناء من نجباء الطلبة المصريين الى اوربا لاتقان وجوه الصناعات حتى تستغني البلاد بهم في اقامة صناعها وادارة معاملها عن الاستعانة باليد الاجنبية

واشار في هذا الباب بالحكمة البالغة وهي انه لا يبتاع المصري سوى صنعة بلاده ولا يتخذ في جميع حاجاته الا ما كان صادراً عن معاملها . وجعل نفسه القدوة الحسنة في ذلك فكان لا يقبل من تجار الاجانب ما يعرضونه من انواع السلع والاسلحة الا باقل مما ينفق على امثالها في المعامل المصرية ويؤثر عليها الصناعة الوطنية بالغاً ثمنها ما بلغ موقناً بأنه اذا انفق عشرة دراهم على السلعة الوطنية فهي داخلة بجملتها في جيوب المصريين وان هو اخذ مثلها من الاجانب بخمسة فهي خارجة برمتها من ايديهم .

وبذلك راجت الصناعة المصرية رواجاً عظيماً وشاع استعمالها بين الناس شيوعاً كاملاً

ومن آثاره رحمه الله في الصناعة انشاء المطبعة الكبرى ببولاق التي شاع ذكرها في الخافقين ونشرت من الكتب ما لا يبلغه العد في فنون الحرب والسياسة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا وعلوم الدين والادب والحكمة وغيرها

واقام للمدارس العسكرية خاصة مطبعتين اخريين احداهما في الجيزة والثانية في طره طبع فيهما العدد الكبير من كتب القوانين في اللغتين العربية والتركية ليزيد رجال عسكريته فقهاً في علومهم واتساعاً في مداركهم

ولم تقف همة محمدعلي عند نشر الصناعة في القطر المصري وحده بل تجاوزته الى اتخاذ المعامل والمصانع في دنقلة والخرطوم وقد اسس في الخرطوم سنة ١٢٢٩ دار صناعة واسعة واقام بها معامل للنجارة والحدادة وغيرها . وفيها انشئت السفن العظام حتى صارت الخرطوم من ذلك الحين محطة لجميع التجارات السودانية

وفي سنة ١٢٤٢ انشأ « دار صناعة الاسكندرية » فتمت في عام ١٢٤٥ وكان بها خمسة (مزلقات) لصناعة السفن واقيم فيها اربعة عشر مصنعاً وبلغ المشتغلون فيها ثمانية آلاف من الشبان المصريين الذين تخرجوا على مهرة المعلمين الاوربيين وانتهت المراكب التي صنعت فيها من الجودة والاتقان الى حد اصبحت تضارع معه أعظم السفائن لاعظم دول البحار في ذلك الحين

اما فنون العمارة والبناء فلم يكن حظها من عناية محمد علي باضعف من حظ غيرها فلقد بني من القناطر والجسور واقام من الكثنات والقصور ما لا يحيط به العد ولا يبلغ مداه الوصف وقد كتب التاريخ انه اول من ادخل المباني الرومية في الديار المصرية (شيخ جامع القلعة) (مجلة الملاجيء العباسية)

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ١ من سنة ٩ و٣ و٨ من سنة ١٥ و١ و٢ و٦ و٨ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و١ و٢ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

الانسانية في مهدها

او تاريخ الانسان قبل زمن التاريخ

١ - ظهور الانسان ونمو اللغات ونشوء الصناعات

قلما نفكر ونحن في القرن العشرين بما كان عليه اباؤنا الاولون من طرق المعيشة على اختلاف مظاهرها . وانما ننصرف الى مدنية اليوم فننظر الى الانسان كما هو الان ولا يهمنا البحث في كيف توصل الى حاله الحاضرة — على ان درس الانسان في حاله الاولى وتتبع تاريخ تدرجه في سلم الانسانية ونشوء علومه ومعارفه وما اكتنف ذلك النشوء من الظروف والاحوال — ذو فائدة عظمى والماضي مرآة المستقبل فاذا احطنا بتاريخ نشوء المدنية وارتقائها ووقفنا على السنن التي سار التقدم بمقتضاها هان علينا قياس الماضي على الحاضر فننظر الى مدنية اليوم بعين الحكمة والاختبار فيكون حكمنا في مستقبلها اقرب الى الصواب

قضى الانسان قروناً قبل زمن التاريخ وهو اشبه بالحيوان منه بالانسان . وقد سمينا هذه المدة « الانسانية في مهدها » لان انسان تلك الايام طفل بالنظر الى انسان اليوم . وسنراه كالطفل لم يكن يفقه شيئاً في البدء ثم اخذ في الارتقاء فتعلم اللغات واخترع الآلات وحرث الارض وازاح اللثام عن قوى الطبيعة واستخدمها ووضع العلوم والفنون المختلفة . او بكلمات اخرى سنراه كيف وضع اساس المدنية

نسب الانسان

اول ما يتبادر الى الذهن عندما نرى طفلا ان نسأل «من هم اباؤه ومن اين هو؟» ثم «ما عمره؟» — واذا سألنا العلم الحديث مثل هذه الاسئلة عن الانسان الطفل اجابنا عن السؤالين الاولين بلسان مذهب النشوء والارتقاء الذي يقول ان الانسان ارتقى بواسطة الانتخاب الطبيعي عن نوع احط منه — ولا حاجة بنا الى الافاضة في الادلة على ذلك بل يكفينا ان نلقي نظرة الى الانسان (اولاً) من حيث تركيب جسمه فنرى انه والقرود من فصيلة واحدة لانهما يتفقان في الخصائص الفيسيولوجية والتشريحية التي يتوقف عليها تقسيم عالم الحيوان اليوم . فالانسان من هذا القبيل اقرب الى ارقى انواع

القرود من قرب هذه الاخيرة الى الانواع المنحطة عنها . ومذهب النشوء والارتقاء لا يدعي ان الانسان ارتقى عن القرد لكنه يقول ان كليهما تفرعا من نوع متوسط بينهما وهو ما يسمى بالحلقة المفقودة . (ثانياً) من حيث القوى العقلية . وعلاقة الانسان بالحيوان ظاهرة فيها مثل ظهورها في اعضاء الجسم . فاذا قابلنا طفلاً مع صغير من صغار الحيوانات القريبة من الانسان رأينا الأخير ارقى من الاول من حيث الادراك والتعقل وان كليهما حاصلان على القوى العقلية . فالشعور والتصور وقوة مقارنة الافكار سواء فيهما . وقد ثبت ان الحيوانات يمكنها ان تحصر قواها العقلية في دائرة محدودة من الافكار المتقاربة – او بكلمات اخرى يمكنها ان تميز وتحكم . لكنها لا تتعدى عالم المحسوسات والانسان يمتاز عنها بانه يتجاوزه الى عالم النظريات والتخيلات فهو وحده يمكنه ان يفكر في مثل الحياة والموت واصل الكون وسبب الوجود وغايته . ومع ذلك فلدى الحيوانات قوى اخرى تساعدهم على زيادة اختبارتهم كحب الاطلاع وقوتي العد والقياس واللغة (ونعني باللغة واسطة التفاهم) وبالاجمال فان الفرق بين عقل الانسان وعقل الحيوان نسبي لا نوعي

عمر الانسان

لا يسمح لنا المقام ان نتوسع في هذا الموضوع فنقول بالاختصار ان عمر الانسان ما زالوا الى القرن التاسع عشر يقدرونه بما ورد في المصادر المدونة . اي ان عمر الارض والانسان جميعاً لا يتجاوز ستة الاف او سبعة الاف سنة . ولكن علم الجيولوجيا يناقض ذلك ويجعل عمر الانسان (وهو حديث بالنسبة الى غيره من المخلوقات) يتراوح بين العشرين الف والمئة الف سنة وعلماء الآثار واللغات يؤيدون الجيولوجيا في ذلك

طرق التعبير – اللغة

ومن اهم ما احتاج اليه الانسان في طفولية عمرانه التفاهم بالتعبير عما يخالج نفسه من الم وسرور وحب وغضب ونحو ذلك فكان افتقاره هذا داعياً الى تولد اللغة

وطرق التعبير خمس : ١ الحركات والاشارات ٢ الاصوات ومنها نشأ (٣) الكلام ٤ التصوير ومنه نشأت (٥) الكتابة

والطريقتان الاوليان يشترك فيهما الانسان والحيوان . اما الثلاث الطرق الاخيرة فلا تتعدى الانسان فهو المخلوق الوحيد المتكلم والمصور والكاتب . واذا رافقنا طفلا في



بقايا الانسان منذ ٢٠٠٠٠ سنة

ادوار نشوئه رايناه يتدرج في هذه الطرق مبتدئاً بالحركات والاشارات فالاصوات فالكلمات فالكتابة

ان القول المأثور « الحاجة ام الاختراع » ينطبق على اللغات كما ينطبق على غيرها . فالانسان تكلم لاضطراره الى التفاهم التماساً للتعاون على الطوارىء الطبيعية . هذا هو الراي الشائع بين علماء اللغات وقد جاهر به الفيلسوف الشاعر لوكريتيوس منذ قرون قال « سبب وجود اللغة افتقار الانسان اليها » — واللغة تشتمل على قاعدة واحدة في نشوئها وهي « كلمات جديدة لتصورات جديدة » فهي بهذا الاعتبار من الظواهر الطبيعية ترتقي وتنحط تبعاً لناموس النشوء والارتقاء — و « تنازع البقاء وبقاء الانسب » فهذه النواميس تسري على الكلمات كما تسري على الكائنات الحية

الكتابة

هي اللغة في شكل محسوس منظور وقد شرح فلاسفة اللغة كيفية نشوء الحروف الكتابية كما يأتي : كانت الكتابة في الاصل رسوماً تمثل الاشياء فيفهمها كل من يطلع عليها فاخذت هذه الرسوم تتحول شيئاً فشيئاً الى اشارات مختصرة لا يفهمها الا من تلقنها . وما زال عددها يقل حتى انحصرت في بضع عشرات وهي ما نسميه بالحروف ولا يزال فيها آثار من اصلها التصويري



صورة ما يخطر للانسان ان يكتبه ليدون حادثة جرت له قبل اختراع الكتابة . خلاصتها ان اعداء جاءوا من البحر وبعد سير ٣ ايام نزلوا الشاطئ صباحاً

وبعض القبائل المتوحشة كالاسكيمو والتسوكتسو وسكان اميركا الوسطى وغيرهم لا يزالون في دور الكتابة التصويرية الى اليوم

النار

الانسان هو الحيوان الوحيد الذي يستخدم النار ولم يقف المكتشفون حتى الآن على قبيلة لا تستخدمها — قال داروين : « ان النار اهم ما حصل عليه الانسان بعد النطق » — ولا شك ان فكرة النار اتت الانسان بمشاهدة مصادرها الطبيعية كالبرق والبراكين والينابيع الزيتية الفجائية الالتهاب . وكان الانسان الاول يولد النار باحدى الطريقتين التاليتين :

الاولى : حك نوعين مختلفين من الخشب ويرجح ان هذه الطريقة نشأت من ملاحظة الحرارة التي تتولد في اثناء صقل الخشب

الثانية : تصادم حجرين من الصوان فتتطاير منها شرارة تقع على مادة سهلة الالتهاب فتشعلها — ويظن اللورد افبري ان الانسان توصل الى هذه الطريقة في اثناء اصطناع ادواته الحجرية لان ذلك يستوجب احتكاك الاحجار وتوليد الشرر منها

الالات والاسلحة

كان الانسان في تلك الايام محاطاً بالاخطار لا يأمن على حياته من الحيوانات المفترسة فاضطر الى سلاح يساعده على مقاومة اعدائه ولم يكن لديه غير اظافره ويديه واسنانه وكان يستعين بالاحجار والاغصان اليابسة ولكنه يمتاز على سائر الحيوانات بخصائص مكنته من صنع الاسلحة والآلات المختلفة واستعمالها نعني (اولاً) وقوفه على طرفين من اطرافه بحيث يمكنه ن يستعمل الطرفين الآخرين و (ثانياً) نعومة يديه وسهولة حركات انامله وقابليتها للتعليم

وبديهي ان يستعمل الانسان الحجر قبل سواه لهذا الغرض . وبالاختبار علم ان الصوان اقسى انواع الحجارة . فصنع منه ادواته واسلحته على شكل اعضائه لانها اول ما يتبادر الى الذهن فكانت مدقته (الشاكوش) على شكل رجله والآلات الحادة الاطراف على شكل اظافره وقواطعه



كيف كانوا يصطنعون الادوات الحجرية قبل التاريخ

وكانت هذه الادوات في البدء خشنة غير متناسبة فحسنها تدريجياً بصقلها وتهذيبها . وقد يسمى الزمن الاول الذي كان يستعمل فيه الانسان الحجار « الدور الحجري » وهو قسمان الدور الحجري الاول والدور الحجري الثاني . وفي هذا الاخير تجاوز الحجر الصواني الى غيره من الانواع . وكان يستعمل ايضاً مع الحجارة الاخشاب والعظام والقرون الكبيرة

اللباس

يحمل الحيوان لباسه على ظهره بصورة الحراشف او الريش او الشعر . ولكن الانسان على الاجمال لا بدَّ له من اصطناع لباس يلتف به يقيه شر البرد . ومن اقدم البسته ورق الشجر وجلود الحيوانات وقد وقف الباحثون على آلات لسلخ الحيوانات تدل على ان الانسان كان يستخدم جلودها كساء له . ويرجح انه كان يلينها قبل لبسها . ويعتقد احد علماء الالمان ان الانسان كان يتصل الى ذلك بدق دماغ الحيوان في داخل الجلد فيتلطف سطحه بهذه الطريقة . ثم اخترع الانسان الغزل لاصطناع الخيطان واعطته الطبيعة معلماً ماهراً في هذا الفن نعني نوعاً من الطيور يسمي الطير الحباك



الانسان في العصر الحجري

يكتسي بالجلد ويدافع عن نفسه بأسلحة صنعها من الصوّان

يخيط اوراق وكرم بخيط يغزله من القطن . وبعد الغزل تعلم الحياكة ويظن ان الاوتار اللحمية كانت تقوم عنده مقام الخيط في اول الامر . ويؤيد هذا الرأي ان استعمالها شائع حتى اليوم بين الاسكيمو لربط ملابسهم

المأوى

يرجح ان الانسان في الدور الحجري الثاني كان يبني اكواخاً على الاشجار كما تفعل بعض القبائل المتوحشة في سومطرة والهند الجنوبية اليوم فهو بذلك يعمل عمل القرود — فالغورلا والشمبانزي والاوران اوتان يقضون لياليهم في اكواخ يبنونها على الاشجار

ولا شك ان الانسان كان يلجأ ايضاً الى المساكن الطبيعية كالمغائر والكهوف وجذوع الاشجار الكبيرة المجوفة — وقد وجدوا ادوات ومصنوعات مشرعة في كثير من المغائر تدل على سكنى الانسان لها

والادلة كثيرة على ان الانسان سكن باطن الارض في الزمن قبل التاريخ وقد ذكر زينوفون الكاتب اليوناني في رحلته الشهيرة انه وجد في ارمينيا قوماً يسكنون حفراً كالآبار مداخلها ضيقة . وعثروا على مثل هذه المساكن في اماكن مختلفة من اوربا وجدوا فيها بقايا تدل على ان ساكنيها عاشوا في الدور الحجري الاول

وكان الانسان يبني ايضاً اكواخاً من الطين مربعة الشكل في كل زاوية منها عامود وبين العواميد جسور من الخشب . وعلى هذا الهيكل الخشبي كان يصب الطين الممزوج بالقش

وما عدا هذه المساكن البرية فقد لجأ الانسان ايضاً الى البحيرات ليكون في مأمن من هجمات الحيوانات المفترسة . وقد وجدوا بقايا من امثال هذه المساكن في بحيرات سويسرا وغيرها

الملاحة

ولا بد للانسان قبل سكنى الماء ان يعرف شيئاً عن الملاحة . وابسط ما يستعمل لهذه الغاية جذوع الاشجار . فاذا ربط جزعين فاكثر معاً استطاع ان يحمل عليها اثقالاً كبيرة — ثم علم انه اذا انتفخت جلود بعض الحيوانات بحيث تمتلىء هواء يمكنها ان تحمل حملاً كبيراً . فتوصل الى وضع اربعة من هذه الجلود المنتفخة في زوايا الجذوع المرتبطة فتصير قادرة ان تحمل عدة اشخاص — ومثل هذا المركب يمكن للرجل ان يرسله فوق الماء ويسبح خلفه ويسوقه دفعاً امامه كما هي العادة الى اليوم عند بعض القبائل المتوحشة

ثم ان الاختبار علم الانسان انه اذا استعمل جذعاً مجوفاً يسعه يقدر ان ينتقل عليه سابحاً وهذه اول سفينة تخيلها العقل البشري وهي اساس فن الملاحة — وقد وقف النقابون على سفن يختلف طولها من مترين الى خمسة امتار في اماكن مختلفة من اوربا يرجع تاريخها الى الدور الحجري الثاني

الحيوانات الداجنة

الملاحة من الفنون الخاصة بجنس الانسان ولكن تربية الحيوانات والانتفاع بها لا يحصران فيه فان النمل مولع بمادة حلوة يجمعها نوع من الهوام يستخدمه النمل في جمعها فلا يكتفي بان يفتش عن تلك الهوام في الاشجار بل هو يأسرها ويأخذها الى مساكنه فيحتفظ بها ويحتلبها بان يضرب بطنها فتخرج تلك المادة الحلوة فيتناولها

واول حيوان استخدمه الانسان — على ما نعلم — هو الكلب . وما برح من ذلك الحين خادماً اميناً له . ثم الثور والماعز ونحوهما ثم استخدم الفرس والحمار وبعض الطيور

الملح

لا بد للانسان من كمية معينة من الملح لحفظ جسمه فكان في البدء يحصل على هذه الكمية من اللحوم التي كان يتغذى بها — ثم علم ان الرماد فيه ملح فاستعمله لذلك — ثم أخذ يستخرج الملح من المستنقعات قرب الشواطىء حيث يبخر الماء عنها ويبقى الملح

الزراعة

ليست الزراعة من الصنائع الخاصة بالانسان فان النمل الذي ذكرنا انه يربي بعض الهوام يعرف ايضاً كيف يزرع بعض الاعشاب المفيدة له . ومن المرجح ان الانسان بدأ يستعمل النبات للغذاء في الدور الحجري الاول . ولكن لا نعلم اذا كانت تلك النباتات برية او مزروعة . ووجدوا في احد الكهوف بفرنسا كمية من القمح وبذوراً من بقايا الدور الحجري الثاني . ويدلك ذلك على ان الانسان اتخذ في هذا الدور مساكن ثابتة لان الزراعة تستوجب الاستقرار لتعهد الزرع . ولم يكن لدى الانسان يومئذ آلات حديدية يحرث بها الارض وانما كان يستعمل عصياً من الخشب لهذه الغاية

هذا شيء من حالة الانسان قبل التاريخ . نستدل عليه بما بقي من اثاره او بالقياس على القبائل المتوحشة الآن . وسنأتي في مقالة أخرى على وصف الحالة الاجتماعية والعلمية والدينية في تلك الايام

(المدرسة الكلية في بيروت) اميل زيدان



الجزء الثاني

يصدر الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية مع الهلال السابع من هذه السنة في اول افريل القادم • وهو ملحق السنة التاسعة عشرة ويتضمن تاريخ اداب هذه اللغة الى نضج العلم في اواسط القرن الخامس للهجرة

تراجم مشاهير الشرق

في القرن التاسع عشر

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب لصاحب الهلال في مجلدين صفحاتهما نحو ٨٠٠ صفحة فيها نحو ١٤٠ رسماً . ويشتمل على تراجم من نبغ في الشرق من رجال الادارة والسياسة والعلم والصحافة والشعر والادب وغيرهم في القرن الماضي ثمنه مجلداً ٤٠ غرشاً والبريد خمسة غروش

في سبيل الهلال الاحمر

ثلاث قصائد تليت في احتفال الهلال الاحمر في ٢١ يناير الماضي ننشرها حسب تلاوتها :

قصيدة الامير شكيب ارسلان

سلا هل لديهم من حديث لقادم ... عن الغرب يروي فيه غلة هائم
وهل وردتهم عن كريم مقامه ... جسام المعالي في لطاف النسائم
وهل نظروا من نحو (برقة) موهناً ... فلاحت لهم منها بروق الصوارم
تألق في ليلي ظلام وقسطل ... فترسل سحب الدمع من طرف شائم
مواطن اخوان تملوا من الردى ... كؤوساً تساقوها بملء الحلاقم
دفاعاً عن الاوطان ان حفاظها ... لدى كل عصر كان اولى المكارم
بلاد تولوها بحق وحوزة ... لها كل حام طارد كل حائم
تهيبهم فيها العدو معالناً ... فجاء دبيب اللص في جنح قاتم
ولين في اقباله من اهابه ... وهل يخدع الانسان لين الاراقم
فما فزعوا الا وعظم ديارهم ... فرائس في كف العدو المهاجم
فثاروا وما كانت ثعالب رومة ... من العرب اكفاء الليوث الضراغم
وحسبك منهم كل قوم نميهم ... ارومات قحطان ونبعة هاشم
ونعم سقاة الموت هم كلما بدت ... بروق المواضي في رعود الغماغم
وكم وقفوا يستنصفون عدوهم ... وهزوا من الاملاك جذع المراحم
فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا ... لدى الصارم البتار صدق التراجم
فلم يك حد السيف كاليوم قاضياً ... ولا العهد مثل الآن احلام حالم
ولا طال نوم السيف الا تيقظت ... عيون الدواهي منه عن جفن نائم
اخلاي سوق للمنايا مقامة ... تباع خفافيها غوالي الجماجم
وقد وهبوها لم يضنوا بمتنفس ... حناناً لاوطان لهم ومحارم
فهل لكم في سوق (برّ ورحمة) ... تسومون فيها باقيات المغانم
غياثاً لملهوف ونصراً لصارخ ... وضمداً لمجروح وقوتاً لصائم
فما خمدت نار العظائم مرة ... لعمرك الا بانصباب العزائم
كفى (بالهلال الاحمر) اليوم هادياً ... لمن حار في ليل من الخطب داهم
واكرم بام المحسنين التي زرى ... جداها بلج العيلم المتلاطم

سليلة الهامي فمن كل جانب — لها صيب نحو البحور الخضارم
وحق لقوم امطرتهم هباتها — بان يأملوا قرب انفراج المآزم
وحاشا بلاداً انتم عن يمينها — يفتُّ باعضاء لها ومعاصم
تخيلتها شوقاً على بعد دارها — تصافحكم بالقلب لا بالبراجم
وكيف ترون الخفض في ظل نعمة — ولم يك مثل الخشن صوناً لناعم
واخوانكم بالغرب صرعى مقيلهم — ظهور المزاكي او بطون القشاعم
لقد حوصروا براً وبحراً وامطروا — بحمر المنايا من سواد الغمائم
نعم اننا من امة عربية — تكافح عنها عاديات الاعاجم
ولو انصف الاقوام في حقهم رأوا — مواساتهم فرضاً على كل آدمي

قصيدة شوقي بك

جبريل هلل في السماء وكبرِ — واكتب ثواب المحسنين وسطرِ
سلْ للفقير على تكرمه الغني — واطلب مزيداً في الرخاء لموسرِ
وادع الذي جعل (الهلال) شعاره — بفتح على امم الهلال وبنصر
وتولَّ في الهيجاء جند محمد — واقعد بهم في ذلك المستمطر
يا مهرجان البر انت تحية — لله من ملاء كريم خير
هم زينوك بكل ازهر في الدجى — والله زانك بالقبول الانور
حسنت وجوهك في العيون واشرقت — من كل ابلج في الاكارم ازهر
كثرت عليك اكفهم في صوبها — فكأنها قطع الغمام الممطر
لو يعلمون (السوق) ما حسناته — بيع الحصى في السوق بيع الجوهر
جبريل يعرض والملائك باعةٌ — اين المساوم في الثواب المشتري
ومجاهدين هناك عند معسكر — ومن المهابة بين الف معسكر
موفين للاوطان بين حياضها — لا يسمحون بها وبين الكوثر
عرب على دين الابوة في الوغى — لا يطعنون القرن ما لم ينذر
الفوا مصاحبة السيوف وعودوا — اخذ المعاقل بالقنا المتشجر
يمشون من تحت القذائف نحوها — لا يسألون عن السعير الممطر
في اعين الباري وفوق يمينه — جرحى نجلهم كجرحى خيبر
من كل ميمون الشهاد كأنما — دم اهل بدرٍ فيه او دم حيدر

جذلان هينة عليه جراحه　وجراحه في قلب كل غضنفر
ضمدت باهداب الجفون وطالما　ضمرت باعراف الجياد الضمر
عواده متمسحون بردنه　كالوفد مسح بالحطيم الاطهر
وتكاد من نور الاله حياله　تبيض أسناء (الهلال الاحمر)

***

يا بنت الهامي دعاء معظم　لسماء عزك في البرية مكبر
توفيق مصر وأنت اصل في الندى　وفتا كما الفرع الكريم العنصر
انتم جمال الشرق زين ملوكه　لا زال بيتكمو جمال الاعصر
لكمو الندى آثاره وحديثه　شغل السميع ونور عين المبصر
النيل فجَّر مشرعين وعيلماً　وتفجرت يمناكِ خمسة ابحر
احييت في فضل الملوك وعزهم　ما مات من ام الخليفة جعفر
ان الذي قد ردَّها واعادها　في بردتيك اعاد فيَّ البحتري
فنظمت ما نثرت يمينك شاكراً　لا يحسن الاحسان ما لم يشكر
اني رايت على الرجال مظاهراً　فعلمت ان الفضل كل المظهر
وعلمت ان من النساء ذخيرة　غير النساء لنفسها لم تدخر
لما توليت (الهلال) رفعته　بين السها شرفاً وبين المشتري
ولكم دعوت نساء مصر لصالح　فنهضن فيه بقلبن عائشة اؤمري
فكأنهن عقائل من هاشم　وكانك الزهراء فوق المنبر

قصيدة خليل افندي المطران

كم بطل امسى ولم يسمر　تحت هلال الرحمة الاحمر
هوى صريعاً لم تدله يد　في مطعن منه ولا منحر
ولو تغشاه العدى لانثنوا　مقبلهم يعثر بالمدبر
لكن دهته من علٍ كتلة　مرسلة من قاذف مبحر
هبت وقد مدت شظايا لظى　ناشبة في الجو كالنسر
ثم ارتمت تصدع من صادفت　في المرتمى من حيث لم ينظر
طغي على العاني وما يتشكي　كأن ما في الصدر في المغفر
اوهت رجوم الغيب اضلاعه　لكن نبت عن نفس مستكبر

في حين ان الليث ان يدمه   راجه من الم يزأر
والسيف ان يثلم له صلة   وصلة اوجع ان يكسر
وكهرباء الغيم ان تصطدم   بذات برق مثلها تجأر
اما صريع الحرب من جندنا   فيأنف البث وما يمتري
لو ضارعت قوته عزمه   لاقى الميدات ولم يدحر
منتفياً بأس العوادي به   كما انتفى العنصر بالعنصر
انظر الى الآسى ملماً به   يجيل فيه طرف مستعبر
حزناً على ذاك الجريح الذي   يجف سقماً في الصبي الانضر
وذلك المجد طريحاً على   مهد الضنى في سيب مقفر
تحت سراج حائل راجف   انّى تخطره الصبا يخطر
يضيء خطفاً ودماء الفتى   تقذف بالنير فالنير
في نكتة الياقوت من نضحها   وقدٌ كوقد الحومة المسعر
لو لم يكن حرٌ كفى حرها   او لم يكن ضوء كفى ما ترى
ابطالنا الصرعى جعلنا ندى   كل شجاع منكم عبقري
هيهات يغني ناعم خامل   من خشن يوم التنادي سري
أرتم المثلى لكم خطة   ومن يخير في المنى يختر
فكان اسمى الفخر ما ابتعتم   وكان ادنى العيش ما نشترى
اجراً وفاقاً والعلى فدية   ولا ُعلىً في خدعة الميسر
هل يستوي مستبسل منجد   وآمنٌ يقمر في مقمر

***

يا معشر العرب الكرام الاولى   بهم الهي كلَّ ذي معشر
يا امة انكرتُ تفريطها   انكار لا قالٍ ولا مزور
بصدق من يوقظ حبا له   وقد غني عن طارىء منذر
كم بتُّ استشفع منها لها   ونومها من ريبه مسهري
سهران لكنّ رجائي بها   مؤانسي في ليلي الاعكر
كالكوكب الثابت في قطبه   يسطع في فكري وفي منظري
عاتبتها حتى اذا روعت   بطيف شرّ اشعث اغبر
مستلئم الهام خؤون الخطى   جمٍّ من العدة مستكثر

منطاد جوٍّ فارس راجل خوّاض بحر في الدجى مبصر
قلت لقد حلّ المصاب الذي يوقظها يا نفس فاستبشري
ما لشعوبٍ جمدت باعثٌ كالخطب مهما يطوها تنشر
يا امتي دركُك در العلى وانبة بالطارف المذكر
كونبك المعهود من سالف ايام يأبى العزم ان تصبري
جافيت مهد الذل معتزة فطاولي الدنيا ولا تقصري
عودي الى مجدك محسودة وفاخري محمودة وافخري
سودي كما سدت قديماً بلا حدّ من الشم ولا الابحر
ما بك صعلوك فايٌّ بدا امر له في الناس فليأمر
وكل فدم فيك او عالم ما شاء ان يكبر فليكبر

***

الله في ابطالك الصيد من دهاة حرب غيب حضر
اذا عدا فارسهم اسفرت عن ملك ثائرة العثير
يهاجم المدفع في غيله كالقشعم الساطي على قسور
فما درى المطلق الا وقد اصبح في اصفاد مستأثر
والليث غنمٌ في يدي غانم يحمل كالشيء الخفيف الذرى
فان مشى راجلهم طاوياً مئزره فالحتف في المئزر
كالفهد ان يقفز وكالهر ان يهبط وشبه الحوت ان يعبر
وحيث يحلل راقباً صيده غاب على الصيد فلم ينفر
يكتمه موضعه فهو في حشاه كالذمة لم تخفر
ولا يروع القوم من بطشه ادهى من البغتة اذ ينبري
حيث الثرى ما عهدوا ظاهراً لكنه ذو خطر مضمر
والغور صاغي الاذن والغار ذو انسان عين دار في محجر
فبينما هم في ضلال وقد تهادت الاظهر بالاظهر
اذ خذتهم صيحة من عل تنقض او تطفر من مطفر
فافترقوا واستبقوا شزباً ناجين من قارعة المحشر
لكنما تسبق ابصارهم ايدٍ تقر الجاش في الخور
نغطية الوهج ترى حليها من دمهم والجو كالعنبر

لا تطلق الشداذ الا على تزكية المخبر للمخبر
وان يسبوا سائقيهم الى ما حظروا من رائع المحضر
يا امتي مثل الدفاع الذي دافعته في الدهر لم يذكر
منه اعلمي انك ان تحجمي وناوأتك الجن لم تقهري
ثم اعلمي انك ان تحجمي طالبة اقصى المنى تظفري
حبا لجرحاك وبرًّا بهم ما المال غير الثمن الايسر
ظل هلال الخير من فوقهم ويد ذات الشرف الاطهر

نعمان الخوري

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٩١٠

السوري زكي نشيط بأبي الضيم وفيه نزوع الى العلى فلا يبالي بالاسفار في سبيل الرزق. وقد عرف بذلك من اقدم ازمنة التاريخ فان اجداده الفينيقيين اشهر امم التاريخ بالاسفار للتجارة والاستعمار. لكنه اضطر الى الرحلة في اواخر القرن الماضي على الخصوص فراراً مما لحق بلاده من العسف في عهد الحكومة البائدة. فتسابق السوريون الى النزوح لا يبالون اين تحط بهم الرحال فاذا نزلوا بلداً لم يصيبوا فيه نجحاً نزحوا الى سواه. فتفرقوا في مشارق الارض ومغاربها واكثر اشتغالهم بالتجارة فانشأوا البيوت التجارية في القارات الخمس وسابقوا ارقى امم الارض. فنهم كبار التجار في اكبر ممالك اوربا واميركا واوغلوا في افريقيا واسيا الى اقصاهما حتى الترانسفال والسنيغال وغانة وزنجبار ومداغسكر وفي اليابان والصين وجزائر الهند واوستراليا وزيلاندا وغيرها. ولما كان غرضهم الارتزاق بعرق الجبين فاذا توسموا رزقهم في بلد اتخذوه وطناً لهم وخدموه جهد طاقتهم. وهم من اقدر الامم على تطبيق احوالهم على الوسط الذي يقيمون فيه من حيث الزي والعادات حتى الاخلاق فانك تجد السوري المقيم في فرنسا مثلاً قد اكتسب اخلاق الفرنساويين حتى تحسبه واحداً منهم بزيه وكلامه وحركاته وملامحه وكذلك المقيم في انكلترا او اميركا او مصر او غيرها

ومن السوريين طائفة نزحت لغير الاتجار فنالوا المناصب في السياسة او الادارة او العلم اوغيرها ترجمنا منهم المرحوم سليم دي نوفل في السنة الحادية عشرة من الهلال. ومنهم

الزمخشري وابن مسكويه

﴿ بيروت ﴾ راغب افندي القباني

ارغب اليكم ان تفيدوني عن اسم مؤلف كتاب « مقدمة الادب في لغة العرب في علم اللغة على ابواب الصرف » وعن مجمل ترجمة حياته

﴿ الهلال ﴾ هو ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ صاحب المؤلفات العديدة في كل فن . وسنأتي على ترجمته ووصف كتبه واماكن وجودها في كتابنا تاريخ اداب اللغة العربية في المكان الملائم لذلك . ونقول مثل ذلك لحضرة حسين افندي امام النحاس بمصر جوباً على سؤاله عن ترجمة ابن مسكويه

عكا وتاريخها

﴿ لكسبري بنسلفانيا باميركا ﴾ نقولا افندي ابراهيم نصر

﴿ الهلال ﴾ اجبنا على مثل سؤالكم في الهلال الاول من السنة التاسعة عشرة

باب التقريظ والانتقاد

الرحلة اليابانية

لسمو الامير محمد علي باشا شقيق الجناب الخديوي

من الحكم المأثورة « اذا اراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم » وقالوا « الناس على دين ملوكهم » ولا خلاف في ان اشتغال الملوك والامراء بالعلم ينشطه ويقوي اصحابه ويزيد الرغبة فيه . ومن امرائنا الراغبين في العلم سمو البرنس محمد علي باشا شقيق الحضرة الفخيمة الخديوية . وله ميل خاص الى الرحلة لدرس الاخلاق واستطلاع اسباب المدنية والمقابلة بين احوال الشرق والغرب . فرحل الى سوريا واليابان وغيرهما ونشر ما شاهده وهو مشتغل في وضع تأليف نفيس عن الشرق والشرقيين

وبين يدينا الان رحلة سموه الى اليابان وصف فيها سفره من مصر الى اليابان عن طريق سيبريا فمر بتربستا الى فينا فوسكو وما وراء ذلك في سيبريا . فاخترقها في القطار الحديدي الى منشوريا حتى نزل البحر عند فلاديفوستك ومنها بحراً الى اليابان . وزار اهم مدنها ومعابدها وقلاعها ودرس احوال اهلها واخلاقهم ودياناتهم وكل ما يتعلق بهم . ووصف ما مرّ به من المدن في سيبريا وغيرها وصف رحالة نقاد . ويظهر من خلال ذلك تعلق دولته بالعادات الشرقية والاداب الاسلامية ورغبته في رفع شأن مصر . فانه لم يذكر امراً رآه او عادة شاهدها الا اشار الى ما يقابلها في مصر او في اوربا مع ملاحظة تدل على صدق نظر ورغبة في الاصلاح . ومن اجل ما توسمناه في هذه الرحلة تحاشي الامير حفظه الله الافاضة في ما لقيه من الحفاوة والاكرام . ولم يذكر من ذلك الا ما اقتضاه سياق الرحلة

على انه لم يغفل شيئاً مما يرى فيه فائدة للمطالع او المسافر حتى اجور النقل والحمل ومعاملة التراجمة والبحرية . واذا وصف بلداً احاط بتاريخها واحصائها واحوالها الاجتماعية والدينية والمدنية . وقد افاض على الخصوص في وصف طوكيو ويوكوهاما وماجاورهما . وفي الكتاب فصل في المواسم عند اليابانيين جزيل الفائدة . وختم الكلام بخلاصة ما رآه هناك . ومن ملاحظاته الانتقادية ما جاء في كلامه على ديانة اليابانيين قال:

« وبهذه البلاد ديانان الشنتوية وهي الديانة الاولى لليابانيين مبنية على عبادة ارواح الموتى وقوى الطبيعة ثم البوذية . وفيها نفر قليل من المتنصرين الكاثوليك او البروستانت الذين ادخلهم في النصرانية المرسلون بعد جهادهم المدة المديدة والاعوام العديدة . وقد امتاز اليابانيون بحرية الفكر وذكاء القريحة . فلو وجدت بعثة اسلامية وذهبت الى تلك البلاد لوجدت آذاناً صاغية وقلوباً واعية وامكنها ان تدخل كثيراً منهم في الديانة الاسلامية لما اشتملت عليه هذه الشريعة الغراء والملة السمحاء مما يرشد الانسان الى مكارم الاخلاق وجميل الصفات حتى يفوز بخيري الدنيا والآخرة . وهذا وان كان امراً واجباً قد امر به الله تعالى في قوله جل شأنه (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فانه قد جرت العادة في علماء الاسلام لا سيما المتأخرين منهم انهم لايتعبون انفسهم للانتقال من جهة الى اخرى لنشر الشريعة الاسلامية وبث التعليمات الدينية كسلاً منهم وحبا للراحة او خوفاً على انفسهم او لقلة ذات يدهم . ولذلك لا يتوهم متوهمٌ انهم يرحلون الى هذه البلاد البعيدة ويقضون بها الاعوام العديدة كما فعل هؤلاء المرسلون وغاية ما يتوهم انه لو

قام فريقٌ من متعلمي المسلمين في الهند او الصين لقربه منهم وسرعة التفاهم بينهم لامكن تعليمهم وصارت هذه الامة العظيمة كلها او جلها اسلامية . ولا يخفى ما في ذلك من جيل الفوائد التي تعود على المسلمين بالخير العميم والنفع العظيم » اه

وبالجملة فان هذه الرحلة تدل على علو الهمة والغيرة على مصر واهلها . وانما ينقصها ان تطبع طبعة عامة ليستفيد جمهور القراء منها وان تشفع بخريطة وتزين بالرسوم لتتم الفائدة . فنرغب الى سموه في ذلك

رباعيات عمر الخيام

ترجمتها العربية

لوديع افندي البستاني

عمر الخيام عالمٌ فارسي نشأ في خراسان باواخر القرن الخامس للهجرة وبرع في العلوم الطبيعية والرياضية والف فيها وكان مع ذلك شاعراً فيلسوفاً واسع الخيال نحا في شعره منحى ابي العلاء المعري في فلسفة الوجود والنظر في حكمة الخلق — وهو الشعر الحقيقي الصادر عن شعور صحيح . فنظم في الفارسية مقطعات سماها الرباعيات ادهشت من اطلع عليها من علماء اوربا فنقلوها الى السنتهم نظماً ونثراً وشرحوها . واقدم من فعل ذلك فتزجرالد الشاعر الانكليزي سنة ١٨٥٩ ثم اشتغل في ذلك عشرات من العلماء والعالمات بين ترجمة وشرح ودرس وانتقاد . الا العربية فلم نعرف احداً نقل هذه الرباعيات اليها في اثناء التمدن الاسلامي . ولم تزل مغلقة على ابناء هذا اللسان حتى عني وديع افندي البستاني بنقلها اليه نظماً في مقطعات سماها السباعيات . ونشرها مصدرة بمقدمة ضافية ذكر فيها ولادة ذلك الفيلسوف ونشأته وعلومه واعماله وفلسفته وشعره والرباعيات في اللغات الغربية وفي اللغة العربية . وذيلها بشروح وتعاليق وزينها برسوم تمثل خيال ذلك الشاعر في منظوماته . هذا مثال من شعره ومعه الصورة التي مثل ذلك الخيال بها قال :

امس ابصرتُ جارنة الخزافا يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا
وكأني اسمعت بين يديه صوت ذات مظلومة تشتكيه
آه رفقاً فانت طين وماءُ ايها المرء لا تسمني العذابا



ايهذا الخزاف قد فقت حذقا ولقد فزت في الصناعة سبقاً
لك صيت يذيع غرباً وشرقا
انما ارفق فسوف تطلب رفقاً من حريف تزول انت ويبقى
فبقايا الاسلاف ما انت منه صانع ما يحير الالبابا
ما جزافاً ما قد اراق السقاة لا لعمري بل تلكم صدقات
انما الترب يا ندامى رفات
فليريقوا فتلكمُ القطرات لكبود تذيبها الحسرات
وليريقوا لعلها مطفئات لوعة في الثرى تؤجُّ التهابا
عدمٌ آخر الوجود فصاحي هات راحاً غدو بها غير صاح
وأدرها ريحانة الارواح

لست شيئاً بعد الممات فهبني لست شيئاً قبله واصطحبني
نقتل الوقت لذة وانشراحاً ونمولاً ونشوة وانطراباً

واذا جاءك الملاك المخوف وهو ساق في العالمين يطوف
وعليه من الدياجي سجوف

فاجرع الكأس لا تهدّ جزوعاً فقضاء لا بدّ من ان تطيعا
وهي كاس الردى وكل نديم شارب سؤرها مضيع صوابا

ايه خيام حين هذي السماء يتولاك حكمها والقضاء
انت تفضي وللوجود البقاء

عند ذاك الساقي المخلد يعلا كاس هذا الوجود ندّاً ومثلا
انّ راح الساقي المخلد اروا ـ ح بكاس الوجود تطفو حبابا

وبالجملة فاننا نشكر لبستاني افندي هذه الخدمة لاداب اللغة العربية . ونحث الادباء على مطالعة كتابه . وهو يطلب من مكتبتي الهلال والمعارف بالفجالة وثمن النسخة عشرة غروش وللبريد غرش

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب

لروحي بك الخالدي

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب سنة ١٩٠٤ والمؤلف يومئذ قنصل جنرال الدولة العثمانية في بوردو وقد نال الاستبداد من نفوس العثمانيين وقيد اقلام احرارهم فلم نعد نسمع غير اصوات المتزلفين او المتملقين . واذا تكلم الحرّ تكلم همساً واذا كتب اخفى اسمه ولاسيما اذا كان من موظفي الحكومة — ولو كان موضوعه في الادب او الطب لان الجواسيس يحولون كل معنى الى المكائد والدسائس . وابت نفس صديقنا الخالدي مؤلف هذا الكتاب الا ان ينشر ثمار درسه وبحثه فعهد بذلك الى الهلال على ان تنشر بلا توقيع . فنشرناها مقالات متوالية والقراء يسألوننا عن اسم كاتبها ويتشوقون لمعرفته . فلما طبعناها في كتاب على حدة تقدمنا اليه ان يأذن بنشر اسمه في صدر الكتاب فاكتفى بالاشارة الى موطنه فوضعنا بدل اسمه لفظ « المقدسي » نسبة الى القدس الشريف مسقط رأسه



روحي بك الخالدي

الوكيل الاول لمجلس المبعوثان ونائب القدس الشريف فيه (سابقا)

ومؤلف هذا الكتاب

فأحرز هذا الكتاب اعجاب القراء الادباء في العالم العربي وغيره . فحملنا ذلك على اعادة طبعه رغبة في نشر علم الادب بين قراء العربية ونحن في اشد الاحتياج اليه . ولا سيما على الاسلوب الذي توخاه المؤلف من المقابلة بين الآداب العربية والافرنجية وبيان ما اقتبسه الافرنج من آدابنا واساليبنا مما لم يتصدَّ للبحث فيه احد قبله — ولم نر احداً تصدى له بعده . فضلاً عما يتخلل ذلك من الفوائد التاريخية والقواعد الاجتماعية عن الادب العربي وتاريخه وما تقلب عليه من الاطوار تبعاً للسياسة والاجتماع . وتاريخ الادب الفرنساوي من اول عهده الى زمن فيكتور هوكو وما ادخله فيه هذا النابغة من التعديل نقلاً عن الاسلوب العربي في الشعر والادب وصل اليه عن طريق اسبانيا. وناهيك بسهولة عبارة الكاتب وتناسقها مما يرتاح اليه القاريء ويجد فيه لذة وشوقاً

المطالعة . غير ما عني بتلخيصه ووصفه من مؤلفات هوكو وبسط ما حوته من الفوائد الفلسفية والادبية ومقابلة ذلك بما عند ادباء العرب

والخلاصة ان هذا الكتاب من الذخائر النفيسة التي لا يستغني عنها اديب . فلما نفدت نسخ الطبعة الاولى استأذنا حضرة المؤلف في اعادة الطبع فاذن لنا خدمة للادب العربي وقد اعلن الدستور وصار المؤلف من اعظم اركانه فلم يبق ثمة باعث على التكتم فطبعناه وصدرناه باسمه وزيناه برسمه ليتم التعارف بينه وبين القراء المعجبين بأدبه وفضله والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان ونصف

علامة الاستفهام

(؟)

عربية ام افرنجية

المشهور ان هذه العلامة (؟) التي توضع في آخر الجملة للاستفهام او الشك قد اقتبسناها من اللغات الافرنجية . فهل هي تولدت عند الافرنج او ورثوها من اسلافهم الرومانيين او هي مقتبسة عن العرب في جملة ما اقتبسوه عنهم من الارقام والعلامات

والجواب على ذلك صعب لذهاب خبر هذه العلامة في ثنايا القرون ولا يعلم الافرنج تاريخها علماً صريحاً ولا شاع استعمالها عندهم قبل الاجيال الاخيرة ولم يذكروا الباعث على وضعها على هذه الصورة . على اننا وجدنا لها اصلاً عند العرب لانهم استعملوا علامة مثلها منذ نحو الف سنة يسمونها الضبة يوضع في آخر الجملة او فوق الكلمة للدلالة على الشك في صورتها او معناها

وذلك انهم كانوا يستخدمون لفظ « صح » يوضع فوق الكلمة او في آخر الجملة لتأكيد صحتها . واقتطعوا نصفهُ الاول وهو حرف الصاد (ص) للدلالة على الشك فيضعونه فوق اللفظ الذي يشكون فيه . وقد ذكر ذلك ياقوت في معجم الادباء في أثناء ترجمة ابراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الاندلسي المعروف بابن الافليلي في عرض الكلام عن المراد بوضع (صح) فوق الحرف قال :

« وانما قصدوا بكتبهم على الحرف (صح) انه (الكاتب) كان شاكاً في صحة اللفظة فلما صحت له بالبحث خشي ان يعاوده الشك فكتب عليها (صح) ليزول شكه فيما بعد . ويعلم انه لم يكتب عليها صح الا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها . واما

الهلال

الجزء السابع من السنة العشرين

اول افريل (نيسان) سنة ١٩١٢ و ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠

انكلترا والدولة العثمانية

والعلائق السياسية بينهما

صدرنا هذا الهلال بالصورة التاريخية التي جمعت بين جلالة ملك الانكليز والملكة والبرنس ضياء الدين افندي نجل جلالة السلطان وسمو الخديوي وآخرين بمياه بور سعيد في الملاقاة التي فصلناها في الهلال الثالث من هذه السنة . ونشرنا هناك ما دار من المخاطبات الودية الرسمية . ونحن باسطون هنا اهم العلائق السياسية . بين هاتين الدولتين من اقدم زمن تبادلها ليتبين للقارىء ان الروابط الودية بينهما ليست حديثة العهد

ولا بد لنا قبل التقدم الى الموضوع من تعريف المودة بين الدول . فهي ليست من قبيل التواد بين صديقين تألف قلباهما وتحابا على غير كلفة وبلا طمع في كسب او التماس لمصلحة . وانما هي من قبيل المودة المبنية على المصلحة الخصوصية والمطامع الدولية . فلا تتصادق دولتان ان لم يكن لهما من وراء تلك الصداقة نفع متبادل . ولذلك قالوا ان السياسة لا قلب لها . على ان الدول تختلف في المحافظة على عهود المودة او القيام بحقوق الصداقة كما يختلف الافراد . ففيهن الوفية والخائنة والامينة والخائنة والمتروية والمتهورة والمنصفة والظالمة . ولعل انكلترا اقرب الدول الى الوفاء والانصاف . وانما يهمنا ذلك بالنظر الى علاقاتها بالدولة العثمانية

تاريخ تلك العلائق

وعلائق الانكليز بالدولة العثمانية قديمة في اصلها مثل علائق سائر الدول النصرانية بالنظر الى المسألة الشرقية . لكن هذه الدول تتفاوت رغبة في حل هذه الدولة بتفاوت ما ترجوه من النفع بها . وبهذا الاعتبار كانت روسيا ارغب الدول في حلها واقتسامها وانكلترا اقلها رغبة في ذلك

بدأت العلائق بين العثمانيين والدول الحديثة بعد فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وهذه الدول يومئذ في اوائل نشأتها وقد غشيتها ظلمة الاجيال الوسطى والعثمانيون اهل سطوة وسلطان . فخافهم الاوربيون وتسابقوا اليهم يخطبون مودتهم ويستنصرونهم ويعقدون معهم المعاهدات التجارية . من اقدمها معاهدة عقدتها انكلترا معهم سنة ١٥٧٩ واقدمت غيرها على مثلها تقرباً من سلطان العثمانيين

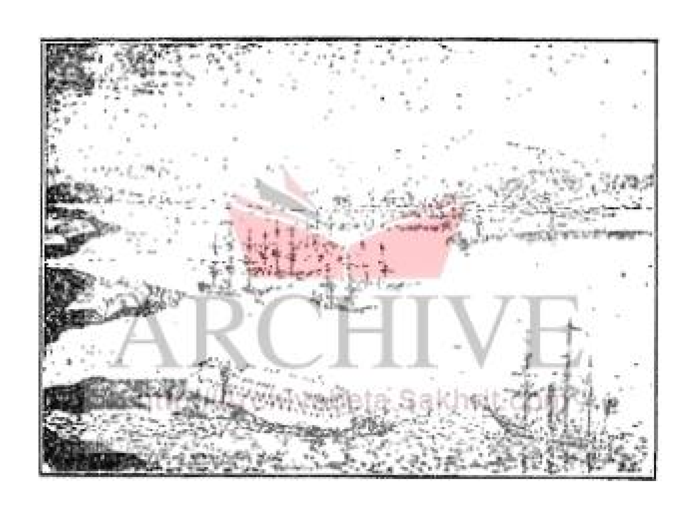
ثم دالت الايام وانقلبت الاحوال فبلغت الدولة العثمانية شيخوختها ودول اوربا في ابان شبابها . وتكاثرت مطامعهن فاصبح همهن حلها واقتسامها فاضطرت الى استنصار بعضهن على البعض الآخر — والدنيا دول — لكنهن تعاونّ على قهرها في وقائع كثيرة بحجة الدفاع عن النصرانية او نصرة المظلومين من رعاياها المسيحيين من امثلتها واقعة نافارينو في بلاد اليونان سنة ١٨٢٧

ثم تضاربت مصالح الدول وظهرت مطامع روسيا في بلاد الدولة عملاً بوصية بطرس الاكبر التي نشرناها في الهلال ٣ من هذه السنة . فتصدت الدول الاخرى لمعارضتها لاختلافهنّ على اقتسام الغنيمة وانكلترا اشدهنّ مقاومة في الدفاع عن كيان هذه الدولة . وقد ظهر تصريحها بذلك في اواسط القرن الماضي على أثر زيارة القيصر نقولا الاول انكلترا سنة ١٨٤٤ ومباحثته مع دوق ولنتن واللورد ابردين بشأن حل المملكة العثمانية . وانتهى الجدال في ذلك بعد عشر سنين بدفاع انكلترا عن الدولة العثمانية دفاعاً صريحاً بقولها جواباً لروسيا في هذا الشأن « ان الحكومة البريطانية تمتنع عن فتح اي سبيل يأول الى حل تركيا . واذا كانت المملكة العثمانية كالرجل المريض فالاولى بنا معالجته حتى يشفى بدلاً من قتله واقتسام اسلابه » فاظهر الروس انهم اقتنعوا ولكنهم ما زالوا يضمرون تنفيذ تلك الوصية

حرب القريم

حتى اذا انشبت حرب القريم سنة ١٨٥٤ بين الروس والعثمانيين اخذت الدول بناصر العثمانيين خوفاً من استفحال الدب الروسي . ولا سيما انكلترا وفرنسا وكان سلاح الانكليز اقوى واتقن فابلوا بلاء حسناً في محاربة الروس عند نهر الما ولا يزالون

يذكرون انتصاراتهم هناك . وقد نظمت فيها القصائد . واختصصنا الانكليز بالذكر في هذه الواقعة لان الفرنساويين شغلوا يومئذ بمرض قائدهم . ثم زحف الجيش المتحد على سباستبول وقد تحصن فيها الروسيون . وجرت هناك معركة بالاكلافا في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٥٤ ولايزال الانكليز يتغنون بها الى اليوم . ليس لفوزهم فقط ولكنهم خسروا نيفاً و ٤٠٠ رجل بخطأ لفظي من احد القواد . وذلك ان الجنرال ريكلان علم وهو في ابان المعركة — وقد ترجح الفوز له — ان بعض الروسيين غنموا بطارية مدفعية من الجند العثماني هناك فاراد استرجاعها فبعث امره الى اللورد لوكان قائد الفرسان ان يبعث كوكبة لاسترجاع تلك البطارية . فبعث اللورد لوكان الى اللورد



حصون سباستبول

كرديجان احد قواد الفرسان ان يتولى تلك المهمة تحت قيادته وعهد الى الكبتن نولان أحد ضباطه ان يبلغ ذلك الامر اليه . فأساء نولان التعبير في نقل تلك الرسالة ففهم كرديجان ان المراد الهجوم على حصن للروسيين على مسافة ميل وبعض الميل من موقفه وعليه المدافع الهائلة تصب على وادٍ لا بدّ من المرور فيه الى ذلك الحصن . فاستغرب اللورد كرديجان ذلك الامر وعدّه تخريفاً ولكنه لم يستطع غير الطاعة — وكذلك الاوامر العسكرية وخصوصاً عند الانكليز . فامر رجاله وعددهم ٦٠٧ فركبوا وقصدوا ذلك الحصن والرصاص يتساقط عليهم وصوت المدافع يدوي في ذلك الوادي وهم لايبالون ان يهلكوا في سبيل طاعة الاوامر فلم يرجع منهم الا ١٩٨ رجلاً . وكان الكبتن نولان قد استدرك خطأه بعد قليل فأسرع في اثر اللورد كرديجان لارجاعه

نجاته قبل وصوله اليه رصاصة اصابت صدره فقتل وظل الجواد يعدو به بضع دقائق ثم سقط على الارض . وقد تغزل شعراء الانكليز ببسالة تلك الكوكبة وتفننوا في وصف مسيرها الى القتل على تلك الصورة . وانقضت حرب القريم بعقد معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وكان للانكليز يد بيضاء في نصرة العثمانيين

حرب الروس سنة ١٨٧٧

على ان نصرتهم ظهرت باوضح من ذلك في الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٧٧ التي تغلب فيها الروس حتى هددوا الاستانة . فاهتم العالم المتمدن بذلك ولا سيما انكلترا فانها تصدت وحدها لارسال عمارتها الى مياه البوسفور بحجة حماية رعاياها . واخذت مخابرات الصلح مجراها . فحاولت روسيا انزال جندها الى الاستانة بحجة دخول دوارع الانكليز مياه البوسفور وقالت « انها تريد ايضاً حماية رعاياها هناك » فاصرت انكلترا على منعها وكتبت الى سفيرها في بطرسبورج أن يحتج على هذا الطلب ويقول للقيصر « ان انكلترا لا تسمح باحتلال الاستانة واذا ابت روسيا الا ذلك فانكلترا لها بالمرصاد وهي مستعدة لاستخدام القوة في منعها » فاحجمت روسيا عن الاحتلال وتعهدت انها لا تنزل جندها الى البر الا اذا فعلت انكلترا ذلك . فظلت الجنود الروسية معسكرة خارج العاصمة ودوارع الانكليز في مياهها

ودارت المخابرات بشأن الصلح بين العثمانيين والروس والجند الروسي معسكر في سان ستفانو . واحب الروس عقد المعاهدة مع العثمانيين بدون مداخلة الدول وقد تم لهم ذلك بالتهديد فامضوا المعاهدة المعروفة بمعاهدة سان ستفانو في ٣ مارس سنة ١٨٧٨ وهي تقضي باستقلال الجبل الاسود والسرب ورومانيا سياسيًّا وان تصير بلغاريا امارة ممتازة وان تدفع الدولة غرامة حربية فاحشة وتتنازل للروس عن مرفأ في البحر الاسود والقارس . وتبدل بدروجة ببسارابيا وان يفتح البوسفور والدردنيل لسفنها في السلم والحرب . فلما علمت الدول بهذه المعاهدة انكرتها وطلبت ان تعقد معاهدة اخرى على يدها . واخذت انكلترا جانب مصلحة العثمانيين الموافقة لمصلحتها . وتصدت وحدها للدفاع عن حقوقهم وكان من اهم شروطها المحافظة على سلامة الدولة العثمانية . وبذلت النمسا جهدها ان يعقد مؤتمر الصلح في برلين برئاسة البرنس بسمارك . فوافقت الدول على ذلك الا انكلترا فانها اشترطت ان يكون من شؤون ذلك المؤتمر النظر في مؤدى معاهدة سان استفانوس وتعديلها فابى الروس واصر الانكليز على ذلك حتى احتدم الجدال واخذت الدولتان تتأهبان للحرب بالتجنيد برًّا وبحراً . فاستدعت

انكلترا جيوشها الهندية وكان وزير خارجيتها يومئذ اللورد دربي ميالاً لمسالمة الروس فاضطر للاستعفاء فخلفه اللورد ساليسبوري فاصر على مطاليب دولته وخاطب الروس بشدة

وانقطعت المخابرات بين الدولتين الى اواسط مايو والروسيون معسكرون في ضواحي الاستانة والانكليز في مياهها. فتفشى الوباء في المعسكر الروسي واشتد المرض على وزيرها البرنس غورتشاكوف ورافق ذلك ضيق مالي فاضطر القيصر الى توسيط غليوم الاول امبراطور الالمان في الصلح فتوسط وبذل الانكليز جهدهم في التقليل من مطالب روسيا . وكان من جملة رغائبها الاستيلاء على فرضة في البحر المتوسط تنزل فيها جندها . فخافت انكلترا مناظرتها في ذلك البحر فاشترطت سلامة شواطئه

وخافت من الجهة الاخرى نزولها على ما بين النهرين الى خليج فارس فعقدت مع الدولة العثمانية في ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ معاهدة دفاعية هجومية لمعارضة روسيا اذا ارادت التقدم في اسيا الصغرى وردها بالقوة . وتعهدت الدولة العثمانية من الجهة الاخرى باجراء الاصلاحات في مملكتها وان تأذن للانكليز باحتلال قبرص لتكون رقيبة على روسيا وتتمكن من صد هجماتها اذا مست الحاجة . ولما تم لها عقد ذلك مع العثمانيين وذيلته بعقد آخر بشأن قبرص . وافقت على عقد مؤتمر برلين فاجتمع وقرر المعاهدة المشهورة بمعاهدة برلين . وهاك نص المعاهدة الهجومية الدفاعية المنعقدة بين انكلترا والعثمانيين :

معاهدة الدولة العثمانية وانكلترا

« المادة الاولى : اذا كانت روسيا تستولي على باطوم او اردهان أو القارس أو احداها وأرادت بعد ذلك ان تستولي على بعض الاراضي الكائنة في اسيا التابعة للحضرة السلطانية كما تقرر امرها في المعاهدة الصلحية البائنة فان انكلترا تتعهد بان تتحد مع الحضرة العلية السلطانية لحماية تلك الاراضي بقوة السلاح وفي مقابلة ذلك تعد الحضرة السلطانية انكلترا بان تجري في ممالكها الاصلاحات اللازمة التي سيحصل الاتفاق بعد هذا بينهما على كيفية اجرائها . وان تحمي المسيحيين وغيرهم من رعيتها القاطنين في بلادها . ولتمكين انكلترا من اتخاذ الوسائط والتدابير اللازمة لاجراء ما تعهد به رضي جلالة السلطان المعظم بان تستولي انكلترا على جزيرة قبرص وتدير امورها

« المادة الثانية : تحديد امضاء هذه المعاهدة من الدولتين المذكورتين يكون بعد تاريخ امضاء هذا بشهر واحد او اقل اذا أمكن . وقد صار توقيع هذه المعاهدة وختمها في القسطنطينية في الرابع من شهر يونيو الافرنكي من سنة ١٨٧٨ » اهـ

وهذا هو الذيل بشأن قبرص المؤرخ في ١ يوليو سنة ١٨٧٨ :

« اولا : يبقى في الجزيرة محكمة شرعية يناط بها النظر في متعلقات المصالح الدينية التي تخص مسلمي الجزيرة لا غير

ثانياً : ان نظارة الاوقاف بالاستانة تعين احد المأمورين المسلمين ليقيم في الجزيرة ليشرف باتفاقه مع مأمور تعينه دولة انكلترا على ادارة الاملاك والعقارات والجوامع والمساجد والمقابر والمدارس والمكاتب وغيرها من الادارة الدينية في الجزيرة

ثالثا : ان دولة انكلترا تدفع الى الباب العالي الزائد من ايراد الجزيرة بعد اداء نفقاتها وهذه الزيادة تعتبر بمناسبة الزياده التي حصلت في الجزيرة في السنين الخمس الماضية وقدرها ٢٢٩٣٦ كيساً (١١٤٦٨٠ ليرة عثمانية) سنوياً وبعد هذا يبالغ في تحقيقها ويستثنى من ذلك ايراد الاملاك الميرية التي تباع أو تؤجر في المدة المذكورة

رابعاً : يسوغ للباب العالي ان يبيع أو يؤجر العقارات التي هي املاك اميرية او املاك همايونية وايرادها غير داخل ضمن ايراد الجزيرة

خامساً : يسوغ لمأموري دولة انكلترا في الجزيرة ان يشتروا جبراً بأسعار مناسبة الاراضي او الاملاك التي يرون شراءها لازما لاجراء اشغال نافعة

سادساً : اذا كانت روسيا تعيد الى تركيا القارص او بقية الجهات التي انتصرت عليها ودخلت في حوزتها في الحرب الاخيرة تخلي انكلترا جزيرة قبرص فتكون المعاهدة المضاة في ٤ يونيو منسوخة وملغاة الاجراء » اه

آخر العلائق بينهما

ولم يحدث بعد ذلك شيء من العلائق الهامة بين الدولتين قبل المسألة المصرية واحتلالها على أثر الحوادث العرابية وهي مشهورة وقد فصلناها في تاريخ مصر الحديث. ويظهر من مجمل ذلك ان انكلترا كانت اكثر محافظة على حقوق الدولة بمصر من سواها وانما اضطرت الى الاحتلال اضطراراً . ولا تزال الى اليوم تعترف بسيادة جلالة السلطان عليها

ولما فاز العثمانيون بقلب الحكومة الاستبدادية منذ بضع سنوات جاهرت انكلترا انها آخذة بناصرها ضد من ينوي مناوأتها . ثم حدث فتور بين الدولتين لاسباب مبهمة . وذهب ذلك الفتور باجتماع ضياء الدين افندي بجلالة ملك الانكليز في مياه بورسعيد وهو في طريقه الى الهند . والمصلحة في هذه المرة متبادلة بين الدولتين فكما يهمّ العثمانيين ان تكون انكلترا نصيرتهم اذا نابت نائبة دولية يحتاجون فيها الى من يدافع عن حقوقهم . فكذلك الانكليز يرون بمصادقة جلالة السلطان خليفة المسلمين اكبر ضامن لرضى المسلمين بسيادتهم في الهند وغيرها ولذلك كانت هذه الصداقة طبيعية وثابتة

القرود

الشبيهة بالانسان

لحضرة انيس افندي الخوري المقدسي م . ع .

٣ – الشمبانزي

وهو يستوطن افريقيا بين سيراليون الى الكنغو . ولم يتصل بنا تقرير يعوَّل عليه عن هذا القرد وهو في الغابات الاَّ ما كتبهُ الدكتور سافاج حين كان في رأس بالماس فآثرنا نقله عنه قال :



الشمبانزي على البيسكل بين يدي مربيه

لا يتجاوز طول الشمبانزي خمس اقدام وهو يمشي على رجليه منتصباً مع بعض

الانحناء لكنه اذا احسّ بخطر عدا على الاربعة واسرع مبتعداً عنه

وتركيب جسمه لا يمكنه من الانتصاب التام فهو ينحني قليلاً الى الامام ولذلك كثيراً ما يرى وهو واضع يديه على وركيه لحفظ الموازنة في اثناء السير . ومتى اراد الاستراحة جلس جلوساً كما يفعل الانسان . اما ابهامه فملتوية كثيراً نحو الداخل ولا يمكن تقويمها وهو يقف على الاربعة فيطأ على عقد الاصابع التي اصبحت لكثرة الاستعمال كاخمص القدم في الصلابة

وللشمبانزي مهارة فائقة في تسلق الاشجار وقلما يُرى اكثر من خمسة او عشرة منه معاً . على ان بعض الوطنيين اثبت لي ان هذه القرود كثيراً ما تجتمع جماعات كبيرة لقتل الوقت باللعب فتتواثب وتتصارخ . وقد تحمل عصيًا تضرب بها على قطع الحطب الكبيرة فيخرج منها صوت كصوت الطبل . وهي لا تهاجم احداً وقلما تحاول المدافعة عن نفسها اذا وجدت الى الفرار سبيلاً . فاذا لم ترَ مناصاً هجمت على العدوّ المعتدي وحاولت تطويقه بأذرعها لتقرّبه من اسنانها الكاسرة وويل له اذا تمكنت منهُ فان عضها مرعب ولا يخلو من خطر على الحياة . وقد يُتوهم من مشاهدة انيابها الكبيرة انها من آكلات اللحوم والحقيقة غير ذلك وليست انيابها الا سلاحاً تستعين به عند الحاجة

وهي تبني مساكنها اعشاشاً في الاشجار بعيدة جدًّا عن مساكن الناس على انها لا تستقرّ في مكان واحد بل تنتجع الغابات في طلب الطعام . ومن النادر ان يكون اكثر من مسكنين من مساكنها في محل واحد

والشمبانزي قذر جدًّا شهوانيّ لا يعرف الاعتدال معنى . ومن تقاليد الوطنيين هناك انه كان في الاصل واحد منهم وان الآلهة مسخته قرداً لقذارته وانغماسه في الشهوات . على ان لحمه مستطاب عندهم ولا سيما متى طبخ بزيت النخيل . وهذه القرود على جانب كبير من الادراك والاناث منها معروفة بعطفها على صغارها . ذكر بعضهم انهم وجدوا مرّة وهم يصيدون هذه القرود اماً على شجرة ومعها طفلاها فلما رأتهم بادرت الى الفرار باحد الطفلين ثم رجعت غير هيّابة الى الشجرة لتخلص الآخر فتسلقت الشجرة تحت رصاص البنادق وضمته الى صدرها ولكن الرصاص اصابها اخيراً فلم تتمكن من النجاة

ومما يحكى عن هذه القرود انها متى جرحت جرحاً غير قتال عمدت الى اوراق الاشجار تستعملها كاللفائف بعد ان توقف مجرى الدم بالضغط على المحل المجروح ومتى رميت بالنار صرخت كما يصرخ الانسان وهو في حال الضيق الشديد . على ان

صوت الشمبانزي ابحُّ اجشُّ يخرج من حلقه متقطعاً وهو يشبه الاوران اوتان في كيفية مبينه والجبون في حدة نابه ورشاقته .وقد يربونه في المنازل ويدربونه على عادات الانسان في طعامه ولباسه وركوبه كما ترى في الشكل

٤ — الغورلاَّ

قال الكاتب المحقق الذي اعتمدناه في ما ذكرنا عن الشمبانزي والذي ننقل عنه حرفيًّا ما يرويه عن الغورلاَّ :

« ان وجودي كمرسل في الاصقاع الافريقية مكنني من مخالطة الوطنيين وتمحيص رواياتهم عن هذه القرود فضلاً عن اني درست بنفسي الانواع المختلفة وصرت قادراً على التمييز بين الغث والسمين مما اسمعه او اقرأه



الغورلاَّ

يستوطن الغورلاَّ اواسط غانة السفلى (غينيا) وهو كبير الجثة عريض المنكبين جدًّا يبلغ طوله خمس اقدام وجلده مغطى بشعر كث كثيف يشيب مع الكبر كما يشيب الشمبانزي . اما وجهه فواسع وطويل لكن جمجمته صغيرة وعيناه كعيني الشمبانزي كبيرتان اما انفه فافطس مع ارتفاع في اعلاه وفمه واسع والشعر ينبت على ذقنه وشفته العليا . وشفته السفلى سهلة التحريك تستطيل جدًّا متى هاج فتتدلى فوق ذقنه

وجلد وجهه واذنيه عار من الشعر وهو اسمر قاتم مع ميل الى السواد وله في اعلى راسه حرفان مغطيان بجلد اشعر اذب . فاذا اراد الحيوان ارهاب عدوه قلص هذا الجلد فيتجمع في مقدمة الجبهة وينتصب الشعر هناك انتصاباً يجعل منظره مخيفاً للغاية

اما عنقه فقصير غليظ كثير الشعر . وصدره متسع وذراعاه طويلتان جداً تصلان الى اوطأ من الركبة وتنتهيان بيدين ضخمتين وابهام كبير جداً .

ولا ينتصب الغورلا تمام الانتصاب كما يفعل الانسان لكنه يميل قليلاً الى الامام ويعسل في مشيه متمايلاً من جانب الى جانب . لكنه لطول يديه لا ينحني مقدار ما ينحني الشمبانزي . وفي ارتكازه على يديه عند السير لا يطأ على العقد كما يفعل الشمبانزي بل على الاصابع وهي مبسوطة

وهو يعيش جماعات جماعات على ان الاناث فيها اكثر من الذكور . وقد اجمع الرواة على انه قلما يُرى اكثر من ذكر واحد بالغ مع الجماعة الواحدة . والسبب في ذلك ان الذكور متى بلغت اشدها تنازعت على السيادة فيبقى الانسب منها حاكماً على الجمهور

وينكر الدكتور سافاج ما يزعمه البعض من ان هذه القرود تختطف النساء وتستخدم الافيال ثم يقول :

ان مساكنها كمساكن الشمبانزي عبارة عن اكواخ او اعشاش من القش والقضبان تأوي اليها في الليل فقط

والغورلا من اشرس الكاسرات وارعبها لا يهاب الناس ولا يهرب منهم بل يهجم عليهم متى رآهم ويفتك بهم ولذلك يخافه السكان خوفاً شديداً . ويقال ان الذكر متى ابصر الصياد صرخ صراخاً تهتز له جوانب الغابة فيتسع شدقاه وتتدلى شفته السفلى ثم يتقلص جلد راسه فيقف شعره ويصبح منظره مخيفاً للغاية . ومتى سمعت الاناث والصغار هذا الصراخ توارت عن العيان اما الذكر فيدنو من عدوه والشرر يتطاير من عينيه . فاذا كان الصياد ماهراً ثابت الجنان وقف في مكانه ريثما يصير الحيوان على مرمى الرصاص منه ثم يطلق عليه النار او ينتظره حتى يدنو منه فيمد له البندقية ليعضها ثم يطلق النار في حلقه . والويل له اذا خانته بندقيته او لم يصب منه مقتلاً فان الغورلا يسحق البندقية باسنانه سحقاً ثم يتحول الى العدو ويمزقه تمزيقاً . ولقد اثبت المستر فورد ما رواه الدكتور سفاج وقال في نشرة ارسلها الى الجمعية العلمية في فيلادلفيا ما مؤداه

يستوطن هذا الوحش الجبال في اواسط غابة من كامرون شمالاً الى انجولا جنوباً ،

وقد وزنت احد هذه القرود فوجدت ثقله نيف و ١٧٠ رطلاً مصرياً عدا عظام الصدر والحوض وعدا الامعاء . وقست محيط صدره فبلغ اربع اقدام واربعة قراريط ومتى احسَّ الغورلاَّ بالعدوّ انتصب على الاقدام وصرخ صراخاً هائلاً ثم يستعد للهجوم فينقل اناثه وصغاره الى محل امين ثم ينقلب على العدو وقد قفَّ شعر راسه واتسع منخاراه وتدلت شفته فيهجم عليه وصراخه متواصل حتى يصل اليه فاذا لم يصب الرصاص منه مقتلاً انقضَّ على البندقية فحطمها بين اسنانه الكاسرة ثم يلطم الصياد لطمة تجندله ويجهز عليه بانيابه فيقطعه ارباً ارباً

قل وقلما تدجن هذه القرود فانها على اعظم جانب من الشكاسة والوحشية ولا صحة لما يروونه عن أنه يبني بيوتاً او يقتنص الافيال ويستخدمها لحاجاته فان تلك اقاصيص لا تصلح لغير الاطفال ولا مستند لها البتة

كلمة في الختام

هذا ما رواه الاستاذ هكسلي معتمداً فيه على ثقات اهل الاختبار . وقد تركت بعض ما ذكره مما لا فائدة منه في هذا المقام فعسى ان يجد فيه محبو البحث ما يروقهم من الحقائق العلمية الخالصة من الشبهات النظرية لان كثرة اللغط في هذه المسائل قد حجبت الحقيقة وابرزتها للجمهور صورة مشوهة . وسواء أصاب اهل النظر في استنتاجاتهم ام لم يصيبوا فان البون بين الانسان والقرود الشبيهة به شاسع جداً وناموس النشوء نفسه — كما ابنا في غير هذه المقالة — لا يقول بتسلسل الانسان من احد القرود بل بان الانسان والقرد من اصلٍ واحد وذلك لا ينفي وجود القوة الكائنة وراء المشاهد الظاهرة . على انه يدفع الى القول بوحدة الاكوان الطبيعية وفي ذلك للروحيين متسع قد لا يجدونه في اقوال اللانشوئيين

وليست البلية ان يتمسك المرء بما يوحيه اليه وجدانه بل البلية ان يقيد عقله ويضيقه فلا يستطيع تكييفه أو ترقيته طبقاً لناموس النشوء العقلي . وعندي ان الآداب والمبادىء الالهية لا تصل الى درجة الكمال في البشر الا متى خلصت عقولهم من شائبة الخوف على معتقدهم فيرون عندئذ ان الاخلاص في الابحاث الطبيعية مؤيد لسمو المبادىء الدينية الصالحة اذ يطهرها من ادران النظريات الفاسدة . وكما ان التمسك الاعمى والخوف آفة الحياة العلمية كذلك التقليد والخفة آفة الحياة الادبية والحكيم من كانت الروية والاخلاص رائده في جميع ابحاثه

الخط العربي

وانتشاره في العالم الشرقي والغربي

تمهيد في الحضارة الاسلامية

ظهر الاسلام والخط العربي معروف في الحجاز لكنه لم يكن شائعاً فيه بل كان محصوراً في فئة قليلة من الصحابة وبعض اهل الذمة

ولما عم الاسلام جزيرة العرب كلها وذهب بدولة الفرس والروم في العراق وفارس وسوريا ومصر وافريقية وغيرها وانتشرت معه اللغة العربية بين المسلمين وغيرهم من اهل هذه البلدان انتشر معها الخط العربي في كل بقعة من هذه البقاع . ثم تجاوزها الى لغات العالم الاسلامي في بلاد الفرس والترك والهند وغيرهم واصبحوا يكتبون به لغاتهم الى الآن بفضل انتشار الحضارة الاسلامية وتأثيرها في العالم واتساع نفوذها ورسوخ اصولها في الاصقاع المتنائية . فالاسلام هو السبب الوحيد في انتشار الخط العربي ان لم نقل هو محببه ورافعه الى اوج الظهور حتى انتشر هذا الانتشار الهائل بين الامم الاسلامية وغيرها في اسيا وافريقيا واوربا حتى بلغت حدوده من اقاصي الهند ومالیزيا شرقاً الى اقصى بلاد المغرب وبحر الادرياتيك غرباً . ومن اعلى تركستان واواسط روسية اوربا شمالاً الى اداني زنجبار جنوباً . وقد تخطى الآن خضمات الاقيانوس وبلغ الى قارة اميركا وغيرها من جزر البحار . فهو يضم بين دفتيه امماً مختلفة الاجناس والعادات متعددة اللغات واللهجات كالعرب والاتراك والفرس والهنود والافغان والاكراد والتتر والمغول والملايو والبربر واهل السودان والزنوج والسواحليين وغيرهم . ويظل تحت رايته من ٢٠٠ مليون الى ٢٥٠ مليوناً من الانفس وذلك من آثار ذلك التمدن العظيم

التمدن الاسلامي وسواه

ان التمدن الاسلامي لم يخلف مثل ما خلفه التمدن المصري القديم من الآثار البنائية كالهياكل والاهرام والبرابي والمسلات ولا ما خلفه التمدن البابلي والاشوري من

الاطلال والخرائب والاثار البنائية ولا ما خلفه التمدنان اليوناني والروماني من الاثار الفكرية والسياسية والبنائية كالمراسح والميادين

لكنه خلف آثاراً مطبوعة في النفوس يتوارثها الخلف عن السلف والابناء عن الاباء. كانه وسم الامم التي دخلت في سلطانه بسمات خالدة اهمها الدين واللغة ثم الخط. فبعض الامم وسمت بالثلاث السمات معاً كمسلمي مصر والشام والعراق وبلاد المغرب وغيرها فضلاً عن جزيرة العرب. وبعضها وسمت بالسمتين الدين والخط كالترك والفرس ومسلمي الهند والملايو وغيرهم مما هو موضوع بحثنا الان. والبعض الاخر وسم بسمتي اللغة والخط دون الدين وهؤلاء هم اهل الذمة في العالم العربي. والبعض الاخر وسم بسمة الدين فقط كمسلمي الصين

ان للتمدن الروماني سمات تشبه هذه وسم بها بعض امم اوربا واميركا ونعني الخط واللغة وهما من اهم آثاره. لكن الفرق بين آثاره وآثار التمدن الاسلامي عظيم فاللغة اللاتينية لم تبق شائعة على الالسنة بل هي تعد من اللغات الميتة وان تكن قد دخلت في معظم لغات اوربا. اما اللغة العربية فيكفي ان نقول عنها انها باقية ما بقي الاسلام والقرآن. واما الخط الروماني وان كانت الكتابة به شائعة عند امم اوربا واميركا فالخط العربي اكثر منه انتشاراً. وسترى ان الكتابة به عامة عند المسلمين كافة وبالجملة فهو اثر ديني والفرق كبير بن الاثر الديني واثر شاع بالاستعمار او بتقليد المحكوم للحاكم

اللغات التي تكتب بالخط العربي

واليك اسماء اللغات التي تكتب بالخط العربي في انحاء العالم. مع بعض التفصيلات عن هذه اللغات ومواقع البلدان التي تستعمل فيها واحصاءات اهلها وغير ذلك ليتبين للقراء حقيقة انتشار هذا الخط. فاللغات التي تكتب بالخط العربي الان في انحاء المعمورة هي :

١ — اللغات التركية

هي من اللغات التورانية منتشرة بتركية اوربا وتركية اسيا وروسية اوربا وروسية اسيا بتركستان وشواطىء بحر الخزر والقوقاس وارمينيا وغيرها ويقدر عدد المتكلمين بها بنحو ٤٠ مليون نسمة اكثرهم من المسلمين. واشهر فروعها التي تكتب به هي :

١ التركية العثمانية — هي اللغة الرسمية للحكومة العثمانية منتشرة في ممالكها باوربا واسيا وغيرها وقد اصطلح الناس على تسميتها « اللسان التركي » وهي تتألف من ثلاث لغات احداها اللغة (الجغتائية) وهي اصل التركية العثمانية وثانيها اللغة العربية التي دخل من الفاظها فيها نحو ٧٠ في المائة وثالثها اللغة الفارسية التي تعد الفاظها فيها نحو ١٥ في المائة . وقد دخلها الان الفاظ كثيرة من اللغات الافرنجية حتى اصبحت لكثرة ما ادخلوه فيها تشبه اللغة المالطية واللغة الاوردية . ولم تكتب اللغة العثمانية الا في القرن السابع للهجرة . وهي من ذلك الحين تكتب بالخط العربي . ويزيد الاتراك على احرف الهجاء العربية خمسة احرف وهي (ڭ) التي تنطق كالنون والاربعة الاحرف الفارسية الآتي ذكرها

٢ التركية القازانية او اللغة التترية — وهي منتشرة في ولاية قازان وما يجاورها من الولايات في روسية اوربا كولاية اوفا وغيرها وهي لغة التتر (مسلمي روسية اوربا) البالغ عددهم مليوناً ونصف مليون . ويزيد التتر على احرف الهجاء العربي الاحرف التي يزيدها الاتراك في اللغة التركية العثمانية

٣ التركية القرمية — منتشرة في شبه جزيرة القرم وهي لغة المغول الذين احتلوا روسيا الجنوبية وشبه جزيرة القرم في القرن التاسع للهجرة

٤ التركية الكاراسية — هي شائعة في ولاية كاراس القوقاسية وما يجاورها من شواطئ البحر الاسود الشرقية

٥ التركية الاذرية او الاذربيجانية او التركية الترنسقوقاسية — وهي منتشرة في اذربيجان وتنقسم الى لهجتين شمالية يتفاهم بها سكان اسيا التابعة لروسيا وجنوبية يتفاهم بها سكان اقليم آذربيجان التابع للعجم . وتطبع بها عدة جرائد وكتب . وقد الف ميرزا فتح على اخوند زاده في القرن الماضي بعض الروايات التمثيلية اللطيفة بالاذري الشمالي . ونقلت اليه رواية عذراء قريش بقلم اخوند مير محمد كريم الحاج مير جعفر زاده قاضي ولاية باكو

٦ التركية الداغستانية او الكومكية — وهي شائعة في داغستان وما يجاورها من شواطئ بحر الخزر الغربية . وبعض الجهات في داغستان يحسن سكانها التكلم باللغة العربية الفصحى وان لم يكن الكثير من الداغستانيين يحسنون التكلم بها مصححة على القواعد النحوية . ويقدر المتكلمون باللغة الداغستانية باقل من مليون نسمة

٧ التركية الاورنبورغية او التركية القرغيزية — هي لهجة تترية شائعة في

شمال بحر الخزر في روسيا في ولاية اورنبورغ وغيرها . وهي لغة قبائل القرغيز وقبائل القوزاق « اي البدو » وغيرهم

٨ التركية الجغتائية — ويسميها اهلها ايضاً « التركي » فلذلك يقول الافرنج لها احياناً التركية الشرقية وهي لغة التركمان واكثر سكان بلاد خيوه (خوارزم) وبخارا وتركستان الصينية (كاشغر) وغيرها من اواسط اسيا . ومركزها مدينة مرو واول كتاب دون بهذه اللغة ديوان مير علي الشهير بنوائي في القرن التاسع للهجرة وبها الف السلطان بابر المتوفى سنة ٩٣٧ ﻫ ديوانه وكتاب اخباره المشهور باسم بابرنامه . وبها الف ايضاً ابو الغازي بهادرجان سلطان خوارزم المتوفى سنة ١٠٧٤ تاريخ التتر الموسوم بشجرة ترك

٩ التركية الاوزبكية — في التركستان الروسية بما وراء النهر ومركزها مدينة سمرقند ويقدر المتكلمون بها بنحو مليونين على حسب تقدير « فبري »

١٠ التركية التكية — هي لغة قبيلة تكه من قبائل التركمان ويقدر عدد هذه القبيلة بنحو ٤٠٠٠٠٠ نفس وهم يستعملون ايضاً اللسان الجغتائي المتقدم ذكره

ويكتب بالخط العربي لغات (لهجات) كثيرة متفرعة من التركية نكتفي بما تقدم لعدم شهرتها

٢ — اللغات الهندية

هي من اللغات الآرية منتشرة في جميع بلاد الهند والسند وسيلان وملقى وغيرها واهما . اللغة الاوردية (الهندستانية) . ويعد المتكلمون بهذه اللغات بعشرات الملايين ومن فروعها التي تكتب به :

١ اللغة الاوردية (الهندستانية) — في الهند الانجليزية وعلى الخصوص في المقاطعات المتوسطة وهي الهندستانة الشمالية . ويزيد الهنود على احرف الهجاء حرف التاء باربع نقط فوقها وهي تنطق بين التاء والطاء . والدال باربع نقط وتنطق بين الدال والضاد . والزاي باربع نقط وتنطق بين الراء والغين . والاربعة الاحرف الفارسية الآتي ذكرها

٢ اللغة الدكنية او الدكهنية — في شبه جزيرة الدكن ومدراس ومركزها حيدراباد وهي الهندستانية الجنوبية

٣ اللغة الكشميرية — في مملكة كشمير باعالي الهند ومركزها مدينة كشمير (سريناغار) ويقدر المتكلمون بهذه اللغة بنحو ثلاثة ملايين نفس

٤ اللغة السندهية (السندية) — في بلاد السند ومركزها مدينة كراتشي (قريبة من دلتا نهر السند) وقد دخل في اللغة السندية كما دخل في الاوردية وغيرها كلمات وتراكيب عربية كثيرة ويقدر المتكلمون بها بنحو ثلاثة ملايين نفس

٥ اللغة الجاتكية — وهي منتشرة في المولتان وشمال بلوجستان ومركزها مدينة مولتان ولذا فهي تعرف ايضاً باللغة «المولتانية»

٦ الملاكية «الملقية» او لغة الملايو — وهي فرع من اللغات الملايو بولينيزية وهي شائعة في شبه جزيرة ملقى (ملاك) وفي ارخبيل ماليزيا (الملايو) ولها لهجات مختلفة. ويزيد الملايو على احرف الهجاء العربي اصواتاً خاصة بلغتهم وهي: حرف «چ» فيه ثلاث نقط وهو ينطق عندهم تشا. و غ عليها ثلاث نقط وينطق نجا. و«ڤ» وهو ينطق «V» و«ك» فوقها نقطة تنطق جا و«ث» تنطق نيا

ولا تهمل الكتابة العربية الا في المنبغ فقط شرق سومترة حيث الكتابة هناك بالاحرف الهندية القديمة

٣ — اللغات الفارسية او الايرانية

هي من اللغات الارية ايضاً وشائعة في بلاد الفرس وافغانستان وكردستان وبلوجستان وغيرها ويقدر المتكلمون بهذه اللغات بنحو ١٦ مليون نفس او يزيدون ومن فروعها التي تكتب بالخط العربي:

١ اللغة الفارسية (الحديثة) — في بلاد الفرس وهي اللغة الرسمية لحكومة فارس وافغانستان وقد ظلت الى سنة ١٨٣١ هي اللغة الرسمية لحكومة الهند الانجليزية حتى استعيض عنها باللغة الهندية الاسلامية لغة الاردو. ويزيد الفرس على احرف الهجاء العربي اربعة احرف تعرف بذوات النقط الثلاث وهي: «پ» وهي الباء الفارسية تشبه حرف P الافرنجية. وحرف «چ» تش وهي الجيم الفارسية. و«ژ» وينطق مثل jc و«گ» G وهي الكاف الفارسية تنطق كالجيم المصرية. ويقدر عدد المتكلمين بها بنحو عشرة ملايين

٢ اللغة الافغانية او البشتوية [1] او البشتوية: هي شائعة في مملكة افغانستان واللغة الافغانية في غاية الخشونة وحروفها اكثرمن حروف اللغة الفارسية. واحسن من يتكلم بها اهل مدينة قندهار. وقبل القرن الخامس عشر للميلاد لم يكن عند الافغان شيء من الآداب. وفي اللغة الافغانية مؤلفات قليلة نظماً ونثراً. ويقدر

(١) ښ — حرف يلفظ كالشين في القسم الجنوبي الغربي من افغانستان ومركزه قندهار ويلفظ كالخاء في القسم الشمالي الشرقي ومركزه بيشاور

عدد المتكلمين بها بنحو ٥ ملايين ويستعمل اهل اللهجات الحميرية اللغة الافغانية في الكتابة بالخط العربي اما لهجاتهم فلا يكتبون بها مطلقاً

٣ اللغة الكردية — هي لغة الكرد او الاكراد . وهي منتشرة في بلاد كردستان في الشمال الغربي من بلاد فارس وفي ارمينية وبلاد الجزيرة ومركزها ديار بكر

ولم يدون الاكراد لغتهم بالخط العربي الا في القرن الماضي . ويقدر عدد المتكلمين بها بنحو مليون ونصف . وقد دون نحو هذه اللغة والفاظها مع ترجماتها العربية المرحوم يوسف ضيا باشا الخالدي بكتاب سماه « الهدية الحميدية » سنة ١٣١٠

٤ — اللغات الافريقية

من فروعها اللغات الليبية ومنها لغات البربر في المغرب الاقصى واللغات النوبية في بلاد النوبة والسودان المصري ومنها الفولجية في غرب افريقيا . واللغات الزنجية في اواسط افريقيا وغربها في السودان الفرنساوي وغانة . واللغات البانتية (البانتو) في شرقي افريقيا وجنوبها وغيرها ومن لغاتها التي تكتب بالخط العربي هاك اشهرها :

١ اللغة الريفية أو الشلحية — من اللغات الحامية وهي لغة البربر سكان مراكش الاصليين . وهي مستقلة بالفاظها وتراكيبها مع ما دخلها من الالفاظ العربية . وفي لغة المراكشيين العربية كثير من الالفاظ البربرية ويتكلم بها اقل من ثلثي السكان

٢ اللغة البربرية او القبائلية — من اللغات الحامية منتشرة في بلاد الجزائر . واهل المغرب يكتبون القاف بصورة الفاء والفاء بصورتها ولكنهم يضعون نقطها من تحت . ويزيدون « ݣ » وكاف تحتها ثلاث نقط . وجيم فوقها ثلاث نقط و « ڿ » وكلها تلفظ كالكاف الفارسية

٣ اللغة السواحلية أو الجزرانية — من اللغات البانتية شائعة في مملكة زنجبار وما والاها من شرق افريقيا وجزائرها كجزائر الكومور وغيرهم وقد دخلها كثير من الالفاظ العربية

٤ اللغة الحوسية — من اللغات الزنجية وهي شائعة في مملكة حوس (أوحوسة) من السودان الغربي بين نهر النيجر وبحيرة تشاد . وكانت عاصمة هذه المملكة قبل دخولها في نفوذ بريطانيا من مستعمرة النيجر هي مدينة سكت (سقطو Sokoto) الشهيرة ولذا تسمى هذه اللغة ايضاً بلغة سقطو . واللغة الحوسية تستعمل للمراسلات التجارية والادارية في مملكة حوسة والبلاد المجاورة لها

٥ اللغة الملكاسية — وهي لغة التجارة والسياسة في جزيرة مدغسكر ولا تستعمل خارج هذه الجزيرة وهي لغة بعض القبائل فيها . على ان سائر القبائل المدغسكرية لايستعملون لهجاتهم الا في المحادثة . فان ارادوا الكتابة لجأوا الى الملكاسية بالخط العربي . ويقدر الذين يستخدمون هذه اللغة بنحو مليونين

وهناك لغات اخرى تكتب بالخط العربي في افريقيا كلغات القبائل السودانية المجاورين للاسلام ولم تدون لغاتهم — فهؤلاء اذا كتبوا انما يكتبون بالخط العربي

٥ — اللغة العربية

وناهيك بانتشاره في الاقطار التي يتفاهم سكانها باللغة العربية ويقدرون بنحو ٦٠ مليون نفس او يزيدون من الاسيويين والافريقيين . بين خليج العجم ودجلة في الشرق والمحيط الاطلانطيقي في الغرب . وبين البحر الابيض المتوسط واسيا الصغرى شمالاً وخط الاستواء جنوباً . ويدخل في ذلك : جزيرة العرب . ومصر وسوريا . والعراق وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش . ثم بلاد النوبة . والسودان المصري والنيجر والسودان الغربي . وفي جهات كثيرة من الصحراء . وبعض شواطىء افريقيا وجزائرها

وقد انتشر الخط العربي الان في اميركا الشمالية والجنوبية بانتشار اللغة العربية في البلدان التي استوطنتها الجالية السورية هناك . وقد اصدروا به الجرائد العربية العديدة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل والارجنتين وغيرها

٦ — الخلاصة

وهذا احصاء تقريبي عن الكاتبين بالخط العربي في انحاء العالم :

اللغة العربية ويقدر المتكلمون بها بنحو ٦٠ مليون نسمة تقريباً

اللغات الفارسية يقدروا بنحو ١٦ مليوناً منهم في فارس نحو ٩½ وفي افغانستان ٥ وفي كردستان ١½

اللغات الهندية يقدر الكاتبون بالخط العربي فيها بنحو ٩٦ مليون نسمة منهم في الهند نحو ٦٦ مليوناً وفي الملايو نحو ٣٠ مليوناً

اللغات التركية في مملكة روسيا والصين اكثر من ٣٠ مليوناً وفي بلاد الدولة العثمانية نحو عشرة ملايين نسمة تقريباً

أما اللغات الافريقية فيتراوح المتكلمون بها بين ٣٠ و ٤٠ مليوناً فيكون المجموع نحو ٢٤٢ مليوناً

أما بحسب القارات فالكائنون به في اوربا نحو عشرة ملايين من الترك والتتر ونحوهم . وفي اسيا نحو ١٦٢ مليوناً وفي افريقيا نحو ٧٠ مليوناً

فمن كل ما تقدم نستنتج ان الخط العربي انتشر بانتشار الحضارة الاسلامية في طوائف اللغات البشرية الثلاث السامية والتورانية والآرية . فاللغات السامية اهمها اللغة العربية وقد تغلبت على اخواتها فامات بعضها واضعفت الاخر . واللغات التورانية اهمها التركية وهي تكتب كلها بالخط العربي كما رأيت . واللغات الارية جنوبية وشمالية فالجنوبية فى الهند وفارس تكتب بالخط العربي الا اللغة السنسكريتية وبعض لغات جزائر الهند . واما الشمالية فهي المعروفة باللغات الهند اوربية وتشمل على لغات اوربا وقسم عظيم من اميركا فانها تكتب بالحرف الافرنجي المعروف

هذا ما اردنا بيانه بالايجاز عن انتشار الخط العربي في العالم . وربما عدنا فوفينا الموضوع حقه في فرصة اخرى أن شاء الله

عبد الفتاح عبادة
الطالب بالجامعة المصرية
(مصر)



تعليل النوع

او سبب ولادة الذكر او الانثى

رأيٌ جديد

هذا بحث قديم تضاربت فيه الآراء وقد طرقناه غير مرة وذكرنا اشهر الآراء في سبب ولادة الذكر او الانثى . ومنها رأي هوفاكر القائل (سنة ١٨٣٨) ان التذكير والتأنيث يتوقفان على النسبة بين عمري الزوجين . ووافقه على ذلك سدلر (سنة ١٨٣٠) ونشر كل منهما احصاء ذكر فيه نحو ٢٠٠٠ ولادة أيّد فيها ناموساً يسمونه « ناموس هوفاكر وسدلر » وهو « اذا كان الاب اكبر سناً من الام كان اكثر اولادهما ذكوراً واذا كانت الام اكبر سناً غلب في نسلهما الاناث . واذا تساوى الاثنان في العمر كان النسبة في المواليد متساوية . وكان لهذا الرأي شأن عظيم في ذلك العصر وتشيع له جماعة كبيرة من مربي الخيول والماشية والحمام واعتمدوا عليه في توليد خيولهم

وماشيتهم وحمامهم . ومن اشهر أولئك المتشيعين غوهرت وبولنجه وليكيوت . على ان غيرهم انكره كل الانكار ونقضه آخرون بالاحصاء والاستقراء

وقال آخرون ان لنوع الغذاء ومقداره دخلاً كبيراً في اجناس المواليد . فزعموا ان جودة الغذاء او كثرته تجعل المواليد اناثاً . واهتم بهذا القول كثيرون من مربي الحيوان والنبات وجربوه مراراً . فوجد النباتيون ان كثرة الرطوبة وغزارة السماد تزيدان الزهور الانثوية . وجربت مسز تريت هذه القاعدة في تربية الهوام فوجدت ان الفراش اذا جاعت قبل ان تلقي بيضها كان نتاجها ذكوراً واذا تغذت جيداً كان نتاجها اناثاً . وجرب جنتري ذلك في تربية العث فوجد ان الاباء اذا اطعمت طعاماً قليل الغذاء او مواد مائتة كانت مواليدها ذكوراً والعكس بالعكس

وجرب الاستاذ « يونغ » ذلك في الضفادع فغذى جانباً من صغارها بلحم البقر فزاد الاناث فيها من ٥٦ الى ٧٨ بالمائة . وغذى جانباً آخر بالاسماك فزادت الكمية من ٦١ الى ٨١ ثم غذى بعضها بلحم الضفادع فزادت الكمية من ٥٤ الى ٩٢

واما الحيوانات ذوات الثدي فالتجربة فيها اكثر صعوبة . ولكنهم لم يعدموا وسيلة لتأييد ذلك الرأي بعناية المسيو جيرو . فانه قسم ٣٠٠ من اناث اغنامه الى قسمين متساويين غذى احدهما بعلف كثير ولقحه من كبشين صغيرين وجعل غذاء القسم الاخر قليلاً ولقحه من كبشين كبيرين . فكانت المواليد الذكور ترافق المشيمة الصغيرة والحيض الشحيح . وانها تكثر في ازمنة القحط وتقلّ في المدن العامرة وخصوصاً بين الاغنياء . وتكثر بين الفقراء واهل القرى الحقيرة

ولاحظ آخرون ان المواليد الذكور تكثر في اشهر البرد وتكثر الاناث في اشهر الحر

ومما ذهب اليه جيرو ايضاً ان المولود يتبع اكثر الوالدين نشاطاً وهمة . فاذا كان الوالد انشط من الوالدة كان اكثر مواليدها ذكوراً والعكس بالعكس . ولكن هذا القول ينقضه كثير من المشاهدات الثابتة . منها ان الامهات المصابات بالسل يكثر في نسلهن البنات . ولو صحت قاعدة جيرو المتقدم ذكرها لوجب ان يغلب في مواليدهن الذكور

وغير ذلك من الاراء التي ذهبت بها التجارب . وآخر الباحثين في هذا الموضوع الدكتور دوسون الانكليزي وقد وضع في ذلك كتاباً نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب وظهر مطبوعاً في الشهر الماضي . سماه « تعليل النوع » يقول دوسون انه بناه على المشاهدات الاكلينيكية واليك خلاصة رايه :

رأي دوسوده

في سبب ولادة الذكور او الاناث

مبدء الكلام اولاً في تشريح اعضاء التناسل للانثى وفسيولوجية الحمل والولادة من تكون البيضة الى التلقيح فتكوُّن الجنين ومايعرض في اثناء ذلك . ثم ذكر السبب في ولادة الذكر او الانثى وهو عنده « ان الجنين الذكر ناشئ من تلقيح بويضة من بويضات المبيض الايمن والجنين الانثى ناشئ من تلقيح بويضة من المبيض الايسر » ثم اتى بالادلة لتأييد هذا الرأي . وقبل ايراد ادلته نمهد الكلام في كيفية تكون الجنين في الرحم وعمل المبيضين



ش ١ : الرحم وتوابعه

يتكون الجنين في الرحم وينمو فيه حتى يولد . والرحم موضوع في التجويف الحوضي بين المثانة والمستقيم شكله كثمري (1) مسطح من الامام الى الخلف وهو مثبت في مكانه برباطين (8) طرفه العلوي عريض وهو القاع (2) وطرفه السفلي ضيق (3) وهو العنق . ولو شققت الرحم شقاً طولياً لظهر لك تجويفه مثلث الشكل ورأيت جداره عضلاً غليظاً في غير مدة الحمل . فاذا حدث الحمل تمدَّد ذلك الجدار كلما كبر الجنين حتى يصير كالصفاق . وهو مبطن بغشاء مخاطي املس مائل الى الحمرة على سطحه كريات هدبية اذا نظرت اليها بالميكروسكوب رأيت فيها فوهات اجربة قنوية

ويتبع الرحم ما عدا الاربطة : (١) المبيضان (٢) قناتا فلوبيوس

﴿ فالمبيضان ﴾ شكلهما بيضي موضوعان واحد الى كل من جانبي الرحم . ونرى احدهما الى يسار الشكل الاول (11) ظاهراً والآخر مغطى بالاربطة والاغشية (6، 7) . والمبيض يتصل بالرحم برباط خاص يقال له الرباط الرحمي المبيضي (12) ويتصل من طرفه الوحشي بقناة فلوبيوس بزائدة من زوائدها (13) وهو

عبارة عن كيس فيه حويصلات عديدة يقال لها حويصلات كراف في كل حويصلة منها بيضة صغيرة (بويضة) . وعدد الحويصلات المذكورة يختلف من عشر الى عشرين في النساء اللواتي لم يحملن . قدر الواحدة يختلف من حجم حبة الدخن الى الفولة . وتسهيلاً لتصور المبيض في النساء ننبه القارئ الى ما يظهر في الدجاجة اذا فتح بطنها من الكريات الصفراء ويسميها العامة مثلال البيض وهو مبيض الدجاجة

﴿ وقناتا فلوبيوس ﴾ ويقال لهما بوقا فلوبيوس او بوقا الرحم قناتان تحملان البيض من المبيض الى الرحم (9) موضوعتان فوق المبيض تمتد كل منهما من زاوية الرحم العليا الى جدار الحوض . طولها اربعة قراريط ونصف تتسع في طرفها على شكل بوق ومنه اسمها . وحوالي فتحة البوق زوائد مشرشرة (10) يقال لها الطرف المشرشر منها شرشرة متصلة بالمبيض (13) . وفي زمن التهيج الجنسي يكون الطرف المشرشر معانقاً للمبيض



ش ٢ : البيضة في حويصلة كراف

﴿ البيضة ﴾ قد تقدم ان في المبيض حويصلات تسمى حويصلات كراف نسبة الى المشرح الذي وصفها . في كل حويصلة بيضة . فالحويصلة قبل العلوق عبارة عن غلاف غشائي مشغول بسائل زلالي تسبح فيه البيضة . وفي الشكل الثاني صورة حويصلة يحيط بها نسيج المبيض (1) وترى البيضة ملامسة جدار الحويصلة في الاعلى والبيضة البشرية صغيرة جداً يختلف قطرها من ١/٢٤٠ الى ١/١٢٠ من القيراط . غلافها الظاهر يقال له الغشاء المحي (5) فيه سائل هو مح البيضة (6) وضمن المح حويصلة صغيرة اسمها الحويصلة الجرثومية (7) قطرها ١/٧٢٠ من القيراط وهي مؤلفة من غشاء شفاف يتضمن سائلاً صافياً وفي الحويصلة « البقعة الجرثومية » وقطرها ١/٣٠٠٠ من القيراط . وفي هذه البقعة تبدا حياة الجنين

اذا بلغت البيضة في المبيض بلوغاً تاماً كوّنت بروزاً صغيراً على ظاهره بزيادة السائل المجتمع في باطنها . ثم تنفجر الحويصلة وتخرج البيضة الى ظاهر المبيض الى الطرف المشرشر من بوق فلوبيوس ويكون ذلك الطرف معانقاً للمبيض . فتدخل البيضة في البوق وتمرُّ فيهِ حتى تدخل الرحم . وقد تمكث في سيرها هذا عشرة ايام او اكثر . والمشهور ان البيض لا يخرج من المبيض الا في زمن الحيض فتصل البيضة الى الرحم في اول يوم من ذلك الزمن او قبيله بقليل . ويكون الغشاء المخاطي المبطن للرحم قد تضخم واحتقن وتكوّنت فيه طيات يمكن للبيضة ان تعشش بينها . فاذا حصل العلوق استقرت البيضة في بعض تلك الطيات حتى يتكوَّن الجنين

وكل بيضة تخرج من المبيض تترك فيه اثراً لخروجها تجويفاً يتولد فيه نسيج اصفر يعرف بالجسم الاصفر . واذا كانت البيضة التي خرجت منهُ قد تلقحت وعلقت نما الجسم الاصفر وكبر في اوائل الحمل . فاذا انقضى الشهران الاولان تحول الى حفرة ندبية ظاهرة على سطح المبيض . واذا لم تعلق البيضة يمحى مكان الحويصلة وانما يترك حفرة صغيرة تدل على موضع خروج البيضة . وقد افاض الدكتور دوسون في اثبات هذه الحقيقة لان عليها تأييد رأيه

ثم عمد الى بسط رأيه واثباته وهو يقتضي ان الاب ليس له تأثيرٌ في جنس المولود ذكراً كان او انثى وانما يتوقف ذلك على الام للسبب الذي قدمناه . فاذا كانت البيضة التي تلقحت آتية من المبيض الايمن كان الجنين ذكراً والا فهو انثى . فالمرأة الحامل بذكر يقتضي ان يظهر الجسم الاصفر والحفرة الندبية في المبيض الايمن . واذا كانت حاملاً بانثى ففي المبيض الايسر

واتى بالشواهد على اثبات رأيه فاورد اولاً الادلة على ان جنس المولود يتوقف على والدته دون ابيه . فذكر بضع عشرة امرأة تزوجت كل منهن برجلين فاكثر وكانت مواليدهن على وتيرة واحدة اما ذكوراً او اناثاً . فالتي كانت مواليدها من زوجها الاول ذكوراً ظلوا كذلك مع زوجها الثاني او الثالث . والتي كانت تلد الاناث ظلت مواليدها اناثاً . وبعكس ذلك في الرجال الذين تزوجوا بغير امرأة فان ابناءهم كانت تختلف باختلاف الزوجات . وايد ذلك بشواهد من عالم الحيوان بنفس هذه الطريقة مما قرأه او اختبره بنفسه واليك قوله من اختباراته الشخصية :

« كلبة بلون بني اسمها « بروني » خلفت اربع اجراء اناث ولم تخلف ذكوراً كلبة سوداء لقحت مرتين من كلبين مختلفين في وقتين مختلفين خلفت في المرة

الاولى كلبين وخلفت في المرة الثانية اربعة كلاب اي انها لم تخلف في المرتين اناثاً اي ان ابوين مختلفين لا يمكنهما توليد ذكور . ويعرف المؤلف ان كلا الكلبين المذكورين كان لهما الخصيتان . واذكر ذلك لان اغلب اصحاب الكلاب تستأصل خصية واحدة من كلابهم ولم يؤثر ذلك في نسل الكلاب المذكورة . من ذلك يتضح ان الاب لاتاثير له في احداث النوع

لقحت بقرة ١٥ مرة ولقحها في كل مرة عجل مختلف . وخلفت ١٧ بقرة ليس فيها عجل واحد . يعني لم يستطع ١٥ عجلاً ان يخلف عجلاً . فلو كان للاب تأثير لاستطاع العدد المذكور من العجول ان يخلف عجلاً واحداً على الاقل

لقح حجراً ستة فحول فخلفت عشرة فحول اي لم تخلف حجراً واحدة . ولم تستطع الآباء المتعددة التأثير في النوع لان الحجر كانت عقيمة عقماً جانبيًا وكان المبيض الايمن فقط يقوم بوظيفته . وكذلك كانت الكلبة والبقرة اي انهما كانتا عقيمتين عقماً جانبيًا . ولم تستطع الآباء المتعددة ان تحدث تغيراً في النوع » اه

ثم عمد الى الادلة التي تثبت رأيه من حيث سبب التذكير والتأنيث بالنظر الى المبيضين فذكر حوادث كان الجنين فيها ذكراً والجسم الاصفر في المبيض الايمن . وقد تمكن من تحقيق ذلك بالعمليات الجراحية لاسباب اقتضت اجراءها . واليك امثلة من الحوادث التي اوردها الدكتور دوسون المذكور قال :

« جامبا ه : عمرها ٤٠ سنة وحامل في الشهر الرابع . دخلت في مستشفى وستمنستر لتيبس في مفصل الركبة وظهر عندها فجأة اعراض الالتهاب البريتوني الحاد التقيحي واحدث الاجهاض . واستخرج الطفل قبل وفاتها بقليل وتوفيت في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وبالفحص وجد ان الطفل ذكر ووجد المبيض الايسر طبيعياً والايمن فيه ضخامة قليلة ويحتوي على جسم اصفر ظاهر

حالة طفنل : ولدت المريضة منذ سبع سنين طفلاً حيًا . ثم حملت . . . ووجد في الصفة التشريحية ثلاثة لترات او اربعة من السائل والدم المتجمد في البطن . ويعوم في هذا السائل جنين صغير . ووجد شق في بوق فلوبيوس الايمن وكيس خرج منهما الجنين . والبوق الايمن ملتصق بالمبيض الايمن : وطول الجنين قيراط واحد

ووجد في الرحم جنين ذكر سليم وكان مناسباً لزمن الحمل . والتجويف المتكيس في البوق الايمن كان فيه كتلة صلبة كالشيمة الصغيرة . ووجد جسمان اصفران ظاهران في المبيض الايمن

فعندنا في هذه الحالة جنينان وجسمان اصفران في مبيض واحد وهو الايمن . ولم يذكر الا نوع الجنين الذي في الرحم . ولعل الحالة كانت حملاً توأميا نما الجنين الثاني في البوق الايمن ولا بد انه ذكر

حالة الدكتور هـ . سبنسر : الدكتور سبنسر استأصل رحماً متقلاً لتعسر الولادة من سرطان . فكان الطفل المستخرج ذكراً . ووجد جسم اصفر واحد في المبيض الايمن

المسز ب ، من ليتون : ولدت ولداً وهو عائش الآن . وتوفيت المريضة من التسمم النفاسي ووجدت بعمل الصفة التشريحية التي حضرتها جسماً اصفر واضحاً في المبيض الايمن . ولم ارَ شيئاً في الايسر وشوهدت المشيمة بالقرب من الجهة اليمنى للخط المتوسط للجدار الامامي للرحم

ويذكر الدكتور ماكنوتن جونس حالة حمل اولي في امرأة عندها كيس مبيضي متقيح في الجهة اليسرى ازداد حجمه لدرجة شديدة بسنة قبل حملها . والمريضة عمرها ٣١ سنة . ولدت ذكراً سليماً . وفي اثناء العملية وجدان الورم هو كيس مبيضي في المبيض الايسر خرجت منه كمية كبيرة من الصديد . وفحصت المبيض الايمن فوجدته سليماً . من الواضح في هذه الحالة ان هذا الكيس الكبير المتقيح الموجود في المبيض الايسر لم يكوّن البيضة التي تلقحت ولا بد ان تلك البيضة كانت من المبيض الايمن وبما ان المبيض الايمن كان سليماً فلم يفحص في اثناء العملية وعرفنا وجود الجسم الاصفر استنتاجاً . المولود ذكر والمبيض السليم هو الايمن فقط

حالة ميريديث : المبيضان مريضان والمرض اخف في الايمن والمولود ذكر . وعملت لها عملية استئصال المبيضين في اثناء الحمل . كان الورم الاكبر بجيوب كثيرة . وكان المبيض الايمن امام الورم الاكبر ومحتوياً على تجويف واحد . واخيراً انتهى الحمل بوضع ذكر كامل النمو » اهـ

هذا مثال من الشواهد التي اتى بها الدكتور دوسون لاثبات علاقة التذكير بالمبيض الايمن . واتى بكثير من حوادث الحمل خارج الرحم على نفس هذا القياس ، وهي كثيرة لكنها لا يعدُّ الدليل فيها قطعياً لوقوع الابهام في بعضها

ثم اتى اخيراً الى الدليل القطعي الذي اذا ثبت لا يدع مكاناً للريب في صحة هذا الرأي . نعني مراقبة جنس الجنين في النساء اللواتي استئصل فيهن احد المبيضين فيكون الحمل من المبيض الثاني بلا ريب . فاورد حوادث استئصل فيها المبيض الايسر فكانت المواليد بعد ذلك كلها ذكوراً وحوادث استئصل فيها المبيض الايمن فكانت

المواليد كلها اناثاً . فذكر من النوع الاول عدة حوادث منها قوله :

« حالة وتريل : استؤصل المبيض الايسر وجاءت الولادة بذكر

حمل بعد عملية استئصال المبيض . المريضة غير متزوجة وتدعى ا . ن . ه . ولما بلغت السنة الخامسة والعشرين من العمر لاحظت عدم انتظام في الطمث مع مشاهدة ورم في البطن . وشخص حالتها طبيبها المعالج بورم مبيضي . ودخلت المستشفى تحت معالجة الدكتور جرانفيل باتوك وكانت الحالة ورماً في الرحم في حالة استحالة كيسية . وحاولت استئصال الورم لكنه كان مرتبكاً في الرباط العريض الايمن ارتباكاً منعني من استئصاله بالطريقة الاعتيادية . ولما لم استطع استئصال الورم استأصلت المبيض الايسر بسهولة متوهماً ان ذلك يمنع نمو الورم

ولم اجد المبيض الايمن بالكلية . ثم نظرت مرة اخرى الى الورم باعتناء فشعرت كأن فيه سائلاً غائراً فبزلته واخرجت نحو ٥٠٠ جرام من سائل متغير اللون . ولم استطع استئصال الورم وفتحته فتحاً جيداً . وخرجت المرأة من المستشفى وهي كأنها صورة نفسها قبل مرضها واستمرت صحتها جيدة اربع سنوات . وتزوجت وفي يوليو سنة ١٨٨٧ ولدت على يدي وهي ترضع الآن طفلها الذكر بنفسها

ويذكر الدكتور ارماند روث حالة الحمل البوقي الآتية : حمل في البوق الايسر . الجسم الاصفر في المبيض الايسر والبوق الايمن طبيعي ويمكن الاستمرار بكتلة في البوق الايسر . استؤصل المبيض الايسر والبوق الايسر

وتقرير المستر تارجت على الحالة كما يأتي : تشتمل القطعة الباتولوجية على البوق الايسر والمبيض الايسر والجزء المجاور من الرباط العريض ويشتمل المبيض على جسم صفر حديث . والدليل الهستولوجي يؤيد ان الحالة حمل . ويتضح من ذلك ان المرأة التي استؤصل بوقها الايسر ومبيضها الايسر في مايو سنة ١٨٩٨ لم يكن عندها الا المبيض الايمن ليكوّن البويضات . وكتب الدكتور روث لي بعد ذلك ان هذه المرأة حملت وخلفت ذكراً في ابريل سنة ١٨٩٩

ويصف الدكتور ماكنوتن جونس حالة حمل بعد استئصال المبيض الايسر والبوق الايسر في فبراير سنة ١٩٠٣ وجد في اثناء العملية ان المبيض الايسر في حجم البرتقالة ممتلىء بالدم . وهذا الكيس المبيضي الايسر استؤصل مع البوق الايسر استئصالاً كاملاً . ثم بعد ذلك انقطع حيضها ووجدت انها حامل وولدت ذكراً في مايو سنة ١٨٩٦ » اهـ

وقس على ذلك عدة حوادث من هذا النوع اوردها الدكتور دوسون . وعقد فصلاً للولادة في الارحام غير الطبيعة لتأييد رأيه . فلو كانت ادلته هذه مضطردة بلا مناقض لثبت رأيه قطعيًا لكنه ذكر حوادث حمل بذكور من المبيض الايسر وبالعكس بدليل وجود الجسم الاصفر في احدهما او في كليهما معاً . وقد علل ذلك بما سماه مهاجرة البويضة او غير ذلك . ومهما يكن من قوة دفعه او ضعفه فان هذه الحوادث تضعف ادلته على اثبات رأيه او تجعلها غير قطعية حتى تثبت بتوالي التجارب

اما الدكتور دوسون فيراها قضية مسلمة وقد بنى عليها امكان التنبؤ عن نوع الطفل الآتي هل هو ذكر او انثى . ولكنها في نظرنا تحتاج الى اثبات ايضاً

مرسوم السلطان خشقدم

احد سلاطين المماليك بمصر توفي سنة ٨٧٣ ﻫ

اكتشاف أثري عربي

عثر الاستاذ صوبرنهيم الالماني سنة ١٩١٠ في سوق العتبة الزرقاء في اسيوط على لوحة من الرخام عليها نقوش عربية مؤلفة من سبعة اسطر بخط النسخ المتقن وهي مركبة في حائط . فلم يستطع قراءتها جيداً فبعث بحل رموزها الى الاستاذ علي بك بهجت وكيل مصلحة الآثار العربية والعضو في المجمع العلمي المصري . وهو اقدر من عرفناه بمصر في قراءة الخطوط العربية الاثرية فقرأها وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما رسم به المقام الشريف السلطان الملك الظاهر ابو سعيد خشقدم عز نصره للمقر الاشرف الكريم العالي الزيني امير استادار العالية عظم الله شأنه بابطال الاطرون عن اسيوط حسبما رسم بذلك بشفاعة سيدنا الشيخ الصالح فريد عصره شجاع الدين نفعنا الله ببركته . ولعنة الله على من يتحدث في اعادته »

ويؤخذ من نص هذا المرسوم او الدكريتو ان السلطان خشقدم ابطل احتكار النطرون . وهو المعدن الذي يستخرج من بعض المناجم بمصر . وكان لا يزال مباحاً منذ فتح العرب مصر حتى صار الخراج الى ابن المدبر في اواسط القرن الثالث للهجرة فجعله ملكاً للحكومة . وما زال من ضمن وارداتها حتى ابطله السلطان خشقدم المذكور كما رأيت بشفاعة الشيخ صالح وشدد في ذلك حتى لعن من يتحدث في اعادته

الصراحة في القول

عنوان الاخلاق الراقية

النهضة الاجتماعية السياسية

في مصر الان نهضة اجتماعية سياسية يقتدي اصحابها بالامم المتمدنة في طلب الدستور او اشراف الامة على اعمال الحكومة . ويتذرعون الى ذلك باسباب مختلفة فبعضهم يرجو الوصول اليه بالمطالبة والاحتجاج . وآخرون يظنون الثروة واتساع المزارع تضمن لهم ذلك . والبعض الآخر لا يرى سبيلاً اليه بغير العلم . والراي الاخير اقرب الى الصواب . ولكن الباحث في نواميس الاجتماع وقواعد الارتقاء لا يرى العلم كافياً لنيل هذه البغية ان لم يقرن بالتربية . اوهي مقدمة عليه . نعني تربية الاخلاق فان الامة مهما بلغ من ثروتها وعلمها فلا فائدة من صياحها في طلب الدستور او غيره من الرقي السياسي ان لم ترتق اخلاقها بالتربية والتهذيب

وللاخلاق الراقية شروط كثيرة ترجع الى صدق المعاملة وعلو الهمة واستقلال الفكر ومعرفة الواجب وتنزيه النفس عن الدنايا وترويضها بالاداب الصحيحة . واهمها في نظرنا صدق اللهجة والشجاعة الادبية . وتبدو باجلى مظاهرها في « الصراحة في القول » وهي من قبيل الجرأة في الراي التي بسطنا الكلام عنها في الهلال الرابع من هذه السنة . وانما افردنا هذا الفصل للصراحة خاصة لاننا نرانا في اشد الحاجة اليها لما اثقل كواهلنا بتوالي الاجيال من القيود السياسية التي اذلت نفوسنا واضعفت اخلاقنا فتعودنا المداجاة والمسايرة وعبرنا عن ذلك « بالمجاملة » وعددناها من الاداب الشرقية . وما هي الا صورة مزوقة للمداجاة والمواربة . فاصبحنا اذا سئل احدنا عن رأيه في امر نظر في ما يكون من تأثير جوابه على عواطف السائل — بقطع النظر عن الصواب او الخطأ . فاذا كان رايه مخالفاً لما يرضي السائل عدل عنه الى ما يرضيه وان خالف الواقع

ولو وقفت المجاملة عند تلطيف الاسلوب مع صدق القول لكان خيراً ولكنها يغلب ان تجاوز ذلك الى المداجاة والرياء . وليست المداجاة من الاخلاق الفطرية الطبيعية لان الانسان من فطرته صريح القول صادق اللهجة اذا سئل عن امر فاول ما يتبادر الى ذهنه ان يقول ما يعتقده . واذا راى عوجاً في عمل اندفع من نفسه

ليظهر استنكافه منه — كذلك شأن اهل البادية الذين تعودوا اباء الضيم واستقلال الفكر ولم تشبهم مظالم المدنية ومفاسدها . وفي تاريخ الاسلام شواهد كثيرة على ما كان من جرأة العرب في صدر دولتهم حتى كانوا ينتقدون الخلفاء والامراء بصراحة ولا يرى هؤلاء باساً بانتقادهم . ثم ذهبت تلك الانفة بتوالي الظلم والخسف ولا سيما في الاجيال الاسلامية الوسطى وخصوصاً بمصر في زمن المماليك . فقبل القرن التاسع عشر والعامة تساق كالانعام لا ارادة لها ولا حرية ولا رأي . فهي طبعاً بعيدة عن الصراحة في القول

فلما اخذنا باطراف المدنية الحديثة وذقنا طعم الحرية ورأينا ما صار اليه العالم المتمدن من التربية الراقية تحت الحكم الدستوري وكيف صار للامة صوت وانفتحت ابواب الرقي للعامة على نسبة اجتهادهم وسعيهم اخذنا نحذو الامم المتمدنة وننسج على منوالها في اسباب المدنية و لاجتماع كما تحدتها حكومتنا في القواعد الدستورية . فتناولنا كثيراً من اسباب تمدنها كالعلم والصحافة والطباعة والاقتصاد وغيرها . وزعمنا انا بلغنا شأوها — وقد يكون ذلك صحيحاً في كثير من اسباب هذه المدنية الا « الصراحة في القول » فاننا لا نزال في حاجة اليها . وهي ترجع الى وجهين الاول الصراحة في النصح او الرأي والثاني في المعاملة

١ — الصراحة في النصح او الرأي

اذا سألت اوربياً او اميركياً عاقلاً عن رأيه في شأن من الشؤون لا يستنكف من التصريح بما يخطر له ولو كان في قوله ما يسوءك او يغضبك . وهي حرية في القول لا مشاحة في انها من الفضائل الناجمة عن التربية الصحيحة . واما اذا وجهت ذلك السؤال الى شرقي فقد يدرك منه نحو ما ادركه ذاك لكنه يستنكف من التصريح لك برأيه فجأة فيجعل جوابه لطيفاً يتخلله ما يخفف غضبك من الاعذار وهو ما يعبر عنه بالمجاملة . ولا بأس من المجاملة اذا وقفت عند هذا الحد واقتصرت على لطائف المعاملة بل هي تفضل على الحرية الجافية

اما المجاملة على ما نراه شائعاً بيننا فقد خرجت عن اللطف الى المداجاة . فهي لذلك مجلبة للاضرار بل هي سوس ينخر في جسم العمران فتضل الناس وتسيء التعامل فلا يثق الانسان بنصيحة ولا يركن الى راي . وقد تقود الى الغرور وخصوصاً في حديثي العهد في مخالطة الناس فينخدعون بما يسمعونه من امتداح اعمالهم فيتمادون الى ما لا تحمد عقباه . وهم معذورون لانهم لا يسمعون نصحاً صحيحاً بل لا يسمعون الا اطناباً واطراء

من منا اذا راى صديقه او جاره في ضلال يجرأ على التصريح له بخطائه او يرشده الى ما يعتقد فيه الصواب . ولو جاءه ذلك الصديق مستشيراً او مستنصحاً فأول ما يتبادر الى ذهنه ان يوافقه على رايه او يطري عمله . ويعد ذلك من المجاملة او « الادب » ولو كان اعتقاده يخالف ذلك . وهو لا يتعمد اذى صاحبه او خداعه لكنه يخشى غضبه او ان يظن فيه الجفاء فيداجيه باسم المجامله والالطف

وقد يقع ذلك الخطأ من جماعة كبيرة كأن يساق الجمهور بجهله او عواطفه او تعصبه الى ثورة او نقمة او يتخذ في تصرفه خطة يخشى عليه من عواقبها . فاذا كان زعماؤه واصحاب الكلمة النافذة فيه مستقلي الفكر صريحي القول عارضوه ونصحوه وبينوا له خطأه على صفحات الجرائد او على المنابر فيرجع عن غيه ويكتفي مؤونة الخطر . فهل يفعل كتابنا او زعماؤنا ذلك دائما او غالباً ؟ نعم انهم يفعلونه ولكن نادراً — لان اكثر ارباب الاقلام عندنا يجعلون نصب اعينهم قبل كل شيء ان يكتسبوا رضى القراء فيكتبون لهم ما يرضيهم من الاراء السياسية او الاجتماعية او الدينية — فيضربون لهم على وتر الدين او الجنس او غيرهما من الاوتار الحساسة ويكفيهم من وراء ذلك تصفيق الغوغاء لهم واقبالهم على ما يكتبون . واذا خالفهم كاتب في رأيهم حملوا عليه واتهموه بنقائص تهيج عليه غضب العامة . فلوكانوا يفعلون ذلك عن اعتقاد لكانوا ناصحين مخلصين — وهي الصراحة في القول التي ننشدها . ولكن فيهم من ينصر راي العامة لمجرد ارضائهم . لان جرائدنا تعول في رزقها على مشتركيها واكثرهم من العامة فيندر من يثبت من ارباب الاقلام في معارضة عواطف الجمهور بل هم يسيرون مع تيارالعواطف على اعتقاد منهم انهم يخدمون الراي العام . فصحافتنا وان كان كتابها من خيرة الادباء والبلغاء فان بعضها خاضع لارادة العامة التي يسمونها الراي العام تقليداً للامم المتمدنة

ان للراي العام في اوربا شأناً عظيماً وهناك جرائد تنطق بلسانه . ولكن هل في مصر او غيرها من المملكة العثمانية رأي عام ؟ لا ادري . واذا صح وجود هذا الراي عندنا فهو غير ما نعرفه عند الاوربيين . ويختلف عنه باختلاف حال عامتنا عن احوال عامتهم . ولا بد في كل حال من احترام الرأي العام ولكن لا ينبغي الاستسلام له عندنا لان عامتنا لا يزالون اطفالاً في السياسة ولا بد من نصحهم وارشادهم ريثما يشتد ساعدهم ويكون لصوتهم تأثير فعلي في الدولة اذا اجمعوا على امر وتمسكوا به لم تر الدولة بداً من مجاراتهم . وقد راينا بالاختبار انهم لا يزالون بعيدين عن ذلك

فواجبات الكاتب الحر ان يقول فكره بصراحة . ولا ننكر صعوبة ذلك على كتابنا لان صحافتنا تختلف عن صحافة اوربا كما تختلف عامتنا عن عامتهم . ومركز الصحافي الشرقي من اصعب المراكز ولذلك فلا يستطيع النبوغ في هذه الصناعة عندنا الا اصحاب المواهب القوية لان من اصعب الامور على كاتبنا ان يرضي قراءه وهم مختلفون في كل شيء من حيث التربية والمذهب والمشرب والغرض . فاذا اضفت الى ذلك ارضاء ضميره وجدت للصحافي العربي بعض العذر في تقصيره عن زميله الافرنجي . ولكن لا بدّ من التضحيـة في سبيل الخدمة العامة ولا يكون ذلك الا بالصراحة في القول وصدق اللهجة . وقد ضحى الافرنج وقاسوا كثيراً من عذاب السجن والفقر في سبيل الدفاع عن الحق قبل ان وصلوا الى هذه الدرجة من الرقي . لكنهم خدموا امتهم ودولتهم

واعتبر ضرر المجاملة ايضاً في ما يُعرض على الصحف او رجال العلم من المؤلفات او المقالات للانتقاد او التقريظ فيتهيبون من نقدها مخافة من ان يغضبوا اصحابها لانهم لم يتعودوا سماع الطعن في اقوالهم . فاول ما يخطر للكتاب عند الاطلاع على كتاب او مقالة او قصيدة ان يمدحوها ويطروا عمل صاحبها وهو التقريظ . وقد يفعلون ذلك باسم « التنشيط » لئلا تضعف عزيمة المؤلف — وهو قصد حسن . لكن الانتقاد اذا احسن اسلوبه وروعيت شروطه كان اوقع في نفس العاقل واكثر فائدة للكتاب والقراء . لان المؤلف اذا كان حديث العهد في التأليف وسمع الاطراء والثناء فقط خدع وغلب عليه الغرور . ومن الضرر الفاحش ان لا يسمع الانسان غير الاطراء والمدح في اعماله واقواله اذ لا يُعهد الكمال في شيء من اعمال البشر

وقس على ذلك اطراءهم مناقب اصدقائهم واعمالهم . فانك لاتجد رجلاً ينتقد على صديقه ما يرتكبه من الخطأ في تصرفه او معاملته وهو عالم بذلك لكنه لا يجرأ على التصريح به . او هو يقول لا يعنيني لكنهُ اذا غاب صديقه تناوله بالنقد والتعيير ولذلك قلنا في غير هذا المكان :

« اذا زعمت انك تعرف حقيقة منزلتك فقد طاش سهمك واخطأ زعمك . لان العين لاترى حدقتها والكف لاتستطيع القبض على معصمها . فكيف اذا باعد المتملقون بينك وبين الحقيقة — انك لا تزداد بذلك الا اغتراراً . وما التملق للبصيرة الاّ كالغشاوة للبصر لا يزداد صاحبها لا تعامياً . ولذلك فان اخلص محبيك من نبهك الى معائبك واعدى اعدائك من اطراك وداجاك . وهذا هو المراد من قول الشاعر

عداي لهم فضلٌ عليَّ ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا
هم عرفوني زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

واعقل الناس من يمهد لاصدقائه السبيل الى انتقاده بالتواضع ولين العريكة واحمقهم من يسدُّ باب الانتقاد بالعنفوان وادعاء الكمال

لو سمعت ما يقوله اصحابك في غيابك لتغيرت منزلتك في عيني نفسك وتغيرت منازلهم في نظرك . وربما عاديت بعض اصدقائك وصاحبت بعض اعدائك اذ قد يكون راي بعض هؤلاء فيك اجمل من راي اولئك . فكيف لو كُشفت لك سرائر الناس حتى عرفت مكنونات قلوبهم . انك لتغضُّ عند ذلك من بصرك اكباراً لما تقرأه في ضمائرهم على انك لو انصفت لعذرتهم جميعاً وقست ما تضمره من حقيقة رأيك فيهم على ما قد يضمرونه من حقيقة ارائهم فيك . فتقلع عن غرورك وتماديك . واسعد الناس حظاً من يعرف اقوال جلسائه فيه بعد ذهابه لانها اقرب الى الحقيقة من اقوالهم في حضوره فيستفيد من انتقادهم ما يصلح به شأنه . وغاية ما يبلغ اليه المرء من درجات الكمال ان يرى نفسه كما يراه الناس » اه

فما اجدرنا ان نعدل عن المداجاة او المجاملة ونعمد الى الصراحة في القول وهي عنوان الاخلاق الراقية

٣ — الصراحة في المعاملة

ونعني بها ان يكون الانسان صريحاً في معاملة الناس اي ان لا يعد وعداً او يقصد عملاً الا وهو مصمم على القيام به . وهذا ايضاً قليل بيننا فاننا نرى من آداب المجاملة ان لا نردَّ طالباً الا راضياً وان كنا لا ننوي القيام بما يطلبهُ منا فيكفينا ان نجيبه بالايجاب . فالافرنجي العاقل اذا سألته قضاء حاجة ولم يكن يستطيع قضاءها او لا يريد ان يقضيها قال لك حالاً اني لا استطيع ذلك او لا اريده . وقد يكون جوابه عنيفاً جافياً ولكنه خيرٌ من جواب الشرقي « حاضر » او « من عيني » او « على راسي » وهو يقول ذلك وينوي ان لا يفعل . وقد تخاطبه في هذا الشأن مثنى وثلاث ورباع وهو يختلق الاعذار ويجدد الوعود ولا يبالي بما تنفقه في سبيل الانتظار من الوقت وغيره — أليس ذلك من الرياء والخداع ولكننا الفناه وعددناه من قبيل الملاطفة وما هو منها في شيء

اذا كلفك صديقك امراً فاما ان تعده وتفي او ان تصرح له بعدم اقتدارك على القيام بطلبه فتترك له سبيلا للبحث عن مصلحته . ويدخل في هذا الباب الاخلاف

في المواعيد وخصوصاً مواعيد المقابلة فقد يعدك بعضهم بالمقابلة في الساعة الفلانية في المكان الفلاني وهو لا ينوي الوفاء او يترك ذلك للتقادير وانما كان وعده حياء منك . ومن الغريب ان لايستحي من إخلافه . وما اثقل ذلك على الغريب الذي يرى منا هذه المعاملة لاول مرة — على انه لا يلبث ان يألفها لكنه لن يستحسنها لما فيها من ضياع الوقت . ويسرُّنا ان نرى تحسيناً واضحاً في هذه العادة في الاعوام الاخيرة من فضل العلم والتربية ونتوقع التخلص منها كلها تدريجاً

وجملة القول اننا في اشد الحاجة الى تربية الاخلاق لان عليها تتوقف سعادة الامة اكثر مما على الثروة او العلم او غيرهما من ظواهر المدنيــة . والانسان الواحد يتوقف نجاحه في اعماله الخصوصية على اخلاقه اكثر مما على علمه — فكيف الامة . ولذلك قال الشاعر :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وافضل الاخلاق الراقية الشجاعة الادبية وعنوانها الصراحة في القول



باب السؤال والاقتراح

العدُّ والارقام

﴿ طهران ﴾ ميرزا حسن عبد المحسن النجفي

ذكرتم ان الارقام الشائعة في الشرق والغرب الآن اصلها من الهند . لكنكم لم تذكروا كيف توصل الانسان الى وضعها على هذه الصورة وما هو السبب في قسمتها الى عقود وكل عقد منها عشرة . ولماذا لم يجعلوا العقود خمسات او سبعات او اكثر او اقل . ونرجو ان لا تحيلونا على بعض السنين الماضية اذا كنتم قد نشرتم فيها شيئاً من هذا القبيل

﴿ الهلال ﴾ ان الانسان لم يضع هذه العقود عن اختيار وتواطؤ وانما سيق اليها بناموس النشوء والارتقاء فتولدت بالانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب . ولعله لو خير اليوم في العدد الذي يجعله عقداً لاختار العدد ١٢ لانه اسهل استخداماً بالنظر الى

سهولة انقسامه على ٢ و٣ و٤ و٦ ولكنه سبق الى اتخاذ عقوده من العشرات . لانه اول ما احتاج الى العدد في اقدم اطوار عمرانه استعان باصابعه فكان اذا اراد ان يشير الى ان في الزريبة مثلاً عنزتين اومأ باصبعين فاذا صار العدد خمسة سماه « يداً » واذا صار ستة عبر عنه بما يشبه قولنا « يد واصبع » او سبعة قال « يد واصبعان » . ويغلب ان يبدأ بالابهام فيقول « يد وابهام »

ويؤيد ذلك ان بعض قبائل الزولو لا يزالون الى الآن يعبرون عن الستة بقولهم « تيستيبيو » اي « آخذ الابهام » وواضح ان الاصل فيها ان الحاسب بعد ان عدّ اصابع اليد الواحدة بدأ بابهام الاخرى . وبديهيٌ انه بعد ان ينتهي من اصابع اليدين يعمد الى اصابع القدمين حتى يبلغ العدد ٢٠ فيقف متحيراً ويغلب ان يسمي العدد خمسة « يداً » ومتى تجاوز العشرة سماه « قدماً » ومتى صار العدد عشرين سماه « رُجلاً » اي انساناً كاملاً . ويشبه ذلك ما ذكروه عن لغة قبيلة تاماناك على ضفاف اورينوكو في جنوبي اميركا فانهم يعبرون عن الخمسة بلفظ معناه « كل اليد » وعن الستة فما بعدها بما معناه « واحد من اليد الاخرى » و« اثنان من اليد الاخرى » الخ . فاذا بلغوا العشرة قالوا « كلتا اليدين » ويعبرون عن احد عشر وما بعدها بقولهم « واحد من القدم » و « اثنان من القدم » الى ١٥ فاذا تجاوزها قالوا « واحد من القدم الاخرى » اي ١٦ وهكذا الى العشرين . فاذا بلغوا اليها قالوا « رُجل » ويليها « واحد الى يد رجل آخر » اي ٢١ ولا يزالون على مثل ما تقدم الى الاربعين فيقولون « رجلان » وهكذا الى ثلاثة رجال واربعة الخ

فاذا علمت ذلك هان عليك السبب في اتخاذ العشرة عقداً بدلاً من ١٢ على ان بعض قبائل السنيغال يجعلون العقد عندهم خمسة فيعدون الى الخمسة ثم يقولون خمسة وواحد . خمسة واثنان الخ كما تقول نحن احد عشر اثنا عشر . ومثل ذلك لا يزال جارياً في كتابة الارقام الرومانية فهم يعدون الى الخمسة وهي عندهم الحرف V وللتعبير عن الستة يضيفون اليه واحداً VI كانهم يعدون كما يعد اهل السنيغال . وللسبعة يضيفون اثنين VII وربما وجدت أمم تعد بمضاعفات العشرين . والظاهر ان بعض أمم اوربا كانوا يفعلون ذلك ولا تزال آثاره ظاهرة في بعض لغاتهم . فان الانكليز يعبرون عن الستين بقولهم Three scores اي ثلاثة عشرينات وعن الثمانين بقولهم Four scores اربعة عشرينات . وكذلك يفعل الفرنساويون فان الثمانين لا يعبرون عنها الا بهذا النسق فهي عندهم Quatre vingts وقس عليه

فيؤخذ مما تقدم ان الخمسة او مضاعفاتها العشرة والعشرين هي الاصل في وضع العقود وان بعض الامم اتخذت الخمسة وبعضها العشرة والبعض العشرين ولكن العشرة تغلبت فبقيت وعليها الاكثرون

اما الارقام فاختراعها خطوة كبيرة في الرياضيات ولا نعرف مخترعها ولا كان وجودها على سبيل الاختراع دفعة واحدة . ولكنها تدرجت اليه رويداً رويداً عملاً بناموس الارتقاء . والراجح ان اسلافنا الاقدمين لما ارادوا تدوين الاعداد عبروا عنها بالخطوط فدلوا على الواحد بخط وعلى الاثنين بخطين وعلى الثلاثة بثلاثة خطوط ١١١ وهكذا الى العشرة كما يفعل كثير من البسطاء حتى الآن . واما صور تلك الارقام فقد تقلبت بتقلب الزمان فاتخذ بعضهم الحروف الابجدية للتعبير عنها فجعلوا الالف واحداً والباء اثنين الخ وهو المشهور حتى الآن بحساب الجمل ومثل ذلك فعل سائر الامم . ثم انتشرت الارقام المشهورة والافرنج يسمونها الارقام العربية لانها اتصلت اليهم بواسطة العرب وهؤلاء اخذوها من الهنود فسموها الهندية

بقي علينا البحث في توصل الانسان الى كيفية العد على ما هو عليه الآن . ويسهل ذلك علينا اذا تدبرنا حال بعض الامم المتوحشة من هذا القبيل . فلو اتيت بلاد الزنج في اواسط افريقيا لرأيت تجارهم يعدون امتعتهم او اغنامهم او دراهمهم بالحصى يجمعونها خمسات الواحدة بازاء الاخرى ثم يعدون كم خمسة فيها . واما اهل جزائر البحر الجنوبي فانهم يحسبون معدوداتهم بالحصى عشرات فاذا تمت العشرة عوضوا عن حصاها بقطعة صغيرة من ساق جوز الهند . فاذا صارت هذه القطع عشراً عوضوا عنها كلها بقطعة كبيرة . فكانهم جعلوا لكل من الآحاد والعشرات والمئات علامة

عيد الفصح

﴿ الاسكندرية ﴾ سعيد افندي الخوري

تعيد الطوائف المسيحية عيد الفصح المبارك في هذا العام معاً في يوم واحد . ولا يتفق ذلك الا كل بضعة اعوام ولا يسير على وتيرة واحدة من حيث يوم العيد او تاريخه فما هو سبب هذا الاختلاف

﴿ الهلال ﴾ ان السبب في ذلك اشتراك اليهود في هذا العيد واختلاف اشهرهم عن اشهرنا. فقد كانوا يعيدونه في ١٤ نيسان القمري من كل عام تذكاراً لخروجهم من

مصر ولا يزالون يفعلون ذلك الي اليوم • فلما جاءت النصرانية اقتبس اصحابها كثيراً من الطقوس القديمة وفي جملتها عيد الفصح • فالذين تنصروا من اليهود ظلوا يحتفلون بالفصح وجعلوه تذكاراً لقيامة المسيح لانه صلب ليلة الفصح وسموه ذبيحة الفصح وهو يوم ١٤ نيسان القمري — بدون تقييد باليوم الاسبوعي • ولكن بين المتنصرين جماعة من غير اليهود فقدسوا اول يوم من الاسبوع الذي قام به المسيح من الموت وهو يوم الاحد بقطع النظر عن تاريخ الشهر سواء وقع في ١٠ او ١٤ او ٢٠ منه • فانقسمت الكنيسة بهذا الاعتبار الي فئتين الواحدة تعيد باعتبار يوم الاسبوع والأُخرى باعتبار تاريخ الشهر

وحاول آباء الكنيسة الاتفاق عَلَى يوم يعيدون فيه فجرَّهم الجدال الى الخلاف وظلت الاعياد فوضى حتى انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م للنظر في امور كثيرة من جملتها عيد الفصح فقرر ان يكون في يوم واحد عند كل الكنائس المسيحية وهاك خلاصة قرارهم :

(١) يجب ان يحتفل بعيد الفصح في يوم الاحد

(٢) ان هذا الاحد يجب ان يكون اول احد يأتي بعد ١٤ من الشهر القمري الفصحي • فاذا اتفق وقوع ١٤ من هذا الشهر في يوم احد فالفصح يكون في الاحد التالي

(٣) ان المراد بالقمر الفصحي هو الشهر القمري الذي يقع ١٤ منه في يوم الاعتدال الربيعي اوما يليه

(٤) ان الاعتدال الربيعي (الحقيقي) هو يوم ٢١ مارس من كل سنة

ولما كان استخراج يوم الفصح عَلَى هذه الشروط يستلزم مهارة في علم الفلك تركوا استخراجه وتعيينه لفلكي الاسكندرية • وكانت الاسكندرية يومئذ مرجع علماء الفلك فاناطوا باسقفها استخراج عيد الفصح بالحساب الفلكي كل سنة واصداره الى سائر الكنائس

وكان ذلك القرار كافياً لاجماع الكنائس عَلَى الاحتفال بعيد الفصح في اول احد يأتي بعد ١٤ من الشهر الفصحي • ولكنهم ما زالوا في ريب من كيفية استخراج الحساب من حيث الكبس واعتبارات اخرى يطول شرحها نذكر بعضها على سبيل المثال

يؤخذ من قرار مجمع نيقية المتقدم ذكره ان ١٤ نيسان « او الشهر الفصحي » لا يجوز ان يقع قبل ٢١ مارس فالفصح لا يمكن ان يكون قبل ٢٢ مارس • فاذا وافق ١٤ من الشهر الفصحي ٢١ مارس كان اول ذلك الشهر في ٨ مارس فاذا اتفق ان هلاله ظهر في ٨ مارس فالرابع عشر منه يكون ٢٠ مارس اي قبل الاعتدال الربيعي بيوم واحد • فلا يجوز والحالة هذه ان يعتبر هذا الشهر الشهر الفصحي بل الشهر التالي لان ١٤ منه وقع قبل

الاعتدال الربيعي والشرط ان لا يقع قبله . وعند ذلك فالرابع عشر من الشهر القمري التالي يوافق ١٨ ابريل (اي ٢٩ يوماً بعد ٢٠ مارس) ثم اذا اتفق ان يكون ذلك اليوم يوم احد فلا يجوز ان يكون هو يوم الفصح بل الاحد التالي لان الشرط ان يكون اول احد بعد ٢٤ من الشهر الفصحي فيقع العيد في ٢٥ افريل وبناء على ذلك فان عيد الفصح لا يقع قبل ٢٢ مارس ولا بعد ٢٥ افريل

وسبب هذا التعقيد اختلاط التقويم العبري واختلاف سنيه في تعداد ايامها واختلاف مواقع الشهور . لان الاشهر العبرية قمرية كاشهر الهجرة ولكن اليهود يريدون ان تطابق اشهرهم فصول السنة بقدر الامكان فيضيفون شهراً الى كل ثلاث سنين ويزيدون كل سنة يوماً او اكثر لتقع اعيادهم في بعض ايام الاسبوع فيختلف عدد ايام السنة عندهم اختلافاً عظيماً حتى اصبحت انواع سنيهم ستة وهي :

(١)	سنة	اعتيادية	ناقصة	عدد ايامها	٣٥٣
(٢)	«	»	قياسية	» »	٣٥٤
(٣)	«	»	زايدة	» »	٣٥٥
(٤)	«	كبيسة	ناقصة	» »	٣٨٣
(٥)	«	»	قياسية	» »	٣٨٤
(٦)	«	»	زايدة	» »	٣٨٥

فاذا عرفت ذلك اتضح لك ما يعترض التدقيق في استخراج عيد الفصح من العقبات مع اعتبار اختلاف الحسابين الشرقي والغربي ووقوع الاعتدال الربيعي بالنظر الى ١٤ نيسان القمري في كل من الحسابين . وقد فصلنا ذلك واتينا عليه بالامثلة في السنة السابعة من الهلال صفحة ٤٦٨

هل النبات يحس ويتحرك

❊ القاهرة ❊ محمود افندي مصطفى الحسيني

سمعت بعضهم يتحدث عن نبات شاهده في حديقة باريس في اوراقه حساسة قال انه اذا لمسها انقبضت كانها احست باللمس . فاستغربت قوله فهل هو صحيح

❊ الهلال ❊ في النبات ضرب من الحس والحركة يظهر في بعض انواعه واضحاً حتى ذهب بعض علماء النبات الى ان في النبات حساً تشله الكهربائية كما تشل الحس في الحيوان

اليعاقبة

﴿ مونتريال . كندا ﴾ جرجي افندي حنا جرجور
من هم السريان اليعاقبة الارثوذكس وما هو تاريخهم

﴿ الهلال ﴾ هم طائفة من النصارى السريان منتشرة في سوريا وما بين النهرين والعراق . ويمتازون عن سواهم من طوائف النصرانية انهم يقولون بان للسيد المسيح طبيعة واحدة . وقد انفردوا ببعض الطقوس من حيث اعداد القربان ورسم علامة الصليب وطريقة انتخاب البطارقة والاساقفة ويسمون رئيسهم «البطريرك الانطاكي» وان كان مقره غالباً في ديار بكر . وتحت البطريرك اسقف يعرف في اصطلاحهم بالمفريان وله نوع من الرئاسة في القسم الشرقي من الكنيسة . ولا يمكن الوصول الى احصاء هذه الطائفة بالضبط لكنها لا تزيد على نصف مليون نفس في اكبر تقدير

نشأت هذه الطائفة في اواسط القرن السادس للميلاد . وهي تنسب الى مؤسسها الاسقف يعقوب البرادعي وقد يسمونه زنزالوس . اصله من تيلا ترهب في القسطنطينية ثم سيم اسقفاً سنة ٥٤١ م وانتقل الى الشرق وطاف في اسيا الصغرى ومصر وسوريا وفي جزائر البحر المتوسط وهو يبشر بالطبيعة الواحدة . فقضى نحو اربعين سنة في الوعظ والتبشير والجدال والتعليم . وشاهد نجاح عمله بحياته فسام بطريركين و٢٧ اسقفاً ونحو مئة الف كاهن وشماس . فشق ذلك على السريان النساطرة وهم يومئذ طائفة ذات شأن في تلك البلاد

ومن جملة الاساقفة الذين اعانوا يعقوب في نشر دعوته احوديما اسقف تكريت وكان من العلماء واهل التقوى . فدخل مملكة فارس في ايام كسرى انوشروان وتقرب من بلاطه بعلمه وفضله ويقال انه تمكن من ادخال احد ابناء كسرى في دعوته وعمده وسماه جيورجيوس فغضب عليه كسرى وسجنه وقتل في السجن سنة ٥٧٥ م

واشتهر جماعة من المبشرين باليعقوبية خرجوا من طور عابدين في ايام كسرى هذا يبشرون ويعظون في بادية الشام بحماية الغساسنة يلاقون المسافرين في الطرق التجارية بين الشام والعراق ومصر . يبثون تعاليمهم في الاسرى الرمانيين او السوريين وهم كثار يومئذ في ما بين النهرين والعراق . لان كسرى انوشروان كان من عادته ان ينفي المغضوب عليهم من رعاياه الى هناك . فينزلون دجلة والفرات زرافات فيتلقاهم دعاة اليعقوبية بالتبشير والوعظ فيدخلون في مذهبهم لانهم يرون فيه تعزية . واتصلوا

بالتدريج الى ان اكتسبوا رجلاً من المقربين الى رجال الدولة الفارسية يسمى حزقيال وكان شديد الغيرة على هذا المذهب

وتوفي انوشروان سنة ٥٧٩ م وقد طال حكمه فخلفه ابنه هرمزد وكان خفيف الوطأة على النصارى فسهل على اليعاقبة نشر دعوتهم . وفي ايامه توفي حزقيال فخلفه غيره وغيره نذكر منهم « يشوع يهب » وهو من اقليم بيت عرباية تثقف في نصيبين وهي في ابان شهرتها وقاسى في سبيل تأييد هذا المذهب عذاباً شديداً يطول شرحه آل الى نفي اليعاقبة من مملكة الفرس فأووا الى تكريت على دجلة والى مار متى . واثار الاضطهاد نفوسهم فجعلوا يهتمون في نشر دعوتهم وبذلوا جهدهم في ادخال النعمان صاحب الحيرة في مذهبهم ليتقووا به فلم يفلحوا فاخذوا ينشرون دعوتهم في ارمينية وجبل عزلا وغيرها

ووفقوا في أثناء ذلك الى طبيب اسمه جبرائيل الشجاري كانت له مكانة عند ملك الفرس فاخذ الطبيب جانبهم وكان قد اعتنق مذهبهم من صغره وله شأن عظيم في تاريخهم . واستقر مذهب اليعقوبية في كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسوريا وقبرص وفلسطين وبلاد الارمن ومصر والحبشة . وانقسم اصحابه الى ثلاث فرق : السريان والارمن والمصريين . فالسريان كان عندهم ١٦ اسقفاً وبطريرك انطاكي يسمى دائماً اغناتيوس ومركزه في ماردين . والارمن لهم بطريرك يقيم في استراغ ويسمى العام . واما مصر فقام الشعب الوطني فيها وهم الاقباط واقاموا طائفة لوحدهم تحت ادارة بطريرك خاص . وابطلوا من خدمهم الدينية اللغة اليونانية وسموا الروم الارثوذكسيين بالملكيين اشارة الى انهم تبعوا الملك . فعدَّ الروم ذلك خروجاً من طاعتهم فاضطهدوا اليعاقبة . ثم ان الحبشة اقتفت أثر بلاد مصر لدواع سياسية . وقامت كنيستها تحت ادارة متروبوليت مستقل يسمونه « ابونا »

ولما جاء الاسلام وحمل العرب على فارس في اوائل القرن السابع للميلاد كان اليعاقبة قد استقرت شؤونهم وتقربوا من البلاط الفارسي وتكاثروا وفي نفوسهم غلٌ على هرقل صاحب القسطنطينية . فلما حمل المسلمون على بلاده في ما بين النهرين والشام ومصر لم يحرك اليعاقبة ساكناً في نصرته وربما اعانوا عدوه عليه . ولما استقر الامر للمسلمين كان اليعاقبة في جملة من خدمهم في التطبيب او نقل العلم او غير ذلك ثم انقسموا على انفسهم فانضمت طائفة منهم الى الكرسي البابوي بالتدريج من القرن الثاني عشر للميلاد . ولا يخفى ما في هذا التدريج من التشويش على المؤرخ في

تحقيق تواريخ رؤسائهم او تحديد انتسابهم الى رومية او غيرها لاجتهاد كل فرقة في ادعاء الحق لنفسها مما لا محل له هنا

قصيدتان

في حفلة اعانة منكوبي بيروت

سئم الايطاليان مما اصابهم من مقاومة العثمانيين في طرابلس الغرب وطلبوا الصلح من الدولة العثمانية فلم توافقهم الا بشرط ان يخلوا طرابلس ويرجعوا بخفي حنين. فغضبوا واخذوا يعاكسونها في البلاد الاخرى لعلها ترضى بالصلح مرغمة. فحملوا على بيروت في اواخر فبراير الماضي واطلقوا قنابلهم على سفينتين عثمانيتين في ميناها فاغرقوهما. وقتل بسبب ذلك سبعون نفساً وجرح نحو مئتين ممن لا ذنب لهم. فاخذت الاريحية دولة البرنس محمد علي باشا شقيق الجناب العالي لاعالة اولئك المنكوبين. فتألفت في القاهرة لجنة من نخبة الوجهاء واهل الغيرة تحت رئاسة دولته احيت ليلة خيرية في الاوبرا الخديوية في ١٩ مارس الماضي اشترك في احيائها الادباء والشعراء والخطباء والممثلون. وتسابق اهل السخاء الى بذل المال مما دلَّ على اشتراك مصر والشام في العواطف والمصالح. ولدولة البرنس الفضل الاكبر في تأكيد العلائق المتبادلة بين القطرين. وفي جملة ما قيل في تلك الحفلة قصيدتان عامرتان احداهما لشوقي بك والاخرى لخليل افندي المطران فأثرنا نشرهما تذكاراً لذلك الاحتفال

١ — قصيدة شوقي

يا رب امرك في الممالك نافذٌ — والحكم حكمك في الدم المسفوك

ان شئت اهرقه وان شئت احمه — هو لم يكن لسواك بالمملوك

واحكم بعدلك ان عدلك لم يكن — بالممترى فيه ولا المشكوك

ألِاجال آجالٍ دنت وتهيأت — قدَّرت ضرب الشاطىء المتروك

ما كان يحميه ولا يحمى به — فُلكانِ انعم من بواخر «كوك»

هذي بجانبها الكبير غريقة — تهوي وتلك بركنها المدكوك

بيروت مات الاسدُ حتف انوفهم — لم يشهروا سيفاً ولم يحموك

سبعون ليثاً احرقوا او اغرقوا ... يا ليتهم قتلوا على « طبروك »
كل يصيد الليث وهو مقيد ... ويعز صيد الضيغم المفكوك
يا مضرب الخيم المنيفة للقرى ... ما انصف العجم الاولى ضربوك
ما كنت يوماً للقنابل موضعاً ... ولو انها من عسجد مسبوك

***

بيروت يا راح النزيل وانسه ... يمضي الزمان عليَّ لا اسلوك
الحسن لفظ في المدائن كلها ... ووجدته لفظاً ومعنى فيك
نادمت يوماً في ظلالك فتية ... وسموا الملائك في جلال ملوك
ينسون (حساناً) عصابة (جلق) ... حتى يكاد بجلق يفديك
تالله ما احدثت شراً أو اذى ... حتى تراعي او يراع بنوك
انت التي يحمي ويمنع عرضها ... سيف الشريف وخنجر الصعلوك
ان يجهلوك فان امك (سوريا) ... والابلق الفرد الاشم ابوك
والسابقين الى المفاخر والعلى ... بابه المكارم والندى اهلوك
سالت دماء فيك حول مساجد ... وكنائس ومدارس و« بنوك »
كنا نؤمل ان يمد بقاؤها ... حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك في ربى النيل المبارك جيرة ... لو يقدرون بدمعهم غسلوك
يكفيك برءاً للجراح ومرهماً ... ان الامير « محمداً » يأسوك
لو يستطيع كرام مصر كرامة ... « لمحمد » بقلوبهم ضمدوك
هو في ابتناء المجد دورة جده ... اذكرت « ابراهيم » في ناديك ؟

شوقي

٢ — قصيدة المطران

وقد سماها تحية الشام

الى مصر أزفُّ عن الشآم ... تحيات الكرام الى الكرام
تحيات بعضُ الحمد منها ... فمَ النسمات عن عبق الخزام
ندبتُ لها وجرأني اعتدادي ... باقدار الدعاة على القيام
اذا ما كان معروف وشكرٌ ... مبادلة التصافي والوئام

فحباً ايها الوطنان اني وسيط العقد في هذا النظام
وسيط العقد .. لا عن زهو نفس اقلّ الراي يُلزمني مقامي
ولكن عن ولاء بي اكيد وعن رعي وثيق للذمام

***

اعرني ثغر بيروت ابتساماً اصغ فرض الجميل من ابتسام
ويا بحراً هناك اعر ثنائي نفيس الدر ينظم في الكلام
ويا غابات لبنان المفدى من الدوح المجدد والقدام
اراكِ على الكنانة عاطفات وقد ذكرت . اميلك من غرام؟
امديني بارواحٍ زواكِ لاقرئها الزكي من السلام
بلادي لا يزال هواك مني كما كان الهوى قبل الفطام
اقبل منك حيث رمى الاعادي رغاماً طاهراً دون الرغام
وافدي كل جلمود فتيت وهى بقنابل القوم اللئام
فكيف الشبل مختبطاً صريعاً على الغبراء مهشوم العظام
وكيف الطفل لم يقتل لذنب وذات الخدر لم تُهتك لذام
لعمر المنصفين ابعد هذا يلام المستشيط على الملام
لحى الله المطامع حيث حلت فتلك اشد آفات السلام
تشوب الماء وهو اغرُّ صاف وتمشي في المشارب بالسقام
ايقتل آمنٌ ويقال رفقهْ عليك فما حمامك باحمام
ستسعد بالذي يشفيك حالاً وتنعم بعد خسف بالمقام
فاما ان تعيش وانت حرٌّ فذاك من التغالي في المرام
واما ان تسامى في المعالي فطائشة بمرمك المرامي
مضى عهدٌ يجار الجار فيه ويؤخذ للحلال من الحرام
وهذا العهد ميدان التباري بلا حدٍّ الى كسب الحطام
مباح ما تشاء فخذه اما بحق الراي او حق الحسام
ولا تكربك نوحات الثكالى ولا شكوى ضميرك في الظلام

***

اساتذة المطامع ما ذكرتم هو الناموس يقدم وهو نام
فلا يضعف ضعيف او تراه لناب الليث يصلح في الطعام

فهمنا مأخذ الجاني علينا واعذار السواسية العظام
وان بديل عصر كان فيه عجاف القوم ملكاً للضخام
زمان ساد شعب فيه شعباً وانزله بمنزلة السوام
فقوم من ملوك كيف كانت مراتبهم وقوم من طغام
وبين العنصرين خلاف نوع على كون الجميع من الانام

***

اقول وقد اقق الشرق ذعراً من الحال الشبيهة بالمنام
على صخب الرواعد في حماه ورقص الموت بين طلى وهام
اقول بصوته لحماة دار رماها من بغاة الأرض رام :
اباة الضيم من عرب وترك نسور الشم آساد الموامي
قروم العصر فرساناً ورجلاً نجوم الكر من خلف القتام
بنا مرض النعيم فسموتنا وغى يشفي من الصفو العقام
بنا برد المكوث فادفئونا بحمى الوثب حيث الخطب حام
بنا عطل السماع فشنفونا بقعقعة الحديد لدى الصدام
لقد جئتم ببرهان عظيم على انا نعود على التمام
وانا ان جهلنا او غلطنا انفسنا انفسنا نعاتب باحتكام
وانا حيث فاتحنا كذوب بميعاد فطناً للختام
فان زينت لنا الاقوال عفنا تعاطيها كما كرة المدام

***

على هذا الرجاء ونحن فيه نسير موفقين الى الامام
مثولي رافعاً اجلال قومي الى «عباس» الملك الهمام
الى ملك التضامن والتآخي عميد الشرق من بعد «الامام»
وجهري جهد ما تسع المعاني بمدح شقيقه السنم المقام
منمّ امارة الاصل المعلى بفضل باذخ كالاصل سام
وادعو ان يعز الله مصراً ويوليها السعود على الدوام

خليل المطران

انها ستستمر في القيام بالهمة الموكولة اليها احسن قيام . وقد ارادت الحكومة تشجيعها فمنحتها مبلغاً قدره مائة الف جنيه لتستخدمه في نشر التعليم بين جميع الطبقات »

ثم افاض سموه في ذكر ما تم من اعمال الري والمصارف والسكك الحديدية والاعمال الزراعية وتعديل الضرائب والوسائل الاقتصادية والامن العام والقضاء والادارة ثم تخلص الى ذكر ما تنويه الحكومة من توسيع اختصاص النظام النيابي فقال حفظه الله :

« وبالجملة فان حكومتي باذلة منتهى وسعها في تحسين احوال البلاد مادياً وادبياً . ويسرني ان اخبركم ايها السادة بأنها موجهة اهتمامها للبحث عن الوسائل اللازمة لتحسين احوال النظام النيابي العام وجعله احسن مطابقة لمصلحة البلاد . ولما كانت هذه المسألة من الموضوعات التي تمس القوانين النظامية في البلاد فلا بد للسير فيها من كمال الروية والاحتياط وقد قررت من الآن في شأن حق سؤال النظار السابق منحه لاعضاء مجلس الشورى ان يكون بامر عال يصدر منا اجابة لرغباتكم . وفي الختم نتضرع الى المولى جل وعلا ان يوفقنا واياكم لخدمة البلاد بما فيه الخير والاسعاد آمين » اه

التمثيل في مصر

جوق جورج ابيض

ذكرنا في الهلال الثامن من السنة ١٨ ما كان من عطف الجناب الخديوي على فن التمثيل بالتفاته الخاص الى جورج افندي ابيض حتى انفذه لتلقي هذا الفن بباريس على نفقة سموه . فقضى خمس سنوات اتقن فيها هذا الفن وعاد سنة ١٩١٠ بجوق فرنساوي، مثل بضع ليال في الاوبرا على سبيل التجربة فاعجب به كل من شاهده وقد تمنينا يومئذ لو تصرف عناية هذا النابغة الى اتقان التمثيل العربي واحيائه . ولم نكن نشك في انه فاعل والامير اعزه الله يواليه بالتفاته وتنشيطه

ويسرنا ان تلك الامنية اوشكت ان تحقق بفضل سمو الامير . فألف الابيض جوقاً عربياً واخذ في تمثيل روايات منقولة الى العربية شهدنا منها في اثناء مارس الماضي روايتين احداهما رواية اوديب الملك لسوفوكلس اليوناني تعريب فرح افندي انطون صاحب مجلة الجامعة . ورواية لويس الحادي عشر لكازيمير دي لافين تعريب الياس

افندي فياض الكاتب الشاعر المشهور . وشهدنا من تقدم التمثيل العربي ما لم نعهد مثله من قبل . وقد استلفت نظرنا على الخصوص من الممثلين – غير جورج ابيض صاحب الجوق الذي عليه يتوقف امانا في احياء هذا الفن – عزيز افندي عيد وهو من نوابغ المطبوعين على هذا الفن . وعبد الرحمن افندي رشدي وقد اعجبنا منه على الخصوص انه ترك مهنة المحاماة التي كان قد اتقنها وانتظم في خدمة فن التمثيل للمرة الاولى في جوق ابيض . وقد ظهر لنا من حركاته انه مفطور على هذا الفن ويرجى نبوغه فيه وسيكون قدوة لسواه من الادباء في معاطاة صناعة التمثيل فيرفعون قدرها عندنا ويصير التمثيل فناً لا يستنكف الاديب من الاشتغال به . وممن اجاد ايضاً فؤاد افندي سليم ومحمد افندي بهجت

وقد استلفت انتباهنا من دلائل التقدم في هذا الفن سلامة اسلوب الروايات من الركاكة او التسجيع الذي كان شائعاً في كثير من الروايات التمثيلية العربية . والعدول عن ادخال الغناء في التمثيل لانه يخالف اصول هذا الفن – الا ما كان موقعه طبيعياً يقتضيه سياق القصه او المحادثة

ومما تحسن الاشارة اليه في هذا المقام ان التمثيل من الفنون التي اقتبسناها من اصحاب التمدن الحديث . وهو اول ما نقلناه من اسباب مدنيتهم . لان مؤسس هذا الفن في العربية المرحوم مارون نقاش مثل اول رواية عربية في بيروت سنة ١٨٤٨ قبل انشاء الصحف وقبل تأسيس المدارس الكبرى فيها . فلم يكن هناك يومئذ صحيفة عربية ولا مدرسة عالية لا كلية الاميركان ولا كلية اليسوعيين ولا المدرسة الوطنية . ولا نبغ البستاني ولا اليازجي ولا الشدياق من اركان النهضة العلمية في ذلك العصر

ومع ذلك فقد تكاثرت الصحف الآن وارتقت الصحافة وتعددت المدارس والكليات ونبغت طبقة من العلماء والادباء والشعراء وألفوا الكتب في فنون شتى . والتمثيل لم يخطُ خطوة تستحق الذكر مع رغبة الناس فيه وتحزبهم لاحيائه غير مرة . والسبب في ذلك ان هذا الفن ولا سيما في بلادنا لا يستغني في ارتقائه عن المساعدات المالية وليس اولى من الحكومة بذلك . فالتفات الجناب الخديوي الى جوق ابيض يضمن هذه المساعدة لانه ايده الله لم يلتفت الى هذا الفن ويأمر باحيائه تحت رعايته بمجرد رغبته الا وهو آخذ بناصره . وسيحفظ التاريخ ذكرى هذا الفضل لسموه بانه اول من نهض بفن التمثيل العربي على القواعد العلمية

بقي علينا أن نقول كلمة في الروايات التمثيلية التي توافق حاجتنا . ان الروايات

اليونانية ونحوها من الروايات المنقولة عن الافرنجية لا بأس من تمثيلها في العربية وهي مفيدة . لكننا نرى الحاجة امس الى تأليف الروايات العربية نقلاً عن التاريخ العربي او تمثيل العادات لعصرية وانتقادها . انما في اشد الحاجة الى ذلك فنستلفت نظر هذا الجوق الى هذه اوجهة من التمثيل المفيد فانه يعود الى تهذيب الاخلاق وتوسيع معارف الجمهور بتاريخ بلادهم وامنهم

الاقتصاد

صندوق التوفير بالبوسطة المصرية

ان صندوق التوفير الذي انشأته الحكومة المصرية لتدريب الجمهور على فضيلة الاقتصاد قد افلح وثماره تزداد ظهوراً في كل سنة . وهاك تقرير البوسطة المصرية عن ذلك الصندوق لسنة ١٩١١ وفيه ملاحظات هامة :

« في ختام سنة ١٩١١ كان عدد الذين لهم نقود في صندوق التوفير ١١٧٦٥٠ شخصاً مقابل ١٠٤٠٩٥ في مثل هذا التاريخ من سنة ١٩١٠ و بلغ المطلوب لهم ٦٨٦ ٤٨٠ جنيه مصري مقابل ٤٥٦ ٣٣٥ جنيه مصري في آخر سنة ١٩١٠

« ويوجد بين المودعين ٨٩ ٨٩٣ مصرياً والباقون اجانب

« وفتح في خلال السنة المذكورة ١٤ ٣١٦ حساباً وصفي ٧٦١ حساباً

« أما المبالغ التي اودعت في الصندوق فقد كان مجموعها ٤٨٠ ٣٨١ جنيهاً والتي استردت منه ١٢٨ ٣٥٧ جنيهاً مصريا فيكون صافيها ٣٥٢ ٢٤ وهو يقل ٤٥٠ ١٠ جنيهاً مصرياً عما يقابله من صافي المبالغ المودعة في سنة ١٩١٠ وهذه النتيجة ليست مسرة ولعل سببها الضيق المالي الذي استحوذ على البلاد في أواخر سنة ١٩١١ بكيفية لم يسبق لها مثيل . وفي خلال السنة الماضية انشئت فروع لصندوق التوفير في ٦ مكاتب من مكاتب البوستة

« وكثيراً ما حولت الانظار في هذه التقارير الى عدم ميل الفلاح الى ايداع متوفراته في صندوق التوفير . ولذلك قد اعد الآن مشروع جليل يتيسر معه للفلاح ان يضع متوفراته في الصندوق بكل سهولة وهو في نفس ناحيته وبلدته . وقريباً يشرع في تنفيذ هذا المشروع وسيراقب سيره ونتائجه بالاهتمام الزائد »

وفي البوسطة ايضاً صندوق خاص بالاحداث يجمعون فيه ما يقتصدونه وهذا تقريره عن السنة المذكورة :

« خطا صندوق توفير الاحداث في السنة الماضية خطوات سريعة في طريق التقدم كما يتضح من الارقام التالية

« في مصر. زاد عدد المودعين من ٥٢٤ الى ١٤٧٠ وفي الاسكندرية زاد عددهم من ٨٧ الى ٣٢٥ وزاد في بقية الجهات من ٥١٩ الى ١٢٨٧

« ونظارة المعارف تعتبر تعويد التلامذة على الاقتصاد بهذه الوسيلة من اهم وسائل التربية فلذلك اعارت المشروع جانباً عظيماً من عنايتها وكان نحو ٢٩٢ مدرسة تؤدي بها اشغال صندوق توفير الاحداث ولكنها في سنة ١٩١١ لم تؤد الا في ١٢٤ منها والمأمول تأديتهـا في الكل في السنة الحالية

« وقد بلغ الآن عدد الاحداث الذين لهم نقود في صندوق التوفير ١٠٣٨٧ والمبلغ الذي اودعوه ٤٠٦٨ جنيهاً مصرياً واليك بيان مرات الايداع في الصندوق والاسترداد منه : في مصر ١٢٤٧٢ عملية مقابل ٣٤١٠ في السنة السابقة . والاسكندرية ٣٦٣٠ مقابل ١٢٥٥ وبقية المكاتب ٤١٦٩ مقابل ٢٥٤٦ ويؤخذ من ضمن الـ ١٠٣٨٧ مودعاً ٦٧٥٠ تلميذاً في المدارس الاميرية » اه

الفسيفساء

في قرية بتير على مقربة من القدس الشريف

اكتشاف جديد

ان فن الفسيفساء او الفسيفسة والموزاييك او الموزايكو [1] من الفنون الجميلة البديعة التي تروق للابصار بما فيها من لطافة النقوش وحسن التمثيل واتقان الرسوم .

(١) ان كلمتي فسيفساء وموزاييك يونانيتان من بسيفوسيس وموزايكون في اللغة اليونانية بمعناهما . وفسيفساء كما في المعجمات العربية : قطع ملونة من الرخام وغيره تبلط بها الدار او القاعة على اشكال هندسية او رومية . وقد يقال فيها فسيساء بحذف الفاء الثانية . والعامة تقول فسيفسة بالتاء وهي كلمة دخيلة كما مر اهملها اكثر اللغويين ولم يذكرها الجواليقي في كتابه « المعرب من الكلام الاعجمي » (طبعة لبسيك لسنة ١٨٦٧م) ولا في الخفاجي في شفاء الغليل . وقال في تاج العروس قال الليث هي الوان من الخرز يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب في حيطان البيوت من داخل كانه نقش مصور واكثر ما يتخذه اهل الشام (اه)

وقد اتخذ اليونانيون والرومانيون الفسيفساء لزخرفة صروحهم وتزيين قصورهم واجاد فيها البزنطيون . ولكن الاشوريين والبابليين والفينيقيين وغيرهم قد سبقوهم الى ذلك بدليل ما المع اليه سفر استير بقوله : « ولما انقضت تلك الايام صنع الملك (احشوروش) وليمة لجميع الشعب الذين في شوشن العاصمة كبارهم وصغارهم سبعة ايام في دار حديقة قصر الملك حيث كانت سجوف بيضاء وخضراء وسمنجونية معلقة بحبال بز وارجوان بحلق فضة واعمدة رخام واسرة من ذهب وفضة على مجزع من بهت ومرمر ودر ورخام اسود » (١ : ٥ — ٦) . وقد تحداهم العرب . بيد اننا لم نعلم التغييرات التي ادخلوها في هذا الفن

وفن الفسيفساء هو رصف فصوص صغيرة حجرية ورخامية وزجاجية ومعدنية ونحوها مختلفة الالوان والاشكال بين مثلث ومربع وكثير الزوايا ومستدير فترصع بها جدران الابنية وسقوطها وارضها بحسب الحاجة . وتتلاصق بمادة لزجة فيحصل من التئامها جسم واحد اشبه بالنقوش والتصاوير . على ان بعض المتفننين في الفسيفساء كانوا يصنعون فصوصها من خليط مواد متنوعة وغيرهم كانوا يحلونها بالذهب تعلوه صفائح زجاجية بغاية الدقة والرقة

ومعلوم ان استعمال الفسيفساء كان نادراً جداً في صدر التاريخ المسيحي لاسباب كثيرة اهمها اضطهادات المسيحيين وفقرهم المدقع وقلة وجود كنائس تامة الزخرف . على انهم قد استعملوها في ظلمة الدياميس (الكتاكومبات) كما ترى في صليب فسيفساء وجد هنالك على ضريح طفل . واما ارتقاء هذا الفن الجميل الى اقصى درجات اتقانه وزخرفه فيعزى الى القرن السادس للميلاد وكان في القرن الخامس في طور طفوليته . واول من عمل على نشر هذا الفن قسطنطين الكبير كما لا يخفى على كل ملم بالتاريخ فانه دخل القسطنطينية (رومية الجديدة) مصدرها الاصلي واستمرت تلك الحركة الصناعية الى غاية القرن الثالث عشر

وبعد ذلك التمهيد الضروري نذكر بعض الشيء عن فسيفساء قرية بتير ولا حاجة الى وصف اشهر آثار الفسيفساء في العالم . فقد سبق لنا وصفها مطولاً في مجلة النعمة لسنتها الثانية

بَتّير : قرية صغيرة حقيرة في الجنوب الشرقي من القدس الشريف على نحو ساعتين منها للراجل وهي احدى محطات القطار الحديدي ما بين القدس ويافا . ومؤخراً اكشف فيها محل مرصوف بالفسيفساء البسيطة اللون والرسم تمثل اشكالاً

هندسية ورسوماً خيالية . وقد اختلف الأثريون في امر تعريفه فنهم من ارتأى ان هذا المحل كان كنيسة وزعم غيرهم انه كان مقبرة لدفن الموتى الى غير ذلك . ونرجح انه كان معدًّا لشؤون دينية لم تزل غايتها مجهولة . وقد قرأنا في وسطه الكتابة التالية في اربعة اسطر من فصوص الفسيفساء ننقلها الى العربية عن الاصل اليوناني :

(ا) من اجل خلاص واغاثة صليبيوس المسيحي واقربائه

(ب) ان اندونيس غالوغا صنع ذلك من اجل خلاص جيورجيوس

(ج) قد صنع ذلك على زمن الكاهن الكثير الورع جيورجيوس

(د) قد صُنع ذلك باجتهاد ابوليانوس بستيكوس في شهر آذار من الانديكتيون الخامس

ومن هذه الكتابة نعرف اسماء بعض وجهاء قرية بتير وزعمائها يوم صُنعت هذه الفسيفساء واسم صانعها . اما تاريخها فعلى الارجح يردُّ الى القرن السابع للميلاد . ولا شك ان هذا الاثر الجليل سوف يميط النقاب عن كثير من احوال قرية بتير لم تزل مجهولة حتى يومنا هذا وكل آت قريب ٠٠

الاسكندرية في ١٧ فبراير سنة ١٩١٢ نجيب ميخائيل ساعاتي القدسي

دكتور في اللاهوت



﴿ العسر والدماغ ﴾ ثبت بتوالي البحث والتجارب في الناس الذين يستخدمون ايديهم اليمنى ان النصف الايسر من ادمغتهم اكبر حجماً واكثر وزناً من النصف الايمن . فكتب بعضهم مقالة في مجلة المعرفة الانكليزية سأل فيها هل النصف الايمن من دماغ الاعسر اكبر من نصفه الايسر واكثر وزناً . وهل ذلك وراثي في الناس ؟ مع اعترافه بمشقة الوصول الى تحقيق هذه المسألة لقلة العسر بحيث لا يتأتى تشريح ادمغة اصحابه الا نادراً

﴿ مهاجرة الانكليز بلادهم ﴾ يهتم علماء انكلترا اليوم بمسألة المهاجرة فانهم وجدوا عدد المهاجرين من الجزائر البريطانية يزداد كل سنة وخصوصاً السنة الماضية . فقد كان عدد الذين هاجروا جزائر بريطانيا من اهلها في تسعة اشهر من سنة ١٩٠١ نحو

نفس وكان لسنة ١٩١٠ نحو ٤٨٠٠ نفس

﴿احصاء لندن﴾ يؤخذ من احصاء لندن الاخير ان عدد سكانها ٧٢٥٢٩٧٣ نفساً وتدفع من العوائد عن املاكها الثابتة ٦٠٤٩٦٠٠٠ جنيه . وفيها خمسون مرسحاً و ٤٨ قاعة موسيقى و ٣٩٢ محل سينماتوغراف وعدد كبير من قاعات الرقص

مطبوعات جديدة

الكتب

﴿قاموس سعادة﴾ هو معجم مطول من الانكليزية الى العربية . للدكتور خليل سعادة جمع فيه مواد اللغة الانكليزية اللغوية والعلمية والفنية وفسرها بالعربية . فاذا وجد للمعنى لفظاً عربيًا وضعته العرب قديماً فسرها به والا اتى بلفظ يلائم ذلك وشرح اللفظة تحديداً لماهيتها واتى بلفظها العربي . وعول في ذلك على اشهر المعاجم الانكليزية واكثرها توسعاً في الشرح وتدقيقاً في المعنى . فشرح اللفظة واخذ بمعانيها المختلفة متدرجاً من الحرفية او الوضعية الى المجازية او الاصطلاحية . واتى على تفسير المفردات الانكليزية في جميع العلوم والفنون ورتبها على طرز المعاجم العصرية . فوضع اسم العلم او الفن الذي تندرج اللفظة تحته ثم اللفظة الاصطلاحية او الفنية مع شرحها الى احدث ما بلغ اليه العلم . ولما كان حضرة المؤلف من الاطباء المتبحرين في العلم الطبيعي وفروعه فان لشروحه المشار اليها فائدة علمية يعوَّل عليها

ويدخل هذا القاموس في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٨٠٠ صفحة كبيرة مزدوجة ذات حقلين في كل منهما ٤٠ سطراً . وقد صدره بمقدمتين احداهما انكليزية مختصرة والثانية عربية مطولة اتى فيها على تاريخ اللغات السامية عموماً واللغة العربية خصوصاً فذكر ما مرت عليه من التقلبات من اول عهدها الى الان على اسلوب علمي فلسفي مبني على قواعد النشوء والارتقاء . وتطرق من ذلك الى موضوع قاموسه وبين خطته فيه . ويا حبذا لو انه شفع ذلك بتاريخ المعاجم التي من نوع معجمه في اللغة العربية فان لها تاريخاً طويلاً وبين ايدينا طائفة حسنة من المعاجم الانكليزية والعربية من اواسط القرن الماضي الى الان . كالقواميس اللغوية لبدجر وابكاريوس وورتبات وسادر وغيرها والقاموسين الطبيين للدكتور خير الله والدكتور منصور . فقدكان ذكرها مستحسناً

في هذا الباب لبيان مزية قاموسه . وفي صدر قاموسه المذكور مقدمة انكليزية للاستاذ مرجليوث المستشرق الشهير يبن فيها الحاجة الى هذا القاموس واثنى على مؤلفه ثناء جميلاً هو جدير به لان قاموسه سد فراغاً كبيراً كانت اللغة في حاجة اليه . فنشارك الاستاذ مرجليوث في هذا الثناء . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثمائة غرش غير اجرة البريد وهي خمسة غروش للقطر المصري و١٥ غرشاً للخارج

﴿ اللغة العربية ﴾ هو خطاب القاه صديقنا جبر افندي ضومط م .ع . استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية . وهو بحث تاريخي فلسفي في موطن اللغة العربية المضرية ونسبتها الى اخواتها الساميات — نحو ما يفعله كبار المستشرقين بابحاثهم في هذا الموضوع مع قلة المصادر التي يرجع اليها فيه . ولذلك اختلف العلماء فيه اختلافاً كبيراً وقد افاض الاستاذ جبر في بيان تلك الاراء ونقدها وتمحيصها . فذكر فروع اللغات السامية ومهدها الاصلي وبحث في هذا الباب بحثاً دقيقاً . وخلاصة ذلك ان مهد اللغات السامية بلاد العرب . ولاثبات ذلك قسم اللغات السامية الى فرعين قحطاني وعادي وبحث عن بقاياهما في جزيرة العرب وما يؤخذ عن مؤرخيها بهذا الشأن . وبحث في من هم الاصليون في جزيرة العرب القحطانيون او العاديون وكانت نتيجة بحثه ان القحطانيين هم الاصليون في تلك البلاد وان العاديين اتوهم من بابل . وهو بحث جليل ربما عدنا الى نشر شيء منه في الهلال — وان كنا نخالف صديقنا المؤلف في بعض آرائه فيه . لكنه يؤيد ما نعرفه من سعة علمه واستغراقه في الابحاث الدقيقة في اللغة وعلومها وغيرها من الابحاث الفلسفية العويصة

﴿ الدرر المنظومة في اصطلاحات مصالح الحكومة ﴾ هو كتاب في الترجمة من الانكليزية الى العربية خاص بما في دوائر الحكومة المصرية من المصطلحات على اختلاف النظارات . تأليف زكريا افندي حنا المنياوي من موظفي مصلحة الري . وقد قسمه الى ابواب حسب دوائر الحكومة وذكر الالفاظ الانكليزية التي ترد في مكاتبات كل دائرة او سجلاتها حسب المصالح والاقلام وبجانب كل لفظة ما يقابلها من اللفظ العربي الشائع في مصالح الحكومة . ورتب الفاظ كل دائرة او مصلحة على الابجدية الانكليزية . هكذا فعل في مصطلحات الري والمباني والمحاكم والنيابات ومصالح السكة الحديدية والبوسطة والتلغرافات والجمارك والصحة والحربية والمالية وسائر النظارات والشركات والبنوك . وشفع ذلك ببعض الجمل والفقرات الاصطلاحية . في نحو ٢٧٠ صفحة وهو فريد في بابه واشد الناس حاجة اليه موظفو الحكومة المصرية فانه يغنيهم

عن تعب كثير . وهو يطلب من مؤلفه ومن المكاتب الشهيرة وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ معجم الادباء ﴾ صدر الجزء الخامس من هذا المعجم النفيس لياقوت الرومي وقد ذكرنا صدور الاجزاء الثلاثة الاولى في غير هذا المكان . اما الرابع فلم يصدر لانهم لم يقفوا عليه بعد . واما الخامس فانه طبع عن نسخة وجدوها في مكتبة كوبرلي بالاستانة واخرى في بمباي . ويرجع الفضل في نشر هذا الاثر النفيس الى صديقنا الاستاذ مرجليوث فانه تعب في البحث عن مكان هذا الكتاب في مكاتب الاستانة والهند واوربا وجمع شتاته وعني بتنقيحه وضبطه والوقوف على طبعه . ولا يعرف قدر هذه الخدمة الا من بحث عن بعض التراجم في ما بين ايدينا من كتب التاريخ ولم يجدها او وجدها مختصرة وهي موجودة مطولة في « معجم الادباء » . ففي الجزء الخامس الذي بين ايدينا من التراجم التي لم نقف عليها وافية الا فيه تراجم عثمان بن جني وعلان الوراق الشعوبي وابن سيده وابن عساكر والآمدي والاصبهاني صاحب الاغاني والمسعودي والكسائي والبطليوسي وابو حيان التوحيدي وابن المنجم وغيرهم . فنثني على الاستاذ مرجليوث لاخراجه هذا الكنز الثمين وضبطه كما نثني على لجنة تذكار جيب التي انفقت على طبعه

﴿ تاريخ المغول ﴾ هو تاريخ امة المغول بالفارسية لفضل الله رشيد الدين . نشر بعناية المستشرق بلوشيه وبين يدينا الجزء الثاني منه طبع بنفقة لجنة تذكار جيب المذكورة ويشتمل على تاريخ المغول بعد جنكيز خان في الفارسية . وقد علق عليه حضرة المصحح الشروح والملاحظات باللغة الفرنساوية ما يدخل في سبعين صفحة والمتن وحده نحو ٦٢٠ صفحة . وفي نشره خدمة لآداب الفرس مما يوجب الثناء على المصحح والناشر

﴿ التربية ﴾ هو مجموع محاضرات القتها السيدة لبيبة هاشم صاحبة مجلة فتاة الشرق في الجامعة المصرية سنة ١٩١١ وقد نشرتها في كتاب وجعلته تقدمة للبرنس فؤاد باشا رئيس الجامعة المصرية . ويطلب من حضرتها وسائر المكاتب الشهيرة . وفي شهرة رصيفتنا صاحبة مجلة فتاة الشرق ما يغني عن الاطناب

﴿ كلمات في التربية ﴾ هو مجموع مقالات في التربية النفسية والمدرسية لمحمد افندي رضا نشرت اولاً في جريدة العلم ثم في كتاب على حدة وقد وفق فيها بين آراء فلاسفة الشرق والغرب بما يلائم روح الاسلام ولا يتجاوز دائرة التربية الشرعية

﴿ تعليل النوع ﴾ هو بحث طبي للدكتور دوسون في سبب التذكير والتأنيث

في المواليد نقله الى العربية الدكتور محمد عبد الحميد بقليوب وقد لخصناه في مكان آخر من هذا الهلال وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً

﴿ علم الصرف ﴾ الصرف من العلوم التي قلت عناية القدماء في التفرغ لها على حدة . على ان أدباء هذا التمدن صرفوا عنايتهم اليه وآخر من تفرغ له الاستاذ جبران افندي فوتيه في بيروت فألف فيه كتاباً مطولاً سماه « الطرفة الشهية في تحصيل القواعد الصرفية » وضعه على اسلوب عصري سهل المناولة . ثم لخصه في كتاب آخر سماه « السائغ الصرف في تحصيل علم الصرف » والكتابان نشرا ويطلبان من حضرة المؤلف بالناصرة او من اخيه سليم افندي فوتيه في بيروت . وثمن المطول فرنك ونصف والمختصر فرنك غير البريد

﴿ احسن القصص ﴾ هي ثلاث روايات تهذيبية اخلاقيـة عصرية لصالح بك حمدي حماد هذه اسماؤها : (١) الأميرة براعة (٢) ابنتي سنية (٣) بين عاشقين . جمعها في مجلد واحد ذيله بفكاهات حكمية وخرافات . وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً والبريد غرشان

﴿ الادب الصغير ﴾ هو من آثار ابن المقفع التي كانت ضائعة مبعثرة فجمع شتاتها احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار في جملة كتب اخرى ستنشر لاحياء الاداب العربية — وقد طبع الادب الصغير على ذمة جمعية العروة الوثقى بتحقيق احمد زكي باشا . وهو من كتب التهذيب والادب

المجلات والجرائد

﴿ مجلة رعمسيس ﴾ تصدر في مصر مرة في الشهر لمنشئيها الافنديين رمزي وكرلس تادرس . وتشتمل على ابحاث تاريخية واجتماعية تهمُّ الناشئة المصرية . وهي مزينة بالرسوم وفي ذيلها رواية تاريخية مفيدة . بدل اشتراكها خمسون غرشاً بمصر و ٢٠ فرنكا في الخارج

﴿ البصائر ﴾ مجلة علمية فنية اجتماعية تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئها ومحررها جميل افندي العظم الكاتب المعروف بما ظهر من نفثات يراعه في الصحف والمجلات . بدل اشتراكها ريال ونصف في بيروت وريالان في الجهات

﴿ مجلة الربيع ﴾ هي لسان حال جماعة الرابطة الاسلامية في الاخلاق والادب والتاريخ والصحة والزراعية . تصدر بمصر مرة في الشهر بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً وللطلبة ٣٠ والمخابرة بشأنها مع مديرها المسئول (ا . ع . م .) بشارع رحبة عابدين

﴿ المعلم ﴾ مجلة علمية صناعية زراعية تجارية تصدر مرتين في الشهر لصاحبها علي افندي بكير مدرس الرياضيات بالمدارس الحرة بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً و ٢٠ فرنكاً في الخارج

﴿ مجلة الشعب ﴾ هي زراعية تجارية علمية اجتماعية اخبارية شهرية تصدر في دمشق وتوزع مجاناً لصاحبها احمد افندي حلمي الحمي ويشترك في تحريرها « الشهابي »

﴿ البيان ﴾ مجلة دينية عمرانية تاريخية ادبية تصدر في طرابلس الشام مرة بالشهر لمنشئيها مصطفى افندي وهيب البارودي وجميل افندي عبد القادر عدره . بدل اشتراكها ريال وربع وفي الخارج سبعة فرنكات — ولعلها المجلة الخامسة بهذا الاسم

﴿ الجسمانية ﴾ مجلة كاثوليكية شهرية تصدر في بيروت لمنشئها الاب يوسف علوان المرسل اللعازري ولم يذكر عليها بدل الاشتراك

﴿ كوكب البرية ﴾ مجلة كاثوليكية شاملة تصدر في بعبدا لبنان مرة في الشهر لصاحبها الاب يوسف الشدياق بدل الاشتراك مجيديان وفي الخارج ثلاثة

﴿ نور التجارة ﴾ هي مجلة شهرية لخلاصة الدروس التي تلقى بمدرسة نور التجارة بالاسكندرية اشتراكها ٤٠ غرشاً بمصر و١٢ فرنكاً في الخارج

﴿ الاصمعي ﴾ جريدة مصورة تصدر في دمشق مرة في الاسبوع لصاحبيها خير الدين افندي الزركلي ووجيه افندي الكيلاني بدل اشتراكها ريالان — ولعلها الجريدة الثالثة بهذا الاسم

﴿ الجديد ﴾ جريدة سياسية تصدر في سانباولو بالبرازيل مرة في الاسبوع لصاحبيها نجيب افندي طراد وفارس افندي نجم . بدل اشتراكها ١٠٠٠٠ ريس في البرازيل و٢٥ فرنكاً في الخارج

﴿ المشكاة ﴾ جريدة سياسية اجتماعية ادبية تصدر في دمشق ثلاث مرات في الاسبوع لصاحبها محمد افندي توفيق عطار ورئيس تحريرها سليم بك عنحوري المشهور صاحب مجلة الشتاء . بدل اشتراكها ريالان وفي الخارج ثلاثة

ملحق السنة التاسعة عشرة

وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية

صدر الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية ملحق السنة التاسعة عشرة من الهلال وقد ارسلناه الى الذين سددوا ما عليهم لادارة الهلال على العادة الجارية في كل عام . وهو يباع في مكتبة وادارة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد ثلاثة غروش

الهلال

الجزء الثامن من السنة العشرين

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٢ و ١٤ جماد الاولى سنة ١٣٣٠

جمهورية الصين

وهل هي طبيعية ثابتة

ذكرنا في الهلال الثالث من هذا العام النهضة السياسية التي حدثت في الصين على يد الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار. واشرنا هناك الى ما نتوقعه من حدوث انقلاب سياسي في تلك المملكة القديمة . وقد جاءنا النبأ الاخير بفوز الاحرار وسقوط الدولة الحاكمة نعني دولة المنشو المغولية . وتحولت حكومة الصين من السلطة الملكية الاستبدادية الى الحكومة الجمهورية — مما ادهش العالم لما بين هاتين السلطتين من البون الشاسع .فرأينا ان نأتي على تاريخ الدولة الذاهبة ثم نبحث في هل احسنت الصين بذلك الانتقال الفجائي

الصين قبل المنشو

لامشاحة في ان الصين اقدم مملكة من الممالك الحية . فقد عاشت نحواً من خمسة الاف عام ظهر في اثنائها دول شتى في العراق وفارس ومصر وفينيقية ومكدونية وافريقيا وتقلبت كل دولة في ادوار نموها من الطفولية فالصبا فالشباب فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالزوال والصين لا تزال باقية

نشأ الفراعنة في وادي النيل والبابليون ما بين النهرين والفينيقيون على سواحل سوريا . ومادي وفارس في بلاد فارس وقد زال كل هؤلاء والصين باقية

ويؤخذ من تفقد آثار تمدنها انه كان معاصراً للتمدن المصري . وقد عثروا في اطلال مصر على آنية صينية تشبه ما يصنعه الصينيون اليوم . ويظن احد علماء الآثار الموسيو روزليني ان تلك الآنية حملت من الصين الى مصر في عصر موسى الكليم او قبله

توالى على تلك المملكة ٢٢ دولة من امم شتى واجناس مختلفة وعادات الصينيين وطرق معائشهم لا تزال كما كانت في اقدم ازمانها . وتاريخ الصين القديم كسائر تواريخ الامم القديمة محشو بالخرافات التي تفوق طور التصديق . فربما قالوا مثلاً ان الملك من ملوكهم الاقدمين حكم عشرة الاف سنة او عشرين الفاً

ويقسم الصينيون عمر مملكتهم من عهد ملكها الاول « تان كو » حتى الان الى عشرة ادوار عدد سنيها جميعاً ٩٦٠٠٠٠٠٠ (ستة وتسعون مليون سنة) ولكن عقلاء الصينيين الان يضحكون من هذه المبالغة . وفيلسوفهم كونفوشيوس الشهير يقدر عمر المملكة الصينية بنحو ٢٥٦٢ سنة قبل زمانه وهو من اهل القرن السادس قبل الميلاد

﴿ اصل الصينيين ﴾ ان سكان الصين اليوم ليسوا الصينيين الاصليين ولكنهم نزحوا اليها من بلاد المغول في الشمال قبل زمن التاريخ عندهم وتسلطوا على السكان الاصليين . واقاموا اولاً في بقعة على ضفاف النهر الاصفر وكانوا همجاً لا يعرفون شيئاً من احوال الحياة فانشأوا بالتدريج تمدناً لا يقل في شيء عن تمدن سائر الامم القديمة . وعرفوا علم الفلك والزراعة والصناعة واتقنوا ادوات الحرب والموسيقى . وكانت الحكومة عندهم انتخابية بالشورى فاذا مات ملكهم اجتمع وجهاؤهم واختاروا ملكاً غيره . ويغلب ان يقع اختيارهم على وزير الملك السابق

﴿ تاريخهم القديم ﴾ اقدم ملوك الصين بالاجماع « فوهي » مؤسس الدولة الاولى . تولى الملك سنة ٢٨٥٢ قبل الميلاد ويزعمون انه هو الذي ارشدهم الى تربية الماشية وعلمهم الكتابة ووضع لهم قانون الزواج وقسم لهم السنين والاشهر . وخلفه « شن تونغ » فاخترع المحراث وعلم رعاياه الفلاحة والطب وخلفه « هوانغ تي » فاخترع الساعة والاسلحة والسفن والآلات الموسيقية وضرب النقود ووضع الموازين والمقاييس . والملك الرابع « تي كو » انشأ المدارس وادخل الزواج بنساء

كثيرات . وخامسهم « ياو » تولى كرسي الملك سنة ٢٣٥٧ قبل الميلاد ومنه يبدأ تاريخ الصين الحقيقي فانه نشط العلم والصناعة فزهت الصين في عصره بالثروة فانشأوا الطرق وحفروا الترع . وخلفه ابنه « شون » وكان مثل ابيه حكمة ودراية

وتوفي « شون » سنة ٢٢٠٧ قبل الميلاد فتولى الملك بعده « يو الاعظم » من غير اسرته فاسس دولة جديدة حكمت الى سنة ١٧٦٧ قبل الميلاد وخلفتها دولة « شانغ » الى سنة ١١٢٢ ق م حكم في اثنائها ٢٨ ملكاً . وخلف هذه الدولة دولة اخرى مؤسسها « يو وانغ » وكان قائداً للجند على عهد آخر ملوك دولة شانغ فثار ومعه الجند فانزلوا الملك وولوا « يو وانغ » مكانه وتعرف دولته بدولة « شاو » استبدت في الصين الى سنة ٢٤٩ ق م افضل ملوكها « يو وانغ » المذكور . وفي عهد هذه الدولة ظهر كونفوشيوس الشارع الصيني الشهير واضع الديانة الكونفوشية

وفي سنة ٢٤٩ ق م تولى مملكة الصين دولة « تسين » وكان ملوكها اشداء ثانيهم الامبراطور « تشنغ وانغ » حكم من سنة ٢٤٦ — ٢١٠ ق م وهو الذي بنى سور الصين الكبير . والسور المذكور يحد الصين الاصلية شمالاً فيبدأ في الشرق باعلى خليج بتشيلي ويسير غرباً بتعرج فيمر فوق باكين العاصمة عند حدود مقاطعة تشيلي الشمالية فحدود مقاطعات شان سي وشين سي وكانسو حتى ينتهي ببلاد التتر . ولانجاز هذا العمل العظيم اطلق هذا الملك امره باستخدام ثلث فعلة بلاده وعاملهم معاملة الارقاء لا ينالون جزاء عملهم الا ما يسد جوعهم . فجاء سوراً لا يزال يضرب المثل بضخامته الى اليوم . فانه على طوله الهائل يقطع الجبال والاودية والسهول والحزون وارتفاع بعض تلك الجبال ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ناهيك بما اضطر لبنائه من الجسور . وكان « شنغ وانغ » ملكاً عظيماً وهو اول من سمي «كوانغ» اي امبراطور . وعزم على ان يجعل تاريخ الصين يبتدىء به فامر باحراق كل ما كتب من السجلات والكتب . ويقال انه دفن اربعمئة من علماء الصين احياء حتى لا يبقى شيء من علوم الصين القديمة وفي جملتها كثير من تعاليم كونفوشيوس

وفي سنة ٢٠٦ ق م نشأت دولة « هان » وقد حكمت الصين الى سنة ٢٢٠ ب م ونبغ من هذه الدولة ملوك عظام من جملتهم الامبراطور « ون تي » الذي تولى الملك سنة ١٨٠ ق م وهو الذي احيا ما كاد يندرس من العلوم القديمة . ومنهم «ووتي» تولى سنة ١٤١ ق م وكان محباً للعلم والصناعة . ومنهم الامبراطور « سيوين تي » تولى سنة ٧٣ ق م فاخضع التتر واستولى على بلادهم غربي بحر قزوين وفي عصر

« منغ تي » احد ملوكها (من سنة ٥٨ — ٧٦ ب م) قدم الكاهن البوذي « هوشونغ » من الهند الى الصين ونشر الديانة البوذية فيها . ويقول الارمن ان القديس توما زارها وبشر فيها بالانجيل في عصر هذا الملك . ومنهم الامبراطور « هوتي » تولى سنة ٨٩ م وهو الذي ادخل زراعة الكرم الى الصين

وانقضت دولة هان سنة ٢٢٠ م وقد انقسمت الصين الى ثلاث ممالك تخلفتها دولة اخرى تعرف بدولة « تسين » الثانية اسمها « ووتي » فضم هذه الممالك الى مملكة واحدة . ثم عادت فانقسمت وحاربها التتر وتوالت فيها الحروب الاهلية وغيرها مما يطول شرحه . واشهر من فتح الصين من التتر « قبلان خان » بن جنكيز خان فتحها في القرن الحادي عشر وفتك باهلها فتكاً ذريعاً وجعل باكين عاصمة مملكته وخلفه ملوك اصلحوا ما افسده . ولم يطل حكم هذه الدولة تخلفتها دولة وطنية تعرف بدولة « منغ » سنة ١٣٦٨ م وفي عهد هذه الدولة نزل البورتغاليون في الصين سنة ١٥١٦ وهم اول من وطئها من الافرنج . ثم تبعهم الفلمنكيون سنة ١٦٢٤ ثم الانكليز في ذلك القرن ثم الروس ولكنهم لم يستطيعوا البقاء هناك لشدة بغض الصينيين للاجانب

واخيراً نشأت الدولة المغولية العظمى المعروفة بالمنشوية فاستولت على الصين في اوائل القرن السابع عشر وهي الغرض الاصلي من هذه المقالة

دولة المنشو

المنشو امة من المغول (او المنغول) كانت تقيم في منشوريا في شمالي الصين وشرقيها . واصل المغول من شمالي الصين وهم امم كثيرة كان لهم شأن في تاريخ العالم بعد الاسلام لانهم من جملة الامم التي ايقظها الاسلام . وكانوا يقيمون في الاصل حوالي بحيرة بيقال من جنوبي سيبريا ويسمون ايضاً التتر . وتاريخهم القديم سقيم لم يظهروا الا بظهور جنكزخان في اوائل القرن السابع للهجرة وكانوا قبله مثل سائر القبائل الرحل يعيشون بالغزو والنهب والصيد والقنص في تلك البلاد البعيدة عن التمدن . فلما حمل جنكيز على الممالك الاسلامية ظهروا وانشأوا الدول في زنقاريا وبلاد المغول وقبجاق وما وراء النهر وفي فارس والعراق الى حدود الشام . ونبغ منهم هولاكو فاتح بغداد وتيمور الفاتح العظيم الذي قبض على بايزيد العثماني في قفص من حديد

ومن سلالة تيمور هذا ظهر بابر القائد المغولي فاتح الهند ومؤسس دولة المغول



هولاكو فاتح بغداد

فيها . ومن نسله جاء اكبر خان القائد المصلح الشهير المتوفى سنة ١٦٠٥ فنظم حكومة الهند احسن تنظيم واصلح شؤونها الزراعة والعلمية وترجم العلوم من السنسكريتية الى الفارسية وانشأ المكاتب ونشط العلماء كما فعل العباسيون في ابان دولتهم [1]



اكبر خان

(١) راجع ترجمة اكبر خان في الهلال العاشر من السنة ١٢

ومنهم اورانغ زيب من كبار ملوك الهند المغوليين في النصف الاخير من القرن السابع عشر وكان فاتحاً مصلحاً وغيرهم



اورانغ زيب

ومن المغول ايضاً امة المنشو التي نحن في صددها وكانت قبيلة رحالة جاء ذكرها في تاريخ الصين قبل الميلاد بغير هذا الاسم . ويؤخذ من اخبارهم هناك انهم كانوا في غاية الهمجية لانهم كانوا يؤدون الجزية الى دولة الصين سهاماً حجرية ونحوها من الادوات الخشنة . وعرفوا في القرن العاشر للميلاد باسم كيتان وقد تحضروا واشتد ساعدهم ففتحوا مملكة بوهاي ودخلوا حدود الصين وانشأوا في شماليها دولة عرفت بالدولة الحديدية ولم يطل مقامها هناك فغلبها بعد قرنين فاتح منشوي ايضاً اسس دولة سماها الدولة الذهبية وقال « ان الحديد يصدأ ويخشى عليه اما الذهب فلا يزال نظيفاً نقياً » ومن ذلك سميت دولته دولة « كين » ومعناها الذهبي

وبعد قرن ظهر جنكيز خان المتقدم ذكره فاكتسح ابنه قبلان اعالي الصين واخرج دولة الكين منها . لكن السيادة عادت الى هؤلاء بعد يسير باعجوبة ذكرها الصينيون وهم يعتقدون صحتها قالوا انها وقعت في جبال شانا لين — زعموا ان ثلاث عذارى كن يغتسلن في بحيرة تحت جبل شانالين فمر بهن طائر العقعق فرمى اليهن ثمراً احمر ناضجاً فاكلته احداهن فحملت ووضعت غلاماً سمته « ايسين جورو »

ومعناه ايضاً الذهبي . فانتخبوه زعيماً على ثلاث قبائل وهو غلام • فانشأ دولة في اوتول قرب ذلك الجبل . وهو الذي سمى قومه « منشو » اي الطاهرين ولم يطل حكمه فخالف عليه رجاله وقتلوه وقتلوا ابناءه الا اصغرهم « فنشا » فحكم وتوالى الحكم في اعقابه ولم يعرف عنهم ما يستحق الذكر الى اوائل القرن السابع عشر للميلاد اذ نبغ منهم امير اسمه « نورهاتشي » كان زعيماً لبطن من بطونهم وله طمع في الفتح فاغتنم ضعف زملائه وحاربهم فاخضعهم واحداً بعد واحد . حتى استولى على منشوريا وكوريا ومنغولويا واصبح ملكاً كبيراً على مملكة واسعة وسمى نفسه « الباسل الشهير » وحمل على الصين وقد استضعفها . وبعد اخذ ورد وجه الى الصينيين مما يلي حدود بلاده تهماً تذرع بها الى الحرب فجرد سنة ١٦١٧ جنداً هدد به الصينيين فقابلوه بالمثل وكانت الغلبة للمنشو

وبعد سنتين تمكنوا من الفتح وعقدوا معاهدة تقضي بدخول ولاية ليوتونغ في حوزتهم • وشق ذلك على امبراطور الصين حتى أثر في صحته فمات من الحزن سنة ١٦٢٠

واغتنم ملك المنشويين الفرصة ونقل كرسيه الى سنكو قرب مكدن • وبعد خمس سنوات جعلها عاصمته . ورسخت دولته هناك وامبراطورية الصين قد افضت الى « وازلي » ولم يكد هذا يقبض على ازمة الملك حتى اصابه المرض وتوفي فخلفه آخر وآخر والضعف يتضاعف في دولة الصين والفساد يتمكن من حكومتها وقد قضي عليها بالانقراض • فثار رعاياها وهددها عدوها وانتهى ذلك بدخول المنشو العاصمة باكين واعلنوا سيادتهم العامة على الصين بدلاً من دولة « منغ »

وللدولة المنشوية تاريخ طويل فيه فتوح واصلاحات وحروب . ومن مشاهير ملوكهم كينلونغ تولى الملك سنة ١٧٣٥ وكان محباً للفتح فزحف على شرقي تركستان واكتسح بورما ودخل كوشنشين لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على واحدة منها • وكان ظلوماً كثير الاستبداد فآل ذلك الى تمرد رعاياه . وفي ايامه ثار المسلمون في كانسو وشقوا عصا الطاعة — وهي اول مرة فعلوا ذلك هناك لكنهم لم يفلحوا لقلتهم . وانتقم الملك منهم لذلك التمرد وأراد ان يأمن رجوعهم الى العصيان مرة أخرى فأمر سنة ١٧٨٤ بقتل كل مسلم في كانسو تجاوز الخامسة عشرة من عمره

وكان هذا الملك مع ذلك محبًا للمطالعة والكتابة شاعراً ناثراً فنشط العلم والادب وقرب العلماء وأنشأ خزائن الكتب ونشر المطبوعات . وله قصائد فخرية كان ينظمها على أثر فوزه في الحروب . وطال حكمه كثيراً وتوفي سنة ١٧٩٥ بعد ان حكم ستين

سنة ويندر من يوفق الى مثل هذا الحكم الطويل . وفي ايامه حاول الانكليز وغيرهم من الافرنج المداخلة بأمور الصين لنشر تجاراتهم ونفوذهم . وتمكنت شركة الهند الشرقية الانكليزية من تمكين العلائق مع الهند لكن بعد المشقة الكثيرة لان ذلك الامبراطور كان يكره الغرباء ويقاومهم

وخلفه غيره على كرسي الصين . وفي سنة ١٨٢٠ افضى الملك الى الامبراطور « تاو كوانغ » وفي ايامه حدثت حرب الافيون الشهيرة واليك خبرها :

حرب الافيون

كان الافيون من اهم واردات التجارة الافرنجية الى الصين فانغمس الصينيون به واكثروا من تعاطيه حتى تعاظمت اضراره . وخاف الامبراطور تاو كوانغ المذكور عاقبة ذلك المخدر القبيح فتقدم الى التجار ان يكفوا عن توريده فلم يصغوا له لان تجارته رابحة . فبعثت حكومة الصين الى الكبتن ايليوت وكيل انكلترا في كانتون سنة ١٨٢٧ بلاغاً رسميًا تطلب فيه ارجاع السفن القادمة بالافيون والكف عن تلك التجارة في المستقبل . والحكومة الصينية لم تفعل ذلك الا تجنباً لوبال كانت تخافه على رعاياها . ولا نظن انكلترا او غيرها من دول اوربا اذا اصابها ما اصاب الصين الا طالبة مثل طلبها . وكان من واجبات المتمدنين يومئذ اجابة الطلب ومساعدة الصين على محاربة تلك الرذيلة . لاسيما وهم يزعمون انهم نصراء الفضيلة ومحررو رقاب العبيد ولكنهم اجابوا بالرفض وما زالت التجارة سائرة على حالها

فعمد الصينيون الى القوة فاصدر الامبراطور امراً الى عامله في كانتون سنة ١٨٣٩ باحراق كل ما هنالك من الافيون ففعل . وكان مقدار ما احرقه يساوي عشرة ملايين ريال واصبحت تجارة الافيون ممنوعة من ذلك الحين . وصرحت الصين بقطع العلائق التجارية بينها وبين الانكليز . فجردت انكلترا جندها واساطيلها الى شواطيء الصين وشهرت عليها حرباً عرفت بحرب الافيون . ففتح الانكليز كانتون سنة ١٨٤١ فأذعن الصينيون الى معاهدة لم يطل الصبر عليها كثيراً فعادوا الى الحرب ففتح الانكليز اموي ونينغبو وشي كيانغ وفو . ثم ابرمت في نانكين سنة ١٨٤٢ معاهدة تقضي على الصين بدفع تعويض مقداره ٢١٠٠٠٠٠٠ ريال مع تسليم جزيرة هونغ كونغ الى انكلترا وفتح خمس مدن بحرية للتجارة العامة وهي كانتون واموي ونينغبو وشانغاي وفو وتشوفو . وان تسمح الصين لقناصل الدول الافرنجية بالاقامة في تلك الثغور

وكانت تلك المعاهدة قاضية على حياد الصين فاصبحت من ذلك الحين ميداناً يتسابق فيه الافرنج للتجارة والنفوذ . وتوفي الامبراطور تاوكوانغ سنة ١٨٥٠ فخلفه بنه هيان فونغ . وكان الصينيون يعتقدون ان المعاهدة التي ابرمها الامبراطور السابق مجحفة بحقوقهم ذاهبة باستقلالهم فجعلوا يهملون امرها والقناصل يلتمسون المحافظة عليها ويقيمون الحجج حتى افضى ذلك الى حرب اتحد فيها الانكليز والفرنساويون على محاربة الصينيين . فضرب اسطولهما مدينة كانتون آخر سنة ١٨٥٧ واحتلوها واسروا عاملها . واتحدت معهما اميركا والتمسوا من الصين تجديد المعاهدة فلم تطعهم فاطلقوا قنابلهم على مصب نهر باي هو وتقدموا الى تيان تسين . فخاف الصينيون واذعنوا الى معاهدة تقضي بتأييد المعاهدة السابقة وان يكون لانكلترا وفرنسا وروسيا واميركا الحق بارسال سفراء يقيمون في باكين عاصمة الصين مع عدة ثغور تجارية . واطلاق حرية الملاحة في نهر يانغ تسي كيانغ . ودفعت فوق ذلك خمسة ملايين ريال ونصف مليون لانكلترا واقل من ذلك الى فرنسا

وكأن الصينيين انما قبلوا بتلك المعاهدة حياء فلما ارسلت الدول سفراءها الى باكين ارادت ردهم عنها بحيلة فأغرت الادلاء ان يأتوا بهم من طريق خطر فتعرضوا لمشقات جسيمة دعت الى تأخرهم . فبعث سفير انكلترا الى الاسطول الانكليزي ان يدخل نهر باي الموصل بين خليج بتشيلي وباكين فرده الصينيون باطلاق القنابل من القلاع عند مصب النهر . فخسر الانكليز خسائر جسيمة فانسحب سفيرا انكلترا وفرنسا الى شانغاي ينتظران الاوامر . فكانت النتيجة تجديد الحرب فجردت الدولتان حملة برية على باكين فاستولوا على باي هو في ٢١ اوغسطس عام ١٨٦٠ وبعد ثلاثة ايام احتلوا تيان تسين فحاول الصينيون ايقافهم بالمواعيد عبثاً

وما زال الجند المتحد حتى وصل باكين في اوكتوبر سنة ١٨٦٠ وسطوا على قصر الامبراطور الصيفي واحرقوه واستولوا على احد ابواب المدينة . فلم ير الصينيون بدًّا من الانصياع فعقدوا معاهدة تعهدوا بالقيام بها احسن قيام

الثورات الاهلية وحرب اليابان

وتوفي هيان فونغ سنة ١٨٦٢ فخلفه ابنه يونغ تشي ولم تكن الصين تخلو في كل حال من الثورات الاهلية . ولكن الثورة اشتدت في زمن هذا الامبراطور وفي جملتها ثورة المسلمين في مقاطعة يونان باقصى الجنوب الغربي . وفي مقاطعتين اخريين في الشمال الغربي هما زنقاريا وكشغار فاخضع الصينيون مسلمي يونان واما زنقاريا

وكشغار فاستقلتا بقيادة يعقوب خان القائد الشهير

وفي سنة ١٨٧١ تحرش الروس بالصينيين واغتنموا باب الخصام فحاربوهم فتنازلت الصين لروسيا عن مقاطعة كولجا وغيرها مما يبلغ مساحته ٦٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٢٠٠٠٠٠٠ نفس

وتوفي الامبراطور يونغ تشي عام ١٨٧٥ وخلفه ابنه كوانغ ليو وكان حديث السن . وفي ايامه فتح اول خط حديدي من شنغاي الى ووشنغ مسافة ١١ ميلاً وقضى الصينيون ١٢ سنة يحاولون استرجاع كشغار فلم يستطيعوا ذلك الا بعد وفاة يعقوب خان عام ١٨٧٧



الامبراطورة تسي هسي

وفي عام ١٨٩٤ انتشبت الحرب الهائلة بين الصين واليابان وقد نشرنا تفاصيلها في حينها بالسنة الثالثة من الهلال . وقد انقضت تلك الحرب بفوز اليابان فوقعت الصين على معاهدة في ١٦ ابريل عام ١٨٩٥ خلاصتها : (١) استقلال كوريا (٢) بقاء

المدن التي فتحها اليابان في ايديهم (٣) ان تتنازل الصين عن جزيرة لياوتنغ لليابان (٤) ان تتنازل لها ايضاً عن فورموسا وبسكادور (٥) ان تدفع الصين غرامة حربية مقدارها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال تقتضى في أثناء سبع سنين مع فائدة مقدارها خمسة في المئة (٦) فتح ثغور تشينغتو وكايفونغ وهوتشو وشاوتكنغ للتجارة العامة . ولما ابرمت هذه المعاهدة غضب الصينيون على وزيرهم لي هونغ شانغ وعدوه خائناً . ولكن العقلاء منهم يعدونه اعظم رجال السياسة في الصين

وفي أثناء ذلك افضى النفوذ في بلاط الامبراطور الى الامبراطورة « تسي هسي » وهي من اصل منشوي تزوجها امبراطور الصين هيان فونغ رغبة في النسل . وكانت ذكية ذات دهاء فعظم نفوذها واصبحت الامور الى رايها . وكثرت الدسائس بسبب ذلك في البلاط . وقد فصلنا خبرها في السنة التاسعة من الهلال من صفحة ٣ وتوالى في ايامها على كرسي الصين عدة ملوك كانوا آلة بيدها واستفحل الفساد في المملكة وتذمر الناس من ذلك . وتألفت الجمعيات السرية للشكوى وكانت روح الحرية قددبت في نفوس الطبقة الراقية من المتعلمين على ايدي الافرنج وغيرهم كما بينا ذلك في الهلال الثالث من هذه السنة . وكثر المجاهرون بالشكوى وممن جاهر بذلك بجرأة منذ بضع عشرة سنة في زمن الامبراطور كوانغ سو شاب اسمه « كانغ يووي » كان استاذاً في كانتون . وكان معجباً باعمال بطرس الاكبر قيصر الروس الشهير . فحدثته نفسه ان يصلح الصين كما اصلح بطرس الاكبر روسيا . فرفع الى الامبراطور تقريراً في الاصلاح اللازم لمملكته حرضه فيه على نقض عادات اسلافه وتقاليدهم . وان يتبع خطوات جيرانه اليابانيين والروسيين في التماس التمدن الحديث . وان يجمع وزراءه ورجال حكومته الى الهيكل الذي يصلون فيه ويأخذ عليهم المواثيق والعهود المقدسة بان يجروا الاصلاح في المملكة . وان ينقح قوانين الادارة ويفتح لرعيته سبيلاً يرفعون به ظلاماتهم اليه رأساً . وان يختار لحكومته شباناً اذكياء نشيطين بقطع النظر عن حالهم في دنياهم او انسابهم . وان ينشئ ١٢ ادارة كسائر الممالك المتمدنة . وبسط له كيفية الحكومة ووضع الضرائب وغير ذلك مما يطول شرحه

ودفع هذا التقرير اولاً الى احد الوزراء فكان جوابه « وكيف نغير تقاليد اسلافنا وعاداتهم ؟ » اما الامبراطور فاعجب بما فيه وعزم على العمل به وشرع في تنفيذ ذلك سريعاً . ولكنه لسوء حظه لم يكن له ما كان لبطرس الاكبر من القوة والمنعة . وكان في جملة مساعيه انه ابعد الامبراطورة « تسي هسي » الى جزيرة في ساحة القصر .

فلما هاج الشعب من صدمة تلك الاصلاحات خابروا الامبراطورة واتفقوا معها على محاصرة القصر فحاصروه . ثم دخلته « تسي » واصدرت سنة ١٨٩٨ امراً بتوقيع الامبراطور يعترف فيه انه بالنظر لعجزه عن ادارة شؤون المملكة قد كلف الامبراطورة « تسي » ان تنوب عنه فيها . فعادت الى ولاية الاحكام وفرّ رجال الاصلاح . في مقدمتهم « كانغ يووي » وظل كوانغ سو محصوراً في قصره تصدر الاوامر باسمه وهو لا يعلم بها . اما نصراء الاصلاح فانهم طافوا في انحاء المملكة يطعنون في الامبراطورة واستبدادها . فشق ذلك عليها فامرت باعدامهم ووعدت من يأتي براس زعيمهم « كانغ يووي » بجائزة كبرى

وقد فصلنا في الهلال الثالث من هذه السنة كيف نهض الدكتور سن يتسان زعيم الصينيين الاحرار وقد تحولت مطالب الاحرار من التماس الاصلاح الى قلب الحكومة من الملكية المطلقة الى الجمهورية وقلنا هناك انه اوشك ان يفوز بغرضه



يوان شي كاي — رئيس جمهورية الصين

وقد ايدت الحوادث ظننا فتمكن الاحرار من قلب الحكومة واسقاط الامبراطورية المتشوية وجعل الحكومة الصينية جمهورية يرأسها «يوان شي كاي» احد كبار الاحرار وكان في اثناء النهضة قد تولى اكبر الولايات ثم صار وزيراً للاحرار فلما قلبت الحكومة عهدوا اليه بتدبير امر هذه الجمهورية وهو رئيسها الموقت . وللصينيين ثقة كبرى فيه

اما المنشويون فاضطروا للتنازل عن السلطة وكفوا ايديهم عن شؤون الدولة وفي مقدمتهم الامبراطور « بيو يي » وهو غلام ولد سنة ١٩٠٦ ووصيه البرنس تشون. واما الامبراطورة تسي هسي فقد توفيت سنة ١٩٠٨ وهناك طائفة كبيرة من اسرة المنشو وفيهم جماعة من كبار الموظفين . وفي صدر هذا الهلال صورة جمهور من امرائهم وانقضت بذلك الدولة المنشوية بعد ان تسلطت على الصين نحو ثلاثمائة سنة . وقد ادهش الصينيون العالم المتمدن بعملهم هذا — فهل هو طبيعي ثابت ؟

هل تبقى الجمهورية الصينية

للاجتماع قواعد تجري عليها الامم في احوالها السياسية او الاجتماعية . وانتقال الامة من الحكم الملكي المطلق الى الحكم الجمهوري راساً ليس مستحيلاً ولكنه يجعل الحكومة في خطر. لان ذلك الانتقال الفجائي يخالف طبيعة العمران . وللامة ادوار تنتقل فيها من حال الى حال بالتدريج عملاً بسنة الارتقاء فاذا اسرعت في الانتقال لاسباب طارئة عرّضت نفسها للخطر . حتى الانتقال من الحكم الملكي المطلق الى الملكي المقيد او الدستوري لا يخلو من الخطر ان لم تكن قد توفرت اسبابه . واهم تلك الاسباب ان تتشرّب الامة روح الدستور وتتعود الاجماع على الحق والجراءة في القول والاستقلال في الفكر. وهذا لا يكون الا بتعميم التربية والتعليم وبث روح الحرية بين العامة ليعرف كل واحد ما له وما عليه . فان لم تتغلب هذه الخصال في الامة كان انتقالها من الاستبداد الى الدستور شاقاً عليها كما اصاب الامة العثمانية لهذا العهد

الدستور العثماني

نال العثمانيون الدستور منذ بضعة اعوام وجمهورهم لم يستعد له . نعني ان الامة على اجمالها لم تتهيأ له بالتربية الصحيحة والتعليم الراقي . وقد تمكن الذل من نفوس عامتها بتوالي الاستبداد عليهم اجيالاً . ولاسيما في الربع الاخير من القرن الماضي واوائل هذا القرن . ناهيك بما افسده عبد الحميد من اخلاقهم بترويج الجاسوسية والرشوى وحمل الناس على الكذب والرياء . وانما قام بطلب الدستور فئة من الاحرار يكاد يكون جوّها غير جوّهم لان اكثر رجالها نشأوا على المبادىء الدستورية من مخالطة الاجانب واقامتهم في مدائن اوربا واميركا فاشربت نفوسهم روح الحرية وملوا ظلم عبد الحميد . وساعدتهم احوال اخرى ذكرناها في غير هذا المكان فنالوا الدستور وهم لا يصدقون لانهم لم يكونوا يتوقعون نيله بهذه السرعة . وادركوا الخطر المحدق بهذه النعمة لعدم استعداد

الامة لها بما استولى عليها من الجهل وما قام بين طوائفها او عناصرها من الشقاق . فجعلوا همهم تثبيت ذلك الانقلاب فتصرفوا تصرف الحكماء وبذلوا الجهد في التوفيق والترغيب . واغضوا عن سيئات اصحاب العصر الماضي وخالفوا من سبقهم في امثال هذا الانقلاب من الدول الاخرى . فلم يقتلوا ملكاً ولا فتكوا بامير ولا صادروا وزيراً او والياً ولا اساؤا احداً من انصار الاستبداد حجباً للدماء وصانة للدستور . لكنهم لم يسلموا من عواقب جهل العامة . فحدثت فتنة ١٣ افريل سنة ١٩٠٩ المشهورة وكادت تقضي على الدستور لو لم يعمدوا الى القوة في تأييده . ففتحوا الاستانة فتحاً فسكنت الفتنة واخذوا يحتاطون مما عساه ان يقع من الفتن فلم يروا بداً من الحكم العرفي وهو الاستبداد لان الامة تعودته ويصعب انتقالها منه فجاة . ومع ذلك فهذا لم يمنع انتشار الدسائس واثارة الضغائن بين الاحرار انفسهم بسعي طائفة من الارتجاعيين او من خدع باقوالهم من الاحرار . فانقسمت الامة الى احزاب تختلف عن الاحزاب السياسية في الممالك الاخرى لان اساس التحزب هنا ليس الاختلاف في الرأي لمصلحة الامة وانما هو التعصب الجنسي او الديني . والامة لا تعرف كيف تنصر احزابها ولا تميز بين ما ينفعها او يضرها . وانما تساق بالتعصب وتؤخذ بالصياح حتى كادت تفضي الامور الى ما لا تحمد عقباه على اثر حل مجلس المبعوثان واعادة انتخابه في هذه الاثناء

الجمهورية الصينية

وليس هنا مكان البحث في الدستور العثماني . وانما اردنا ان العثمانيين وهم اقرب الى عوامل التمدن الحديث من الصينيين واكثر احتكاكاً بالامم الدستورية الحرة قد قلبت حكومتهم من الحكم الملكي المطلق الى الملكي المقيد — وهي درجة معقولة متبعة في سائر الممالك — وقد رأيت ما قاسوه من العذاب وما مرَّ على دستورهم من الاخطار . فكيف بالصينيين وقد قضوا قروناً متطاولة وهم يعبدون ملوكهم وتمكنت التقاليد من نفوسهم مع بعدهم عن الممالك المتمدنة . ولم ينتشر التعليم الحرُّ بينهم الا من عهد قريب حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم فلا تخدعهم دسائس الارتجاعيين اصحاب السلطة الماضية — الذين يبذلون جهدهم في اثارة الخواطر ليعيدوا تلك السلطة لتعود اليهم اسباب رزقهم . فانتقال الصينيين من الحكم الملكي المطلق الى المقيد لايخلو من الخطر فكيف انتقالهم الى الحكم الجمهوري رأساً ؟

وقبل جعل الحكومة جمهورية يجب ان تكون الامة جمهورية . فهل يدرك الصينيون نعمة تلك الحرية ؟ وهل يسلمون من دسائس اهل السلطة الماضية . ان

فرنسا ام الحرية والمدنية لم تسلم من ذلك فتناوبتها الملكية والجمهورية غير مرة ولا تزال في خطر من ذلك الانقلاب . لان الحكومة الجمهورية بحد ذاتها غير طبيعية لاسباب بيناها في السنة الماضية من الهلال صفحة ٧٧

حتى في الامم المتمدنة الراقية فان الجمهورية لا تثبت غالباً الا اذا كانت الامة قليلة العدد او محصورة في مدينة واحدة . اما الممالك الواسعة فالجمهورية تشوشها . يدلك على ذلك انها لم تثبت الا في الامم الصغيرة في ايام اليونان والرومان وامثالها في جمهوريات اميركا الصغرى الآن . وقد تثبت او يطول عمرها في الامة الكبيرة اذا كانت في ارقى معارج العمران والتعليم كالولايات المتحدة وفرنسا . ولا ينطبق ذلك على الصين فانها اكبر ممالك الارض واكثرها سكاناً واهلها من ابعد الامم عن اسباب المدنية الحديثة . فانتقالها الى الحكم الجمهوري نحن في شك من بقائه طويلاً . لان القائمين به والمحرضين عليه طائفة من الاحرار المثقفين على مبادئ التمدن الحديث وجمهور الامة في معزل عن ذلك . وفيها من رؤساء الدين وكبار الارتجاعيين اضعاف ما في الامة العثمانية . فهل يرضون بذهاب نفوذهم وهم سكوت ؟



امندسن — مكتشف القطب الجنوبي

العمال واصحاب المال

تاريخ العلاقة بينهما

من اقدم ازمنة التاريخ الى الان

كثر تحدث الناس وافاضت الصحف في اعتصاب الفحامين بانكلترا واهتم العالم كله بامر هذا الاعتصاب وخافوا مغبته فراينا ان نأتي بمناسبة ذلك على تاريخ العلاقة بين العمال واصحاب المال قديماً وحديثاً على عادتنا في مثل هذه الحال

العمال

القوي والضعيف

من نواميس الاجتماع ان يتسلط القويُّ على الضعيف ويخضع الضعيف للقوي . بل هو ناموس عام حتى في الجماد فان القوى الطبيعية كثيرة ترجع في الجماد الى الجاذبية وفي الاحياء الى العقل . ففي الجماد اذا تقابل جسمان تجاذبا وتقاربا وناموس الجاذبية يقتضي ان يمشي الصغير الى الكبير اكثر من مشي الكبير اليه على نسبة مقدار مادتهما وكلما قلت مادة الصغير زاد سعيه نحو الكبير كانه يلبيه صاغراً رغم انفه

وهكذا في الاحياء وقوي البدن فيها يتغلب على ضعيفه . فالحيوان يأكل النبات وفي المملكة الحيوانية الكبير يأكل الصغير والقوي يفترس الضعيف . واذا ادخلنا الانسان رايناه يتسلط عليها كلها بقوة عقله — وللقوة العقلية مزية على القوة البدنية . حتى في العجماوات فان اقواها حيلة وان كان ضعيف البدن قد يتغلب على اقواها بنية

واعتبر ذلك في الناس بالنظر الى طبقات الاجتماع فان اقوام عقلاً يتسلط على سائرهم . والقوي حيثما وجد تسلط على الضعيف — تلك هي سنة العمران منذ القدم . فتألفت الحياة الاجتماعية من طبقات فيها السيد والعبد وخضع الثاني للاول فاستعبده هذا واستخدمه في حاجياته . واهمها استثمار الارض بالحرث والزرع وخدمة المنازل لمعالجة الطعام واعداد اسباب الراحة

واقدم طبقات العمال في الامة العبيد من ضعفائها والاسرى من الامم الاخرى — وهم عبيد بحكم التغلب في اصطلاحهم . ويؤيد ذلك ان مادة « عبد » في العربية كانت تدل ايضاً على « العمل » ولا تزال هذه الدلالة ظاهرة بها في العبرانية والسريانية . وهي تدل في العبرانية على العمل في الارض اي الحراثة فضلاً عن الخدمة على الاجمال . اما في العربية فلم يبق لها من هذه الدلالة الا لفظ « مِعْبَد » للمسحاة من الات الحراثة وهي كالمجرفة يسحى بها التراب

العمال في التاريخ القديم

كان اكثر العمال في الدول القديمة من الاسرى المستعبدين بالحرب او بالشراء . كذلك كان شأنهم في مصر وبابل واشور والصين واليونان والرومان . وهم بناة الاهرام بمصر والسور العظيم في الصين واكبر الهياكل في اثينا ورومية وغيرها من مدائن التمدن القديم . وليس ما تتفاخر به الامم من بقايا اسلافها البنائية الا من صنع اولئك العبيد المساكين . وكانوا يستخدمون الاسرى ايضاً للخدمة في شؤون اخرى من مصالح الدولة على قدر مواهبهم ومطامعهم . فنبغ منهم القواد والعلماء والشعراء في كل عصر

وسار المسلمون في ذلك على خطة الدول الاخرى فكانوا اذا تكاثر الارقاء عندهم باعوا بعضهم او اخذوا الفدية عنهم واستبقوا الباقي للخدمة او للجندية . والباقون من الارقاء للخدمة يعلمونهم الصنائع اللازمة لتدبير المنزل فمنهم الفراش والطباخ والخازن والوكيل اوالنقيب والبواب والملاح والركابي وغيرهم . ومنهم الوصيف والمملوك وفيهم الرومي والتركي والفارسي والبربري والزنجي والصقلبي بين مجلوب ومولد من الذكور والاناث مما لا يحصى

واذا زادوا عما يحتاجون اليه في الخدمة او الحراسة او الحماية اتخذوا الغلمان منهم زينة لمجالسهم وكان يفعل ذلك اهل السعة واليسار ولا سيما الخلفاء فانهم تأنقوا في تزيينهم بانواع الالبسة المزخرفة مما لم يسبق له مثيل . واول من اقدم على ذلك الامين بن الرشيد فانه بالغ في طلب الغلمان ولا سيما الخصيان وابتاعهم وغالى فيهم وصيرهم لخلوته وزينهم مثل زينة الجواري

وكان عندهم طبقة من الخدم اوالعبيد تشتغل في الارض وهم « الاقنان » واحدهم « قنّ » وهو العبد الذي يشتغل في الارض وهو خاص بالقرى . ويسمى المزارع المقيم « فلاحاً قراراً » فاذا اقطعت ارضه او بيعت لاحد او دخلت في ملك احد

بالفتح او غيره كان الفلاح تبعاً لها وصار « عبداً قناً » الا انه لا يرجو ان يباع او يعتق ولا يستطيع مولاه ذلك لو اراده بل هو قنٌ ما بقي حياً . وكذلك اولاده بعده فانهم يكونون عبيداً لمالك الارض او مقتطعها

فالعمال على الاجيال يقسمون الى فئتين كبيرتين الزراع ويشتغلون بالحراثة وتربية الماشية . والصناع وهم اهل الحرف كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم

حقوق العمال

قد رأيت مما تقدم ان العامل لم يكن مخيراً في عمله ولا في تقدير اجرته بل هو يسير في ذلك كما يريد مولاه على تفاوت في التقدير باختلاف الصنائع والحرف . ففي عصر الاقطاع بالاجيال المظلمة كان الشريف او صاحب المقاطعة يحكم في امر العمال كما يشاء ويقدر اجورهم وهم لا يجرأون على الاعتراض . وما زال ذلك شأنهم حتى اخذ نور التمدن الحديث في البزوغ وقام محبو الانسانية من رجال العلم والسياسة بنصرة العامة ورفع شأنهم والدفاع عن حقوقهم وادخالهم في المدارس لترقية مواهبهم واستثمار قرائحهم . فانتبهوا لنفوسهم وصاروا يعرفون ما لهم وما عليهم . واخذت الحكومة بناصرهم فصارت تقدر اجورهم وتخفف اثقال العمل عنهم . وكانت من الجهة الاخرى تحرض العمال على العمل وتعاقب البطالين الذين يطوفون الشوارع يحترفون الشحاذة بلا عاهة تمنعهم عن العمل

ولعل الانكليز من اسبق الامم الى وضع القوانين بهذا الشأن من اوائل القرن الخامس عشر. ومن اهم تلك القوانين قانون صدر في عصر الملكة اليصابات سنة ١٥٦٢ زادت فيه الاجور عما كانت قبلاً وعدلت ساعات العمل . ويؤخذ من نص ذلك القانون بهذا الشأن ان العامل كان يشتغل كل نهاره وبعض ليله بلا شفقة . فعدلت الحكومة ذلك بان جعلت ساعات العمل بضع عشرة ساعة . وعدوا ذلك التعديل فرجاً كبيراً . وهذا نص تلك المادة :

« كل الصناع والعمال الذين يشتغلون باجرة معينة في اليوم او الاسبوع (بين منتصف مارس وسبتمبر) ينبغي ان يبدأ عملهم في الساعة الخامسة صباحاً اوقبلها الى الساعة الثامنة مساء الا الاوقات التي لا بدَّ لهم فيها من تناول الطعام والشراب في الفطور والغداء . ولا ينبغي ان يقضوا في ذلك اكثر من ساعتين ونصف ساعة في اليوم اي نصف ساعة للشرب وساعة للغداء ونصف ساعة للقيلولة (في الصيف فقط) ونصف ساعة لاجل الفطور الخ . . »

فيظهر من ذلك ان مدة العمل بعد هذا التعديل ما زالت اكثر من ١٢ ساعة في اليوم . ودخلت الحكومة ايضاً في تقدير الاجور وتعديلها بالتدريج حسب الاقتضاء . ولم يكن العامل حرًّا في اختيار العمل الذي يريده وانما كان يتصل الى صناعته بالتوارث ثم تحرر من هذا القيد بالتدريج . ولما استنار الناس وتعودوا الحرية الشخصية وآنسوا انصافاً من الحكام صاروا يشكون للحكومة ويتظلمون من استبداد اصحاب الاموال وهي تنصفهم وتضع القوانين المخففة لويلاتهم

الاشتراكية والعمال

وفي أثناء ذلك شاع مذهب الاشتراكية او الاجتماعية وفي جملة ابحاثه نسبة العمل الى رأس المال . فالف اصحابه في هذا الشأن كتباً كثيرة وجعلوا يبثون روح الاشتراكية في الناس . واقدمهم سان سيمون المتوفى سنة ١٨٢٥ ثم فورنيه وكلاهما فرنساوي . ويليه اوبرت اوين الانكليزي في اوائل القرن التاسع عشر . ثم ظهر في اواسط القرن المذكور ماركس الالماني المتوفى سنة ١٨٨٣ ووجه عنايته خصوصاً الى احوال العمال في المعامل واخذ بناصرهم . واساس مذهبه « النظر في قيمة ما يزيد في المصنوعات على اجرة الصناع » وبعبارة اخرى « الفرق بين ما يدفعه صاحب المعمل للعامل اجرة صنع البضاعة للقيام باود حياته وحياة عائلته وبين الثمن الذي تباع به » والفرق المذكور يستولي عليه صاحب المعمل . فيرى ماركس انه حقٌّ للعامل كله او بعضه . وعضده لاسال في هذا الرأي وخلاصة مذهبهما « ان العمل هو اصل المصنوعات اذ قد يتم صنعها بلا مال ولكنه لا يتم بلا عمل . فالعدل يقضي ان تكون ثمار العمل كلها للصانع وانما يتناول صاحب المال منها ما يكفي لتعيشه ويستولي الصانع على الباقي » يريدون بذلك قلب النظام القاضي للعامل بما يقوم بمعاشه واستيلاء صاحب المال على سائر الربح . ناهيك بما يصيب اصحاب الاموال القليلة من الضرر باستئثار المتمولين بالاعمال الكبرى اذ تساعدهم الآلات الكبرى على الاقتصاد فيبيعون المصنوعات باثمان لا يقدر اولئك على مجاراتهم بها فتقع الخسارة عليهم كما تقع على العمال . ويرى ماركس واصحابه ان ما يلتمسونه من اصلاح الاجتماع انما هو طبيعي يقضي به ناموس الارتقاء قياساً على ما كان من تأثيره على سائر احوال الحياة . وللفلاسفة الالمانيين في هذا كله ابحاث طويلة مبنية على تاريخ الصناعة والتجارة في اوربا منذ كانتا من اعمال العبيد الى ان صارتا من شؤون الاحرار بعد عصر العلم والتمدن . فهبَّ الشعب الالماني هبة قوية والف سنة ١٨٦٩ حزباً عرف بحزب العمال

الديموقراطي الاجتماعي الالماني اتخذ من قبله مندوبين الى المؤتمر الدولي في باسل . وتكاثر اعضاء هذا الحزب حتى بلغ عددهم بعد بضع سنين ٢٥٠٠٠ عضو فوضعوا لائحة نشروها في المملكة هذه خلاصتها :

(١) ان العمل هو مصدر الثروة والاعمال النافعة لا تحصل الا باشتراك الجماعة في استثمارها فلكل عضو منهم حق من تلك الثمار يعادل مقدار اشتراكه في العمل

(٢) والعمل في النظام الاجتماعي الحاضر محصور في ايدي اصحاب الاموال . فاضطرار العمال الى الخضوع لهم هو سبب الشقاء العام . وتحرير العملة من هذا يقتضي قلب هذا النظام وتسليم ازمة الاعمال الى جمهور الامة او من يقوم مقامها وهي تعين حق كل فرد من ثمار تلك الاعمال »

وكان لهذه الروح الاشتراكية تأثير شديد في العمال فاخذوا يجمعون ويتآمرون على اصحاب الاموال . وكثر اضرابهم عن العمل وتعددت الاعتصابات في معظم ممالك اوربا خصوصاً بعد سنة ١٨٨٨ والعمال يطلبون زيادة الاجور وتقصير مدة العمل والحكومة تتوسط بينهم وبين اصحاب الاموال او تتركهم ليتفقوا معهم حسب الاحوال . واكثر المعتصبين من عملة المناجم للفحم والسكك الحديدية والمغازل والبنائين وعملة الحديد والقطن والبحرية وغيرهم

واضطرت الحكومة الانكليزية الى تشكيل لجنة تنظر في حقيقة الخلاف بين العمال واصحاب المال وهل يمكن لها ان تتوسط في تسوية الخلاف . فتألفت اللجنة سنة ١٨٩١ ومن اعضائها المركيز هرتنتون وارل دربي والسير هيكس بيتش وغيرهم . وفي السنة التالية انتظم فيهم بعض شهيرات النساء . فرفعت اللجنة تقريرها سنة ١٨٩٢ الى مجلس النواب ودارت المناقشة فيه ولم تسفر عن شيء هام

اندية العمال وجمعياتهم

ولما شاعت الاشتراكية تصدى كثيرون من الاغنياء وارباب الاقلام لنصرة العمال — بدأوا بذلك من اواسط القرن الماضي والعمال انفسهم انتبهوا الى سوء حالهم فاخذوا يسعون في اصلاحها بتأليف الاندية والجمعيات . واكثر الامم سعياً في ذلك الانكليز لاضطرارهم الى ذلك بطبيعة بلادهم . واول ناد تألف لجمع شملهم فتح سنة ١٨٦٠ في لانكاستر باسم القس سولي . وتوالى تشكيل الاندية وانشاء المدارس الكبرى للعمال او الصناعة فضلاً عن الصغرى في المدائن والقرى . ومنها ما هو خاص بالذكور والبعض الاخر بالاناث . وقد سعى في ذلك محبو البر ونصراء الانسانية وعضدهم الاغنياء

وتشكلت الجمعيات ومنها جمعيات خاصة بانكلترا وبعضها يشمل العمال في سائر اوربا مثل جمعية العمال الدولية التي تأسست سنة ١٨٤٧ في لندن على يد رجل الماني واخذت في النمو ولا سيما بعد معرض سنة ١٨٦٢ وتم تشكلها سنة ١٨٦٤ وعقدت مؤتمرات عديدة بعد ذلك في جنيفا ولوسانا وبروكسل وبرشلونه ولاهاي وفي نيويورك وغيرها . وبلغ عدد اعضائها في انحاء العالم نحو ٢٥٠٠٠٠٠ نفس سنة ١٨٧٢ وانضم اليها عدة جمعيات سرية . فخافتها الدول ولا سيما الضعيفة منها فاخذت تسعى في حلها . فعرضت اسبانيا ذلك على سائر الدول فوافقت فرنسا وابت انكلترا فلم يمكن حلها نهائياً . وتجددت جمعيات من نوعها باسم الاشتراكية وجمعيات اخرى لمؤاساة العمال وعائلاتهم . ولا يزال النادي القديم الذي تشكل بسعي القس سولي سنة ١٨٦٤ باقياً الى الان وقد انشئت له فروع يزيد عددها على ٩٠٠ فرع عدد اعضائها ٣٠٠٠٠٠ عامل . وقد توفي مؤسسة سنة ١٩٠٥ وهو في التاسعة والثمانين من عمره

وتألفت الشركات المالية لانشاء المشاريع تخفيفاً لويلات العمال . واكثرها لبناء الابنية الاقتصادية لسكن عائلات العمال تجمع بين الرخص والراحة او بناء المدارس المجانية او نحو ذلك

اعتصاب العمال

فهذا وامثاله قوى حزب العمال وزادهم تمسكاً بحقوقهم . فكثر اضرابهم عن العمل يطلبون زيادة الاجور او تقليل ساعات العمل او الاحتجاج على رغبة اصحاب المعامل في تخفيض الاجور او غير ذلك . وربما بلغ عدد الاعتصابات في السنة الواحدة بضع مئات . مثال ذلك ان الاعتصابات التي حدثت سنة ١٨٨٨ بلغت ٥٠٤ فاز ٢٤٩ منها . وفي السنة التالية بلغت الاعتصابات ١١٤٥ اعتصاباً . ونحو ذلك في السنة التالية وقس عليه سائر السنين بين اكثر او اقل — وهاك اشهر الاعتصابات التي جرت في انكلترا من سنة ١٨٣٤ فما بعدها

سنة	
١٨٣٤	اعتصاب الخياطين في لندن يطلبون زيادة الاجور وقد فازوا
١٨٣٥	« الخزافين في ستافوردشير نجحوا لكن بعد خسارة كبيرة
١٨٥٢	« المهندسين
١٨٦٠	« صناع الحرير في كوفنتري طال امره
١٨٦٧	« الخياطين في لندن ايضاً عددهم ٢٠٠٠ خياط

١٨٦٨ اعتصاب الفحامين قرب سانت الين وعددهم ٤٠٠٠٠ عامل
١٨٧١ « الفحامين في تورنكليف قرب شفيلد اتى بضرر عظيم
١٨٧١ « عمال المناجم في بورغندي عددهم ١٠٠٠٠
١٨٧٢ « البنائين في لندن يطلبون ان تكون مدة العمل تسع ساعات في اليوم واجرة الساعة تسعة بنسات
١٨٧٢ « الخبازين في لندن
١٨٧٣ « الفحامين (٦٠٠٠٠ عامل) في سوث ويلس لان اصحاب المعامل ارادوا تخفيض اجور العمال عشرة في المئة
١٨٧٥ « عملة المناجم في سوث ويلس (٥٠٠٠٠ عامل)
١٨٧٦ « « « بلطن احتجاجاً على تنزيل اجورهم ١٥ في المئة
١٨٧٧ « عمال السكة الحديدية باميركا
١٨٧٧ « الغزالين في لنكاشير (١٢٠٠٠٠ عامل) احتجاجاً على تنزيل اجورهم ١٠ في المئة
١٨٧٨ « المهندسين بلندن احتجاجاً على تنزيل اجورهم سوّي بالتحكيم
١٨٧٩ « الفحامين في درهام (٧٠٠٠٠ عامل) بسبب تنزيل الاجور
١٨٨١ « الخزافين (٣٠٠٠٠ عامل) سوي بالتحكيم
١٨٨٤ « عملة الحديد في ستافوردشير لاجل تنزيل الاجور
١٨٨٤ « الحياكين (١٨٥٠٠ عامل) « « «
١٨٨٥ « المهندسين استمر سنتين ونصف سنة وكلف ٢٠٠٠٠٠ جنيه
١٨٩٤ « عملة الاحذية

وقس على ذلك الاعتصابات من هذا التاريخ الى اليوم . فان تلك الروح انتشرت في سائر انحاء اوربا واميركا

فظهر الاعتصاب في المانيا وروسيا وفي اشهر الولايات المتحدة وغيرها — حتى وصل الى مصر . اهمها اعتصاب عمال السكة الحديدية في روسيا سنة ١٩٠٥ على اثر فشل الدولة في حرب اليابان فقد بلغ عدد المعتصبين مليون نفس وكان اعتصاباً منتظماً اتعب الحكومة . واعتصب عمال التلغراف والبوسطة فيها تلك السنة

ولو اوردنا ذكر سائر الاعتصابات لضاق بنا المكان فنكتفي بتفصيل اعتصاب الفحامين في هذا العام

اعتصاب الفحامين الاخير

هو من اعظم الاعتصابات لاتساع مساحته وكثرة الداخلين فيه حتى اربى عددهم على مليون نفس . والفحم من المواد الهامة في العالم التجاري بالنظر الى سير السفن في البحار. وانكلترا مخزن العالم للفحم الحجري . يزيد محصولها منه على ٢٦٣٠٠٠٠٠٠ طن في السنة قيمتها نيف ومئة مليون جنيه . ولا تخفى اهمية الفحم بالنظر الى المعامل والملاحة . وانكلترا تمتاز على سائر الدول باساطيلها ولا فائدة للاساطيل بلا وقود

على ان لهذا الاعتصاب سبباً يحزن انكلترا ويهدد اساطيلها ومناجمها الفحمية وقد يمس العالم المتمدن برمته . وذلك ان الناس سائرون في نظام اجتماعهم نحو المصلحة الشخصية واهم الجامعات عندهم « جامعة المصلحة » . وليس ذلك حديثاً في المجتمع الانساني فان الناس ما فتئوا من اقدم ازمنة العمران لا تجمعهم الا المنفعة المتبادلة وهي التي سميناها « جامعة المصلحة » لكنهم يلبسونها غير ثوبها فتظهر متنكرة بمظهر الجامعة الوطنية او الدينية او اللغوية او غير ذلك . وانما المراد جامعة المصلحة لان الانسان تجمعه بسواه عدة عصبيات او جامعات فيظهر بما يتوسم لنفسه نفعاً منها حسب الحاجة . فاذا توسم نفعاً باجتماعه مع اخوانه في الدين اظهر رغبته في الجامعة الدينية . واذا راى النفع بالاجتماع مع ابناء وطنه اظهر الجامعة الوطنيـة . وقد يرى الفائدة بالاتحاد مع زملائه في الصناعة فيلجأ الى جامعة المهنة او الصناعة — وهذا ما يخشى منه على العالم المتمدن لان الاعتصاب كان قاصراً في اول القرن الماضي على ابناء الصناعة الواحدة في البلد الواحد ثم اخذ بالامتداد الى البلدان الاخرى من المملكة الواحدة ثم تجاوزها الى سائر الممالك

فالفحامون في انكلترا اعتصبوا على اصحاب المناجم فيها وخابروا زملاءهم في فرنسا والمانيا حتى خيف اجتماعهم جميعاً على الاعتصاب . وان لم يفعلوا ذلك الآن فسوف يفعلونه في المستقبل وتبقى مسألة التنازع بين العمل ورأس المال قائمة والجدال محتدماً

اما موضوع هذا الاعتصاب فهو ان الفحامين او العملة في الفحم الحجري قاموا يطلبون تحديد الاجور وهي محددة لكنهم طلبوا تحديد اقل اجرة . اي ان يقيدوا اصحاب المناجم باجرة لا يجوز تخفيضها ولكن يجوز زيادتها . وقام الجدال بين الطائفتين وتوقف العملة عن اخراج الفحم وكادت تنفد مخزوناته واضطرب العالم كله بسبب ذلك . وجرت المخابرات لتسوية هذه المسألة — ولا بد من تسويتها . وهي على اهميتها

ليست بالشيء الهام بالنظر الى ما يهدد انكلترا في المستقبل — نعني التعويض عن الفحم الحجري بالزيت على اثر اختراع الدكتور ديزل للالة البخارية التي وقودها الزيت بدل الفحم ولها مزية كبرى على ما تقدمها من الآلات

الزيت بدل الفحم

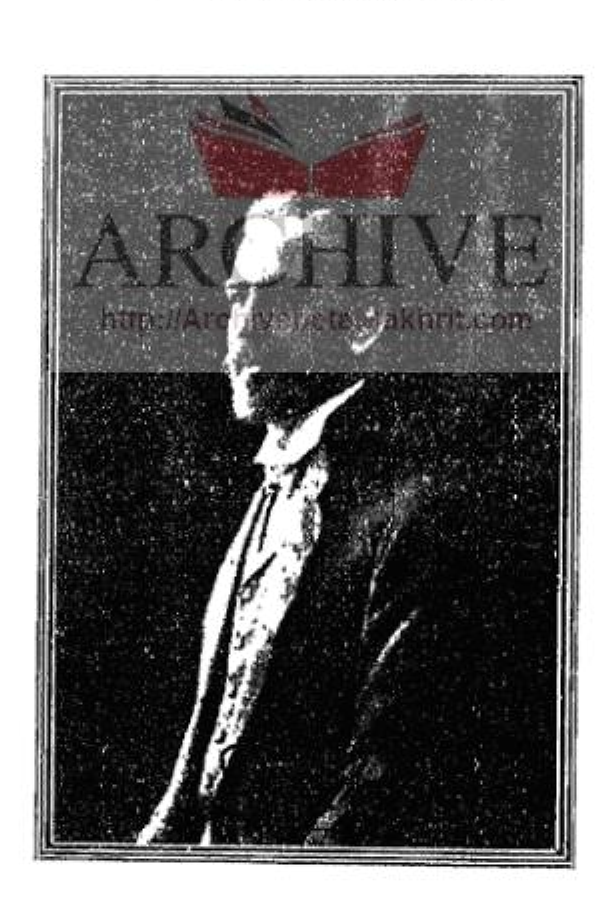
ظهر في مياه انكلترا منذ شهرين سفينة بخارية اسمها « سيلانديا » آلتها البخارية من طرز ديزل صنعت في كوبنهاغن وقودها الزيت . ومزيتها انها مبنية على الاقتصاد في الوقت والمكان والمال . فهي صغيرة الحجم لكنها تسع من الزيت ما يكفي اضعاف ما يمكن للسفينة حمله من الفحم الحجري . فالسفينة « سيلانديا » يمكن ان تختزن في مخزن وقودها ٩٠٠ طن من الزيت في برهة قصيرة جداً ويكفيها ذلك ان تسير ٢٠٠٠٠ ميل لا تحتاج في أثنائها الى غير ما اختزنته . وهو يشغل ربع المكان الذي يشغله الفحم . وحسبوا نفقة السير بالنسبة الى الفحم باعتبار ثمن طن الزيت ١٨٥ غرشاً فوجدوا ان عشرة غروش من الزيت تسير باخرة حمولها ٥٠٠٠ طن ميلاً واحداً في البحر المالح وهو اقل مما يكلفه الفحم . وناهيك بالاقتصاد في اصطناع السفن فان الباخرة التي حمولها ٥٠٠٠ طن مثلاً اذا بنيت على الطرز الحاضر كلفت ٤٥٠٠٠ جنيه واذا صنعت على طرز ديزل كلفت نصف هذه القيمة او ثلثها . وهذا جدول للفرق بين نفقات الطرزين :

نفقات سفينة من الطرز الحاضر	نفقاتها من طرز ديزل	الباقي المقتصد
نفقات بنائها ٤٥٠٠٠ جنيه	١٥٠٠٠ جنيه	٣٠٠٠٠ جنيه
وقودها في ٣٠ يوماً ٣٠٠٠ طن	٦٥٠ طناً	٢٣٥٠ طنا
تشغل ١٨٠٠٠٠ قدم مكعب	٣٠٠٠٠ قدم	١٥٥٠٠٠ قدم
وزن الالة مع وقود ١٥ يوماً ٢٧٠٠ طن	٤٧٠ طن	٢٢٣٠ طن
النوتية اللازمون ٤٥ نوتياً	٧ نوتيين	٣٨ نوتياً

فترى مما تقدم ان الفرق عظيم بين الطرزين والزيت المطلوب للوقود في آلة ديزل يصح ان يكون من اي زيت فيستخدم له زيت الخروع او الكتان او غيرهما . فمزية هذه الآلة ستأول طبعاً الى تسابق اصحاب المعامل وارباب البواخر الى استخدامها بدل تلك فتقل مقطوعية الفحم نحو النصف . فبدلاً ان ينفق كل عام ٢٦٣ مليون طن منه ينفق نحو ١٤٠ مليون فقط . وكان المظنون ان الفحم الموجود في مناجم انكلترا اليوم ينفد في ١٧٥ سنة فاصبحوا يرجون بقاءه ٣٥٠ سنة . فيستغني

اصحاب المناجم عن نصف عملة الفحم . ولعل ذلك من اسباب هذا الاعتصاب

وهنا موضع نظر من حيث ثروة انكلترا أو زعامتها البحرية . فقد كانت مزيتها الصناعية مبنية على كثرة الفحم الحجري فيها . فاذا اصبح وقود السفن الزيت ذهبت تلك الزعامة وصارت الى اميركا او روسيا لكثرة الزيت فيهما . وكانت انكلترا تفاخر العالم المتمدن بكثرة محطاتها البحرية لخزن الفحم الحجري فاذا شاع استخدام الزيت اصبحت تلك المحطات بلا فائدة . لان طرز ديزل يأذن للباخرة ان تحمل من الوقود ما يكفيها للسياحة حول الارض . ولا يهون على انكلترا من الجهة الاخرى ان تستبدل سفنها بالطرز الجديد لاضطرارها اذ ذاك الى بناء سواها . وجملة القول ان عقلاء الانكليز يفكرون في ملافاة هذه الاخطار عن دولتهم



حازم بك والي بيروت

بمناسبة ما ابداه من الحزم والهمة في ملافاة الفتنة في بيروت على اثر اطلاق قنابل الطليان على مينائها في اواخر فبراير سنة ١٩١٢

لا يصح غير الصحيح

ولا يبقى الا الانسب

ان بقاء الانسب من القواعد الطبيعية الداخلة في ناموس النشوء والارتقاء . وهو عام يجري على كل شيء من الطبيعيات والمعنويات والادبيات . فكما يقضي على بعض الحيوانات بالانقراض، لانها لا تصلح للبقاء في ما يحيط بها من البيئة فهو يقضي أيضاً بذهاب ما لا يصلح للهيأة الاجتماعية من الآراء او القوانين واستبدالها بما يلائمها. ويحكم بانقراض العادات او الطقوس او نحوهما مما لا يناسب شؤونها . وقس على ذلك سائر احوال الاجتماع مما لا يحتاج الى تطويل في اثباته . وانما غرضنا الآن اثبات ناموس آخر هو في ظاهره اجتماعي او ادبي لكنه ينطبق على سائر المجاري الطبيعية نعني قولهم « لا يصح غير الصحيح »

ان هذه القضية من الظواهر الطبيعية بل هي من اصدق تلك الظواهر . لان الطبيعة بحد ذاتها لا تعرف غير الصحيح ولا تقبل التملق او التمويه . ولا تعرف للسبب الواحد الا نتيجة واحدة . ولا عبرة لديها بالظواهر الخارجية لانها تعول على الجواهر دون الاعراض . فاذا ادنيت قطعة من الحديد الى مغنطيس اجتذبها اليه لانها حديد . ولو جعلتها بين عشرات من قطع المعادن المختلفة لاستخرجها من بينها وان تشابهت بظواهرها . ولا يخدعه تلوين تلك القطعة بغير لونها الاصلي او تشكيلها بغير شكلها — فلو طليتها بلون ابيض او احمر او اسود ولو لففتها بورق او قماش فان حقيقتها لا تخفى عليه . واذا ادنيت محلول السليماني من محلول الملح الاعتيادي تكون راسب اصفر هو كلوريد الزيبق . ولابد من وقوع ذلك التفاعل ولو اختلفت ظواهر السائلين لوناً وقواماً . وانما العمدة على الجوهر دون العرض . وقس على ذلك سائر التفاعلات الطبيعية في الجماد فانها لا تعرف غير الصحيح ولا يصح عندها سواه

على ان هذا الناموس يشمل أيضاً عالمي النبات والحيوان وان لم يظهر فيهما واضحاً مثل ظهوره في الجماد لتعدد الفواعل الحيوية واختلاط اسبابها ونتائجها . فالكينا تخفض حرارة الحمى سواء تناولها المحموم سائلة او جامدة شرباً اوحقناً . وانما

يشترط ايصالها الى الدم . ولكن كثيراً ما يتأخر فعلها او يضعف او يضيع لاسباب لا يمكن حصرها لانها ناتجة عن تفاعل المؤثرات الحيوية في الابدان . واعتبر ذلك أيضاً في سائر الظواهر الفسيولوجية او الباثولوجية في الحيوان او النبات

فاذا انتقلنا الى التفاعل المعنوي او الادبي في ماجريات نظام الاجتماع رأينا هذا الناموس اقل ظهوراً وابطأ نتاجاً . لانه يتوقف على قوى اكثر تشوشاً واختلاطاً – نعني القوى العاقلة وما يعارضها او يلحق بها او يتوقف عليها من الشهوات العقلية كحب الشهرة والتحاسد او حب الأثرة او النقمة . او نحو ذلك مما يحول دون بيان الحقيقة فيتأخر ظهورها – ولكن لا بد من ذلك الظهور عاجلاً او آجلاً

فكم من الآراء العلمية طمستها الاغراض وحالت دون ظهورها دهراً طويلاً ثم ظهرت كالشمس وفاز اصحابها – كما فاز القائلون بدوران الارض مثلاً بعد ان حكم على قائليه بالكفر . ولما قال داروين واصحابه بناموس الارتقاء حمل عليهم بعض رجال الدين حملة منكرة واتهموهم بالمروق من الدين ثم عادوا فاعترفوا بالحقيقة وطبقوا اقوال الكتب الدينية على ذلك الناموس

ويصح ذلك ايضاً في الاراء الاصلاحية اذا وقفت في سبيل ذوي الاغراض من المقلدين الجامدين فانها قد تبقى قروناً يغشاها غبار التمويه والمغالطة ثم تظهر ولو بعد حين – ذلك كان حظ اكثر المصلحين من الفلاسفة القدماء الى الشارعين والانبياء . لم يقل احدهم قولاً الا صبر على ظهوره دهراً . واعتبر ذلك ايضاً في رجال الاصلاح المجتهدين ومنهم طائفة في كل بلد واقربهم منا وطناً وعهداً الشيخ محمد عبده فقد علم تعليماً اراد به الاصلاح فحال دون ظهوره معارضة المحافظين على القديم فناوأوه وتعرضوا له بكل سيئة واتهموه بالفتور بالدين – فعلوا ذلك اما عن اعتقاد مغروس او لغرض موروث ولكن لا بد من ظهور تعاليمه لانها اصلاحية . وقل نحو ذلك في اراء قاسم امين عن المراة المسلمة وغيره

وكما ان الارآء الصحيحة قد يغشاها التمويه ولا تظهر الا بعد حين فالارآء الفاسدة قد يحييها التمويه حيناً فلا يظهر فسادها الا بعد مرور الاجيال . لكن لا بد من ظهوره . انظر الى الخرافات التي خضع لها العقل البشري دهوراً حتى آن ظهور فسادها بظهور العلم الصحيح فذهبت هباء منثوراً . واصبح اهل هذا الزمان يعجبون من اسلافهم كيف انطلت عليهم تلك الشعوذات الكاذبة . بل انظر الى التغرير المقصود في اظهار بعض الاشخاص بغير مظهرهم بالتمويه التماساً لنفع شخصي . واقرب الشواهد

على ذلك ما كان يقوله بعض المتملقين في عصر الاستبداد عن عبد الحميد وفيهم من الف كتباً في ذكر فضائل العصر الحميدي الانور .. ونسب لذلك الطاغية سعياً حميداً في بث العلوم وانشاء المدارس . فعدّد ما اتاه من الاصلاح في الدولة والامة ... كانوا يفعلون ذلك تملقاً يلتمسون به رزقاً مغموساً بالدم . وقد يتبادرالى ذهن القاريء ان حقيقة عبد الحميد لم يخفها ذلك التمويه وان الناس كانوا يعرفون حقيقة ذلك الرجل الغريب الاطوار . ولكن الواقع ان كثيرين كانوا يخدعون بتلك الاقوال ويعتقدون فضل عبد الحميد فلما حكم عليه بالخلع بعد حادثة ١٣ افريل تصدى بعض الكتاب لاقامة الحجة وانكروا على الاحرارعملهم . وتوالت التلغرافات على الاستانة من انحاء العالم الاسلامي يطلبون الى الدستوريين ان لا يلحقوا الاذى بشخص ذلك المخلوع

وما يصح على عبد الحميد يصح على المقدمين من رجاله وامثالهم فقد كان بعض كتاب الصحف يصورونهم اجمل الصور وينسبون اليهم اخر الفضائل . فلما انقلبت الحكومة ظهرت الحقيقة

وقس على ذلك سائر ما يقبل المبالغة او التمويه من الاعمال التجارية او الصناعية فان اصحابها يعلنون عنها ويحسنونها ويبالغون في اطرائها لكن نجاحها اخيراً لايكون الا على قدر ما تحويه من الصحة — قد يعلن فلان عن نفسه انه طبيب ماهرتخرج في اكبر مدارس فرنسا او اميركا او انكلترا او غيرها ويعدد ما يعرفه من العلوم او ما تخصص له من الامراض . والاعلان يستلفت الانظار اليه فيقصده المرضى فاذا كان ما قاله صحيحاً ثبت وراجت بضاعته والا التي في زوايا الاهمال . ويدخل في ذلك ايضاً الاعلان عن بعض العقاقير الدوائية الخاصة ببعض الامراض فان اصحابها يجعلون اكثر تعويلهم على الاعلان و نشر الشهادات ونحوها . فاذا لم يكن الدواء مفيداً ذهب الاعلان عبثاً — ولا خلاف في ان الاعلان يفيد صاحبه لكنه لا يخفي الحقيقة وانما يعجل ظهورها . ولذلك فمن العبث ان يكون اكثر اعتماد بعض اصحاب المهن او التجارات على الاعلان والاطراء

واعتبر ذلك في الاعلان عن الكتب او غيرها من ثمار القرائح فانها اكثر تعرضاً للغرور من سائر « المعروضات » لان الانسان مفتون ببنات افكاره وكتابنا لايزالون بعيدين عن النقد الصحيح في بيان حقيقة مايعرض عليهم من المؤلفات . وانما يصرفون همهم الى اطراء صاحبه ان كان من اصدقائهم اوالى الطعن فيه وفي مؤلفه اذا كان على غير رأيهم او بعيداً عنهم . ويندر فيهم من يخلص النية في نقد الكتاب وبيان حقيقته

كما يفعل كتاب اوربا

وقد يكون من اسباب التمويه في وصف ثمار القرائح الكتب ثروة المؤلف او وجاهته في الهيأة الاجتماعية او نفوذه في الدولة فينصرف هم الكاتب الى اطرائه تزلفاً او تهيباً . وعكس ذلك اذا كان المؤلف متهماً في دينه او مخالفاً للمقرظ او المؤرخ في المبدأ او الراي او المذهب فانه يبخسه حقه او يخي عليه بالطعن . وهذه العلة قديمة في الشرق اصيب بها اكثر المؤرخين عند ذكر معاصريهم من الادباء او الشعراء . فكم من شاعر فحل جنى عليه استقلال فكره وجرأته في القول فاغضب ولاة الامر او بعض الوجهاء فغمط المؤرخون المعاصرون فضله ارضاء لاولئك الوجهاء او تعصباً عليه لمروقه من الدين . ومن هؤلاء طائفة من شعراء العصر العباسي الاول كانوا يتهمون بالزندقة . وبالغ المؤرخون من الجهة الاخرى في اطراء الشعراء او الادباء المقربين من الخلفاء او الوزراء — فكيف في من كان شاعراً او اديباً من الوزراء او الامراء انفسهم ؟ فان المؤرخ المعاصر يكاد لا يجد في اللغة عبارة تفي بحق تقريظه . وقد يفعل المقرظ ذلك بصدق نية لا يتعمد الكذب وانما يؤخذ بهيبة الوجاهة فيرى فضل ذلك الشاعر او الكاتب مجسماً . وقد يعجز المؤرخ عن تجريد نفسه من جواذب العصبية او المنفعة الشخصية فيظهر ذلك على قلمه وهو لا يدري

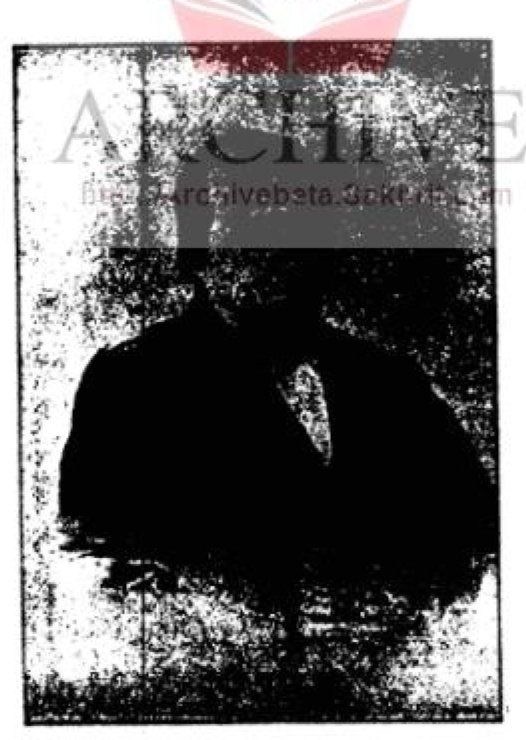
ارخ ابو منصور الثعالبي شعراء عصره وادباءه في يتيمة الدهر وفيهم الوزراء والامراء والوجهاء وغيرهم من سائر الطبقات وترى ما قدمناه من تأثير الوجاهة ظاهراً في كتابه . فلما ترجم المنشئين مثلاً خص ابن العميد والصاحب بن عباد باطراء لم يخص به سواهما من المنشئين مع كثرة الذين فاقوهما في تلك الصناعة يومئذ . فاتعب نفسه في سبك عبارات الاطراء والاعجاب ولم يذكر لهما سيئة . ولا يعقل ان يكونا بلا سيئة . ولعل بعض معاصريهما كتب شيئاً من سيئاتهما لم يجسر على نشره فضاع . ومما بقي من هذا القبيل ما رواه ياقوت في معجم الادباء من الطعن في سجع الصاحب فقال « انه يدل على الخلاعة وانه لو راى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب حبل الدولة لما هان عليه التخلي عنها » وان خطه يدل على الشلل وانه احمق الطبع ونحو ذلك

واعتبر ذلك في سائر العصور الى الآن ولا سيما في الشرق فان اهله تعودوا التملق والتزلف والمجاملة لاسباب بيناها في غير هذا المكان . حتى اصبح طلاب الادب والمطالعين لا يعولون على ما تقوله الصحف في وصف الكتب . ويندر لاحدهم ان

يبعث في اقتناء كتاب لمجرد مايرى من تقريظه في الصحف . خلافاً لما يفعله قراء اللغات الافرنجية فانهم يثقون بما يقوله ارباب النقد في الصحف الراقية . واما الانصاف الحقيقي في تقدير الاعمال فانه موكول للزمان وهو الضامن الوحيد لبيان الحقيقة . اذ تتوالى الاجيال ويمضي المعاصرون بما تغمه جوارحهم من تضاغن او تحاسد ويبقى العمل فينظر اليه اهل الاجيال التالية بعين خالية من الغرض فيحلونه محله من الاجلال او الاغفال — عملاً بسنة بقاء الانسب . وهي مبنية على القاعدة التي صدرنا بها هذه المقالة نعني « لا يصح غير الصحيح »

رينان وشقيقته

في سوريا سنة ١٨٦٠



رينان

هو ارنست رينان الفيلسوف اللغوي الفرنساوي الشهير الذي توفي سنة ١٨٩٢ عن نحو سبعين سنة . وقد ترجمناه في السنة السابعة من الهلال . ولكننا وقفنا على مقالة بالانكليزية في رحلته الى سوريا مع شقيقته هنريت سنة ١٨٦٠ بقلم امين افندي

ريحاني الفيلسوف الخيالي الاجتماعي . نشرها في مجلة بوكمان الاميركية وصف فيها تلك الرحلة بعد ان تفقد الاماكن التي نزلها ذانك الضيفان في لبنان . واستطلع اهل القرى عما يعرفونه من اخبارهما كما يفعل البحاثون من كبار الكتاب . وقد صور البيت الذي سكناه وقبر هنريت المدفونة فيه وسائر الاماكن التي لها شأن في تاريخ رحلتهما . واوضح ذلك كله باسلوبه الانكليزي الرشيق . فاحببنا تلخيصه لقراء الهلال لانه نتيجة درس وتعب . وفي اثناء هذه الرحلة كتب رينان كتابه في حياة المسيح

رحل رينان الى سوريا بامر حكومة فرنسا على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة وكانت اخته هنريت شديدة الولع به وهي من الذكاء والهمة على جانب عظيم . وكان لها نفوذ على اخيها الفيلسوف . فاصطحبها في تلك الرحلة وهي اكبر منه سناً نحو ١٢ سنة وفيها ميل الى المزاج السوداوي واعمال الفكرة في مجاري الطبيعة . فيغلب في طباعها الجد مع التقوى لانها تثقفت في دير من اديار بلدها . وليس لها ما كان في طبيعة اخيها من الميل الى الزهو والمجون او التهكم في اسلوبه . فكان يبذل جهده في درس اخلاق اخته حتى لا يأتي ما يكدرها . لانها قضت زهرة عمرها في تربيته منذ صباه ولا سيما بعد وفاة والده وقاست العذاب من الجهد والعوز في الانفاق عليه وتعليمه . وتركت الدنيا من اجله وكانت ترتزق بالتعليم في بعض المدارس بباريس فعتلت صحتها فكرهت الاقامة في تلك المدينة الزاهية . واوشكت ان تخامرها الشكوك الدينية لكنها لم تؤثر الا في غير الجوهري من عقائدها

ثم انتقلت للتعليم في باريس واخوها في الخامسة عشرة من عمره وقد تثقف في بعض المدارس الاكليريكية في «تجريه» مسقط رأسه . ومال الى خدمة الدين ولم تكن هنريت تريد له ذلك لكنها لم تعترضه . واضطرت سنة ١٨٤١ ان تنتقل الى بولندا لتعليم ابناء احدى العائلات الشريفة . ولم تطق مشاق الغربة لكنها استأنست بتلك العائلة . وبعد ست سنوات رحلت الى المانيا فايطاليا وهي تستفيد من تلك الاسفار اختباراً وافكاراً . وكان اخوها في اثناء ذلك قد اتم دروسه في سان سلبيس وتغير نظره في مستقبل حياته وعدل عن الاكليريكية فسرت هنريت بما بدا من شكوكه في ما لا يقبله العقل وبذلت جهدها في تعليل ما اشكل عليه . وواصلت الانفاق على تعليمه من عرق جبينها فكانت تدفع عنه الف ومائتي فرنك في السنة وتكاتبه فتشجعه وترشده . وهي مع ذلك تفي ديون ابيها لتنقذ مخلفاته من اثقال الرهن . وقد فازت اخيراً بما ارادت



هنريت شقيقة رينان

وفي سنة ١٨٥٠ انتقلت مع اخيها الى برلين ففرشت منزلاً وسطاً اقاما فيه حتى صدرت الاوامر لارنست بالشخوص الى سوريا . قضى رينان مدة اقامته في برلين وهو يطالع ويدرس لكنه لم يكتسب رأياً او علماً الا اكتسبت هنريت شيئاً منه . وقد أثرت من الجهة الاخرى في آراء اخيها وافكاره واخلاقه . واعترف هو بذلك فقال « كانت هنريت قوة فعالة في حياتي العقلية » ومع انكارها ما يناقض العقل من الاعتقادات ما زالت شديدة التمسك بروح النصرانية . فلما قضي عليهما بالمجيء الى لبنان سافرت مع اخيها وامرأته في صيف سنة ١٨٦٠ واستأنست بميل اهل القرى الى سماع الصلاة والتردد الى الكنيسة واخذت تعمل عملهم وترتاح الى ذلك لانها رضعته مع اللبن وكانت تأخذ اخاها معها . اما مهمة رينان في سوريا فكانت علمية سياسية . ويظن ريحاني افندي انه جاء ليدرس البلاد التي عاش فيها المسيح ليتمكن من كتابة سيرته

ثم استقرّا في عمشيت وفي هذه القرية بدأ رينان بكتابة حياة المسيح في منزل رجل من اهلها اسمه زخيا احسن خدمتهما ورعايتهما . وقد تمكن صديقنا ريحاني

افندي من مشاهدة طوبيا بن زخيا واستطلع منه اخبار رينان واخته بعد التعب والتردد في حديث طويل

ولم يقتصر رينان في درسه على لبنان فرحل الى فلسطين وشواطىء سوريا ورأى الاردن واليرموك وغيرهما وهنريت معه حيثما انصرف . وقد رأت ما رآه وعرفت ما عرفه . وكانت عوناً كبيراً له في ابحاثه وملاحظاته وقد اعترف هو انه لولاها لم يستطع انجاز ما انجزه من عمله في ذلك الوقت القصير . لانها لم تكن تعرف الملل فكانت تجمع مواد الكتاب وتنسخ مسوداته وتنقحها وتتولى حساب النفقات وتعلق ملاحظاتها الخصوصية في يوميتها . وهو يقتبس منها كثيراً من الاراء التاريخية والاركيولوجية لانها كانت على علم صحيح

وكانت صبورة على السفر تحتمل مشاقه ولا تبالي ركبت او مشت . مما يعسر على كثيرين من الرجال في تلك الجبال الشامخة والطرق الوعرة

ولم يكن يفوتها مع ذلك التمتع بالمناظر الطبيعية المدهشة هناك ولاسيما غياب الشمس الرهيب وما يرافقه من الوان الشفق الباهرة . وناهيك بخرير الماء وحفيف الشجر وتغريد الطيور . فزاروا اورشليم ونابلس وجبل الكرمل والجليل وجبل حرمون وغيرها . وزاروا بطريرك الموارنة في بكركي فاكرم مثواهم . وكانوا يطوفون الاماكن وقد جعلوا مركزهم في عمشيت ببيت العم زخيا

على ان تلك الاسفار اثرت في بدن هنريت فاضعفته . وباتوا ثلاث ليال في مكان اسمه المشنقة قرب نهر ادونيس ارضه رطبة . ثم باتوا في دير يعقوب بعد بضعة ايام فاحست هنريت بانحراف في صحتها فاسرعوا بها الى عمشيت فاستراحت نوعاً . ولم يكن هواء عمشيت منعشاً في الصيف لانها لا تعلو عن سطح البحر الا مئة قدم فانتقلوا الى غزير ركوباً في ضوء القمر . فاستفادت هنريت من المقام هناك فاشتغل اخوها بكتابة سيرة المسيح وشعر بنشاط ولذة في العمل

وكانت هنريت قد شفيت فساعدته في نسخه وتبييضه فكتبت كل كلمة منه بيدها وقالت لاخيها « سأحب هذا الكتاب لاننا تعاونا على كتابته ولانه اعجبني » فكانا يجلسان في ضوء القمر على الاسطحة بين يدي المنزل وقد صفا الجو وهب النسيم العليل وتألقت الكواكب وهما يتناقشان في بعض مواضيع الكتاب . وكانت هنريت ترى لذة عظمى في تلك الاجتماعات فتنسى اوجاعها اشتغالاً عنها باللذة العقلية

وفي سبتمبر ودعا غزير ومناظرها ونزلا الى بيروت لمهمة كانت على رينان لا بد

من قضائها . ثم سافرا الى عمشيت يودعانها قبل السفر الى بلادهم . فاحتفل اهل القرية بهم احتفالاً عظيماً فقضوا فيها عشرة ايام هي آخر ايام هنريت . لكنها فرحت بالاقامة هناك واشتغلت في اثناء هذه الاقامة باتمام ذلك الكتاب بنشاط وهمة وهم غافلون عما خبأه القدر . فاصابتها حمى شديدة رافقتها نفرالجيا مؤلمة فاستعانوا باطباء القرية واستقدموا طبيباً فرنساوياً من بيروت وبذلوا الجهد في معالجتها عبثاً . ففاضت روحها في صباح ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٦٢ فصلوا عليها ودفنوها . ولا يزال قبرها باقياً هناك الى الان



السيد خليفة بن حارب بن ثويني بن سعيد بن سلطان
سلطان زنجبار الحالي

تولى عرش السلطنة في ٩ نوفمبر سنة ١٩١١ بعد السيد علي بن حمود بن محمد بن سعيد السلطان السابق لانه تنازل عن ذلك العرش بسبب انحراف صحته

المادة الرابعة — يمثل الحكومة الفرنسية لدى جلالة السلطان قوميسير عال تعطي له كل السلطة الفرنسية في مراكش لتنفيذ هذا العقد

وسيكون هذا القوميسير الواسطة الوحيدة بين السلطان وممثلي الدول الاجنبية وسيكلف بالنظر في جميع المسائل الخاصة بالاجانب في الديار المراكشية

وسيكون له حق التصديق على القوانين التي يصدرها جلالة السلطان واعلانها باسم الحكومة الفرنسية

المادة السادسة — يكلف الموظفون السياسيون الفرنسيون بتمثيل وحماية المراكشيين ومصالحهم في الخارج

يتعهد جلالة السلطان بان لا يقوم باي عمل له صبغة دولية الا بعد تصديق حكومة الجمهورية الفرنسية عليه

المادة السابعة ـ تحفظ حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالة السلطان لنفسيهما الحق في ان قررا بالاتفاق اسس الاصلاحات المالية التي تحترم حقوق الدائنين وتضمن تعهدات الخزينة المراكشية وتجبى بمقتضاها الضرائب بانتظام

المادة الثامنة ـ يمتنع جلالة السلطان عن أن يعقد في المستقبل بأية طريقة قرضاً خاصاً او عاماً وان يمنح امتيازات بأي شكل دون تصريح الحكومة الفرنسية (اه)

صحة العائلة

بكاء الطفل واسبابه

منحت الطبيعة للطفل قوة البكاء يدفع بها الطوارىء التي تنزل به والاهمال الذي يصدر عن القايم بامره كما وهبت العصفور قوة الطيران في طلب حبة الحقل او هرباً من صياد ولوع بقتل الضعيف فيكسر جناحيه ويفقده الحياة . فاذا كان طفلك يبكي كثيراً ولا ينام الا وحلمة الثدي بفيه ليلاً ونهاراً فهو مدفوع بعامل لا يقوى على اظهاره بغير البكاء . والبكاء ايتها السيدة لايكون دائماً علامة الجوع حتى حالما تسمعينه يبكي تلقمينه الثدي . وقد لا يكون سبب بكائه الجوع على الاطلاق . فليكن عندك

فضلاً عن حنوك الطبيعي ومحبتك القلبية محبةٌ عقلية . وكم انتجت وتنتج المحبة الآتية عن طريق القلب من الاضرار الجسيمة . فحكمي عقلك دائماً بشؤون صغيرك ونقي ان لبكائه جملة اسباب وهي : البرد والالم والرطوبة والاهمال . فاذا اصابه سبب من هذه الاسباب اضطر الى اشهار سلاحه وتنفيذه بواسطة البكاء

فالبرد له تأثير عظيم على راحته اذ يسلب من جسمه النحيف حرارته . وهو في حاجة اليها مثل حاجته الى اللبن او اكثر . لانه بفقدانه شيئاً من ميزانية حرارته يفقد قوة الهضم ويبعد عن تناول الثدي ولا يحتفل به كعادته . مع انه حسب الظاهر في حالة توفرت له فيها اسباب الراحة . والشاهد بين يديك — فكم من مرة اردت ارضاعه وكنت تحاولين عبثاً وبدوام الرفض والبكاء اهتديت الى السبب الذي يشكو منه ؛

ومن الامهات من لا يبحثن عن السبب فيظل الطفل يبكي وهنَّ يلقمنه الثدي قهراً ويسكبن اللبن في فيه سكباً وهو الى التدفئة احوج منه الى الغذاء . ولكنه بانسكاب اللبن في جوفه يضطر المسكين الى السكوت وبالطبع كيف يمكنه البكاء والقناة من فمه الى مقعدته تحولت الى قناة لبن . فيتخذن سكوته المغتصب عن رضى فيداومن صب اللبن في جوفه حتى يبان لهن دليل الامتلاء على فمه مما يتدفق من الزيادة عن متسع معدته

ومنهن من تكون مشتغلة بخياطة فسطان او جر حديث مع صديقة لها عن موضة جديدة فاذا بكي طفلها ركضت اليه وهي تتذمر من صراخه وقد خلفت عقلها اما بفسطانها واما عند صديقتها . فتكشف عن صدرها وتقدم ثديها وهي على مسافة مترين من طفلها ولا تبحث عند دنوها منه عن اسباب بكائه هل هو الجوع وحده الذي ابكاه ؟ وهـذا الاعتقاد راسخ بعقول معظم الشرقيات وعلى الاخص السوريات واصبحت اصوله متمكنة فيهن تمكن جذور الارز في تربة لبنان . الا رحمة منك ايتها الام تمحين بها هذا الاعتقاد وتعاملين طفلك معاملة ذكرتها في احد الاعداد الماضية . ولم اكن الاول بذكرها اعني البحث عن سبب بكاء طفلك ثم تعالجينه بالتي هي احسن . فان كان بكاؤه ناتجاً عن البرد فانه يظهر على اطرافه بانكماش جلده . ويصاب بالمغص الذي يزعج سكونه ويبعد عنه الراحة . والدليل عليه انه يكون شديداً حيناً وخفيفاً حيناً اخر . اي ان صراخه لايكون على وتيرة واحدة من الشدة . واذا ضغطت بيدك ضغطاً لطيفاً على بطنه ارتاح وكف عن البكاء . واسباب البرد واضحة لا تحتاج الى اسهاب . وفي سرد بعضها كفاية لاستلفات نظرك الى اصلاحها جميعها

ولذلك نفرض انك علمت ذات يوم بان صديقة لك او نسيباً لزوجك قادم لزيارتك وان حقوق الضيافة اوجبت عليك اهمال لوازم بيتك وحصر وسائل الراحة بالزائر القادم . وانك من باب اللياقة والادب جلست لمحادثته فقضيت بضع ساعات في الاحتفاء والمجاملة واظهار عواطف السرور بوجود ذلك الزائر . ولنفرض ايضاً ان طفلك كان في هذا الوقت نائماً بغرفة من غرف البيت . وانه في خلال ذلك استيقظ وقد فات ميعاد تغذيته بضع ساعات وقاده الجوع في اثنائها الى استخراج يده واخذ يرضع اصابعها . وانه بلل ثيابه او وسخها — فاصابه ذلك كله وانت مشتغلة عنه بزائرك والترحيب به . اكرمي مثوى ضيوفك وحليهم محلاً يليق بك وبهم ولكن لا تشتغلي باحد عن ولدك . ترددي الى سريره لئلا يكون ازاح عنه الغطاء او بلل خرقته او آن وقت رضاعته . فواجباتك نحوه يجب ان لا يحول دون تتميمها حائل او يقوم مقامها واجب آخر

وقد يتفق لك العزم على زيارة احدى معارفك وربما اتفق ان يكون ذلك اليوم بارد الهواء او ممطراً ورايت حاجة الى حمل صغيرك معك ليتم واجبات الزيارة ايضاً .. فكوني على ثقة ان البرد قد يودي به . وهاك قصة حديثة العهد فيها عبرة لمن تضحي واجباتها نحو طفلها على مذبح الاهمال ولا تعبأ بنظام العائلة ولا تحترم شروطه — جاءني في الاسبوع الماضي نحو الساعة التاسعة مساء رجل على يده طفل لم يبلغ الحول ليشاورني في امره وكان البرد في ذلك المساء قارصاً . فقلت له « اذا كنت اتيا لهذا الغرض الذي ذكرته فما هو ذنب هذا الطفل ولم احضرته معك » فقال « لان امه مضت لتزور صديقة لها وابقته في البيت ولما طال غيابها بكى » فحذرته عاقبة عمله . وفي صباح الغد او بعده رايته واقفاً بباب خيمتي يدعوني الى بيته فذهبت معه فرايت ذلك الطفل قد اصيب بنزلة صدرية حادة

وقد يكون بكاء الطفل ناجماً عن تبليل الخرقة الملتف بها . وذلك يزعجه لانه يتصور نفسه في حوض ماء وسخ فيتألم من الرطوبة . فيشكو امره بالبكاء والصياح الى ان تفيق امه من نومها الثقيل فتنهض وهي بين نائمة ويقظة فتناوله الثدي واجفانها مطبقة فاذا احست ان ثديها لمس جسماً ناعماً تستيقظ . وقد يتفق في بعض الاحيان ان يأتم الطفل الثدي لانه حبيبه فيلهو به حيناً ولكنه لايلبث ان يبتعد عنه ويعود الى صياحه الاول لبقاء السبب الرئيسي وهو الرطوبة بين فخذيه . وكثيرات من الامهات يمن وحلمة الثدي في فم اطفالهن — يفعلن ذلك هرباً من الم اليقظة وهي عادة قبيحة

واقبح منها ما يسفر عنها من الاسقام المتنوعة

وقد يكون الطفل نائماً نوماً هادئاً او يكون في حضن امه والابتسامة مرسومة على وجهه فيصيح فجأة ويأخذ بالبكاء . ومن يتوهم ان بكاءه هذا من الجوع غير الام الجاهلة ؟ ويغلب ان يكون سبب البكاء برغوثاً تغلغل في ثيابه ولسعه او غير ذلك من الهوام . او ربما كان رباط وسطه ضاغطاً على جسمه . او من بعض الاسباب التي تقدم ذكرهما . فيتألم ولسان شعوره الذي يعبر عن آلامه او جوعه انما هو البكاء . وقد يتألم ايضاً من الصخب الشديد او الدغدغة او المداعبة الباردة . وهو بين صعود وهبوط بين يدي مداعبه مسروراً ضاحكاً . فيتحول الى البكاء وعلامة الخوف والذعر على محياه . ولوقدر له ان ينطق في تلك الساعة لقال لمداعبه « دعني في سكوني وابعدني عن اماكن الضوضاء لانها تزعجني ومجرد وقوعها على طبلة اذني يولمني كثيراً فان كنت تحب نفعي اتركني هادئاً مستكناً »

واخر الاسباب لبكاء الطفل الاهمال والعبث بمواعيد الارضاع . والواجب ان يعين له كل ساعتين ونصف او ثلاث ساعات رضاعة . ولكن لسوء حظه تنصرف الام عنه الى التكلم مع جارتها عن خطيب فلانة او فسطان فلانة اوغير ذلك من المشاغل الفكاهية الكثيرة . ولو كتبت بهذا الموضوع وحده المجلدات لما وعت كل ما يجب ان يقال فيه . وعندي ان الطفل ان لم يعتن بتربيته المبنية على القواعد الصحية وهو في مهده كان نصيبه من الحياة الشقاء والتعاسة لما ينتابه من الاسقام . واذا سلم من داء وقع في سواه وان عاش كان عرضة لانواع الشقاء والبلاء

ولذلك فبكل اخلاص انصح للامهات ان يعملن بالقواعد الصحية كما يجب عليهن فحالما يسمعن بكاء الطفل يفكرن بالاسباب التي مرت عليها ابصارهن . وقبل ان يمددن ايديهن الى صدورهن يحثن عن سبب البكاء ويتلافينه وبذلك يهبن للعالم عضواً نشيطاً سليماً عقلاً وجسداً والسلام

الدكتور شخاشيري
حكيم كرتينة نخل

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من سنة ١٦ و١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و ٣ من سنة ١٨ و٢ و٧ من سنة ١٩ فمن كان لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه



عبد الله باشا نصرت

ولد سنة ١٨٥٢ وتوفي سنة ١٩١١

تمهيد في الشهرة

الشهرة من جملة مطالب الحياة وهي من الشهوات العقلية او المعنوية . ويتفاوت الناس في الاسلوب الذي يطلبونها به فمنهم من يلتمسها من طريقها القويم بالجد والعمل في خدمة امته من الوجهة التي يستطيعها . ومنهم من يطلبها بالاعلان عن نفسه على صفحات الجرائد فيحمل اصحابها على تقريظ اعماله واطرائها والمبالغة فيها . والمصابون بهذا الداء يكثرون في عهد انحطاط الامة اذ لا يبقى فيها من ظواهر المدنية الا التحدث بالاسلاف او التشبه بالامم الراقية من معاصريها . فان لم تقدر على مثل مشروعات تلك الامم كفاها التظاهر بثمار تلك المشروعات — وهو منتهى العجز

وهناك طائفة من الناس يعملون ولا ينظرون الى ما يترتب على اعمالهم من الشهرة لان غرضهم الرئيسي العمل لا الشهرة . فاذا أثمر سعيهم ظهر فضلهم وتناقلته الصحف او تداولته الالسن — ارادوا ذلك او لم يريدوه . وقد لا يثمر سعيهم او انهم يموتون قبل

الفراغ من عملهم ويكمله من يأتي بعدهم فينال الشهرة ويكتسب الفخر . وقد يضيع فضل المؤسس او يظهر ولو بعد حين كما اتفق للويس موبار مؤسس فن الطيران باكتشافه اجنحة الطيارات وحركاتها . فانه مات منذ بضع عشرة سنة وكاد ينطمس خبره ويفضي الفخر الى سواه . فقام بنصرة الحق جماعة من اهل الفضل ونصبوا له تمثالاً في واحة عين شمس منذ بضعة اشهر (راجع الهلال السادس من هذه السنة) وهذا دليل على ان الصحيح لابد ان يصح ولو بعد حين

وفي بعض الناس ميلٌ فطري الى البحث والتنقيب والانتباه لما يعرض لهم من الحوادث فيستخرجون منها ما لم يستخرجه سواهم – وان كان قد رأى مثل ما رأوه . ويصح ذلك خاصة في اهل الاختراع والاكتشاف . فمنهم من اذا وقع نظره على حجر يختلف في مظهره عما تعود رؤيته في الاحجار الاخرى او راى تراباً فيه شيء لم يألفه فانه لايزال ينقب ويبحث حتى يقف على سبب ما رآه من الاختلاف . وقد يترتب على ذلك البحث اكتشاف او اختراع يصل اليه هو او بعض معاصريه اوغيرهم في الاجيال التالية . ولا يبعد ان يكون الزمان قد طمس اخبار كثيرين من اهل الفضل على الاكتشاف والاختراع ماتوا ولم تتضح اعمالهم

والمشهور ان الشرقيين اليوم من ابعد الامم عن الاكتشاف اوالاختراع – ليس لعجز طبيعي في فطرتهم بل لقلة ما يرجونه من المكافأة على تعبهم في البحث والتنقيب فيصرفون هممهم عنه . الاَّ من غلبت عليه فطرته البحاثة كما هو شأن الرجل الذي نترجمه الآن — نعني اللواء عبدالله باشا نصرت من كبار رجال الجند المصري . فقد نقل الينا بعض الثقات من ثمار قريحته في البحث والتنقيب ما يصح ان يكون قدوة للشرقيين — واليك خلاصة ذلك :

ترجمة حاله واعماله

ولد بمصر سنة ١٨٥٢ من اسرة مصرية نبغ منها افرادٌ خدموا الدولة الخديوية . فتثقف في مدارس الحكومة وتدرج فيها من مبادئ العلم الى الهندسة الحربية فاتم دراستها سنة ١٨٧٣ فادخل المدرسة الحربية . وبعد سنتين نال رتبة الملازم والحق بآلاي الطبجية ملاحظاً للتعليمات وفي سنة ١٨٧٧ تعين مدرساً للقوانين في مدرسة الطبجية ثم انتقل الى المدرسة الحربية لتعليم الرياضيات وهو يوالي الدرس والبحث فوفق سنة ١٨٨٢ الى اكتشاف حجر الاسمنت الطبيعي في جبال العباسية . وعرض اكتشافه على المرحوم توفيق باشا الخديوي السابق واثبت صحته بالتجارب فكافأه

سموه برتبة يوزباشي وعهد اليه التدريس في مدرسة المهندسخانة الخديوية . ثم عاد الى المدرسة الحربية لتدريس الكيمياء والطبيعة والرياضيات وفن الاستحكامات . وفي سنة ١٨٩٠ رقي الى رتبة اركان حرب وتنقل في مناصب مختلفة وهو يرتقي في سلم العسكرية ولا يفتر عن التنقيب . فاكتشف سنة ١٨٩٤ منجماً للذهب في جبال العباسية لكنهم وجدوا بعد التحليل ان ما يخرج من ذهبه لا يزيد على ما ينفق في استخراجه . واكتشف هناك ايضاً الجير المائي وحجر الكوبلت . واستنبط طريقة لاستخراج الماء للقشلاقات باربع سواق احتفرها وبناها على اسلوب خاص فاقتصدت الحكومة بذلك اموالاً جزيلة كانت تدفعها الى شركة المياه

وانتقل في خدمة الجندية المصرية الى الصعيد ثم الى السودان وتعين اركان حرب هندسة السكة الحديدية والمخازن السودانية بين حلفا ودنقلا وسواكن والخرطوم وشهد بعض المواقع الحربية وتال وسامين وخمسة مشايك . واخترع سنة ١٨٩٩ ساقية تحمل ١٥٠ قادوساً يديرها رجل واحد نصف يوم بلا تعب . ولا يكلف صنعها اكثر من ثمانية جنيهات فركب عدداً منها على آبار حفرها لري الجند والعمال في السودان

واقام في اثناء هذه المهمة في ابي حمد على طريق الخرطوم فاكتشف فيها حجر الرخام المرمري الاسود والمعرق على اختلاف الوانه . وكان الذين شاهدوه قبله يحسبونه جرانيت فاثبت هو انه رخام ويمكن الاستغناء به عن ابتياع الجير من مصر لاجل البناء . فصدر له الامر ان يستثمر ذلك الاكتشاف ولا تزال السكة الحديدية السودانية مكتفية به . وكوفئ على ذلك برتبة قائم مقام سنة ١٩٠٣ واكتشف في جبال وادي علي هناك طينة الخزف واصطنع منها خزفاً عرضه على السردار وعلى الجناب العالي فاعجبا به . فانشأ ابنية لاصطناع بعض انواعه كالقلل والطوب الاحمر بين حلفا والخرطوم فاكسب الحكومة مبالغ وافرة

وما زال في السودان الى سنة ١٩٠٤ فنقل الى مصر وجعل من اركان حرب المعية السنية فكان يرافق الجناب العالي في بعض اسفاره وهو يوالي البحث فاكتشف في السنة التالية حجر الجبس في مريوط وعرض اكتشافه على سمو الخديوي فرقاه الى رتبة اميرالاي . واكتشف معادن اخرى بجبال مصر منها النحاس والحديد والقصدير وارتقى سنة ١٩٠٨ الى رتبة اللواء واحيل على المعاش الكامل وقد تعب من الجهد والعمل . ثم توالت عليه نوب السكتة آخرها نوبة اصابته في دسمبر سنة ١٩١١ فقضت عليه رحمه الله

غرق السفن

والباخرة تيتانيك

اضطرب العالم و بكت الانسانية على غرق الباخرة تيتانيك في ١٥ افريل الماضي في اثناء سفرها من ليفربول الى نيويورك . وهي اكبر سفينة في العالم بنتها شركة وايت ستارلين محمولها ٤٧٠٠٠ طن . وهذه اول سفرة لها فكانها عروس لاقت حتفها في يوم زفافها . وهي عبارة عن بلد قائم بنفسه لما حوته من حاجيات العيش وكمالياته من الرحاب الواسعة للالعاب الرياضية حتى لعبة كرة القدم . والحياض الفسيحة للسباحة والحمامات التركية والكهربائية . وقد اتقنت غرفها احسن اتقان وفرشت بمثل ما تفرش به افخر القصور . ولها شرفة تظللها النباتات المتسلقة . وفيها متنزه للماشي يبلغ طوله ثلاثة كيلومترات بين القهوات والحانات وعزف الآلات . فضلاً عن قاعات المطالعة والمكاتبة . والسفينة تحتوي على ١١٧٨ مخدعاً للركاب تسع ٣٥٦٠ نفساً — غير ٤٨ مخدعاً لموظفيها

واما كيفية غرقها فننقلها كما قصه الناجون منها يوم نزولهم نيويورك قالوا :

« نحن الموقعين على هذا القرار من منقذي الباخرة تيتانيك منعاً للمبالغة وتدويناً لما شاهدناه عياناً نذكر للصحافة انه في يوم الاحد ١٤ الجاري نحو الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٠ مساء حين كان الليل بارداً مضيئاً اصطدمت الباخرة بقطعة من الجليد كانت ظاهرة من جسر الباخرة ولكن لم تكن المهلة كافية لاجتنابها . فاخذت الحيطة ووزعت حلقات النجاة وانزلت الزوارق وارسلت اشارات الخطر اللاسلكية وكانت الاسهم النارية في اثناء ذلك تنطلق منذرة بالخطر

« واتفق لحسن الحظ ان الباخرة كرباثيا تلقت الاشعة الكهربائية نحو نصف الليل ووصلت الينا الساعة الرابعة من صباح الاثنين فنقل اليها الركاب بتمام العناية »

واثنت اللجنة على حسن المعاملة التي ابدتها الباخرة كرباثيا وقالت « ان جواز قلم التجارة عين محمول الباخرة والركاب ٣٥٠٠ نفس ولكن زوارق النجاة لم تكن كافية الا لنقل ٩٥٠ نفساً فقط وقد كان عدد الركاب كلهم ٢٣٤٠

« اما الذين انقذتهم الباخرة كرباثيا فهم ٢١٠ من الدرجة الاولى و١٢٥ من الثانية و٢٠٠ من الثالثة و٤ ضباط و٣٩ ملاحاً و٩٦ خادماً و٧١ من رجال المطافي . وبنا

توجه اليه انظار الجمهور هو عدم كفاية وسائل الانقاذ في البواخر الحديثة ووجوب اهتمامها لاعداد زوارق الانقاذ الكافية » وقد وجهت اللجنة الانظار ايضاً الى عدم دربة الملاحين وعدم كفاءة الضباط لتدبير انزال الزوارق واشارت بوجوب عقد مؤتمر عمومي لذلك ووضع لوائح خاصة كافلة بسلامة جميع الركاب في البحار

وكان من جملة غرقى هذه الباخرة عدد كبير من الاغنياء والاشراف وفيهم جماعة من اصحاب الملايين . غير الكتاب والادباء واشهرهم المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية وسنأتي على ترجمته في فرصة اخرى

غرق السفن قبل تيتانيك

ان مصائب الغرق في البحار قديمة لان اول سفينة مخرت في الماء عرضت نفسها للغرق . ولا سيما في اول عهد الانسان قبل اختراع وسائل الوقاية ودرس اعماق البحار واصطناع آلات الانقاذ وخصوصاً بعد تسيير السفن بالبخار وبناء الضخم منها والمتين . فقلت اخطار الغرق بالنسبة الى عدد السفن لكن عدد الغارقة منها تضاعف وازداد معه عدد القتلى غرقاً مما لا يمكن حصره . ولكننا نأتي بمثال صغير يصوّر تلك الاخطار ليقاس عليها . وهذا جدول يحتوي على عدد السفن التي غرقت لانكلترا وحدها في الربع الاخير من القرن الماضي وعدد الانفس التي ضاعت فيها الاّ السفن الحربية :

سنة	السفن الغريقة	الانفس الغريقة	سنة	السفن الغريقة	الانفس الغريقة
١٨٧٦	٦٦١	١٩٦٩	١٨٨٨	٥٤٣	١٩١٧
١٨٧٧	٦٧٧	١٧٣٢	١٨٨٩	٤٤٧	١٠٤٥
١٨٧٨	٧٣٦	١٣٠٢	١٨٩٠	٥٢٨	١٥٤٤
١٨٧٩	٦٢١	١٦٥٢	١٨٩١	٥٨٧	١٩٢٦
١٨٨٠	٨٣٥	٢٠٧٥	١٨٩٢	٤١٦	١٣٢٩
١٨٨١	٩٧٣	٣١٦٥	١٨٩٣	٥٢٣	١٤٨٧
١٨٨٢	٧٣٣	٢٦٩٨	١١٩٤	٥٣٩	٢٧٣٥
١٨٨٣	٧٩٣	٢٦٩٨	١٨٩٥	٤٧٨	١٤٤٣
١٨٧٤	٦١٦	١٦٤٤	١٨٩٧	٤٧٥	٨٧٦
١٨٨٥	٥٥٧	١٢٣١	١٨٩٨	٤١٣	٩٧٢
١٨٨٦	٦٤٤	١٣٤٠	١٨٩٩	٣٩٧	١٣٠٨
١٨٨٧	٥٠٠	١٨٨١	١٩٠٠	٣٤١	١٠٤٤

هذا ما يختص بالسفن الانكليزية غير الحربية فكيف اذا ادخلنا السفن الحربية وجمعنا اليها سفن سائر الدول في العصر الاخير وما قبله فانه يكون عظيماً . مثال ذلك قد رأيت ان عدد السفن الانكليزية التي غرقت سنة ١٨٨٧ بلغ نحو ٥٠٠ سفينة وقد بلغ عدد السفن التي غرقت في تلك السنة لسائر الدول نيفاً واربعة الاف مما غرق بجانب الشواطىء الانكليزية فقط . على ان الباحث في مقدار تلك الاخطار يرى بعض السنين تمتاز عن سواها بكثرة حوادث الغرق فيها كما يتضح من مراجعة الجدول . ويتوقف ذلك على حال الطقس . فقد رايت عدد الغرقى في الربع الاخير في القرن الماضي لم يزد عددهم في سنة واحدة على ٣١٦٥ (سنة ١٨٨١) . ومن السنين التي امتازت بانوائها وكثرة الغرق فيها سنة ١٨٥٣ فان الغرقى فيها بلغت اضعاف ذلك . وناهيك بما يضيع من التحف في قاع البحر فقد ذكروا ان الباخرة تيتانيك كانت تحمل ما قيمته مليون جنيه من المصوغات والاحجار الكريمة . فاذا اضفت ذلك الى قيمة السفن انفسها التجارية والحربية وما يغرق معها من الانفس ويضيع من الاموال رايت خسائر البحر اضعاف خسائر الحرب في البر

الشعوب السلافية

احصاؤهم في العالم

نقلت مجلة الكلمة التي تصدر في نيويورك احصاء للشعوب السلافية وهم الامم الروسية وضعه فلورنسكي استاذ التاريخ في كلية كياف احببنا تلخيصه لانه احدث احصاءات تلك الشعوب وادقها قال :

ان عدد الامة السلافية في جميع العالم قد بلغ حتى بدء عام ١٩١١ الماضي ١٥٩٤٢٠٠٠٠ نسمة منهم مئة وخمسة ملايين في المملكة الروسية وتسعة ملايين في المملكة النمساوية وخمسة ملايين في المملكة البلغارية وخمسة ملايين في مملكتي السرب والجبل الاسود والباقون وقدرهم نحو خمسة وثلاثين مليوناً مشتتون في تركيا وجرمانيا وايطاليا واميركا الشمالية والجنوبية

ثم احصى السلافيين حسب الاديان وخلاصة ذلك :

تاريخ اداب اللغة العربية

تأليفه وتبويبه

لم تجر لنا العادة ان ننشر ما يرد علينا من التقاريظ المتعلقة بنا او بكتبنا مع كثرة ما يرد علينا منها . وفيها طائفة حسنة جاءتنا من جلة العلماء والمستشرقين ولا سيما بعد ان اخذنا في تأليف الكتب الانتقادية لخاصة القراء كتاريخ التمدن الاسلامي والعرب قبل الاسلام وتاريخ آداب اللغة ونحوها . لاننا نخجل من تقريظ نفسنا ولا نرى ان نشغل الهلال بنشر المدائح والتقاريظ لنا او لسوانا . فلم نذكر شيئاً مما يرد الينا بهذا الشأن في اثناء العشرين سنة — الا لضرورة لم نر لنا مناصاً منها اولغرض اردنا بسطه للقراء — وهو السبب الذي حملنا الآن على نشر كتاب صديقنا الاستاذ جبر ضومط استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بشأن الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية . فانه ضمنه الشك في هل تأليف هذا الكتاب بشكله من التبويب والترتيب هو لنا او اخذناه عن سوانا ؟ وقد رأينا هذا الشك خامر غير واحد من القراء وفيهم من لا يزال يسيء الظن في الكاتب الشرقي ويعتقد انه قلما يجيء بشيء من عند نفسه واذا اجاد في موضوع فيكون قد نقله عن بعض كتبة الافرنج . ولا لوم على القراء اذا تمكن منهم هذا الاعتقاد فان كتابنا لا يزالون يعتقدون ضعف الثقة في انفسهم . ومنهم من اذا همّ بتأليف كتاب في موضوع يتبادر الى ذهنه ان الناس لا يثقون بكتابه الا اذا كان منقولاً عن مصادر افرنجية — حتى في المواضيع الشرقية او العربية المحضة فيفضل الترجمة على التأليف — ذلك ما بعثنا على نشر كتاب صديقنا الاستاذ جبر لنعلق عليه ما يزيل الاشكال . لاسيما وانه طلب الينا نشره قال اعزه الله :

صديقي جرجي زيدان

وصلني كتابك الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية في الثالث من هذا الشهر وانا على شرف الصعود الى سوق الغرب لاقضي هناك مدة مسامحة العيد الكبير لمدرستنا الكلية . فاخذت الكتاب معي دون سواه لاتمكن من قراءته كله او جله . وقد قرأت منه هناك ما يزيد على مئتي صفحة . ايها الصديق اني لم ادرس تاريخ الآداب العربية درساً قانونياً ولا اذكر اني قرأت كتب هذا الفن في اللغة الانكليزية لاعلم ماذا يراد به من حيث هو علم مستقل قائم بذاته . ولكني كنت اطالع مطالعات متفرقة والغرض

منها الصرف والنحو والبيان والبلاغة وهي الدائرة التي تخصني اوخصصت نفسي لها في اثناء العشرين سنة الاخيرة . ولما قرات كتابك النفيس وجدت انه يستغرق جميع مطالعاتي في هذه السنين الكثيرة ويزيد عليها . وقد رايتها في كتابك مرتبة مبوبة ابواباً ابواباً يسهل الرجوع اليها . وفوق ذلك وجدتها حلقات ارتبط بعضها ببعض وترتب بعضها على البعض الاخر ترتب الاسباب على المسببات او ما هو بمعناه

وقد وجدت نفسي بعد مطالعة كتابك اني استطيع الانتقال بكل سهولة من دور الى دور في تاريخ آدابنا العربية . بل وجدت اني كنت ضائعاً في مطالعاتي الماضية . واني لو وقفت على كتابك او على كتاب مثله من نحو عشرين سنة واردت درس هذا الفن لكان يكفيني بضع سنوات ارتب درسي فيها على ما يمكن ان يستفاد من كتابك وتكون نتيجة مطالعاتي اشمل واوضح واوثق من مطالعات عشرين سنة

وعليه اقول ان كنت انت ابو عذرة هذا التأليف والتبويب فيحق لي ان ابالغ في تهنئتك بهذا الكتاب ومهما بالغت لا اكون مبالغاً . وان كنت استعنت بغيرك لجمعت ما تفرق واخذت ما استحسنت عمن سبقك وعن القوم الذين طال اشتغالهم بهذا الموضوع وتعدد فيهم المشتغلون فيه فاهنئك ايضاً لانك ابرزت للوجود كتاباً يسهل اقتناؤه ومطالعته على كل اديب . وتغني مطالعة سنة فيه عن مطالعات سنين. هذا ما اقوله عن شعوري الخاص ولا اظن الا ان كثيرين يشعرون كما إشعر ويعترفون بما اعترف

لم اقصد اطراءك فيما كتبت ولكن الصداقة والحقيقة كل منهما يوجب عليَّ ان اقول ما قلت واكتب لك ما كتبت . واودُّ ان بنشر كتابي هذا اذ ارجح ان في نشره فائدة لبعض من يقف عليه بان يحملهم على مطالعة الكتاب . واذا طالعوه واسترشدوا به هوّن عليهم الاحاطة بهذا الفن الجليل واغنتهم بعد ذلك مطالعة سنة في مظانها عن مطالعة سنين قد تكون في غير مظانها . واختم كتابي بالسلام عليك وتهنئتك القلبية على مؤلفك هذا النفيس وادام الله بقاءك لصديقك

المدرسة الكلية في ١٦ افريل سنة ١٩١٢ جبر ضومط

﴿ الهلال ﴾ اشكر لصديقي الاستاذ حسن ظنه في الكتاب . وان اطراءه عملي ينشطني على المثابرة في خدمة آداب هذه اللغة التي هو من اعظم اركانها ومن اهل الفضل في نهضتها بمؤلفاته المبتكرة وابحاثه الجديدة في فلسفة اللغة وعلومها العالية . اما تأليف تاريخ آداب اللغة العربية وتبويبه فهما لي دون سواي . ولبيان ذلك ابسط للقراء

تبويب غيري من المؤلفين في هذا الموضوع وكلهم من المستشرقين . فهم مجمعون تقريباً على قسمته الى قبل الاسلام وبعد الاسلام . ونحن فعلنا ذلك لان الاسلام انقلاب عظيم احدث تغييراً هاماً في كل شيء . واما تاريخ آداب اللغة بعد الاسلام فالغالب ان يقسموه الى عصر الراشدين وينتهي بظهور بني أمية . والعصر الاموي ينتهي بظهور العباسيين لكنهم لم يفرقوا بين اقسام العصر الاموي كما فعلنا نحن . ثم العصر العباسي وينتهي بسقوط بغداد . وهذا التقسيم طبيعي ايضاً للحدود الواضحة بين هذه الاعصر . ذلك هو تقسيم الاستاذ هيوار الفرنساوي والاستاذ نيكلسن الانكليزي ومن جرى مجراهما . وخالفهم الاستاذ بروكلمن الالماني في العصر العباسي فقسمه الى قسمين بدون التفات الى توالي الدول فجعل القسم الاول من سنة ٧٥٠ للميلاد الى سنة ١٠١٠ والثاني من سنة ١٠١٠ الى ١٢٥٨ (٦٥٦ هـ) او سقوط بغداد

اما نحن فقد نهجنا في تقسيم كتابنا منهجاً جديداً مبنياً على تقلب الاحوال السياسية والاجتماعية ـ حتى في الجاهلية فقسمناها الى قسمين لكل منهما مميزات . وقسمنا شعراء الجاهلية الثانية الى طبقات او مجاميع حسب طباعهم او شاعريتهم . وقسمنا العصر الاموي من حيث الشعراء الى ثلاثة ادوار يمتاز كل منهما باحواله الاجتماعية والسياسية والادبية وبينا تأثير ذلك في الشعر والشعراء . وقسمنا العصر العباسي او الدولة العباسية الى اربعة ادوار او اعصر يمتاز كل منها بصفات مشتركة من حيث السياسة والاجتماع والعلم والادب كما تراه في مكانه من الكتاب ولا نعرف احداً فعل ذلك قبلنا

وقس على ذلك خطتنا في تقسيم كل عصر الى ابواب من حيث المواضيع كالشعر والادب والانشاء والنحو والتاريخ والجغرافيا وغيرها . وتقسيم كل علم الى ابواب وجمع اصحابه في طبقات لكل منها صفات مشتركة . كما فعلنا في الرواة والنحاة والادباء والمؤرخين وغيرهم . فهذا التقسيم وان كان الاستاذ بروكلمن انتهجه في كتابه لكننا خالفناه في طريقته بحيث اصبح اكثره خاصاً بكتابنا . وكل ما فيه من الآراء ان لم ننسبه الى صاحبه فهو لنا ونحن المسئولون عما فيه من صواب او خطأ . ثم ان ابحاثنا في تاريخ الشعر وما تقلب عليه حسب الاعصر . وتاريخ الانشاء وكيف ارتقى حتى نضج في العصر العباسي الثالث . وبحثنا في القصص العربية واصلها ونشوءها . كل ذلك لانعرف احداً طرقه قبلنا على هذا الشكل — لانقول ذلك من قبيل التفاخر وانما اردنا تقرير الحقيقة ايضاحاً لما اشكل على صديقنا الاستاذ جبر من امر هذا التأليف والتبويب

العاقلة — فاصيب بذلك غلامٌ هزل جسمه وعقله حتى اضبح كالابله . فلما تحقق الاطباء ان العلة من انحراف في الغدة الدرقية استأصلوها بعملية جراحية ووضعوا مكانها قطعة من غدة درقية لعجل سليم فنجحت العملية وشفي الغلام وذهب بلهه

وذكروا حادثة اخرى استبدل فيها بعض المفاصل المصابة بالانكيلوسس بعد ان تخشبت وعجزت عن الحركة . ذكرت مجلة الاكاذيمية الطبية الفرنساوية انهم جربوا ذلك في حادثتين فنجحتا

ورق اللعب

وقع سهو في ترتيب اسماء الوان ورق اللعب وترجماتها في الهلال الماضي وهذا هو صوابها :

الاسم العربي	الايطالي	معناه	الفرنساوي	معناه	الانكليزي	معناه
كبا	Coppa	اقداح	Cœur	قلب	Hearts	قلوب
ديناري	Danari	دراهم	Carreau	مربع	Diamonds	الماس
بستوني	Bastoni	عصي	Pique	حربة	Spades	معاول
سباتي	Spade	سيوف	Trèfle	نفل (زهرة)	Clubs	نبابيت

مطبوعات جديدة

﴿ عجائب الخلق ﴾ هو بحث في طبائع الخلق يشتمل على امثلة من عجائب المخلوقات في الكون على الاجمال وفي مملكتي الحيوان والنبات على الخصوص موضحة بالاشكال . وفيه ابحاث في المكان والزمان والمادة والقوة والحياة والمعاد والخلود . وفي تكوين الجنين والتوائم . وغرائب الخلق في الانسان ومثلها في الحيوانات الاخرى والنباتات وطبائعها وغرائبها من حيث الفسيولوجيا والتشريح وغير ذلك . وكنا قد نشرنا هذه المواضيع بباب عجائب المخلوقات وغيره من الهلال فجمعناها في كتاب على حدة فيه ٨٢ صورة متقنة . وهو يطلب من ادارة ومكتبة الهلال وثمن النسخة مجلدة عشرة غروش والبريد غرش ونصف

﴿ تاريخ التمدن المصري ﴾ هو موضوع جديد في اللغة العربية عني فيه شكري افندي صادق . فوضع كتاباً يدخل في عشرة اجزاء صدر منها الجزء الاول ويشتمل على تاريخ الديانة المصرية ومعتقدات قدماء المصريين . وقد اوضحه بالرسوم والاشكال

وفيه ابحاث كثيرة هامة عن معتقدات المصريين وطقوسهم وميثولوجيتهم وكهنتهم وهيا كلهم والموت والخلود عندهم . مما لا يتيسر الوقوف عليه الا بمطالعة الكتب الضخمة . ومتى تم صدور الكتاب كان من اهم الكتب التي صدرت في التاريخ المصري بالعربية . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء الاول عشرة غروش والبريد غرش

﴿ الرقي والاعتدال ﴾ هي سلسلة ابحاث في ما يجب تناوله بيد الاعتدال من الاجتماعيات ووسائل الرقي لمؤلفه اسكندر افندي قزمان . صدرت الحلقة الاولى منها وموضوعها الفتاة وفيها ابحاث اجتماعية انتقادية اخلاقية جزيلة الفائدة تدخل في عدة ابواب الاول حديث عام والثاني في تهذيب البنات الحاضر ثم رواية الفتاة العصرية . وغير ذلك من المواضيع التي نحن في حاجة اليها . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ روميو وجوليت ﴾ هي رواية تمثيلية ذات خمسة فصول معربة بقلم نقولا افندي رزق الله منشيء مجلة الروايات الجديدة حدثت وقائعها في مدينتي فيرون ومانتو سنة ١٤٥٣ طبعة ثانية مصححة . وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان

﴿ الهلال العثماني ﴾ هي جريدة يومية سياسية اقتصادية ادبية تصدر في الاستانة بالعربية والتركية لصاحبها ومديرها المسئول الشيخ عبد العزيز جاويش الشهير. بدل اشتراكها ١٦٠ غرشاً في المملكة العثمانية و ٢٠٠ غرش في الخارج

﴿ النظرات ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب للشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي الكاتب المشهور . وهي مختارات مما كتبه حضرته ونشر في المؤيد وغيره في الادب والاجتماع والتهذيب والانتقاد . وقد ذكرنا صدور الجزء الاول منها في سنة ١٨ من الهلال . وهذا هو الجزء الثاني ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ مختارات المنفلوطي ﴾ هي مختارات من الشعر والانشاء للشيخ المنفلوطي صاحب النظرات . صدر الجزء الاول منها في ٢٧٠ صفحة . وهو مقسوم الى بابين باب الفصاحة والبيان وباب الادب والحكمة . وكل منهما مقسوم الى المنظوم والمنثور اتى فيها على امثلة لاشهر الشعراء والادباء المتقدمين والمتأخرين مع خلاصة تراجمهم . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ حكمة التشريع وفلسفته ﴾ هو كتاب علمي فلسفي في القضاء الاسلامي لحضرة الشيخ علي احمد الجرجاوي رئيس جمعية الازهر العلمية . صدر الجزء الاول منه وفيه

الحكمة من التشريع وارسال الرسل وفصول في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج بالتفصيل ويطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ جواهر الادب في خزائن العرب ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لجامعه سليم افندي ابراهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت . وفيه مقتطفات ادبية نظماً ونثراً من انفس الكتب العربية لمشاهير العلماء والكتاب مضبوطة بالشكل الكامل . ويطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن الجزئين ١٢ غرشاً والبريد غرشان

﴿ ديوان منصور شاهين الغريب ﴾ هو مجموع اشعار عامية سورية من النظم المعروف بالمعنى من نظم منصور افندي شاهين الغريب قوال المعنى اللبناني الشهير في معلقة الدامور . وهو كتاب نادر المثال في اللغة العربية لان عناية ادبائنا في جمع الاشعار العامية لا تزال قليلة . وهو يشتمل على مقدمة في الشعر والزجل لرصيفنا امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية جزيلة الفائدة . ثم منظومات صاحب الديوان واخيراً مطالع مختلفة لبعض مشاهير القوالين . وهو طرفة من الطرف الادبية

﴿ ديوان الساعاتي ﴾ هو ديوان المرحوم محمود صفوت الشهير بالساعاتي عني بجمعه وطبعه على نفقته مصطفى رشدي بك . وهو مقسوم الى ابواب حسب مواضيع النظم . وكان صاحبه قد طبع بعضه منذ خمسين عاماً فاعيد طبعه الآن كاملاً

﴿ ديوان ابن محمود ﴾ هو مجموع لطيف من مختارات شعرية لناظمها محمد افندي محمود صدر منها الجزء الاول وفيه قصائد في الاجتماع والمدح والاخوانيات والرثاء والغزل والنسيب وخواطر مختلفة ويطلب المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة غروش

﴿ ديوان محفوظ ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الديوان ليوسف افندي الخوري محفوظ نزيل اميركا وقد عنيت بنشره مطبعة الهدى في نيويورك ويطلب منها

﴿ سلم الدروس العربية ﴾ هو سلسلة دروس عربية للمكاتب الابتدائية تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني مدرس اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت . صدرت الحلقة الاولى منها وتشتمل على الاهم من اصول الصرف والنحو مع الامثلة والتمرينات على اسلوب جديد يسهل تناول هذه المبادىء على الطلاب . وستصدر الحلقات الاخرى تباعاً وهو يطلب من المكتبة الاهلية في بيروت

﴿ الدولة والجماعة ﴾ هو كتاب في السياسة والاجتماع تأليف المرحوم احمد شعيب بك الكاتب التركي . وقد نقله من التركية الى العربية محب الدين افندي الخطيب المحرر في جريدة المؤيد ويشتمل على ابحاث فلسفية لذيذة

الهلال

الجزء التاسع من السنة العشرين

اول يونيو (حزيران) سنة ١٩١٢ و١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٠

وليم ستيد

(William Tomas Stead)

الصحافي الانكليزي الشهير

صاحب مجلة المجلات الانكليزية

ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٩١٢

اصيبت الصحافة الانكليزية بل الصحافة على العموم بموت وليم ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية غريقاً في الباخرة تيتانيك كما اشرنا الى ذلك في الهلال الماضي ووعدنا بنشر ترجمة حاله . ونحن فاعلون الان معوّلين على ما قاله كبار كتاب انكلترا في العدد الاخير من مجلته . وفي حياة هذا الصحافي النابغة عبرة لرجال الصحافة على العموم والصحافة المصرية على الخصوص كما ستراه في ما يلي :

حداثته

ولد وليم ستيد سنة ١٨٤٩ وكان ابوه قسيساً في هودن اون تاين قرب نيوكاسل فتلقى العلوم الابتدائية التي تأذن بها حاله وميل ابيه واكثرها على الصبغة الدينية . ولما بلغ الرابعة عشرة اخرج من المدرسة ليتمرن على خدمة التجارة في نيوكاسل وارتقى هناك حتى صار كاتباً تجارياً براتب معين . فقضى في ذلك المنصب سبع سنوات . وكان

لهذا المحل علائق تجارية مع روسيا فكان ذلك من جملة ما بعث صاحب الترجمة على الاهتمام بالروس وسياستهم . وقد رايت انه لم يتلق في المدرسة الا مبادىء العلم ثم تفقه على نفسه وعلى ابيه فنشأ وفيه تدين رافقه الى آخر ايامه . وكان كثير الاعجاب بأوليفر كرومويل المصلح الانكليزي الشهير . يقلده باخلاقه واغراضه وكان من اقصى امانيه ان يشبهه الناس به — ولا يخلو الشاب في اوائل شبابه من رجل يعجب به فيجعله مثالاً ينسج على منواله . فلما صار ستيد محرراً في البال مال غازت كما سيجيء قال له الكردينال مانين مرة « لما اقرأ البال مال كل ليلة يخيل لي ان اوليفر كرومويل بعث من قبره » فكان ستيد يعد هذه المجاملة اكبر فخر له

وكان في اوائل شبابه يحب المطالعة ولكنه لم يشعر بميل الى الادب الا بعد مطالعة شكسبير في طبعة رخيصة طبعها بعضهم وجعل ثمن الجزء بنس (نحو نصف غرش) وكانت نفقات جيبه ثلاثة بنسات كل اسبوع يدفع ثلثها للكنيسة ويبتاع بالباقي اشعار شكسبير ويلتذ بمطالعته . فأثر ذلك في مستقبل حياته لانه لما صار صحافياً كان في جملة مشروعاته نشر منتخبات الشعراء كل جزء بنس

وكان وهو صغير يطمح به خياله الى اعمال الكبار — وذلك طبيعي في الشبان في اوائل شبابهم لان اتساع آمالهم وقلة اختبارهم يوهمانهم في انفسهم القدرة على عظائم الامور . ثم يرون بعد الاختبار انهم كانوا واهمين . على ان هذا الخيال يحلو ظهوره في الشبان ويغلب في اصحابه ان يكونوا من رجال الاعمال — فكان ستيد من صباه ينتقد احوال الاجتماع او السياسة ويهتم بذلك ويباحث فيه ويجادل حتى مل ابوه منه مرة فقال له « ارى الافضل يا وليم ان تترك هذا العالم احياناً الى خالقه يدبره كما يشاء »

حياته الصحافية

وكان وهو يتعاطى الكتابة التجارية يجد في نفسه اندفاعاً الى الصحافة ويختلس ساعات الفراغ يراسل بها جريدة « نورثرن ايكو » في دارلنتن . فاعجب صاحبها بما في هذا الشاب من الاستعداد للصحافة . واتفق فراغ منصب التحرير عنده فجعل ستيد رئيس التحرير . فتهيب من ذلك المنصب لاول وهلة لكنه ما لبث ان تعوده وهان عليه ونفسه تطلب المزيد . لانه تعاطى هذه المهنة عن ميل اليها واستعداد لها وهما من اكبر اسباب النجاح في كل عمل — ومن يحترف حرفة لمجرد الارتزاق بلا لذة يلاقيها فيها يندر ان يكون نجاحه باهراً

ومع ذلك فان الميل والاستعداد لا يكفيان للنجاح المطلوب ولا بد من توفر الاحوال المساعدة. فاتفق لستيد عند توليه ذلك المنصب ظهور المسألة الشرقية واهتمام المستر غلادستون وزير انكلترا بما كان يحدث في بلغاريا من الكبائر. وكان ستيد قد تعرف الى مدام دي نوفيكوف ووافق هياج بلغاريا ما في نفسه من الغيرة الدينية وما فطر عليه من التحمس فانصرف الى هذه المسألة وجاء لندن ليكون قريباً من القوم الذين يتولون الاشتغال بها. فاقام في لندن وتعرف الى جماعة من كبار الرجال فاهتموا بما يكتبه وهو يزداد حماسة وقوة حتى اصبحت تلك الجريدة عاملاً مهماً من عوامل الراي العام

البال مال غازت

واشتهر اسمه بين رجال الصحافة الاحرار وعرفوا اقتداره فتوجهت الانظار الى الانتفاع بمواهبه. وتولى المستر مورلي رئاسة تحرير البال مال غازت سنة ١٨٨٠ فاختار ستيد مساعداً له. فقضيا ثلاث سنوات يحرران هذه الصحيفة معاً وكل منهما متمم للآخر — كان مورلي مديراً سياسياً يحرر المقالات الافتتاحية ووليم ستيد يهتم بسائر المواضيع ويستبد فيها بما يرشده اليه ذكاؤه وتقتضيه حماسته. ومورلي يحاول ردعه عبثاً وسئل عنه مرة فقال انه « لا يقهر » على ان المدة التي قضاها تحت يده افادته وقللت شيئاً من تسرعه وحدته. فاصبح كفوءًا لكتابة المقالات الهامة — يكتبها هو والناس يحسبونها لمورلي

واستقال مورلي سنة ١٨٨٣ من تحرير البال مال فقام ستيد مقامه وقضى ست سنوات وهو لا يهدأ سعياً وتحريراً. فرفع قدر تلك الجريدة حتى جعلها حديث القوم في مجتمعاتهم وانديتهم بما طبع عليه من الذوق الصحافي والانتباه لكل حادث والانصراف اليه بكليته — لا يكتفي بالقول بل يشفعه بالفعل. فاذا عرضت مسألة هامة لا يكفيه ان ينشر رأيه فيها بل يتتبعها بنفسه سفراً او جدالاً أو تحريضاً

واول حادث ظهرت فيه مقدرته يتعلق بمصر والسودان. وذلك ان السودان لما ظهر المهدي فيه استخفت الحكومة المصرية به فقوي ساعده فبعثت اليه حملة سيئة الطالع بقيادة هيكس باشا فذهبت فريسة العطش وسوء التدبير. واصبح السودان كله شعلة نورية فاهتمت انكلترا بشأنه وقررت سحب الموظفين المصريين منه وتركه وشأنه. وتحدثت جرائدها بالامر وبحثت في الوسيلة لاخلاء السودان فخطر لستيد ان الجنرال غوردون اقدر رجل على ذلك. فكتب رايه في جريدته وسعى فيه بنفسه.

والمفهوم من الوقائع الرسمية ان اللورد غرانفيل وزير الخارجية ارسل تلغرافاً الى السير افلن بيرنغ (اللورد كرومر) في ١٠ يناير سنة ١٨٨٤ يسأله فيه « هل يفي غوردون بتلك المهمة » ولكنهم لم يذكروا ما بعث اللورد المذكور على اختيار غوردون — وانما بعثه على ذلك « ستيد » لانه كان يعرف اقتدار ذلك القائد ومنزلته عند السودانيين . وكان غوردون يومئذ في سوثمتون قادماً اليها من فلسطين ليراس حملة اعدها ليوبولد ملك البلجيك للكونغو . فسافر ستيد اليه وحادثه محادثة طويلة اقنعه فيها بقبول ذلك المنصب لانقاذ حامية السودان . ونشر ذلك فتناقلته الصحف وعملت الحكومة به

وهو الذي روج فكرة الاستقلال الاداري في المملكة البريطانية ويعرف اصحابها بالامبراطوريين الاحرار ويرون ان تستقل كل مستعمرة من المستعمرات الانكليزية بادارتها الداخلية وتجتمع كلها تحت العلم البريطاني . وقد سبق غلادستون الى هذه الفكرة ودافع عنها بقلم من نار وكان يعتقد ان الاستقلال الاداري خير وسيلة الى ترابط اجزاء المملكة البريطانية

وكان في اثناء تحرير البال مال ينشر كتباً مستقلة في مواضيع عمومية . وادخل في الصحافة تعبيرات والفاظاً لم يسبقه اليها احد والكتاب ينقلونها عنه . ولم تعرض مسألة هامة الا قبض عليها بكلتا يديه وسعى فيها بقلمه ولسانه وقدميه . كما فعل بمسألة البحرية الانكليزية وتقويتها وعلاقة ذلك بمركز انكلترا بين الدول . فحمل على الحكومة وحرضها على زيادة المدرعات وغيرها فكتب المقالات ونشر المنشورات وحادث وجادل وحرّض . ولم يكن يعول في تحريضه على رشاقة العبارة او يضرب على وتر من الاوتار خاصة بل كان معوله بالاكثر على الحقائق الثابتة . واستقى مواده من رجال البحرية المحنكين . فلم ترَ الحكومة بدّاً من العمل برايه فزادت ميزانية البحرية زيادة حسنة

سجنه

ثم عرضت مسألة الرقيق الابيض سنة ١٨٨٥ فاهتم بها وانصرف اليها على الخطة التي كان يتوخاها في سائر مساعيه مع ما يتخلل السعي في هذا السبيل من الشبهات والظنون واسرَّ غرضه الى بعض كبار رجال الدين . فقاسى في سبيل ذلك عذاباً وتحمل اهانة . حتى اذا اجتمعت لديه المواد اللازمة اخذ في نشرها لاعتقاده ان افضل الوسائل لحمل الحكومة على الاهتمام بهذا الامر ان ينشر ما عرفه على الجمهور ويستعين بشعورهم واصواتهم . فانصبت اللعنات عليه لان كشف تلك الفضائح اساء كثيرين فقاموا عليه وقالوا انه لم يكن يليق به التعرض لهذه الشؤون وان ما نشره كله اكاذيب . وكان

في جملة ما كشفه من فضائح الرقيق الابيض فتاة قال ان ابويها باعاها . فاعترضه محرر جريدة « لويدس نيوز » واثبت ان الذي اقتنى تلك الفتاة انما هو وكيل ستيد نفسه وان ابويها لا يعلمان عنها شيئاً . فسيق ستيد الى المحاكمة وخدعه وكلاؤه فحكم عليه بالحبس ثلاثة اشهر

وتعرف في اثناء حبسه الى رئيس السجون فاهداه عند خروجه ثوباً من اثواب المسجونين لبسه في بعض الحفلات . وظل اصدقاؤه ومريدوه يحتفلون بيوم الحكم عليه كل سنة (في ٤ نوفمبر) تعظيماً لعمله وما ضحاه في سبيل نصرة الحق – ومهما يكن من ذلك فان جهاده في مسألة الرقيق الابيض حمل الحكومة على تنقيح قوانينها بشأنه

مجلة المجلات الانكليزية

وكان السجن سبباً في زيادة اصدقاء الرجل واعدائه . و على ذلك ان قدره ارتفع وامره عظم فانشأ مجلة المجلات سنة ١٨٨٩ وهي اشهر من ان تعرف لما تحويه من المواد الهامة على اختلاف المواضيع بايجاز مفيد . ولعلها اول مجلة ظهرت على هذا الشكل ولا نرى لها مثيلاً في جرائد العالم . فاصبح من كبار الرجال وهو اهل لذلك بما فطر عليه من كبر النفس والاقدام وقوة الحجة . وبلغ من شهرته وجرأته انه زار قيصر روسيا اسكندر الثالث ثم نقولا الثاني سنة ١٨٩٨ ولهذه الزيارة شأن خاص بما تخللها من الاقوال المأثورة – وذلك ان ستيد بعد ان خاطب القيصر ملياً وقضى غرضه من تلك الزيارة اقدم على الاستئذان في الانصراف بحجة « انه على يقين بان جلالة القيصر لا بد له من مرافقة جلالة الامبراطورة والانجال » فابتسم القيصر وهو يصافح ستيد بهزّ الايدي ويقول في نفسه « هذه هي اول مرة صرفني بها زائري » والعادة ان الملوك هم يصرفون زائريهم متى شاؤا . وهو انما قابل القيصر لمسألة من اهم المسائل السياسية في هذا العصر نعني مؤتمر السلام اي السعي في ابطال الحروب وكان للقيصر دخل كبير في عقد هذا المؤتمر . فقابله ستيد بهذا الشأن ثم تحول الى السعي فيه وذهب الى لاهاي وحرض الدول عليه وسمى سعيه في هذا السبيل « محاربة الحرب » فلما اشهرت انكلترا الحرب على جنوبي افريقيا كان ستيد في جملة مستهجنيها . وكان لمقاومته فيها شأن خاص لانه صديق لكثير من رجالها فاللورد ملنر كان مساعداً له في تحرير البال مال غازت وعرف جيمس ريد . وكان ايضاً صديقاً لسسل رود وكثيراً ما كان سسل يتردد اليه في ادارة المجلة

وكان رحمه الله يدير مجلته بهمة ونشاط بذلالان كل صعب ولا يفتر عن التفنن في

المواضيع واستنباط الابواب الجديدة مما لم يكن له مثيل في الصحافة الانكليزية . منها باب تراجم المشاهير مع وصف اخلاقهم وانتقاد اعمالهم . وباب تاريخ الشهر وملخص المجلات الافرنجية وغير ذلك ولا تخلو كتابته من نقد في كل حال . ويخوض في الابحاث السياسية العويصة ومع ان مجلته شهرية فان الناس يجدون في ابحاثه طلاوة وجدة . ولم يحصر سعيه في بلده بل هو لم ينفك سائحاً ينتقل من بلد الى بلد يقابل العظماء ويحادثهم وينشر محادثاتهم في مجلته . وهو الذي عود الكتاب والقراء على المحادثات السياسية المعروفة بهذا الاسم interview ولما كثر اقبال الناس على مجلته انشأ لها اختاً في اميركا سماها مجلة المجلات الاميركية ثم انتقلت الى سواه . وانشأ اختاً اخرى في اوستراليا

وكان كثير الاهتمام بشؤون الاميركان وله فيهم كتاب انتقادي سماه « لو جاء المسيح الى شيكاغو » وكتاب « حرب العمل في الولايات المتحدة » وسفرته الاخيرة على التيتانيك انما كان الغرض الرئيسي منها القاء خطبة في نيويورك موضوعها « سلام العالم » فقضى في تلك الباخرة ضحية سعيه في خدمة الانسانية

اخلاقه واعماله

كان رحمه الله نشيطاً هماماً شديد الثقة في عزمه قوي الايمان في نجاح سعيه ولو كان مستحيلاً . فاذا وجه خاطره الى امر انصرف اليه بكليته فيقتله درساً ثم يجلوه كتابة ثم يسعى في اخراجه الى حيز العمل سعياً متواصلاً بهمة وجراءة لا مثيل لهما . ولم يكن يهاب غير الله وليس له ثقة الا فيه وفي سعيه وهمته وقوة حجته . وكان كثير الاهتمام بالمصالح العامة يحمل على الظالم وينصر المظلوم . ولاقواله تأثير شديد على القراء قال الفيكونت ملنر صديق ستيد ورفيقه في التحرير من كتاب كتبه الى ابنه بعد موته « لا اعرف صحيفة في بلد من البلدان كان لها تأثير على الافكار العامة ما كان للبال مال غازت لما كان والدكم يحررها وانما يرجع ذلك الى قوته الشخصية » وقال « لم تكن في قوى العالم ما يمنع والدكم من ان يتولى كل عمل بيده لا يكتب المقالات فقط او يباشر سائر ما يكتب في البال مال لكنه كان يلاحظ كل فرع بنفسه »

فهذه السجية كان يتوخاها في معاملة امته وحكومته فيحمل عليها بقلمه ولسانه وينتقدها امر الانتقاد ويقابل كبارها ويقنعهم بما يقوله فعلاً كما رايت في الامثلة التي قدمناها عن مسألة غوردون والسودان والبحرية الانكليزية وغيرها

وكان جريئاً في نصرة الحق لا يبالي بما قد يعترضه فاذا كتب في مسألة نظر فيها

من الوجهة العملية لا يهمه التفنن في اساليب الانشاء او التأنق في الالفاظ . وقد علمت انه دخل عالم العمل وراس ماله من العلم ما يحتاج اليه الكاتب التجاري البسيط . فربى نفسه حتى صار اعظم صحافي عصره . ومع ما تقدم من تأثير قلمه في نفوس الناس فانه كان قليل العناية بتنميق العبارة فيجعلها بسيطة سهلة وانما قوتها بما تحويه من الحقائق الساطعة . ولذلك كان تأثير محادثاته اضعاف تأثير كتاباته . وهو كثير الاهتمام بما يعرض له من المسائل الكبرى والصغرى فينظر فيها ولا يتخلى عنها ما لم يحلها او يقف عند نقطة يصح الوقوف عليها . وكان شديد التعصب لرايه يدافع عنه كل قواه . ومع ذلك فمن اسهل الامور عليه ان ينتقل من الجد الى المجون في مداعبة اولاده وملاطفة اصدقائه وزواره

وكان مستهلكاً في مصلحة بلاده ورفعة شأن امته . فلم تظهر مسألة هامة من سنة ١٨٨٤ تتعلق بمصلحة انكلترا الا كان له تأثير فيها . ومن جملتها مسألة اضطراب العلائق بين انكلترا وروسيا على ما يسمونه مسألة « بندجة » فقد خدم دولته فيها بما له من الصلات الودية مع قيصر الروس . وقد اشرنا الى بعض المسائل الاخرى في ما تقدم . وناهيك باهتمامه في المسائل العامة واهمها مؤتمر السلام الذي عقد في لاهاي فانه جعله نصب عينيه واعتقد انه نافع وانه قريب المنال فاخذ يسعى فيه بقلمه وحديثه يسافر ويحادث شرقاً وغرباً بهمة لا تكل وقلب لا يهاب الموت حتى اشتهر من اقواله انه سيموت وهو محتذٍ نعاله — وقد مات كذلك

ومن اخلاقه العالية انه لم يكن همه ان يبحث في المشروع وانما همه ان يتم ذلك المشروع . وقد شهد له كبار الكتاب انه هو الذي حول الصحافة الانكليزية من جمع الاخبار الى تمثيل الراي العام وانتقاد اعمال الحكام ونصرة المظلومين والنقمة على الظالمين . وآثاره في الصحافة كثيرة اهمها اللهجة الشديدة التي كان يحمل بها وقد شبهها بعضهم بسيف الحق القاطع . وكان شعاره في عمله « الايمان والثقة والسعي » ومن كان هذا شأنه في نصرة الحق لا يخلو من الاعداء فكان اعداء ستيد كثيرين في السياسة والمصالح العامة . اما في المعاملات الشخصية فقلما تجد له مبغضاً

وكان لعلو همته يستسهل الصعب ويرى المستحيل ممكناً فيسعى فيه ويتفانى في تنفيذه كما فعل في نصرة مؤتمر السلام وما زال عاملاً فيه الى اخر نسمة من حياته . وقد قابل القياصرة والملوك والسلاطين في سبيله . وهو من المشاريع البعيدة المنال لانها تخالف ما فطر عليه الانسان من المطامع وحب الأثرة مما لا يرجى زواله ولكن السعي فيه

قد يأتي بما يخفف ويلات الحروب

وكان يعتقد بوجود الارواح وامكان مخاطبتها بعد موت اصحابها وقد انصرف الى اثبات ذلك بقلمه ولسانه على عادته في كل شيء فانشأ الجمعيات لجمع الحقائق والحوادث وكتب المقالات حتى انشأ مكتباً لمخاطبة الارواح سماه « مكتب جوليا » وقد انتقدنا ذلك عليه غير مرة في الهلال

وبالجملة فان فقيد الصحافة الانكليزية جدير ان يكون قدوة للصحافيين في كل بلد ولا سيما في مصر حتى لا يكتفي كتابنا في طلب الاصلاح بالكتابة او التشويق او التحريض بتنميق العبارة والضرب على الاوتار الحساسة وانما المطلوب اقناع اصحاب الشأن بايراد الحقائق الراهنة والسعي في ذلك شخصيا باخلاص وروية



الاحزاب السياسية

في اميركا

والانتخاب المقبل

اميركا اليوم قائمة قاعدة استعداداً لانتخاب رئيسها . وسيكون الانتخاب المقبل أهم ما عرفته هذه الجمهورية منذ تأسيسها . فالحزب الديموقراطي فشل في الانتخابات الثلاثة فشلاً كاد يقضي عليه فجدد هذه السنة قواه وترجح له الفوز في نظر العموم خصوصاً وهم يحسبون الكولونيل روزفلت يقوم بوعد سنة ١٩٠٤ فلا يقبل الانتخابات للمرة الثالثة لما في ذلك من المضادة لروح الجمهوريين الذين هو احدهم . لكنه ما عتم ان اطاع صوت مطامعه فنتج عن ذلك انقسامات شتى

نشوء الاحزاب وتاريخها

ان حكومة البلاد لا تعدُّ شيئاً بالنظر الى القوة العاملة — قوة الاحزاب . وحبذا لو انتبهت حكومة دولتنا الى ذلك فنشطت الاحزاب او لو عرف الاحزاب ذلك لصرفوا القوى التي تنتج عن اتحادهم لخير الامة ونفعها

وتاريخ الاحزاب باميركا يبتدىء بمؤتمر فيلادلفيا الذي انعقد سنة ١٢٨٧ للبحث في

تنظيم حكومة وتشكيل شرائع ودستور للولايات القليلة التي اتحدت بعد حربها الاستقلالية

واختلف ممثلو الشعب في ذلك الحين فانقسموا الى فريق يريد اطلاق الحرية للفرد في كل اعماله ومشاريعه دون ان يكون للحكومة دخل في سوى العلاقات مع الدول الخارجية . والقسم الثاني يريد حصر القوة في الشعب والحكومة معاً

وانتهى امر ذلك المؤتمر باتحاد ثلاث عشرة ولاية تحت اسم جمهورية الولايات المتحدة وجعل جورج وشنطون رئيساً لها ومعه مجلس الشيوخ ومجلس الامة

وتوخى وشنطون جهده حتى لا يميل الى احد الحزبين . وكان اسكندر هملتن اعظم نوابغ اميركا وصديق وشنطون الحميم بل ساعده القوي سكرتيراً للخزينة فلم يلبث ان استمال وشنطون الى مبادىء الحزب الذي يريد حصر القوة في الحكومة . وحرك ذلك غضب الحزب الآخر فنهض وفي مقدمته جفرسن الذي اصبح بعد ذلك رئيساً وكان في ذلك الحين سكرتيراً للولاية . وعرف الحزب الذي يريد حصر القوة في الحكومة « بالحزب الاتحادي » والحزب الاخر « بالحزب الجمهوري الديموقراطي »

ولعب الحزب الاتحادي اهم ادواره تحت رئاسة وشنطون ولم يكن وشنطون عضواً منه لكنه كان عضداً قوياً له . وارتكب هذا الحزب اغلاطاً كثيرة في ايام جان ادامس الذي ترأس الجمهورية بعد وشنطون . وجاءت انتخابات سنة ١٨٠٠ فلم تنفع هملتون قوته الخطابية وبلاغة قلمه امام براهين جفرسن ومنطقه . ففاز الديموقراطيون وانتخبوا جفرسن رئيساً ثم جددوا انتخابه سنة ١٨٠٤ ونجحوا ايضاً في الانتخابات الى سنة ١٨٢٠

واضعفت هذه الانتصارات المتوالية قوة الحزب الاتحادي . واخيراً اضاع بقية قواه في موت هملتون المفجع . وبعد موت هذا الزعيم لم تقم قائمة لهذا الحزب فتلاشى

فالمدة التي مرت بين سنة ١٧٨٧ و ١٨٢٤ كانت اهم نقطة في تاريخ هذه الجمهورية لانها قوت سلطة الامة وجعلت الافراد ذوي مصالح في حكومتهم لكل منهم حزب يميل اليه ويدافع عن مبادئه . فالولايات الجنوبية على العموم تبعت الحزب الديموقراطي خصوصاً وسكان هذه الولايات اكثرهم من العملة والفلاحين واصحاب الاملاك . اما الحزب الاتحادي فحصرت قواه في ولاية نيو انكلند ومستشوست وبنسلفانيا يعضده التجار والطبقة الراقية والاكليروس

وكانت مبادىء جفرسن مؤسس الحزب الجمهوري الديموقراطي ان تترك القوة في يد الشعب لان الشعب اذا ترك لنفسه حكم باخلاص وامانة. وكان شديد الاعتقاد

بنفسه ومبادئه فتمكن من استمالة الرأي العام اليه

وكان هملتن مؤسس الحزب الاتحادي شاباً قوي الارادة شديد الهمة يميل الى الحكم الملكي المقيد فاجتهد في جعل حكومة الولايات المتحدة على شكل حكومة انكلترا اليوم . ولم ينجح لان الجمهور كان يخشى استئثاره بالسلطة . اما افكاره الحرة النزيهة فظاهرة في دستور الولايات المتحدة الذي سنه هو بنفسه ويأبى الاميركيون ان يغيروا حرفاً فيه

ومرت على هذه الاحزاب ادوار ومشاكل كانت تؤول الى حلها احياناً فتعود وتتشكل تحت اسم جديد ومبادىء جديدة الى ان وصلت الى حالها الحاضرة معروفة بالحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي . والامر الجوهري الذي جعل حدًّا فصلاً بين هذين الحزبين وبغضاً محكماً بين افرادهما هو ان الحزب الجمهوري سعى في تحرير العبيد فعاكسه الحزب الديموقراطي وجاءت الحرب الاهلية ففصلت بينهما

الجمهوريون والديموقراطيون

تشكل الحزب الجمهوري كما هو الان حوالي سنة ١٨٥٤ وانضم اليه اكثر الولايات المتحدة التي كانت تضاد روح الاسترقاق . فاذا دخلت مطعماً في شيكاغو او سنسناتي او كليفلند فتأكد ان الجالس بجانبك جمهوري . واذا ابتدأت في الذهاب نحو الولايات الجنوبية فالامر عكس ذلك . ففي بلتمور يندر ان تجد جمهورياً الا اذا كان غريباً عنها . ومثل ذلك في الولايات التي ما اعتقت العبيد الا مرغمة . اما العبيد حينما رأيتهم فهم جمهوريون

اما الولايات المتوسطة والولايات الواقعة على الشاطىء الباسيفيك كنيويورك ونيو جرزي واوهايو وانديانا . ففيها قوة الحزبين متساوية والاصوات متعادلة بينهما

وبعد ما اظهره الجمهوريون في الحرب الاهلية من سمو المبادىء في تحرير الزنوج انضم الى الحزب الجمهوري نخبة الشبان العقلاء الذين يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الشخصية والاغنياء الذين لا يقيسون العالم بما لديهم من المال بل بمقدار النفع الذي يدخلونه على الهيئة الاجتماعية

وتأسس الحزب الديموقراطي كما هو الان سنة ١٨٢٨ وهو بلا شك طبعة ثانية منقحة عن الحزب الديموقراطي الذي انشأه جفرسن ليعاكس به مبادىء هملتن وحزبه الذي اوشك ان يضع الولايات تحت يده وخصوصاً بعد ان مال وشنطون اليه

والحزب الديموقراطي كالجمهوري في اكثر مبادئه لكن لزعمائه مصالح يريدون المحافظة عليها . وقد نجح سنة ١٨٨٥ بانتخاب زعيمه كايفلند رئيساً فلم تتغير احوال البلاد بل سارت الى الرقي كايام الرؤساء الجمهوريين سواء . وكثيراً ما كانت الاكثرية في مجلس الشيوخ في يد الديموقراطيين فلم تكن مبادئهم الادارية تختلف عن مبادىء الجمهوريين . وقبل ان نأتي على الفرق الجوهري بين الحزبين نقول :

ان عدد الاميركيين الاصليين (الذين هاجروا اولا) قليل جداً بالنسبة الى الامم التي تتألف اميركا اليوم منها وهي على هذه الصورة :

٢٠٤٠٠٠٠٠	انكليز
١٨٤٠٠٠٠٠	المان
١٣٩٠٠٠٠٠	ايرلنديون
١٤٢٩٠٠٠٠	من سائر اوربا

فاللغة وتشابه العادات والاخلاق سهلت على الانكليزي اندماجه بالاميركي فقعل واضاع ذاتيته بوقت قليل . وزادت مهاجرة الايرلندي فراراً من النير الانكليزي وخوفاً من مجاعة ايرلندا سنة ١٨٤٦ وتجنس هؤلاء بالجنسية الاميركية ومالوا الى الحزب الديموقراطي فكانوا عضداً قوياً له

وكانت مهاجرة الالمانيين من الجهة الاخرى كنهر جارف يصب في هذه البلاد ولما رأى الالمانيون الانكليز يسجلون اسماءهم كديموقراطيين فعلوا عكسهم فانضم الالمانيون الامريكيون في الحزب الجمهوري وسكنوا في الولايات الوسطى فقويت شوكة الجمهوريين بهم . لكن هذه الروح قد تلاشى معظمها لان الجمهوريين يريدون وضع ضريبة (تعريفة) على المشروبات الروحية والالماني وان تأمرك لا يزال يحن الى البيرا الوطنية . فاصبح الان نصف الالمانيين ديموقراطيين

بقي الدين — هذه القوة التي لا تقوم قوة في العالم الا وبعضها يستند على الدين او يبتعد عنه — ولها شأن كبير بين الاحزاب وان كان الاميركي حرًّا في افكاره وتقاليده

فالروم الكاثوليك — وهم جيش عظيم في هذه البلاد — ديموقراطيون على الاطلاق وشيع البرتستانت جمهوريون . وهذا هو السبب الجوهري الذي جعل الايرلنديين ديموقراطيين على العموم

فاميركا اليوم مقسومة دينيًّا وجغرافياً بين هذين الحزبين . ارسم خطاً تقسم به الولايات الى جنوبية وشمالية تجد قوة الحزب الديموقراطي في الجنوب وقوة

الحزب الجمهوري في الشمال . والاميركي بالطبع جمهوري او ديموقراطي وان خصص نفسه بعض الاحيان باحزاب اخرى نذكرها تعميماً للفائدة

ان ما نفهمه بالاحزاب في هذه البلاد غير الذي نفهمه بها في انكلترا واوربا . فما هي الاحزاب في امريكا اذاً ؟

كل عدد كاف ليرشح رئيساً منه يدعى حزباً . وبما ان الترشيح اليوم يعود الى الجمهوريين والديموقراطيين فهما اهم الاحزاب . وقد نشأت مؤخراً احزاب كثيرة غير هذه منها :

١ — حزب المداولات المالية : وهذا الحزب يريد ان يجعل المداولات المالية والاخذ والعطاء بعملة الورق فقط . ويقصد من وراء ذلك زيادة عدد النقود التي تداولها الايدي فتتحسن احوال الفقير اذا كثر المال . ولم يفلح في سعيه المتواصل لان نظريته لا تفي بالغاية التي يطلبها . فلو كثر المال مثلاً لارتفعت اسعار المعيشة وتساقطت قيمة المال اذ ليس في النظرية المذكورة قيمة اقتصادية

٢ — حزب العمال : وقد يسمى « الاشتراكية » وهو يضم بين اعضائه كل اشتراكي هذه البلاد النازحين اليها من اوروبا . ومطالب هذا الحزب ابطال الاحتكارات التي تمتص حياة الامة . وجعل الخطوط الحديدية والشركات المالية والتجارية في يد الحكومة. ومن مبادئه منع المهاجرة لانها تزيد عدد العمال وتقلل اجورهم . وقد اعتصب في هذا الشهر عمال معامل القطن في لورانس فاسرع اصحاب المعامل واتوا بعمال من الخارج . واعتصب منظفو شوارع نيويورك منذ اسابيع فلم يفلح اعتصابهم لان الحكومة وجدت بدلاً عنهم مئات من مهاجري الطليان وسواهم

وقد نجح هذا الحزب في تحديد ساعات العمل . والشعب الاميركي ينظر اليه ويخاف مستقبله وان لم ينجح حتى الآن بترشيح رئيس منه . لكنه أفلح سنة ١٨٦٦ فرشح هنري جورج الاشتراكي الاقتصادي الشهير رئيساً لبلدية نيويورك

الاختلافات بين الحزبين الجمهوري والديموقراطي

هذه هي الاحزاب الاميركية فلنأت الآن على الاختلافات بين مبادىء الحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي

خذ جمهورياً او ديموقراطياً من اهالي هذه البلاد واسأله عن الفرق بين حزبه والحزب الآخر فتراه لا يدري . قد يتردد اولاً ثم يجاوبك جواباً لا يزيدك معرفة . ذلك لان الاختلاف اصبح طفيفاً يتفق الحزبان في بعضه ويختلفان في الباقي . وفي

بعض المبادىء يتفق نصف الحزب مع نصف الحزب الا خر وبالعكس . واما العداوة التي يلحظها الانسان بين افراد الحزبين فلا تزال محمولة بقوة الاستمرار من ايام الحرب الاهليـة . واما الاختلافات بين بعض الجمهوريين وبعض الديموقراطيين فاهمها ثلاثة :

١ ــ المقياس المالي : الاميريكي اليوم يقيس نقوده كلها بالريال الذهبي . والحكومة اذا طبعت اوراقاً مالية لتتداولها الايدي وضعت في خزينتها ذهباً تعادل قيمته قيمة تلك الاوراق . ويمكن لكل شخص ان يقدم الى الحكومة ورقة ماليـة فتدفع له الحكومة قيمتها ذهباً . وان اخذ ذهباً غير مضروب ابدلته له بقيمته تماماً ذهباً مضروباً

فبقاء الذهب على حالته الحاضرة من مبادىء الجمهوريين . اما الديموقراطية فيرغبون في ان تقوم الفضة مقام الذهب لاسباب اقتصادية لا محل لذكرها

٢ ــ مذهب مونرو : مونرو هو الرئيس الخامس لهذه الجمهورية وقد قال مدة رئاسته عبارة جعلها الشعب آية ذهبية وهي «أميريكا للاميريكيين » فالجمهوريون يريدون بقاء اميريكا للاميريكيين لكنهم لا يريدون ان يمنعوا انفسهم من لذة الاستعمار في الخارج اما الديموقراطيون فيريدون ان تكون اميريكا فقط للاميريكيين ويهمون كثيراً ليجعلوا كل شيء خارج اميريكا لغير اميريكا . فهم يسعون ليمنحوا الفيلبيين استقلالا وان يتركوا جزائر هواوي وكل ما يخصهم خارج اميركا . وقد فشل وليم برين في كل الانتخابات الماضية لانه من المتمسكين تمسكاً شديداً بهذا المبدأ

٣ ــ التعريفة الجمركية : لا يبطل الخصام يوماً واحداً بين الجمهوريين والديموقراطيين على هذا الامر . فالديموقراطيون يريدون ان تكون التجارة حرة . والجمهوريون يريدون وضع ضريبة عليها ليمنعوا البضائع الاجنبية من الانتشار ومزاحمة المصنوعات الوطنية . فالعامل الاميريكي مثلا يصنع في اليوم نفس الكمية التي يصنعها العامل الالماني لكنه يتناول ثلاثة اضعاف ما يتناوله . ولذلك فالتاجر الالماني يمكنه ان يشحن مصنوعات معامله الى الولايات المتحدة ويبيعها بنصف الثمن الذي يبيعها به الاميريكي ــ هذا اذا لم تضع الحكومة خمسين او ستين في المئة على الواردات الاجنبية . فالعجمي يرسل السجادة الى جمرك نيويورك وثمنها الاصلي عشرة ريالات فيدفع عنها تعريفة عشرين او ثلاثين ريالا فيضطر ان يجعل ثمنها خمسين او ستين ريالاً فلا يتمكن الاميريكي من شرائها فيشتري السجاد المصنوع في معامل هذه البلاد بثمن بخس

كنا ونحن في سوريا نسمع بوقوف حركة الاعمال ايام الانتخاب والامر في ذلك بسيط جداً لان اصحاب المعامل يوقفون اشغالهم اشهراً قبل الانتخاب فيترك مئات والوف من العمال بلا عمل وهؤلاء يتوقف رزقهم على عمل كل يوم بيومه . لنأخذ معمل اقمشة يصنع الف ثوب في اليوم . فلو فاز الديموقراطيون مثلاً وتساقطت التعريفة لوردت الاقمشة من انكلترا والمانيا بكثرة زائدة . ولبيعت بنصف الثمن الذي يبيعها الاميركي ولذلك فهو يجهل اي حزب سيفوز فيستخدم خمسة آلاف عامل بدل اربعين الفاً . اما الخمسة والثلاثين الفاً فتترك بلا عمل ولا مأوى . ويقل اشفاقها فيضطر التاجر البسيط ايضاً لاقفال اشغاله

كيف ينتخبون الرئيس

الرئيس ينتخبه الشعب . وذلك ان الجماعات في كل مدينة ومزرعة ينتخبون افراداً ينوبون عنهم في مؤتمر عام . فيرشح ممثلو الجمهوريين رجلاً واحداً للرئاسة ويفعل مثل ذلك الديموقراطيون ثم يعود الانتخاب الى الشعب والذي يحوز اكثرية الاصوات يصبح رئيساً

مرشح الديموقراطيين — ولسن وهرمن

ان ولسن ترك قاعة المدرسة ليسوس الامة فقد كان رئيساً لجامعة برنستين (ورئاسة الجامعة في اميركا تعادل رئاسة الجمهورية نفسها) فلبى طلب اهل ولايته حاكماً وفي نفسه طمع بكرسي الرئاسة وقد كان الامل في ترشيح الاستاذ ولسن ضعيفاً قبل ان مل اليه ابو الديموقراطيين وزعيمهم المشهور ولیم برين

وليس مزاحم ولسن بالرجل الذي يستهان به فهو جدسن هرمن حاكم ولاية اوهايو تعضده الولايات الجنوبية كلها

مرشح الجمهوريين — روزفلت وتافت

تيودور روزفلت ـ هذا الرجل الذي صارع ثيران الاسبان فتغلب عليها ونازل وحوش افريقيا فملأ بيته من جلودها ونزل مصر فاقلق راحة سكانها . ووقف في جامعة السوربون يندد برجال فرنسا ونسائها . ولم يخش ان يقول لاهل لندن احكموا وادي النيل او اخرجوا منه ـ انه اعظم رجل في اميركا اليوم

درس الشريعة في جامعة كولومبيا وخرج للعالم فوجد الشريعة لا تسد مطامعه فمال الى السياسة فجعلوه رئيساً لبلدية نيويورك . وخشي مضادوه ان يسير بارتقائه الى

كرسي الرئاسة فانتخبوه نائباً للرئيس ليسحقوا مطامعه لكن الحظ ـ الحظ الذي لا يجهله تعساء البشرية وضع النار في يد ذلك الفوضوي فذهب ماكنلي مقتولاً ولم يشعر روزفلت الا وهو ملك بلا تاج يحكم على واحد وتسعين مليوناً من النفوس التي هذا الرجل خطاباً بالامس مدح به اعمال بعض الشركات وذم بعضها. فسقطت اسهم الشركات التي انتقدها وتصاعدت اسهم الشركات التي نالت رضاه

ومن اغرب الامور ان رجلاً هذه منزلته عند الشعب يرفض الشعب ان يقبله حاكماً للمرة الثالثة

حدث ان وشنطون محرر اميركا ابى ان يقبل الرئاسة للمرة الثالثة فاصبحت هذه العادة قانوناً غير مخطوط تحمله ارادة الرأي العام

وروزفلت ترأس الجمهورية مرتين ووعد في اواخر الدور الثاني ان لا يقبل الانتخاب فيما بعد تحت اي ظرف كان. لكنه في بدء هذا الانتخاب رشح نفسه للرئاسة اجابة لطلب بعض مريديه. فقامت الامة في وجهه ولم تترك الجرائد كلمة ضمن دائرة الادب الا واسمعته اياها

اسأل اي اميركي ـ حتى الديموقراطيين انفسهم فلا يختلفون في ان روزفلت افضل رجل يستحق الرئاسة. لكنهم يمانعون في انتخابه كل الممانعة لاعتقادهم ان ترأس الجمهورية ثلاث مرات ضرب من الاستبداد. فالامل بترشيح روزفلت لا يزال ضعيفاً وان كان ممكناً

بقي تافت الرئيس الحالي وهو لاشك يرشحه الجمهوريون ان لم يرشحوا روزفلت. والحزب الجمهوري الآن مقسوم الى فريقين فريق يعتقد ان الديموقراطيين يفوزون في الانتخاب الآتي اذا كان مرشح الجمهوريين وليم تافت ولذلك فهم يقبلون روزفلت لانهم يؤكدون الفوز به. والفريق الآخر يفضل ترشيح تافت ولو آل الامر الى انكسار. ذلك لانه يكره رجلاً يحكم الامة ثلاث مرات

فالرئيس تافت لم يظهر مدة حكمه من السياسة والحزم ما يكسب به رضى الرأي العام. والشعب على العموم غير راض عنه وان لم يكن مستاء منه. والاحوال الحاضرة كما هي الآن ترجح ترشيح تافت من الجمهوريين وعند ذلك يكتفي الديموقراطيون بولسن. اما النتيجة الاخيرة فالى نوفمبر القادم

جامعة كولومبيا في نيويورك توفيق مفرّج

الحقائق والاوهام

او

الجواهر والاعراض

نريد بالحقائق الامور الواقعة فعلاً بشهادة الحس أو العقل . ويدخل فيها الحقائق الطبيعية والاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها . وأما الاوهام فنريد بها اموراً لها شكل وليس لها حقيقة وقد اخترعتها المخيلة من عند نفسها . كالخرافات و بعض الاعتبارات الاجتماعية أو السياسية التي تحوم حول تلك الحقائق

والحقائق درجات فمنها ما هو يقيني ثابت بالبرهان المحسوس كالنواميس الطبيعية والقضايا الرياضية ومنها ما يتصل اليه بالاحكام العقلية المبنية على الاختبار والمزاولة أو بالنقل المتواتر كا كثر الحقائق الادبية والتاريخية والاجتماعية . فقولنا « ان الاجسام تمدد بالحرارة وتتقلص بالبرودة وان الماء مركب من الاكسجين والهيدروجين وان ثلاث زوايا من مثلث تعدل قائمتين » حقائق يقينية . وقولنا « ان الانسان حيوان ناطق وان الحادثة الفلانيـة جرت في التاريخ الفلاني أو ان التربية تثقف العقول » حقائق اجتماعية أو سياسية ـ وسنقصر بحثنا عليها

والاوهام درجات فمنها ما يناقض العلم أو يخالف احكام العقل كالاعتقاد بالعفاريت أو مخاطبة الارواح أو نحو ذلك من الخرافات والشعوذات وأمثالها . ومنها ما يحوم حول الحقائق الاجتماعية أو السياسية من الاعتبارات التي لا حقيقة لها بنفسها كالمجاملات والمظاهرات والمبالغات في الحديث أو العادات المتوارثة في الاحتفالات ونحوها ـ فاذا تزوج رجل بامرأة فالحقيقة في زواجه تقوم باتحاد قلبي الزوجين بالحب واثبات ذلك بعقد القران . وأما الاوهام التي تحوم حول تلك الحقيقة فهي ما يجرونه في اثناء العقد من الاحتفالات كنصب السرادقات واضاءة الشموع وضرب الطبول وما يتعاطونه من الاشربة والاطعمة ونحو ذلك من انفاق الاموال في هذا السبيل

والعبادة اساسها الاعتقاد بوجود الله والعمل باوامره ونواهيه وهي حقيقة لا معنى للعبادة بدونها . وأما الاوهام التي تتخللها فكثير مما يجري في اثناء ذلك من المظاهرات في الاحتفالات الدينية

واذا اسندت ولاية الى والٍ فالحقيقي من ذلك الامر السلطاني (الفرمان) المؤذن بتعيينه يتلى على جماعة يشهدون صحة تلك الولاية . وأما ما يتخلل تلاوة الامر من الالبسة الرسمية ووقوف الاجناد بالاسلحة والاعلام والمجاملات والتشريفات ونحوها فهي من الاوهام التي لا تدخل في اصل الولاية . حتى الامر نفسه يمكن التفريق بين ما فيه من الحقائق والاوهام . فمن الحقائق قول الملك أو السلطان في فرمانه « قد وليناك العمل الفلاني بالشرط الفلاني » وأما ما يحيط بذلك من الفاظ التفخيم والتعظيم فهي اوهام اذ لا تزيد ذلك الفرمان معنى

اصل العادات

والعقل اذا ترك لنفسه لا يقبل غير الحقائق الراهنة . ولكن في فطرة الانسان ميلاً الى الاوهام لانه يرى فيها لذة تنبسط نفسه لما تحويه من الغرائب التي يتطلبها خياله — تلك هي علة الاوهام السائدة في نظام الاجتماع وهي في كل حال لا تجد سبيلاً الى الحقائق الطبيعية . لان الطبيعة لا تقبل غير الواقع ولا تعرف سواه . أما الامور الاجتماعية أو السياسية أو الدينية المتعلقة بتصور الانسان أو احساسه أو عواطفه فهي التي تتطرق الاوهام اليها وتتوارث وتنمو بتوالي الاجيال وتتسع حتى تصير قاعدة متبعة أو عادة شائعة — ذلك هو اصل العادات القومية ومصدر الاعتبارات الاجتماعية

وهذه العادات أو الاعتبارات وان ظهرت لنا بمظهر الاوهام فان بعضها مبني في اصل وضعه على اسباب حقيقية اقتضتها الاحوال التي جرت فيها لاول مرة — فاسناد الولاية الى والٍ قلنا ان الاصل فيه تلاوة الامر القاضي بذلك وكانت عادة العرب في اوائل دولتهم ان الخليفة اذا ولى احداً على بلد اكتفى بالفاظ قليلة يقولها شفاهاً أو يكتب بها كتاباً مختصراً بلا تنميق أو تفخيم . وكان القوم اذا جاءهم الامير بكتابه اذعنوا لامره بلا معارض . وقلما كانوا يذكرون شروط الولاية . فلما ذهبت دهشة النبوة وعمد بعض الطامعين بالامارات الى انتحال الاسباب لنيل الولايات بحق أو بغير حق واذا

تولوها استبدوا فيها ولو خالفوا ما يريده الخليفة ـ اقتضى ذلك ذكر شروط الولاية وتحديد واجبات الوالي. وتدرجوا باستبحار العمران وفساد النيات الى تأييد ذلك الحق بالشهود والى تثبيت تلك الولاية بالجند فصاروا يتلون الاوامر بوجود شرذمة من الجند أو لعلهم فعلوا ذلك في ظرف خاص ثم صار عادة. وتحول المراد به من تأييد الولاية وتثبيت الوالي الى مجرد الابهة بوقوف الاجناد بملابسهم واعلامهم وشاراتهم. وبذهاب الحاجة الى ذلك بتغيير الاحوال صارت تلك الاحتفالات من قبيل الاوهام

ويدخل تحت هذا الحكم سائر احوال ابهة الدولة كخروج السلطان أو الامير محاطاً بالجنود والاعوان أو وقوف الاجناد بابواب الملوك والمعاملات الرسمية في المقابلات والتشريفات وسائر الاحتفالات بالاعياد والمبايعة والصلاة وغير ذلك. وقس عليه الاحتفال بالزواج أو المآتم أو الولائم والافراح ونحوها فان لكل عادة اصلاً حقيقياً كان يراد به غرض خاص وذهب الغرض المراد فبقيت العادة

خذ ما شئت من اعمال الانسان وأحواله فانك لا تجد فيها شيئاً خالياً من الاوهام ـ حتى حديثه وطعامه وشرابه وزواجه وحكومته وسياسته وسائر احواله. كل عمل من هذه الاعمال مؤلف من حقيقة تحوم حولها الاوهام وهي العادات التي توارثوها بتوالي الاجيال ـ واذا تدبرتها رأيتها درهم حقيقة على قنطار وهم

تفاوت الامم في الاوهام

والناس يتفاوتون في جنوحهم الى الحقيقة أو الى الوهم وترى ذلك الفرق ظاهراً في الامم على الاجمال. فبعض الامم تتوجه عنايتها الى الحقائق اكثر مما الى الاوهام والبعض الاخر بالعكس. فالانكليز مثلاً من اكثر الامم تمسكاً بالحقائق اذا اخذ احدهم بعمل جعل همه التمسك بما فيه من الحقيقة واغضى عن الاوهام. ومن الامثلة التي تدل على تلك الفطرة فيهم حكاية جندي انكليزي ذكروا انه استأجر حماراً من أواسط القاهرة للذهاب الى العباسية. فاتفق ان سائق الحمار أخذته نشوة وهو يسوق الحمار فجعل يشتم راكبه لاعتقاده انه لا يفهم العربية ولا خوف عليه من غضبه. وفي أثناء الطريق رآه بعض المارة يفعل ذلك فاخذته النعرة على الانكليزي فاستوقفه وسأله هل يفهم العربية قال «كلاً»

فقال « ان هذا المكاري يشتمك ويهزأ بك »

فقال « وهل يحول شتمه دون وصولي الى العباسية »

قال « لا »

قال « فليشتم ما شاء فانا انما اريد الوصول الى العباسية راكباً وقد وصلت الى هنا ولم يؤثر شتمه في شيئاً »

ومع ما في هذا المثل من السذاجة والفكاهة فهو يمثل تمسك الانكليز بالحقائق

وهناك امم تجعل همها الظواهر أو الاوهام وتغضي عن الحقائق وربما كان الشرقيون اكثر الامم جنوحاً الى ذلك نعني انهم يتمسكون بالقشور ويتركون اللباب

اختلاف الاوهام في الامة الواحدة

ثم ان الامة الواحدة يختلف ميلها الى الحقائق أو الاوهام باختلاف احوالها من البداوة او الحضارة و باختلاف درجات تمدنها . فالبدوي اقرب الى الحقيقة من الحضري وهذا يزيد انغماساً في الاوهام كلما اتسعت حضارته وركن الى الرخاء . واقرب الادلة على ذلك تقلب العرب واختلاف عاداتهم ومعاملاتهم باختلاف احوالهم ويظهر ذلك واضحاً في مخاطباتهم ومكاتباتهم . كانوا في بداوتهم واوائل حضارتهم يقتصرون في ما يقولونه او يكتبونه على الحقيقة المجردة حتى في مخاطبة ملوكهم وامرائهم بلا تفخيم ولا تطويل . فكانوا يخاطبون الخليفة باسمه أو لقبه ثم يذكرون غرضهم بعبارة خالية من الحشو والتنميق

وقس على ذلك كلام الخلفاء والامراء في مكاتباتهم وخطبهم فانك لا تجد لفظاً يمكن حذفه من الكتاب مع بقاء الغرض المراد من ذلك الكتاب . ثم صاروا كلما اتسعت حضارتهم ينمقون عباراتهم ويطولونها ويصدرونها أو يذيلونها بالفاظ التفخيم ونعوت التبجيل مما لا دخل له في الغرض الاصلي المراد من تلك الرسالة أو ذلك الخطاب . فهذه الالفاظ والنعوت الزائدة عن المراد نعدُّها من الاوهام وقد تزيد احياناً على الالفاظ الحقيقية اي اللازمة للتعبير عن المقصود . على ان تلك الالفاظ الوهمية كان لبعضها أو كلها في اصل وضعها غرض حقيقي ثم ذهب الغرض وبقي اللفظ بحكم العادة وميل الامة الى التفخيم على اثر ما اصابها من الذل بتوالي الظلم

الاوهام في المخاطبات

فالنعوت الفارغة والالقاب المترادفة التي استخدمها العرب بمكاتباتهم وصلت قبيل هذه النهضة الى ما يفوق المعقول . وربما كانت اكثر عدداً واوسع استعمالاً عند الفرس . وهي حيثما وجدت من آثار الزلفي و بقايا عصور الاستبداد . فبعد ان كان الخليفة في صدر الاسلام اذا كتب الى عامله اكتفى بقوله « من عبد الله فلان امير المؤمنين الى فلان عامله على مصر . اما بعد » ويبدأ بالموضوع صار السلطان من سلاطين آل عثمان يستهل كتابه بفاتحة طويلة ثم يعدد سلفاءه العظام في بضعة اسطر قبل ان يصل الى موضوع الكتاب . كما فعل السلطان سليمان القانوني في كتاب بعث به الى ملك فرنسا وهو قوله :

« بنعمة الله الذي تجل قدرته وتمجد الى الابد وتتعظم كلمته الالهية . وبركة شمس سموات النبوة وكوكب برج الاولياء رئيس طغمة الابرار محمد الطاهر صلى الله عليه وسلم . وبظل انفس صحابته الاربعة الطاهرين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي صلوات الله عليهم شاه سلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان الغازي

« انا سلطان السلاطين وملك الملوك وواهب الاكاليل لملوك العالم ظل الله على الارض . باد شاه وسلطان البحر الابيض والاسود وبلاد الروم ايلي والاناضول وقرماني وارضروم وديار بكر وكردستان واذربايجان والعجم ودمشق وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس الشريف وسائر بلاد العرب واليمن وايالات شتى التي سلفاؤنا العظام واجدادنا الشرفاء قد افتتحوها بقدرتهم المنصورة . وكذلك عدد كثير من البلاد التي عظمتي الملوكية قد اخضعتها لسيفي الساطع . انا ابن السلطان سليم بن السلطان بايزيد شاه السلطان سليمان خان اكتب اليك يا فرنسيس ملك مملكة فرنسا ما هو كذا وكذا »

و بعد ان كانت ولاية الاعمال قاصرة على قول الخليفة بعد ان يخاطب الامير باسمه « قد وليتك العمل الفلاني » صاروا يخاطبون الولاة بالقاب التفخيم المترادفة كقولهم « وزيري سمير المعالي مدبر امور الانام بالفكر الثاقب والرأي الصائب الخ »

ومن قبيل التمسك بالاوهام دون الحقائق في الاحوال السياسية أن تكتفي بعض الدول بالسيادة الاسمية على بلد دون السيادة الفعلية . لكنها لا تفعل ذلك طبعاً الا

مرغمة. وقد اخترع اصحاب هذا التمدن الناظاً سياسية للدلالة على مراتب تلك السيادة كقولهم Souveraineté و Suzeraineté

وقس على ذلك سائر احوال الاجتماع فانها تكون في ابان شباب الدولة اقرب الى الحقيقة ثم تأخذ بالميل الى الاوهام كلما دنت الدولة الى الشيخوخة — تلك قاعدة من قواعد الاجتماع يمكن التعويل عليها في الحكم على مراتب الامم في سلم العمران فكل أمة تغلبت فيها الاوهام على الحقائق او رأيت اهتمامها بالظواهر اكثر من اهتمامها بالجواهر اعلم انها في دور الانحطاط . فاذا رأيتها أخذت في النزوع الى الحقائق ونبذ الاوهام اعلم انها في نهضة يرجى لها معها الفلاح . وهذا ما بعثنا على التقدم الى كتابنا مراراً في العدول عن نعوت التفخيم في المخاطبات . كما فعل اهل اوربا لما افاقوا من غفلتهم واخذوا باسباب مدنيتهم الحديثة

علة الانتقال الى الاوهام

وعلة هذا الانتقال من الحقائق الى الاوهام متصلة بفطرة الانسان وميله الى الخيال وما يصوره له الوهم . فان الحقيقة هي الاصل في كل حال من احوال الاجتماع ثم يتطرق الوهم اليها بالتدريج حتى يحل محلها . واعتبر ذلك بالاديان فانها في اصل وضعها بسيطة مبنية على قضايا حقيقية ثم تتدرج الى الاوهام بما تقتضيه مطامع الرؤساء وهؤلاء لا يتيسر لهم ذلك الا لما يرونه من ميل العامة الى الاخذ بالاوهام والتعلق باهداب الخيال . لا تكاد تجد ديناً من الاديان الكبرى الا وهو قائم في أصله على عبادة اله واحد حتى الاديان الوثنية في التمدن القديم بمصر وفينيقية واشور وغيرها فانها في الاصل توحيدية . وما زال الخيال ينوعها ويغيرها حتى صارت الى عبادة الاصنام العديدة وتولدت فيها طقوس تتخللها خرافات لا يقبلها العقل

والاصل في الديانة المسيحية تعاليم معينة ترجع الى المحبة والتسامح . ولكن اصحابها اقتبسوا كثيراً من الطقوس الوثنية التي كانت شائعة من قبل وتوسعوا فيها . ولما تأت الاجيال المظلمة حتى تنوسيت اهم الاصول المسيحية واعتور النصرانية طقوس واعتقادات وظواهر ليست من الدين في شيء . فقام لوثيروس يدعو الى نبذ تلك الزيادات وطلب الرجوع الى الانجيل فانشأ المذهب الانجيلي . ولم يكد هذا المذهب

يستقر حتى تطرقت اليه زيادات غشت بعض حقائقه

ولما ظهر الاسلام كان اساسه التوحيد بعبارة بسيطة صريحة . وما لبث بتولي الاجيال أن دخله كثير مما ليس من الاسلام في شيء . فقام بعض المصلحين يطلبون تطهيره من تلك الادران

دليل النهوض في الامة

فالاصلاح في كل شيء يقوم بالرجوع الى الحقيقة وتجريدها مما غشيها من الاوهام بتوالي الاعوام . ويصدق ذلك على الاديان والعادات والمعاملات السياسية وعلى اللغة والانشاء وسائر المخاطبات والمعاملات . فاذا رأيت الامة انتبهت الى ما يتخلل شؤونها من الاوهام وأخذت في استئصالها أو تمحيصها والتعويل على الحقيقة والتمسك بها فاعلم أنها في عهد النهوض . واذا رأيتها متشبثة بالتقاليد بلا تمحيص ولا تعديل فاعلم أنها لا تزال في حاجة الى الارشاد والسلام

احصاء انواع الحيوان

ان العلماء قد اصطلحوا على تعريف الحيوان بانه جسم حيٌّ متحقق الحس متحرك بالارادة وزاد بعضهم على ذلك التنفس . ومعلوم أن هذا التعريف لا يخلو من مواضع التفنيد . ولم تتفق آراء العلماء على احصاء أنواع الحيوانات . فمنهم بلينيوس ارتأى أن عدد المعروف منها يبلغ ٨٠٠٠٠ نوع ويظن أن الانواع الموجودة ربما بلغت ٢٥٠ الفاً . ويوجد على الاقل ١٠٠ الف نوع من الحيوانات فقط . وزعم العالم دك أن عددها يبلغ ٣٠٠ الف وعدد الافراد منها نحو ٢٤ الف مليون . والدكتور غنثر (Günthere) عني بوضع احصاء شامل لانواع الحيوانات صغيرها وكبيرها . ولا يغيب عن ذهننا أن تلك الاحصاءات قد وضعت قبل عهدنا هذا بنيف وخمسين سنة . ونشرت احدى الصحف الالمانية مؤخراً مقالة في هذا المعنى لكاتبها الشهير في علم الحيوان شيبلي (A. E. Shipley) قابل فيها عدد أنواع الحيوانات من سنة ١٨٣٠ الى غاية ١٨٨١ واستناداً على ذلك توصل الى معرفة عددها على طريقة التخمين كما ترى في الجدول الآتي :

اصل الانسان

هل هو واحد او غير واحد

من كتاب طبقات الامم لمنشيء الهلال تحت الطبع

اختلف العلماء في اصل الانسان هل هو واحد أو غير واحد . أي هل تسلسلت الامم الحية الآن من شخص واحد أو من عدة اشخاص . ولكن الأكثرين يرون وحدة اصل الانسان ولهم على ذلك ادلة كثيرة : اهمها ان الناس على اختلاف طبقاتهم واصنافهم واماكنهم ليس بين اشكالهم وطبائعهم اختلاف جوهري يدلُّ على تعدُّد اصولهم . وانما هي تنوعات او تباينات اقتضتها الاحوال وقضت بها سنة النشوء من حيث الاقليم وغيره من المؤثرات الخارجية

وزد على ذلك ان النصوص الدينية والتقاليد القديمة في اربعة اقطار الارض تقول بوحدة الانسان الاول ولا حاجة الى الافاضة في الادلة على ذلك . فالامم على اختلاف طبقاتها واماكنها واعصرها متسلسلة من اب واحد . ومن اهم ادلة القائلين بتعدد الاصول اختلاف لغات البشر . وقد ثبت بعلم تحليل اللغات أو فلسفة اللغة أن هذه اللغات متسلسلة بعضها عن بعض كما سيجيء

كيف وجد الانسان الاول

في كتب الدين نصٌّ صريح عن بدء الخليقة ان الله خلق العالم في ستة ايام وانه صنع الانسان بيده فجبله من تراب ونفخ فيه روحاً حية منذ بضعة آلاف سنة : وقد تبين مما تقدم أن العلم يدل على ان الانسان اقدم من ذلك كثيراً وان الخليقة تكونت في ملايين من السنين . وانتشبت بسبب ذلك الاختلاف حرب بين أهل الاديان واصحاب النشوء في اواسط القرن الماضي فلما تأيدت القواعد العلمية وثبت قدم الارض بالبراهين الجيولوجية المحسوسة هان على اهل الاديان تأويل آيات الكتاب . وقد وفقوا بين القولين فقالوا ان المراد بايام الخليقة الستة ادوار أو ادهار يستغرق الدور الواحد منها الافاً من السنين وهم انما عدلوا الى هذا التأويل اذعاناً للاحكام العلمية بقطع

النظر عما هو في امكان الخالق جل وعلا . فانه القادر على كل شيء ولا يستبعد على قدرته خلق الكون برمته في لحظة واحدة . ولكنهم انما ينظرون في موجودات هذا الكون واحكامها نظراً علميًا مؤيداً بالادلة العقلية والشواهد الطبيعية فلا يصح دفع اقوالهم بمجرد ايراد النصوص الدينية

الهياكل العظمية للانسان وارقى القرود



الانسان الغورلا الشمبانزي اوران اوتان الجبون

ومثل ذلك يقال في كيفية خلق الانسان في النصوص الدينية ان الله سبحانه وتعالى جبله من تراب ونفخ فيه نسمة حياة . والعلم يقول بمرور القرون المتطاولة قبل ان بلغ الانسان حالته المعروفة من التكون البدني والعقلي . ووجه التطبيق بين القولين أن المراد بالنص الديني بيان اصل الانسان انه تراب وفيه روح حية والعلم يؤيد ذلك . فالانسان كيفما كانت خلقته فهو تراب وفيه روح حية هي الحياة التي حارت العقول فيها

ويرى أصحاب النشوء والارتقاء ان الانسان ارتقى عن حيوان وسط بين الانسان والقرد . ولذلك فهم يعدون الانسان والقرد من اصل واحد لتشابه كلي بينهما في الاعضاء و بعض الاطوار مما لا محل لتفصيله . وانما نوجه الانظار الى ما رووه من التشابه التدريجي بين ادمغة القرود وادمغة البشر بحيث ظهر لهم أن حجم الدماغ يتدرج في القرود حتى يبلغ ارقاها ثم يتصل بطبقات الناس من احط الزنوج الى ارقى القوقاسيين

وكانوا يرون الفرق كبيراً بين الطائفتين و يبحثون عن الحلقة الموصلة بينهما

ويسمونها الحلقة المفقودة • ويتوقعون أن تكون موصلة بين الطبقتين . أي مشتركة في الصفات بينهما فيكون صاحبها مكسوًّا بالشعر ومنتصب القامة ودماغه وسط بين القرد والانسان . فوجدوا سنة ١٨٩٢ بقايا حيوان قديم كثيرة الشبه ببقايا الانسان . نعني ما وجده الدكتور أوجين ديبوا في جزيرة جاوى من الارخبيل الهندي . فقد عثر هناك على جمجمة وأسنان وعظم فخذ في طبقة من طبقات العصر المسمى « بليوسين» المتقدم ذكره أي قبل العصر الانساني • وقاس تجويف تلك الجمجمة فوجده الف سنتيمتر مكعب وذلك حجم دماغ ذلك الحيوان • فهو وسط بين حجم أدمغة القرود والبشر . وتبين من شكل عظم الفخذ أن صاحبه منتصب القامة يده أقرب شكلاً الى يد الانسان . ولا سيما من حيث الابهام وحركاتها مما يمتاز به الانسان على سائر الحيوان واستدل من شكل الجمجمة على قوة للنطق في صاحبها يمكنه بها التلفظ بالمقاطع البسيطة . فسماه « القرد الانساني المنتصب » Pithecanthropus Erectus وعده الحلقة المفقودة أو المتوسطة . ووضع شجرة صور فيها تدرج الارتقاء بين الانسان والقرود على هذه الصورة :

ارقى القوقاسيين

حجم الدماغ ١٥٥٠ سنتيمترا

|

الامم المنحطة من الناس

حجم الدماغ ١٢٥٠ سنتمتراً

|

القرد الانساني أو الحلقة المتوسطة

حجم دماغه ١٠٠٠ سنتمتر مكعب

الغورلا	الشمبانزي
حجم دماغه ٣٥٠ سنتمتراً	حجم دماغه ٥٠٠ سنتمتر

اصل الطائفة الشبيهة بالانسان

ولا يؤخذ من ذلك ان الانسان ارتقى من القرد ولا هم يريدون ذلك . وانما يراد انه تسلسل هو والقرود من اصل واحد وجد في اواسط الدور الثالث من ادوار الارض الجيولوجية في العصر المعبر عنه بقولهم « ميوسين »

مهد الانسان الاول

اختلف الباحثون في مهد الانسان أي المكان الذي وجد فيه الانسان الاول . وظل الناس الى عهد غير بعيد يرجحون انه وجد في قارة اسيا بين العراق العربي وارمينيا في البقعة المعروفة بما بين النهرين . وهو قول يؤيد حكاية الخليقة ويطابق بعض نصوص التاريخ القديم . فان مملكة بابل التي قامت هناك من اقدم ممالك الدنيا . وارض شنعار التي سكنها الانسان بعد الطوفان واقعة هناك وجبل اراراط الذي استقرت عليه سفينة نوح واقع في ارمينيا . وكانوا يعتقدون انه من هذه البقعة نزح الناس افراداً وعائلات وقبائل الى سائر جهات المعمور . وفي التوراة فصول خاصة في تفصيل ذلك النزوح

لكن العلماء الطبيعيين نظروا في ذلك نظراً آخر عولوا فيه على تفرق الامم ولغاتهم وما وقفوا عليه من آثار الانسان القديمة وغير ذلك . فترجح لهم ان الانسان الاول وجد في جزائر الهند الشرقية أو الارخبيل الهندي الذي عثروا فيه على بقايا القرد الانساني المتقدم ذكره . ومنه نزح الى سائر انحاء الارض قبل ان يكتشف الملاحة وانه نزح ماشياً على بقع من اليبس كانت لا تزال موصلة بين القارات في اواسط الدور الثالث . أي قبل الزمن الذي كان العلماء يقدرونه لظهور الانسان الاول . وانه لم يأت العصر الجليدي الا والارض قد ملئت بالناس . فامات الجليد الامم الشمالية بالبرد الا من فرَّ منهم الى المناطق الحارة — منذ نحو مئتين أو ثلاثمائة الف سنة . وكان الانسان قد ارتقى عن جده ابن جاوى وان لم يبلغ شأو ابنائه اليوم

وقد عثروا على جمجمة من بقايا عصر الجليد في نياندرتال هي اقدم ما عثروا عليه من بقايا الانسان في اوربا . وحجمها وسط بين جمجمة القرد الانساني وجماجم ابناء هذا الزمان وسموه « الانسان البليوستوسيني » وانه تنوع وتكيف في كل بلد

حسب تأثير الاقليم وغيره من المؤثرات الطبيعية حتى تولدت طبقاته المعروفة . ولهم على ذلك ادلة سيأتي ذكرها في مكانها من هذا الكتاب

وقد ايدوا وحدة هذا الاصل في انحاء العالم بما وقفوا عليه من بقايا الانسان ومخلفاته الصناعية في الارض على اختلاف القارات والممالك . فان المحجرات الانسانية التي وجدوها في اوربا ومصر ومغوليا واميركا متشابهة باشكالها واقدارها . وان الادوات الحجرية التي عثروا على مئات الوف منها في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وشمالي افريقيا وفي الهند واميركا وغيرها تدل على وحدة اصلها . ووجدوا في اوستراليا جمجمة كثيرة الشبه بالجمجمة التي اكتشفوها في نياندرتال . وأما التشابه بين الادوات الحجرية على البعد الشاسع بين الاماكن التي وجدوها فيها فانه مدهش لان ما وجدوه من تلك الادوات على ضفاف النيل أو بلاد الصومال كثيرة الشبه بما وجدوه منها على ضفاف السين والتيمس



الانسان في العصر الحجري

وقد تكاثرت تلك البقايا الحجرية حتى قسمها العلماء الى عصرين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الجديد . لكل منها مميزات بشكل الادوات ودرجة اتقانها . ولكنها توجد في انحاء الارض على تفاوت الابعاد بينها . وقد طال بقاء كل من هذين العصرين . ويقدرون بقاء العصر الحجري الجديد بنحو مئة الف سنة . وهم يبنون احكامهم في ذلك على الطبقات الحجرية التي تغطي تلك البقايا ، وهي اطول في البلاد

التي ابطأت في التمدن مما في سواها . فالبلاد التي ادركها التمدن قديماً كوادي النيل وآسيا الصغرى وبين النهرين وجزائر اليونان اسرعت في الانتقال الى العصر البرونزي فالحديدي ومعاصروها في اوربا واميركا لا يزالون غارقين في الهمجية لا يعرفون من الادوات غير الحجرية

وكان للعصر الحجري آداب خاصة وعادات خاصة وصنائع خاصة واعتقادات خاصة نجدها ظاهرة على بقايا تلك الطبقة حيثما وجدت من القطب الشمالي الى خط الاستواء

التاليف

في اللغة العربية

لا يستطيع من راقب سير العلم بمصر في الاعوام الاخيرة غير الاعتراف بوجود نهضة ادبية كثر فيها المؤلفون وتعددت المؤلفات . وان كنا بالقياس على سائر الامم لا نزال اطفالاً في هذا الفن . وينقصنا على الخصوص التدرب على البحث والتنقيب والقياس والاستنتاج . فان بعض كتابنا لا يزالون يسيرون في طرز تاليفهم على خطة اسلافنا القدماء . والتأليف في العربية قديم كما رأيت في ما بسطناه في كتابنا تاريخ آداب اللغة العربية . وكان لعلماء العربية القدماء القدح المعلى في هذا الباب لكن لكل عصر نسقاً في التأليف يلائم اهله . فنسق هذا العصر يختلف عن نسق القدماء مثل اختلاف سائر احوالنا عن احوالهم . ونحن في هذه النهضة عولنا في اقتباس العلوم الحديثة على اصحاب هذه المدنية فنقلناها عنهم ولهم طرق للتأليف بحسن تحديها لما فيها من التمحيص والترتيب والتبويب مما يسهل على القارىء تفهم المواضيع وحفظها

ومع ذلك لا ينبغي لنا ان نبخس آدابنا العربية حقها ولا سيما في المواضيع التي كتب فيها اسلافنا وان اختلف ما كتبوه من حيث روحه واسلوبه عما يقتضيه هذا العصر . لكننا نرى بعض كتابنا ينظرون الى تلك الآداب بعين الاحتقار ولا يتعبون انفسهم في تفهمها . ولو فعلوا ذلك لوجدوا فيها كنوزاً ثمينة في كثير من المواضيع التي يحتاجون الى نقلها من اللغات الافرنجية . ولعل السبب في اهمالهم المصادر العربية ما يجدونه لاول وهلة من الغرابة في اسلوبها لانه يخالف ما تعودوه من الاسلوب

العصري . ولو زاولوا مطالعة تلك الكتب قليلاً لتعودوا ذلك الاسلوب وهان عليهم فهمه . وقد يجدون في تلك الكتب حقائق هامة غير ما يستفيدونه من طرق التعبير والالفاظ الوضعية فيستعينون بذلك على تقويم اسلوبهم عند نقل ذلك العلم عن المصادر الافرنجية

ومن غريب ما رأيناه من هذا القبيل ان بعضهم يعتمدون على هذه المصادر ولو كان ما يكتبونه متعلقاً بعلوم العرب انفسهم او تاريخهم . ولعلهم يفعلون ذلك لثقتهم بتدقيق الافرنج في ما يكتبونه لكن ذلك جرّ بعضهم الى ارتكاب خطأ شوه ما كتبوه. فقد قرانا كتاباً حديثاً في تاريخ الاسلام فراينا فيه رسائل كتبها بعض القواد المسلمين الى خلفائهم في صدر الاسلام هي في اصلها العربي مثال البلاغة وحسن البيان فترجمها مؤلف ذلك الكتاب عن الافرنجية فجاءت اعجمية اللهجة عارية من البلاغة العربية مع امكان نقلها بعبارتها الاصلية لفظاً ومعنى

ومعلوم ان العلم الحديث جاءنا اولاً على يد الفرنساويين والايطاليان في زمن محمد علي باشا ثم تناولنا جانباً منه عن الانكليز والاميركان وخصوصاً في سوريا . ثم كان الاحتلال الانكليزي بمصر فسعى اهله في نشر لغتهم بيننا فاصبحت المصادر التي نعول عليها في ما نكتبه اما فرنساوية او ايطالية او انكليزية . ولكن الايطالية لم تثبت لضعف نفوذ ايطاليا بيننا فانحصرت مصادرنا في الفرنساوية والانكليزية

وبديهيٌ ان من يتناول العلم عن امة تعلم لغتها وآدابها يشب على حبها فيتوخى تقاليدها والاقتداء برجالها . فاصبح كتابنا من اجل ذلك فئتين فئة تقلد الفرنساويين وفئة تقلد الانكليز . وقلَّ من يجمع بين الاثنين فاختلفت اذواقنا باختلاف ما بينهما من المبادىء والاخلاق حتى ظهر أثر ذلك في ما نكتبه لفظاً ومعنى . فقلَّ ان نقرا مؤلفاً الفه كاتب من اهل هذا العصر في علم حديث الا قرات في خلال سطوره مبادىء احدى الامتين الفرنساوية او الانكليزية . ولعل هذا هو السبب في تشيع عامتنا الى احداهما لان الامة من حيث المبادىء والاخلاق تسير على خطوات كتابها فتتبع كل منهم فئة من الكتاب فتقلدهم باقوالهم واعمالهم

ولا يقتصر تقليدنا كتاب الافرنج على فحوى ما يكتبونه ولكنه قد يتناول طرق التعبير فترى اللهجة الافرنجية ظاهرة على عبارات بعضنا مهما كانت الفاظها عريقة في العروبة . لان لكل لغة نسقاً في التعبير خاصاً بها فمن كانت مطالعاته ومراجعاته في كتب فرنساوية اكتسب ملكة التعبير فيها وخصوصاً اذا اهمل المطالعة في الكتب

العربية وهكذا يقال في مطالعي الكتب الانكليزية

فعلى من يعمد الى التأليف ان يحافظ على ملكة اللسان العربي ويتجنب التعبيرات الافرنجية ولا يتم له ذلك الا بمطالعة الكتب العربية الخالية من شوائب العجمة . بل لا بد له من مطالعة الكتب التي كتبها العرب في الموضوع الذي يريد الكتابة فيه او ما يقرب منه لاقتباس طرق التعبير في ذلك العلم . اذ لكل علم عبارات والفاظ لا يستحسن ايرادها في علم آخر . فلغة العلوم الطبيعية مثلاً غير لغة المواضيع الادبية ولغة التاريخ غير لغة الطب ولغة الكتابة غير لغة الخطابة . فما يستحسن ايراده من العبارات المبرقشة بانواع البديع في موضوع ادبي تهذيبي يستقبح في موضوع طبيعي او رياضي . فعبارة ابي الفضل الهمذاني في رسائله لا تستحسن في اثبات قضية هندسية أو تقرير حقيقة طبيعية . واذا كتبت المعاني التهذيبية بعبارة الهندسة لا تؤثر في النفس تأثيرها لو كتبت بعبارة مزخرفة باساليب الاستعارة وضروب المجاز . فضلاً عما تقتضيه الحقائق العلمية من البساطة وما تستلزمه المواضيع الادبية من المبالغة والاطناب بين تهديد وتنديد وترهيب وترغيب . فيقسم الانشاء بهذا الاعتبار الى قسمين كبيرين انشاء علمي وانشاء ادبي . ولكل منهما فروع يستخدم كل فرع منهما بموضوع دون الآخر

الاسلوب

اذا تصفحت كتاباً ثم نظرت فيه نظراً عاماً رايته مؤلفاً من شيئين متباينين هما موضوعه ولغته او اسلوبه او هما معناه ولفظه . فالموضوع او المعنى هو الغرض الذي يريد المؤلف ايصاله الى ذهن القارىء . واما الاسلوب فهو الآلة التي يستخدمها في ايصال ذلك الغرض . فاذا عمد جماعة الى التأليف في الثورة العرابية مثلاً كان غرض كل منهم بيان تلك الثورة بما تقدمها او دعا اليها من الاسباب ثم ما توالى من حوادثها الى انقضائها وما نجم عنها من العواقب السيئة او الحسنة . فاذا قرات كتاب كل منهم على حدة رايتهم يختلفون في كيفية تأدية تلك الحوادث وترتيبها باختلاف ما يعلمه كل منهم او ما فطر عليه من طرق التعبير . وظهر لك تباين في اساليب التأليف وان يكن الموضوع واحداً . وقد تستحسن اسلوب بعضهم وتستهجن اسلوب البعض الآخر وهو الفرق بين ملكات الانشاء في الكتاب

واذا امعنت الفكرة في كتاب قرانه ونظرت في انشائه نظراً تحليلياً رايت فيه

اشياء يمتاز كل منها عن الآخر وهي :

(١) ترتيب الحوادث اجمالاً بالنسبة بعضها الى بعض . كأن يقدم الكاتب سبباً على آخر او يبني حادثة على اخرى او ان يذكر نتيجة كل حادث في اثر ذلك الحادث او يجمع كل النتائج معاً . الى غير ذلك من اساليب الترتيب

(٢) سرد كل حادث على حدة وترتيب جزئياته بالنسبة بعضها الى بعض بقطع النظر عن علاقته بالحوادث الاخرى

(٣) تنسيق العبارات التي يتألف منها كل حادث جزئي باعتبار ربطها بعضها ببعض بين تقديم وتأخير على ما يراه الكاتب مؤدياً لما في ضميره

(٤) وضع الالفاظ في مواضعها بالنظر الى قواعد الاعراب والبيان كتقديم الفعل على الفاعل والمبتدا على الخبر مع ما يختاره من اساليب الاستعارة او نحوها

فاذا عرفت هذه الاقسام الاربعة وتدبرت كلاً منها على حدة علمت ان الثلاثة الاولى منها مرجعها في الغالب الى ذوق الكاتب الشخصي وهي قلما تكتسب بالدرس او المطالعة الا في احوال مخصوصة . اما القسم الرابع فهو وحده يمكن اكتسابه بالدرس وقد لا يكون الدرس وحده كافياً لاتقانه

والانشاء بالمعنى الذي نريده انما يقوم بالاقسام الاولى ومدارها تنسيق المعاني وترتيبها على ما يوافق اذواق الناس بقطع النظر عن الاعراب اوالبيان . فهو من هذه الحيثية ملكة غريزية لا تكتسب بالدرس كما قد يتبادر الى الذهن . ولكن الدرس وسعة الاطلاع يهذبانها ويرقيان ذوق صاحبها

فالكتابة في اعتقادنا ملكة غريزية كملكة الشعر . فالشاعر المطبوع تظهر شاعريته ولو لم يعرف العروض وكذلك الكاتب المطبوع . لان المعنى صورة من صور الذهن والكتابة رسم تلك الصورة على الورق والمعاني تخطر لعامة الناس كما تخطر لعلمائهم على تفاوت بينهم وكل منهم يعبر عن معانيه اما تكلماً او كتابة على اسلوب خاص به . فقد تقرأ عبارات او تسمعها من الناس لا يعرفون علماً من علوم اللغة فتتفهمها وتتأثر منها فترسخ في ذهنك ويتشربها ذوقك لما تؤانسه من تناسب اجزائها وتناسق معانيها وسهولة انشائها ما ربما لا تعثر عليه في عبارات بعض المتضلعين بعلوم اللغة

والمعاني ترجع في وضوحها وابهامها الى حالة صورتها في ذهن الكاتب . فاذا كانت الصورة واضحة في ذهنه ظهر ظلها واضحاً في كتابته او تكلمه . واذا كانت

مشوشة ظهر لك تشوشها في خلال سطوره . ويكون ذلك غالباً في من يكتبون في مواضيع لم يحسنوا درسها . وقد يقرأ بعضهم مقالة لا يستطيع فهمها فيحسب ذلك بلاغة في الكاتب أو سمواً في انشائه . ويظن اشكال فهمها عليه ناجماً عن جهل منه في اساليب الكلام . وعندنا ان توقف القارىء في فهم كتاب دليلٌ على ضعف الكاتب وقصر باعه في موضوع ذلك الكتاب . حتى قد يستدل على تمكن الكاتب من موضوع كتب فيه من سهولة فهم ما يكتبه . فاذا قرات مقالة ولم تستوعب معانيها فاعلم ان كاتبها لم يفهمها ايضاً الا في بعض الاحوال . اذ يكون الكاتب متضلعاً في موضوع فيتوخى المبالغة في اختصار ما يكتبه حتى يمتنع فهمه على غير المتضلع . كما كان يفعل بعض علماء الكلام او المنطق او الفلسفة فقد تقرا كتبهم ولا تفهمها الا بعد اعمال الفكرة والمراجعة . ولا تستطيع ذلك الا اذا كنت متضلعاً في تلك العلوم . فمثل هؤلاء انما يكتبون لبيان تعمقهم في العلم لا لافادة القراء

وقد يخال لاول وهلة ان سبب ذلك التعقيد متصل بطبيعة تلك المواضيع فلا يستطاع التعبير عنها بابسط من ذلك وهو الواقع في بعض العلوم ولكنه لا يمنع امكان الكتابة فيها بعبارة بسيطة سهلة كما يفعل الافرنج فانهم يتوخون البساطة والسهولة في اصعب المواضيع العقلية لانهم انما يكتبون لافادة القارىء . وكثيراً ما نفضل مراجعة بعض هذه المواضيع في اللغات الافرنجية لقرب تناولها مع ان منها في العربية مطولات شتى

فالعمدة في الانشاء على ترتيب اجزاء الموضوع وتنسيق العبارات بتناسق المعاني مع السهولة والوضوح . وهي ملكة غريزية لا تكتسب بالمزاولة او الصناعة للاسباب التي قدمناها . ولكل كاتب اسلوب خاص به يمثل سلسلة افكاره يعبر عنه الافرنج بقولهم (Style) وهو الذوق اوالنفَس في اصلاح الكتاب فالكاتب يمتاز بذوقه ويعرف به ومن عانى الكتابة ودرس اذواق الكتاب سهل عليه تمييز الكاتب بمجرد مطالعة ما يكتبه . وقد يشرّح المقالة اذا كتبها غير واحد وينسب كل قطعة منها الى كاتبها . ويقول العرب « ما قرات كتاب رجل الا عرفت مقدار عقله فيه » ويقول الفرنساويون (Le style c'est l'homme) اي ان الاسلوب يمثل كاتبه . واساليب الكتاب تختلف باختلاف سلاسل افكارهم فمنها السهل والسلس والبليغ والواضح والمعقد والملبك والمشوش والركيك فاذا قرات عبارة حكمت لاول وهلة أنها سهلة أو مشوشة او واضحة او معقدة او غير ذلك

ويختلف اسلوب الانشاء باختلاف المواضيع . فالعلم الطبيعي يوافقه اسلوب لايوافق العلوم الادبية او الاجتماعية او التهذيبية وهما غير اسلوب المراسلات فيستقبح اسلوب الخطابة في بيان الحقائق الطبيعية او الرياضية او المنطقية كما يستهجن اسلوب الرياضيات والاقيسة المنطقية في موقف الخطابة او المراسلات كما تقدم

فالخطب وما يشبهها في اسلوبها من المراسلات أو كتب التحريض والتهديد لها نسق خاص يراد به اثارة العواطف واستنهاض الهمم كقول الامام علي يخاطب اصحابه يوم واقعة صفين :

« معشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة . وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام واكملوا اللأمة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها . والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا . وصلوا السيوف بالخطا واعلموا انكم بعين الله ومع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ فانه عار في الاعقاب . ونار يوم الحساب . وطيبوا عن انفسكم نفساً . وامشوا الى الموت مشياً سجحاً وعليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب ... »

فمثل هذا الاسلوب لا يستحسن في بيان حقيقة طبيعية كايضاح اسباب المطر او سرد نواميس الجاذبية . ولا في اثبات قضية هندسية كالبرهان على ان مربع الوتر يعدل مربعي الساقين ولا في شرح فائدة طبية كتشخيص مرض الروماتزم او النقرس او نحوها ولا في بسط حقيقة تاريخية فان لكل مقام مقالاً

فعلى الكاتب الاديب ان يفهم ذلك ويتدبره فلا يضع الاشياء في غير مواضعها فيذهب سعيه في خدمة العلم هباء منثوراً



حكم

اياك والدالة فانها تفسد الحرمة

اياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة

اياك والانفاق مع الاخفاق

اياك والسكنى مع ذوي الشحناء تخيرك فيهم يطوى وشرك يروى

اياك والاخوان الخوان الطاغين عليك الضاحكين لك الحافظي هفواتك ايام مصادقتك عدة لايام مفارقتك

الادب العصري

والشعر المنثور

وليالي الروح الحائر

نريد بالادب العصري بالنسبة الى الادب العربي الاصلي نحو ما نريده من الشعر العصري بالنسبة الى الشعر العربي الاصلي . وقد اخترنا هذه التسمية تسهيلاً لفهم المراد من هذا البحث كما ستراه

الشعر العصري

بالنسبة الى شعر سائر العصور

الشعر العصري يختلف عن سائر ضروب الشعر مثل اختلاف احوال هذا العصر عن احوال سائر العصور فهو يوافق عصرنا باسلوبه ومعناه . ولكل جيل او عصر روح عامة تتجلى في كل جزء من اجزائه . وفي جملتها الشعر لانه مرآة اخلاق الامة ومعرض آدابها فيخشن او يلين ويسمو او ينحط حسب احوال الامة . فلكل عصر مميزات يظهر أثرها في الشعر . ومميزات الشعر العصري ترجع الى عوامل المدنية الحديثة وما كان من تأثيرها على اخلاقنا وآدابنا واحوال اجتماعنا وسياستنا . وتمتاز هذه المدنية عن المدنيات الماضية بالتعويل على الحقائق الثابتة بالمشاهدة والاختبار مع نبذ الخرافات والاوهام . وباطلاق الفكر من قيود التقليد . وبدقة الشعور مع لطف الامزجة . وبكشف الاسرار الطبيعية والاختراع والاكتشاف . وبالتعويل على الاقتصاد وتقدير الشيء بقيمته الحقيقية في الاحوال الاجتماعية والسياسية فضلاً عن الشؤون المالية . وبكثرة الاختلاط بين الامم المختلفة وتمازج العادات والآداب والاخلاق . وبالاطلاع على اداب الافرنج في كتبهم وغير ذلك

فاختلف شعر هذه النهضة عن شعر سائر العصور بخصائص بيناها في مقالة ضافية في الشعر العصري نشرناها في السنة ١٣ من الهلال وشفعناها بما يلائم ذلك من الامثلة

الشعر المنثور

ويدخل في الشعر العصري ايضاً « الشعر المنثور » والعرب لا يعدُّونه شعراً لان الشعر عندهم الكلام المقفى الموزون وهو في نظرنا تعريف الشعر بلفظه لا بمعناه. اما الافرنج فالشعر عندهم منظوم ومنثور والمنظوم قد يكون موزوناً غير مقفى او مقفى غير موزون وانما العمدة على الخيال الشعري . والمشهور ان العرب لم تكن لهم عناية بالشعر المنثور اذ لم يكن له اسم عندهم والواقع انهم عانوا هذا الضرب من الشعر في منثورهم . فان جانباً كبيراً من رسائلهم واقوالهم النثرية في ابان حضارتهم ولا سيما في العصر العباسي الثالث كانت من هذا القبيل . ثم تقاعدت القرائح عنها بفساد ملكة الانشاء والخيال الشعري . حتى اذا اخذ اهل هذا العصر باطراف المدنية الحديثة عمد ادباؤنا الى هذا النوع من الشعر فاقتبسوه من ادباء الافرنج وقلدوهم في طريقته . وهؤلاء يصدق على احدهم لقب الاديب كما يصدق عليه لقب الشاعر

والشعراء الادباء عند الافرنج كثيرون ولهم في الادب على الاجمال طريقة غير التي للعرب قد اوضحناها في الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية (صفحة ٢٧٧) بقولنا « ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليتراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب . لكنه يشتمل ايضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة او الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب او الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية او ينتبه له من اماكن النقص في الامة او رجالها او ملوكها فينتقده او يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في اسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن اسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب او الشاعر عندهم يكتب او ينظم او يمثل او يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجود او المجتمع الانساني او احوال الناس من حيث الادب او السياسة او الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب او الاسترضاء . وهذا نادر في ادباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء او الامراء من مدح او هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية . او يشببون بما يطرب الخليفة او الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم »

الادب العصري

وظل ذلك شأن الادب في معظم العصور الاسلامية الأ ما ندر من نبوغ بعض المفكرين من الشعراء او الادباء خرجوا عن تلك الخطة بعض الخروج . وتركوا اتمام ذلك الى اهل هذا العصر — عصر الحرية الشخصية والعلوم الطبيعية والاكتشاف والاختراع . او هو عصر الكهربائية والبخار فتدانت المسافات وكثر اختلاط الامم وامتزاج العناصر وعكف الشرقيون على اقتباس مدنية الغرب وقلدوهم في كثير من ادابهم وسائر احوالهم . ومن جملتها طريقة الادب عندهم على الشكل الانتقادي الخيالي الذي تقدم ذكره وهو ما سميناه « الادب العصري »

واصحاب هذه الطريقة عندنا لا يزالون قليلين عرفوا بمقالات نشرت في الصحف او طبعت على حدة . يعرف قراء الهلال منهم نابغتين سوريين نعني امين افندي ريحاني وجبران افندي خليل جبران وكلاهما نشأ في الولايات المتحدة الاميركية. وقد نشرنا امثلة من اقوالهما في الهلال مراراً وتمنينا لو تشيع تلك الطريقة بين ادبائنا لانها تهذب النفوس وترقي الاخلاق وتؤثر في الهيأة الاجتماعية تأثيراً حسناً . وشيوعها في قوم يدل على ارتقاء نفوسهم

ليالي الروح الحائر

لمحمد افندي لطفي جمعة

وبين يدينا الآن كتابٌ على هذه الطريقة من الادب العصري او الشعر المنثور للدكتور الحقوقي محمد افندي لطفي جمعة من نوابغ المفكرين المصريين سماه « ليالي الروح الحائر » توخى فيه ما يريده الافرنج من علم الادب نحو ما فعله كبار ادبائهم من وضع المقالات او الحكايات يصورون بها الحقائق وينتقدونها ويستخرجون العبرة منها باسلوب شعري يؤثر في النفس — والمؤلف متخرج في مدارس فرنسا العالية وقد تمكن من آداب الافرنج في لغاتها الاصلية . فجعل كتابه على اسلوب خيالي اورد فيه ما استنبطته قريحته الفلسفية من الاراء الاجتماعية والاصلاحية على لسان روح صديق عزيز عليه . وقد صدر الكتاب بفصل في رثاء ذلك الصديق ابدع بما ضمنه من وصف الطبيعة وهو جالس على حجر من احجار الهرم الكبير وقد ادرك الغروب الشمس فغابت وراء الرمال واستطرق في خياله الى ما اتاه الفراعنة في بناء ذلك الهرم من المظالم ووصف ما بين يديه من الغياض فقال (صفحة ٤) :

« فوقفت بين يدي الطبيعة خاشعاً خاضعاً انظر الى البر تارة والى النهر اخرى . وارفع بصري مرة الى قمة الهرم فيغلي دمي في عروقي غيظاً من رافع بنيانه وواضع جدرانه . لان صخوره دموعٌ متحجرة اذرفها شعبٌ شقي انجازاً لشهوة ملك ظالم . ثم اخفض به الى القاهرة وهي في السهل ساكنة هادئة كأنها باقة من ازهار ثق في يد الوادي . يشمها ابوالهول بانفه ويسقيها النهر بمائه خوفاً عليها ان تذبل اوتذوي »

ثم ذكر صديقه الراقد بين الاموات وانهما تواعدا وهما في قيد الحياة ان الذي يبقى حياً بعد صديقه يكتب عنه كتاباً يكون سلوى الحزانى . ثم وصف القبور وساكنيها وان روح صديقه تراءت له وهي تحمل مصباحاً يهديها في حيرتها بشعاع نور الحقيقة فسماها « الروح الحائر » واخذ يسأله عما رآه وهو يقص عليه كل ليلة حديثاً باسلوب شعري فلسفي في شكل ما تقدم

وبلغت تلك الاحاديث بضعة عشر فصلاً في مواضيع اجتماعية اصلاحية ترمي الى اغراض مختلفة ترجع الى العبرة بما في الوجود من غرائب الحكمة وانتقاد احوال المجتمع الانساني على العموم والمجتمع المصري على الخصوص . ويتخلل ذلك قواعد ونصائح لتهذيب النفس واصلاح الوطن يصح ان تكتب بماء الذهب . ومن ذلك قوله في علامات الامم الراقية وهي عنده اربع : (صفحة ١٤)

« العلامة الاولى التضامن الجنسي . والثانية ظهور افراد لدى الشدائد والازمات ينيرون ظلمة الشك ويقضون على عوامل الضعف وينهضون بالامة نهضة ممدوحة تستجد بها ما فقدته في كبوتها . والعلامة الثالثة تفاني قواد الراي في المنفعة العامة وتلاشيهم في خدمة الامة . وبعبارة اخرى موت عاطفة الأثرة من نفوسهم . والعلامة الرابعة ظهور آثار النشوء والارتقاء في افراد الامة — تلك العلامات الاربع ما خلت منها امة الا كان ذلك ايذاناً بموتها ودليلاً واضحاً على دنو اجلها »

وفصل ذلك تفصيلاً ضمنه حكماً وعظات على اسلوب رمزي لكنه واضح جلي

وفي فصل آخر تكلم الروح الحائر عن علة سقوط الشرق واجاد وجعل من اهم علله « بغض العظماء » . وفصل آخر « في غرور الناس بالناس » فانتقد عليهم تملقهم لاخوانهم وجبنهم في ابداء افكارهم وعنفهم لتقاعدهم عن الصراحة في القول ـ جعل ذلك على لسان الروح يصف خطيباً يقول ما لا يعي لكنه كان مشهوراً تخدع الحضور بشهرته ولم يجسر احد ان ينتقده ـ ومن بليغ قول الروح (صفحة ٣٢) :

« فدهشت لخلو هذا الجمع من رجل كريم النفس قوي القلب والارادة ينوب

عن الحاضرين في التعبير عما يجول في خواطرهم بل كان الـكل جالسين صامتين كأنهم يخشون العقاب . فمن الملوم في مثل هذا المحفل العجيب ؟ ايلام الخطيب وقد امتلأ غروراً بنفسه من ثناء الناس عليه ثناء كاذباً ؟ ام نلوم الناس وكلهم خادع مخدوع يوقع البعض بالبعض سعياً وراء منفعة او جبناً وخوفاً من ان يوصموا بضعف العقل والعجز عن تقدير الفضل وذويه ؟ »

الى ان قال (صفحة ٤٥) « على ذلك الاساس المتين اساس الخوف من التصريح بالحق والجبن الموروث بنى ابطال التاريخ مجدهم الخالد واسسوا مفاخرهم الشامخة . وقد سئل بعضهم كيف يرهب القلوب ويرعب الافئدة وكيف يغلب اعداءه ويقهر اضداده ويذل الاعزاء ويخضع الاقوياء فقال : عرفت سراً لم يعرفه الا من بلغ مبلغي او سوف يبلغ . فقيل وما هذا السر ؟ قال : اخدع الناس كلاً بما خلق له واستعين بالبعض على البعض فيكون الكل لي ظهيراً »

وقس على ذلك سائر الفصول . منها فصل سماه « حديث الروح المجنون » انحى فيه على الاخلاق السافلة المستترة وراء الاثواب الثمينة . وفصل آخر في « نرجس العمياء » شخص فيها بؤس الفتاة العمياء تشخيصاً ينقش على مخيلة القارىء نقشاً . وذكر صديقاً سماه علياً وصف به الصبا واحواله واستبداد الانسان بالانسان وكيف ان العلم يجعل العبد حراً لان علياً هذا كان عبداً قاسى ضروب العذاب عند سيده وانما حرره العلم

وفصلٌ في الروح الانساني وما يقع عادة من التنازع بين العقل والعواطف باسلوب بديع يدلُّ على علم وحكمة . وغالى في ذكر مصائب البشرية فوصف الناس في اشقى احوالهم فقال (صفحة ٦٩)

« انكم ابناء الندامة تمرحون لحظة في بساتين الرجاء . وقصة آدم من الاساطير الاولى الخالدة لان لكل منكم تفاحة وثعباناً . انتم ايها الناس قطع الشطرنج والقضاء والقدر لاعبان . انتم ايها الناس صور تحركم يد الدهر في ملعب الوجود الحقير . والصوت المسموع فيكم هو صوت الحزن الدائم والعويل . اتخذتم الضحك وهو شكل من اشكال البكاء . رقصتم لتخدروا ابدانكم بخمر الحركات لتغيب عنكم الاحزان . سكرتم لتقتلوا الهموم . لهوتم لان اللهو ملجأ الضعفاء . كلكم ذليل واعزكم اذلكم حتى الملوك على عروشهم وارباب اولمبية لها يوم تنوح فيه . الم تسمعوا صوت سوفوكليس المجيد وهو عينكم الباكية وصوتكم الناعب ولسانكم الصائح . كلكم (الملك أوديب) لان كلكم هدف لسهام الزمان . كلكم يتصدى لكم القضاء ليقضي عليكم »

وهناك فصول اخرى يطول بنا وصفها يتخللها خيالات شعرية مبتكرة تستوقف الفكر وتقع من النفس موقعاً جميلاً . وقد افرد فصلاً سماه الاخوات الثلاث وصف فيه طباع المرأة على اختلاف احوالها

وعقد فصولاً لشعر الارواح جعله منثوراً بلا وزن ولا قافية في عدة اناشيد احدها في « نسمة الربيع » وآخر في « عروش الجبابرة » واخر في « اناشيد العلا » ونشيد في « تعذيبي وتعليلي » واخر في « مبصر وضرير » وصف فيه عواطف البشر المتضاربة ونشيد في « الحقيقة » اجاد فيه ومن قوله يخاطبها (صفحة ١٨٠)

« الست انت التي حاولوا ان يكشفوا سرك في هياكل افريقيا ومعابد آسيا ثم عادوا خاسئين ؟ الست انت ايتها الحقيقة التي تركت في كل مكان أثراً من آثارك . حتى اذا بلغه احدنا نحن المساكين اغويته وجذبته اليك ثم اختفيت من امامه كالسراب الذي يخدع التائهين في الصحراء ؟ الى متى ايتها الحقيقة يبقى الانسان ضالاً تائهاً ؟ والى متى يدوم ذلك السباق الاليم بين الجهل والعلم . بين الباطل والحق . بين النور والظلمة ؟ »

وختم الكتاب بفصل في ليلة الوداع جاء ذكر الحب فيه على سبيل المحاورة مع تفصيل جميل . ولولا ضيق المقام لاتينا بامثلة اخرى من الكتاب

وبالجملة فان هذا الكتاب ينطوي على قواعد اجتماعية وانتقادات فلسفية اصلاحية على اسلوب من الادب العصري يجدر بالادباء تحديه . وليس هو مما يلهو به العامة على سبيل الفكاهة بل هو من ابحاث الخاصة التي تفتقر الى روية ونظر . فهنيء المؤلف على ما اوتيه من القريحة الوقادة والروح النقادة والجرأة الادبية والآداب الراقية وصدق النية في خدمة هذا الوطن

على ان مجمل ما جاء به يؤثر في النفس تأثيراً محزناً كأن كاتبه ينظر الى الدنيا من وجهها الاسود (Pessimist) فلا يرى فيها غير الشقاء والتعب وفساد الطبيعة البشرية . ويظهر من كلامه في « الاخوات الثلاث » انه لا يرى في المرأة كمالاً . وهاك خلاصة حكمه عليها — قال (صفحة ٩٧) :

« هذه ثلاثة نموذجات للمرأة لا تخرج انثى عن احدها . فهي اما كالاخت الكبرى امرأة لا تمتاز بحسنها ولكنها ترضي زوجها فتكون عفتها عفة ضرورة وهي بؤرة فساد كامن دعت الى كتمانه الاكاذيب والتظاهرات المتفق عليها . واما جميلة شريرة تنال باذاها القريب منها والبعيد عنها كالاخت الصغرى وهي تدير خراب البيوت تحفر طول حياتها قبوراً للرجال ومن لاتواريه التراب اوقعت به في حبالة . والثالثة كأن لامعنى

له لا يضرّ ولا ينفع جعلته الطبيعة صدقة على من لم يقع فريسة احدى المرأتين »

وهذا ما لا نوافقه عليه أولعله اقتصر هنا على ذكر نقائص المرأة واجل الكلام في فضائلها الى فرصة أخرى . والا فان المرأة في اعتقادنا اقرب الى الخير من الرجل . واذا تنافسا في الفضيلة سبقته او في الرذيلة سبقها . ونعرف بين النساء الفاضلة سهلة الخلق عن سعة صدر وعزة نفس والعفيفة عن اختيار واستقلال فكر. ولكن بعض الرجال ينسبون اليها كثيراً من الشرور وقد يظهر ذلك صحيحاً لاول وهلة . واذا امعنت الفكرة فلا تجد شراً ليس للرجل دخل فيه او هو المحرض عليه

واذا شق علينا الحكم القطعي في ايهما اقرب الى الخير فلا يخلو ان يكون في كل منهما الصالح والطالح والامين والخائن . ولما كان الرجل هو المسيطر عليها فهو المسئول عن سقطاتها لانه لم يحسن تربيتها

فريدريك الثامن

ملك الدنيمارك

ولد سنة ١٨٤٣ وتولى سنة ١٠٩٦ وتوفي سنة ١٩١٢

نقلت الاخبار التلغرافية وفاة فريدريك الثامن ملك الدنيمارك فجأة في همبورغ في منتصف مايو الماضي وقد خرج متنكراً بعد العشاء وحده فوقع مغشياً عليه ومات فالتقطه بعض المارة وحملوه الى المستشفى وهم لا يعرفونه . واستبطأت حاشيته رجوعه ثم وجدوه في المستشفى فنقلوه واحتفلوا بدفنه وبويع لابنه كريستيان وسموه كريستيان العاشر

اما الملك المتوفى فهو ابن كريستيان التاسع ولد في ٣ يونيو سنة ١٨٤٣ وتزوج في ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٩ بالبرنسس لويزا بنت كارلوس الخامس عشر ، فولد له منها ثمانية اولاد اكبرهم البرنس كريستيان الملك الحالي وهو مشهور بطول قامته ومهارته في الشؤون الحربية . ويليه البرنس كارل وهو هاكون السابع ملك نروج

وكان فريدريك الثامن مشهوراً بين الدنيماركيين انه مثل ابيه كريستيان التاسع لطفاً ودعة واخلاصاً وفيه ميل شديد للاهتمام بالامور التعليمية . وكثيراً ما كان يزور المدارس وهو ولي عهد ويتفقد احوالها وينشط اصحابها وهم يحتفلون بزيارته ويعرضون تلامذتهم ويمتحنونهم بين يديه وهو يسألهم بعض الاسئلة على ما يتراءى له . وذكروا من ادلة لطفه انه زار احدى مدارس البنات مرة فلما عرضوا البنات للامتحان تلعثمت احداهن عن الجواب تهيباً من ولي العهد فاخذها بيده واجلسها



فريدريك الثامن ملك الدنيمارك السابق

على ركبته وجعل يخفف عنها حتى اطمأن قلبها واجابت احسن جواب فسألها الاستاذ لماذا لم تستطع الاجابة من قبل وكيف استطاعته الآن فقالت « لان ولي العهد وضع الجواب في اذني حرفاً حرفاً » وتولى الملك سنة ١٩٠٦



كريستيان العاشر ملك الدنيمارك الحالي

وبمناسبة ذلك نأتي بفذلكة من نظام حكومة الدنيمارك . تأسس هذا النظام سنة ١٨٤٩ ثم تعدل غير مرة حتى استقر على ما هو عليه سنة ١٨٦٦ وخلاصته ان قوة الاجراء منوطة بالملك ووزرائه والملك يجب ان يكون من الطائفة الانجيلية . واما سن القوانين وتعديلها فمن شأن نواب الامة مع مصادقة الملك . والنواب مجلسان : الاول مجلس الاعيان وهو مؤلف من ٦٦ عضواً من اشراف المملكة ١٢منهم يعينهم الملك في العضوية لطول الحياة والباقون تنتخبهم الامة كل ثماني سنوات . والثاني مجلس العموم وهو مؤلف من ١١٤ عضواً ينتخبون بالاكثرية لمدة ثلاث سنوات وكل عضو منهم ينوب عن ١٦٠٠٠ نفس من مجموع الامة ويشترط ان يكون الاعضاء من خيرة الناس استقامة وادباً وقد تجاوزوا الخامسة والعشرين من العمر . ولكل من نواب الامة على الاجمال راتب يقتضيه من الحكومة في اثناء العمل باعتبار عشرة فرنكات عن كل يوم غير نفقات الاسفار

ومساحة مملكة الدنيمارك الآن ١٥٣٨٨ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٢٥٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من الجنس الاسكنديناڤي . وسكان كوبنهاغن العاصمة نحو ٤٠٠٠٠٠ نفس . والصنائع الغالبة في الدنيمارك الفلاحة فان نحو مليون من السكان يشتغلون فيها والباقون يعملون بسائر الحرف والاعمال على هذه الكيفية :

عمال روحيون	١٢٨٥٠٦
« السكك الحديدية وغيرها	٨٥ ١٩٩
الفلاحون	٩٧١ ٨٩٤
الصناع	٦٨٩ ٨٣٠
التجار	٢٢٢ ٥٠٣
عمال النقل بالبر	٢٢ ٩٣٢
« « بالبحر	٣١ ٩٤٢
المتمولون	٦٨ ١٧٧
طبقات اخرى	٢٧٩ ٠٠٠

للحكيم بمراده . (وذلك) انهم وضعوا في البيت الاول حبة وفي الثاني حبتين وفي الثالث اربع وفي الرابع ٨ وفي الخامس ست عشرة وهكذا . ووجدت بعض الحذاق حصرها بالاعداد الهندية ونظمها في بيت من الشعر فذكرتها استحساناً له وهو : —

هاو اهبط وصفر بعده زجز . وشن ضفرا وقل ددزوددحا ٩٥٥١ ٦١٥ — ٠٠٧٣٧ — ١٨٤٤٦٧٤٤ العدد ٦١٥ ٥٥١ ٠٠٣٧٠٩ ٦٧٤ ٨٤٤ ١ (كذا)

اما اصل كلمة شطرنج فهي (شش رنك) ومعناها ستة الوان لان شش عندهم ستة ورنك لون فالشاه لون والفرزان لون والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون . وقال السريّ الرفاء يصف الشطرنج واجاد

وكتيبتا زنج وروم اذكيا حرباً يسيل بها الذكاء مناصلا
في معرك قسم النزال بقاعه بين الكماة المعلمين منازلا
لم يسفكا فيه دماً وكانما رشح الدماء اعالياً واسافلا
تبدي لعينك كلما عاينتها قرنين جالا مقدماً ومخاتلا
فكأن ذا صاح يسير مقوماً وكأن ذا نشوان يخطر مائلا
فاعجب لها حرباً تثير اذا التقت فضل الرجال ولا تثير قساطلا

(انتهى نقلاً عن الغرر للوطواط)

(اسنا) ع . ص



اخلاق الانسان معدته

يكون الانسان في كبره على ما نشأ عليه في صغره . فالطفل الذي نما عوده على القواعد الصحية والتربية الادبية زكت اخلاقه وطاب عنصره ولذ معشره وابتسم ثغره للحياة مع ما فيها من اسباب الشقاء والتعاسة . وفتل عضله واتسع صدره لمصائب الدهر ونكبات الزمان وكبر عقله فضحك مما يشاهده من انفعالات النفس وميولها الى الحقد والبغضاء والنميمة او الكذب والرذيلة واشتدت عزايمه على معالجة الاعمال الكبيرة بمواظبة وثبات حتى يتم له انجازها

بخلاف من ترعرع بمهد الاهمال والغباوة وشب على قاعدة لا اصول لها في نظام

التربية فيسوء خلقه وتبدو على اعماله دلائل الارتباك والحيرة ويقع بين مخالب الشك واليقين . فتظلم عليه مسالك الحياة فيقعد به عزمه عن الاطراء او تلوح له بارقة النجاح فيقوم لتحقيق الامل — وهذا شأنه يصرف ايامه بجهاد ونزاع حتى يفوز بالامل او يقضي عليه السعي بالفشل . ولو عقل لعلم ان ما به من اضطراب وتشويش انما هو ناتج عن سوء تصرفه بنظام معدته وان في مراعاته هذا النظام تصطلح احواله وتبسم له الحياة

على اني لا انكر ما للمدارس من الفضل في تهذيب الاخلاق وارشاد الاحداث الى سواء السبيل والنهج القويم لكنني اعتقد ان مايكتسبه الطفل وهو في سريره الى الحول الخامس من العادات والاخلاق (من حسن وقبيح) يرتسم خيالها على ذهنه ويكون لها التأثير الاكبر على حياته . ولذلك فلتعلم الام ان مستقبل ولدها بين يديها لا بين جدران المدارس وان بامكانها وضع اساس ذلك المستقبل كما تشاء . ومتى ثبت لها ان مع اللبن الذي تغتذي به الطفل تتسرب اخلاقها وما نشأت عليه من العادات ممزوجة بدقائق اللبن ادركت عظم المسأولية عليها ليس نحو طفلها فقط بل نحو الهيئة الاجتماعية وربما سمت جهدها للافاقة ذلك الخطاء باصلاح نظام معيشتها والاعتناء اللازم في تربية اولادها

ويحسن بي ذكر جملة قالها الاستاذ همتر مدرس الفسيولوجيا وامراض المعدة في جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة قال « من الغريب انك اذا لاقيت صديقاً فاول سؤال يكون فاتحة الكلام بينك وبينه كيف صحتك ولو انصفت لقلت له كيف معدتك لان معدته اذا كانت قائمة بوظيفتها كان هو على غاية ما يرام من الصحة جسداً ونفساً . وبقدر صحة معدته يكون سروره وبشره في معاطاة اعماله »

وقال « اخدم معدتك كما يجب لا كما تشتهي نفسك ساعة من الزمن في اربع وعشرين ساعة تخدمك كل ايام حياتك »

وقال في جلسة اخرى « احمل معدتك عندما تجلس في كرسيك لمناولة الطعام تحملك الايام كلها » وقال « اذا شئت ان تعرف الشعب الاميركي واندفاعه الشديد في تيار الكسب والشهرة اقصد المطاعم العمومية وادرس اخلاقه فيها »

ومن رايه ان معظم الجنايات والجرائم الفظيعة والاخلاق السافلة الدنيئة تنتج عن فساد في نظام المعدة والتربية والمصابون بامراض مثل الهيستريا والنيوريستينا والمنخوليا والدسبيسيا كثيرون جدًّا فلو بحثنا عن اسباب هذه الامراض ونحوها لما ابعدنا البحث عن حصر السبب الرئيسي لها جميعها في العضو الذي نحن بصدده

اما العوارض الناجمة عنها فتختلف كثيراً حتى في الشخص الواحد من حال الى حال ولا تخلو من الغرابة . ففيها تتراءى انفعالات النفس من حزن وفرح وحقد وكدر وقنوط وامل الى غير ذلك من ثورات الدماغ . حتى كثيراً ما يقضي المريض على نفسه او تتعدى اضراره الى سواه . وقد يدخل مكتب الطبيب شاكياً باكياً متألماً من اوجاع مزمنة قاتلة قانطاً من الحياة لاعناً ساخطاً ثم يخرج ضاحكاً ناعم البال كانه غير الذي وصفناه . ولكن لا يلبث ان يرجع الى ما كان عليه مع تغيير وتعديل في اللحن والنغمة ويعود الى الطبيب وهو يرعد ويبرق بحالة يشفق عليه منها كل من شاهده وسمع اقواله . فيرشده الطبيب الى مراجعة الدواء اذ ليس به علة جديدة تستلزم تغيير العلاج السابق . فيمضي مرتاباً بصحة روايته الى طبيب آخر يقص عليه ما جرى له مع زميله فلا يصف له علاجاً ولا يفحصه كما حضر لعنده

واتفق مرة اني دعيت لمعالجة مريض من اعيان قومه بقرية قريبة من « انفه . لبنان » وفهمت من كلام الرسول الذي جاء يدعوني ان المريض مصاب باحد الامراض الخلقية المذكورة . ولما شاهدته تحقق ظني وبعد الفحص وصفت له علاجاً وهممت بالانصراف وقبل ان اخرج من المكان سألني ان اعوده كل صباح في ذلك الاسبوع . فرفضت ذلك عن اخلاص لكنني لم استطع اقناعه ان شفاءه انما يتوقف على تنظيم معيشته على الطريقة التي شرحتها له

ومن المبكيات ان هؤلاء المرضى ينفرون من المعالجة التي يرسمها الطبيب وقليلون منهم يقبلون عليها والى اجل قصير . وانما يطيب لهم التكلم عن العلة التي يشكون منها اليوم وينكرونها غداً ولاسيما مع من يؤانسون منه عطفاً عليهم . فاذا لم يتيسر لهم احد يكلمونه يأخذهم الهوس فيخاطبون شخصاً وهمياً يلقون اليه ما تنطوي عليه صدورهم وقد ينتهي الحال بهم الى ما لا تحمد عقباه ويسوء ذكره

وتجلى اخلاق الانسان الحقيقية في حال جوعه حيث يزاح الستار عما كان يخفيه من حقيقة امره بما اتصل اليه عقله من اساليب العلم والتهذيب ويرجعه الى ما تربى عليه والفه في سن الطفولية او ورثه عن والديه . وفي قلب افريقيا واوستراليا واميركا الجنوبية قبائل ما زالت باخلاقها وعاداتها من نكد العيش وخشونة الحال اقرب الى الحيوان منها الى الانسان . وبالجملة ان تهذيب المعدة يجب ان يكون اساساً لتهذيب العقل لا تابع له ومن ساءت معدته ساء خلقه

الدكتور شخاشيري

مصر

باب التقريظ والانتقاد

مبادي الاقتصاد السياسي

لمحمد افندي فهمي حسين وكيل النيابة العمومية

نشأ في هذا التمدن علوم كثيرة كان لبعضها اصل في تاريخ آداب اللغة العربية كعلم العمران والاقتصاد وتدبير المنزل ونحوها مما فصلناه في الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة العربية (صفحة ٢٣٢) لكن اهل هذا التمدن رقوا هذه العلوم وجعلوا لها شكلاً خاصاً بحيث يصح ان يقال انها من ثمار تمدنهم . واكثرها ماديٌّ حيوي لا يراد به مجرد الفكاهة او اللذة العقلية . وبينها علومٌ اساسية في نظام الاجتماع وتخفيف وطأة الحياة وتسهيل المعاملات مما يفتقر اليه المجتمع الانساني حتى اصبح من ضرورياته . منها « علم الاقتصاد السياسي » وهو يبحث في ثروة البلاد وكيفية احداثها واستثمارها وتوزيعها واستهلاكها . ويدخل في ذلك ابحاث جليلة في الصنائع والتجارات والزراعة وشروط الكسب والانفاق وغيرها

ولهذا الفن شأن عظيم في اللغات الافرنجية وقد اشتغل فيه اعظم علمائهم والفوا فيه مئات من الكتب . اما اللغة العربية فانه لا يزال حديثاً فيها ولعل اول كتاب عربي اقتصاديٍّ الف في هذه النهضة كتاب « أصول الاقتصاد السياسي » لرفلة جرجس ظهر سنة ١٨٨٩ ثم كتاب الاقتصاد السياسي لجيفونس نقل الى العربية سنة ١٨٩٥ على يد جمعية تألفت بمصر اسمها جمعية التعريب ضمت نخبة من نوابغ المصريين منهم علي افندي ابو الفتوح (اليوم ابو الفتوح باشا وكيل المعارف) ومحمد افندي مسعود وكامل افندي ابراهيم وصالح افندي نور الدين . وكان من جملة مآثرها نقل كتاب التربية لسبنسر وغيره

وشاعت الرغبة في هذا العلم وكتبت فيه المقالات والرسائل حتى صدر الكتاب الذي نحن في صدده نعني « مبادىء الاقتصاد السياسي » لمحمد افندي فهمي حسين وكيل النيابة العمومية بمصر وهو أوفى كتاب بهذا الموضوع في اللغة العربية . لم يكتف مؤلفه بنقل آراء مشاهير الاقتصاديين ولكنه نظر فيها وانتقدها بالمقابلة على حال هذه

البلاد . واتى بما ورد من هذا القبيل في كتب العرب او ما علمه المؤلف بمطالعاته الخصوصية او توصل اليه باعمال الفكرة . وفصل ذلك تفصيلاً حسناً ورتبه ترتيباً يدل على وضوح الموضوع في ذهنه

وفي الكتاب ابحاث عظيمة الفائدة في احداث الثروة ووسائلها ويدخل في ذلك فصول في المواد الطبيعية والعمل ورأس المال . ثم كيفية تنظيم الاحداث ويدخل فيه الصناعة وانواعها والتجارة وابوابها وشروطها ووسائلها والنقود وتاريخها والصكوك على اشكالها والمبادلات الدولية وتاريخها وشروطها . وفي باب توزيع الثروة ابحاث في مذاهب الاشتراكية وتاريخ الربا . واخيراً باب استهلاك الثروة ننشر بعضه هنا لما فيه من الفائدة قال :

استهلاك الثروة

« الاستهلاك هو الغاية التي يسعى اليها منتجو الثروة او كما عرفه آدم سميث « هو الغرض الذي يصوب اليه الاحداث » فهو مرتبط بالاحداث اذ لولا وجود من ينتفع بالسلع ما تعب احد في تجهيزها ولولا انتاج سلع جديدة ما امكن سد العجز الذي يحدث من استهلاكها والقيام بالمطالب التي تدعو اليها زيادة العمران . وهو مرتبط بالتوزيع ايضاً لان شراء الاصناف يتوقف على مقدار دخل المستهلك

« ولا يمكننا ان نضع قواعد للاستهلاك لان في ذلك حجراً على حرية المنتفعين بالثروة وانما نلاحظ قاعدة عامة وهي اننا عادة لا نستحضر الا الاصناف التي تربو منفعتها لنا على ثمنها . وان استهلاك الاصناف محدود بالمنفعة بمعنى ان مستهلكي الاصناف يمتنعون عن شرائها متى حصلوا على كفايتهم منها

« واذا نظرنا الى حاجة الانسان نجدها تختلف باختلاف الزمان والمكان ودرجته في العمران . فقد كان وهو في دور الوحشية والهمجية يقتصر على الاشياء الضرورية ثم بتدرجه في مراقي المدنية صار لا يقتصر على الحاجيات بل تعداها الى كل ما يثقف عقله ويزيد في رفاهيته . وبزيادة المدنية وعدد السكان تزداد حاجات الانسان ويشتد التزاحم على المرافق الحيوية . وقد ذهب (مالتوس الانكليزي الى القول بان عدد سكان الارض يزيد على شكل تصاعدية هندسية مع ان كمية المواد الغذائية تزداد بشكل متوالية حسابية على هذه الصورة :

ان عدد السكان يزداد هكذا ١ ٢ ٤ ٨ ١٦ ٣٢ ٦٤ الخ

ومقدار الطعام هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ الخ

« واستنتج من قوله هذا « انه في مدة قرنين تصير نسبة عدد السكان للطعام كنسبة ٢٥٦ الى ٩ وفي مدة ثلاثة قرون تصير كنسبة ٤٠٩٦ الى ١٣ وفي الفي سنة تكاد تلك النسبة تكون معدومة » ويرى انه « يجب على الناس ان يقللوا من التناسل وخصوصاً الفقراء الذين لا يستطيعون الانفاق على اولادهم »

« ولا ندري على اية قاعدة بنى ذلك الاقتصادي هذا القول وفاته انه توجد بقاع كثيرة في انحاء المعمورة لا تزال مجهولة الى الآن واخرى غزيرة الخيرات قليلة السكان وانه بانتشار المدنية يتمكن الانسان من الاستعمار . وان المشاهد يخالف قاعدته لان المعروض من المواد الغذائية في الغالب اكثر من المطلوب . والاستهلاك يكون اما بالانفاق وهو الانتفاع بالثروة في الحال او بالتوفير وهو الاحتفاظ بها للمستقبل

الانفاق

« هو استعمال الثروة في الحال لقضاء حاجة الانسان . وهذا الاستعمال يختلف باختلاف السلع لان منها ما لا يمكن الانتفاع بها الا باستنفادها كالمواد الغذائية ونحوها ومنها ما ياخذ اشكالاً متعددة وينتفع به مراراً وتكراراً كالقطن يغزل وينسج ويصنع ملابس مختلفة الازياء وكالاخشاب تصنع الى سفن وصناديق وابواب . ومنها ما يصرف للحصول على غيره كالنقود . وتلك الحاجة التي يجب على الانسان ان ينفق فيها ثروته اياً كان نوعها هي ما تستفيد منها ثروة المجتمع بوجه عام وتزيد ثروة الشخص بوجه خاص . والانفاق الذي يرقي التجارة هو ما حوّل الفرد الثروة بواسطته من شكلها الحالي الى حيث تصير اكثر انتاجاً لغيرها وتزيد في رفاهية الانسان . ويتوهم كثيرون ان تبديد الثروة يرقي التجارة ويفيد المجتمع مثل انفاقها على الوجه المتقدم ذكره ويتخذون من هذا الوهم عذراً لهم في تبديدها . واذا لمت المبذر الذي يبعثر ثروته في المعاقرة والفسق والمقامرة اعتذر بان من اسرافه يعيش الخمار والمومس والمقامر وهم من المجتمع . وهو عذر سخيف لانه وان ربح من المبذرين بعض افراد المجتمع فان تبذيرهم ينقص الثروة العمومية لان تلك الاموال تذهب ادراج الرياح ولا تساعد على انتاج ثروة جديدة . والا فاي فرق بين المسرف وبين من يشتري بجزء من ماله طعاماً يزيده قوة على العمل او تجارة يعمل فيها فيفيد ويستفيد ؟

« ويحدث احيانا ان تبديد الثروة يفيد المجتمع كما اذا احترق جزء من البيوت

المهدمة التي تقلل من بهاء بعض المدن وانشئت مكانه طرق منظمة ومحال تجارية وغيرها مما هو اغزر ربحاً واكثر نفعاً

الحاجيات

« من مطالب الانسان ما هو حاجيٌّ ومنها ما هو كمالي . وحاجيات المعيشة اهمها : (اولا) القوت والشراب اللذان يحفظ بهما الانسان قوام حياته ويعوض ما يفقده جسمه من القوى . وهما اهم ما يجب ان يلتفت اليه الصناع . ومما يوجب الاسف ان جماعات الفعلة في اكثر انحاء العالم هم اكثر الناس اهمالاً . واغلبهم لا يصرفون ارباحهم الا فيما يضني اجسامهم ويفني ارواحهم كالمسكرات وغيرها من المخدرات

« (ثانياً) الملبس الذي يقي الانسان شر التأثيرات الجوية كالحر والبرد ويختلف باختلاف حالة الشخص ومقامه في الهيئة الاجتماعية فما زاد عما يليق به عدَّ كماليا

« (ثالثاً) المسكن الذي يلجأ اليه الانسان فيجمع شتاته ويقيه من الاخطار واحسنه ما كان في نقطة صحية بعيدة عن الضوضاء . وقد فكر بعضهم في ايجاد جمعيات اشتراك في المعيشة يشترك اعضاؤها في المساكن وتجلب لهم حاجاتهم . وهذه الفكرة مبنية على مذهب الاشتراكية ونرى ان نجاح مثل تلك الجمعيات لا يسهل في كل الطبقات لاختلاف المشارب ولان كل فرد يحب بطبعه ان لا يطلع احد على داخليته . وقد راى اصحاب المعامل في كثير من الممالك ان يبنوا للصناع مساكن صحية فاحسنوا بذلك صنعاً وافادوا الصناعة كثيراً

« (رابعاً) لا يعزب عن بالنا ان التعليم من الضروريات للانسان اذ بواسطته يعرف المهنة التي يعيش منها ويقف على دقائق الصناعة والتجارة والزراعة . لذلك وجب ان يكون التعليم الابتدائي اجبارياً وان تتولى الحكومة تعليم الفقراء » اه

وقس على ذلك . والكتاب جزآن كبيران لا يستغني عن مطالعتهما اديب ولا تاجر ولا صانع . لان ابحاثهما تمس كل صاحب مصلحة اكتسابية . فضلاً عما في ذلك من اللذة العقلية . فنثني على حضرة المؤلف غاية الثناء . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش عن كل جزء والبريد غرشان

الاعلان في الهلال

﴿اعلى خزان في العالم﴾ يبنون في الولايات المتحدة خزاناً لري اراضي اروروك سيكون علوه مئة وستة امتار وعرضه ٣٠٠ متر وثخانته من الاعلى ستة امتار و ٦٠ سنتمتراً . وسيتم بناؤه في خمس سنوات ويروي ارضاً مساحتها ١٠٠,٠٠٠ هكتار

﴿الكلاب في فرنسا﴾ يظهر ان الفرنساويين من اكثر الامم اقتناء للكلاب اذ يؤخذ من بعض الاحصاءات ان عدد الكلاب فيها بلغ لسنة ١٩١٠ نحو ٣٧٠٦٠٠٠ كلب وهو عشر عدد السكان • ومعنى ذلك ان كل عشرة من السكان لهم كلب . ومع هذا العدد الكثير لم يصب منها بداء الكلب تلك السنة الا ١٥٥٤ وتقل الاصابة بهذا الداء خصوصاً في مقاطعة السين لشدة العناية المبذولة هناك في منعه

﴿النجاة من الغرق﴾ ان غرق الباخرة تيتانيك نبه الاذهان الى البحث عن طرق الوقاية من الغرق . وذكروا من جملة ما عرض في هذا السبيل اختراع لمرسيه الفرنساوي مؤلف من منطقة يتمنطق بها الانسان تحت ثيابه كما يفعل كثيرون . لكنها تصنع مجوفة من نسيج لا يخرقه الماء تملأ غازاً عند الاقتضاء وهي حول الخصر . واستنبط طريقة لادخال الغاز اليها حالما يقع حاملها في الماء بدون ان يكون له دخل في ذلك . فوضع داخل المنطقة زجاجة صغيرة فيها « كربور الكلسيوم » تتصل بالخارج بملقط على رأسه قطعة من السكر تضم شعبتيه اذا لامست الماء ذابت وانكسر الانبوب وانطلق الغاز في المنطقة فتنتفخ حول خصر الرجل فيعوم ريثما يستطيع النجاة

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات

﴿الاقدام﴾ جريدة يومية سياسية تجارية ادبية تصدر في الاسكندرية لرئيس تحريرها صديقنا ولي الدين بك يكن وكفى باسمه دلالة على منزلة الاقدام في عالم الصحافة فانه اشهر من ان يعرَّف باسلوبه في النثر والنظم وعزلته في عالم الادب . بدل اشتراك الاقدام ١٥٠ غرشاً في القطر المصري و ٥٠ فرنكاً في الخارج

﴿مجلة سركيس﴾ احتجبت هذه المجلة عن قرائها بضعة اشهر لاسباب طارئة ثم عادت الى الظهور وفيها روح صاحبها نابغة التفنن الصحافي في انتقاء المواضيع الفكاهية اللذيذة . وعاد الى وضع الجوائز لمباراة الادباء في المواضيع الادبية . ولهذه المجلة محل في الصحافة لا يقوم غيرها مقامها فيه . بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر و ٢٠ فرنكا في الخارج

﴿ السائح ﴾ جريدة ادبية سياسية تجارية تصدر في نيويورك مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها عبد المسيح افندي عبده حداد بدل اشتراكها ٤ ريالات في الولايات المتحدة وخمسة في سواها

﴿ La Revue Egyptienne ﴾ هي مجلة فرنساوية ادبية تصدر في القاهرة مرتين في الشهر لمديرها بول تربيه ورئيس تحريرها جاك دوبفر . ثمن العدد منها ثلاثة غروش بمصر و٤ في الخارج . فيكون بدل اشتراكها للخارج ٢٤ فرنكاً وهي تبحث في الادب والتاريخ والاقتصاد السياسي وغيرها

كتب مختلفة

﴿ ديوان النابغة الذبياني ﴾ ظهر هذا الديوان مطبوعاً في مطبعة الهلال نقلاً عن ديوان الشعراء الخمسة بتصرف مصدراً بترجمة النابغة الذبياني ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش

﴿ ليالي الروح الحائر ﴾ هو كتاب فلسفي اجتماعي لمحمد افندي لطفي جمعه الدكتور الحقوقي . وقد وفيناه حقه من الوصف في باب الادب العصري من هذا الهلال . وهو يطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التأليف وثمن النسخة ثمانية غروش والبريد غرش

﴿ جواهر الادب من خزائن العرب ﴾ صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب جامعه سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ويشتمل على مقتطفات ادبية من انفس الكتب العربية لمشاهير العلماء والكتاب ويطلب من مكتبة الهلال وثمن الاجزاء الاربعة ٢٦ غرشاً والبريد خمسة غروش

﴿ القاموس الجغرافي التاريخي ﴾ هو معجم جغرافي تاريخي لحضرة حسين افندي فؤاد سري رتبه حسب القارات . وجعل اماكن كل قارة مرتبة على الهجاء يصدره اجزاء صغيرة ليسهل تناولها . وقد صدر الجزء الاول من المجلد الاول في ٨٠ صفحة مزدوجة وفيه اسماء مدائن اوربا الى « ارمنتير » وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر

﴿ ديوان صبري ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه عبد العزيز افندي صبري عمدة الخيارية ويطلب من مكتبة التأليف ومن حضرة الناظم

﴿ مهذب الاطفال ﴾ هو كتاب تعليم مدرسي لمحمود افندي جمعه حابه ناظر مدرسة الآداب ببورسعيد ظهر الجزء الاول منه ويطلب من حضرته

﴿ الطرفة الشهية ﴾ هي رواية دينية مسيحية تظهر فيها مراحم الله واعمال

عنايته لخصها عن اليونانية الخوري يوحنا حزبون راعي كنيسة الروم الارثوذكس في المنصورة • ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش ونصف والبريد غرش ونصف

﴿ لندرة ﴾ هو دليل علمي تاريخي عن لندره ومشتملاتها وضعه عبد الرحيم افندي فوزي معاون مركز السنطه وصف فيه السفر من بور سعيد الى لندره ونظرة تاريخية في لندره وما فيها من سبل المواصلات وافاض في وصف متاحفها ومعارضها ومعاهدها وحدائقها وقصورها والعودة منها الى بور سعيد وهو يطلب من حضرته

كتاب طبقات الامم

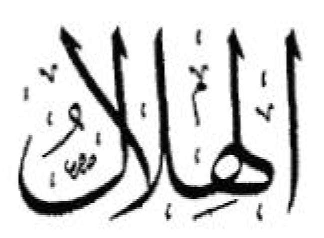
ملحق السنة العشرين من الهلال

سيصدر ملحق هذه السنة مع الهلال القادم ان شاء الله وهو «كتاب طبقات الامم» تاليف منشيء الهلال . ويشتمل على احدث الاراء والابحاث في اصول السلالات البشرية وآخر ما وصل اليه الباحثون واهل الرحلة من عادات الامم الحية في القارات الخمس واخلاقها واديانها مرتبة في طبقات كبرى على مقتضى ناموس النشوء والارتقاء من الزنجي فالهندي فالمغولي فالقوقاسي . مع البحث في مهد كل طبقة وكيف تفرعت او ارتقت عن سواها . وكل طبقة تقسم الى امم وقبائل مع ذكر صفات كل امة البدنية والعقلية واللغوية . وايضاح ذلك كله بالرسوم والاشكال . ولهذا الموضوع اهمية اساسية في درس التاريخ العام لان طالب التاريخ اذا عرف اصول السلالات البشرية وعلاقة النسب بين الامم الحية كان اقرب الى تفهم التاريخ وتعليل كثير من حوادثه • وسيرسل الكتاب الى المشتركين الذين سددوا ما عليهم حسب العادة الجارية

الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية

واما الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية فسيصدر ملحقاً للسنة الآتية (الحادية والعشرين) وقد اجلنا اصداره الى ذلك الحين ريثما نتمكن من درس جزئياته • وسنغتنم شخوصنا الى اوربا في هذا الصيف ونزور عواصمها ومدنها الكبرى ونطلع في مكاتبها على المخطوطات التي لم يتيسر لنا الاطلاع عليها . ونحقق ما نعرفه عن بعض المؤلفات النادرة وغير ذلك مما يجعل كتابنا المشار اليه اقرب الى الكمال والاتقان .

والله الموفق في كل حال



الجزء العاشر من السنة العشرين

اول يوليو (تموز) سنة ١٩١٢ و١٦ رجب سنة ١٣٣٠

جزيرة رودس

جغرافيتها وتاريخها وآثارها

ملخصة عن رحلة لم تطبع (١)

لحضرة حبيب بك غزالة وكيل ادارة مصلحة الصحة

١ — جغرافيتها

جزائر بحر سفيد

هذه الجزائر واقعة في القسم الشرقي من بحر ايجه . وهي ولاية عثمانية تعرف بولاية بحر سفيد واهمها جزيرة رودس مركز الولاية . وكان لهذه الجزائر شأن في سالف العصر . لكن تاريخها مستغرق في القدم لا سبيل الى تحقيقه . ومساحتها المزروعة الآن نحو مليون دونم ونصف دونم ولو اصلحت لتضاعفت كثيراً . غير ما فيها من الغابات والمناجم والآثار القديمة ومغاوص الاسفنج وغيرها

وتقسم هذه الولاية الى ثلاثة سناجق على كل منها متصرف . ويقسم السنجق الى اقضية ونواح مثل سائر الولايات العثمانية . واليك اسماء تلك الجزر كما اصطلحت عليها الدولة وبجانبها الاسماء الافرنجية المعروفة في اوربا ليسهل على القارئ معرفة الجزيرة اذا قرأ اسمها في العربية او الافرنجية

(١) الخارطة والرسوم مستعارة من المؤلف

اسم الجزيرة	اسمها الافرنجي	اسم الجزيرة	اسمها الافرنجي
مدللي	Mytilène	بوزجه	Tenedos
ساقز	Chio	امبروز	Imbros
ليمني	Lemnos	يونده	Ionda
سومبكي	Symi	باطنوز	Pathmos
قاشوط	Cassos	اوستربايا	Astypalie
كربة	Scarpanto	ايبساره	Ipsara
ميس	Castellorizo	فورنوز	Fournis
استانكوي	Cos	ايلباكي	Episcopia
ليروز	Leros	هركيت	Chalki
قاليمنوز	Calimno	انجرلي	Nissyros
قاربوط	Icarie		

جغرافية رودس

ولكل من هذه الجزر تاريخ لا محل له هنا وانما يهمنا جزيرة رودس مركز الولاية وهي مستطيلة الشكل كالسفينة كما ترى في الخارطة في صدر هذا الهلال طولها ٦٩ كيلومتراً . ويختلف عرضها باختلاف الجهات معظمه بين رأس لارودس ورأس مونوليتوس ويبلغ نحو ٣٢ كيلومتراً ومساحتها ١٤٦٠ كيلومتراً مربعاً . تخترقها طولاً سلسلة جبال متعرجة متشعبة اعلاها جبل تاروس علوه ١٢٤٠ متراً وهي صخرية لكن فيها اودية خصبة تجري فيها المياه وغابات غضة وعيون عذبة وفيها كثير من القرى والنواحي

عدد سكانها لا يعلم بالتدقيق والارجح انه ٣٦٠٠٠ نفس منهم ٨٠٠٠ مسلمون و٣٠٠ اسرائيليون والباقي من اليونان الارثوذكس الا ٣٠٠ كاثوليك . اللغات المتداولة فيها التركية واليونانية والاسبانية وهذه الاخيرة خاصة بالاسرائيليين واصلهم من جالية اسبانيا ويندر من يعرف غير هذه اللغات . وهي معتدلة الاقليم صافية الجو نقية الهواء لا ينقطع عنها النسيم العليل صيفاً ولا شتاء

وموقع مدينة رودس في الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة وهي قديمة ولا تزال ظواهرها تدل على قوتها . وسنعود الى وصفها في آخر هذه المقالة

٢ — تاريخها

تاريخها القديم

يتصل تاريخ رودس القديم بخرافات اليونان . فقد قيل عنها في الميثولوجيات ان ابولون اخرجها من لجج البحر وان هيليوس (الشمس) احب رودس بنت نبتون اله البحار فتزوجها فولدت له سبعة بنين . واختلفوا في اول من عمرها فزعم بعضهم

ان التلخينيين اول من عمرها وانهم من فينيقية . او لعلّ الفينيقيين اتوا بعد ذلك واحتلوها واستعمروا كاميروس من امهات مدنها . ثم استوطنها البلاسجة وغيرهم . وآثار الفينيقيين موجودة الى الآن في كاميروس المذكورة واكثرها من المصنوعات الخزفية نقلت الى المتحف البريطاني ومتحف اللوفر في باريس . وعثروا بين الآثار القديمة هناك على مصنوعات خزفية مصرية عليها اسم امنوفيس الثالث وتماثيل مصرية واشورية . وبالجملة فان تاريخها القديم الى القرن الخامس قبل الميلاد تغشاه الظنون والاوهام . واشهر مدنها القديمة كاميروس ولندوس وياليسوس . وهذه امثلة من نقودها :



نقود رودس — نقود ياليسوس

نقود لندوس — نقود كاميروس

والمحقق في التاريخ أن الفرس فتحوها سنة ٤٨٠ ق م ثم دخلت في حوزة اثينا بعد حرب انتصرت فيها على الفرس . وفي اوائل القرن الخامس قبل الميلاد اسست مدينة رودس . واتحد اهل الجزيرة يداً واحدة لدفع من عساه ان يسطو عليهم من الاجانب . ولم يشعروا بالحاجة الى الوحدة الا بعد ان سطا عليهم الفرس ثم اليونان فاشتد ساعدهم وتقدموا في معارج المدنية حتى اصبحت رودس من المدن العظيمة يومئذ . واصبح محيط المدينة نحو ١٥ كيلومتراً اوسع مما هو عليه الآن . ولها حصون عليها الابراج والقلاع وفيها الهياكل والمعابد والتماثيل . قالوا بلغ عدد التماثيل نحو ٣٠٠٠ تمثال . فضلاً عما كان فيها من دور العلم والمكاتب والمراصد والمدارس العالية يقصدها الطلاب من اكثر الاقطار . ونبغ منها طائفة من العلماء والفلاسفة والشعراء والخطباء والمؤرخين والرياضيين والقواد والفرسان وغيرهم

قضت دهراً في هذا النعيم ثم استولى عليها الخمول وتوالت فيها الفتن فانقسم اهلها الى طائفتين احداهما تحزبت لاسبارطة والاخرى لاثينا وتحاربتا . ولما حمل الاسكندر المكدوني على اسيا كانت رودس في جملة ما دخل في سلطانه . ثم استقلت بعد موته

لكن موقعها الجغرافي بين الدول الحية في ذلك العهد جعلها عرضة لتسابق تلك الدول لمحالفتها او محاربتها . واهم حوادث تاريخها القديم حصار ديمتريوس بن انتيغون . فانه استنصرها ليستعين بسفنها على محاربة مصر في عهد البطالسة فابت فزحف عليها سنة ٣٠٥ ق م بعمارة عظيمة فحاصرها ١٢ شهراً ولم يستطع فتحها . وامدها صاحب مصر بالمال والجند . وانتهت الحرب بعقد الصلح سنة ٣٠٤ ق م وتنازل ديمتريوس للرودسيين عن العدد الحربية اقراراً ببسالتهم ونباتهم . وطلب اليهم ان ينفقوا اثمانها في صنع تمثال يخلد ذكر ذلك الحصار . فصنعوا التمثال المشهور بصنم رودس . والقدماء يعدونهُ من عجائب الدنيا


صنم رودس

كان مصنوعاً من البرونز على صورة اله الشمس وقد اختلف المؤرخون في وصفه . وذكروا انه كان هائل الحجم طوله نحو ٣٢ متراً قد نصب عند مدخل الجزيرة واقفاً متباعد الساقين تمر السفن بينهما . يحمل على راسه مصباحاً تهتدي به السفن ليلاً كما تراه ممثلاً في هذا الشكل

وقضت رودس بعد هذا الحادث زمناً في امان ثم اصابتها زلزلة سنة ٢٢٢ ق م فتهدمت وسقط صنمها . فتسابقت الدول المعاصرة الى اغاثتها واوفدت لها الصناع والمهندسين فاصلحوا ما تهدم واعادوا الاصنام الا الكبير فانهم تركوه وبقيت قطعة الى زمن معاوية بن ابي سفيان فباعها الى رجل اسرائيلي من حماه يقال انه نقلها على سبعمائة جمل . وظلت رودس بعد ذلك الترميم منيعة الجانب حتى ظهرت النصرانية . فكانت من البلاد التي جاء ذكرها في سفر اعمال الرسل اذ وفد بولس اليها . وكان لها في عهد النصرانية امتيازات عديدة بمعاهدات ابرمت بينها وبين الرومانيين . حتى اذا تولى كلوديوس عرش المملكة نسخ احكام المعاهدات ثم اعادها اليهم

وتوالت عليها احن عديدة انتهت سنة ٦٥٣م بدخولها في حوزة العرب على عهد

معاوية ولم تثبت قدم العرب فيها طويلاً فعادت الى سيطرة الروم (البيزنطية) واصبحت عرضة لاغارة القرصان وغيرهم حتى دخلت في حوزة الفرسان الشمالية وفي ايامهم بلغت قمة مجدها

والشمالية جمعية سياسية دينية وتعرف بجمعية فرسان اورشليم اوفرسان مار يوحنا . انشئت في اول الامر لعمل الخير . وتنقلوا في بلاد شتى بين مالطة ورودس وعكا واورشليم وقبرص وغيرها حسب اقامتهم . واخيراً عزموا على اتخاذ رودس مقراً لهم واستشاروا البابا فوافقهم . وكانت رودس في رعاية دولة الروم اسماً . وقد اصبحت ملجأ للقرصان ولايزال بعضها في حوزة العرب . فحمل عليهم الفرسان المشار اليهم سنة ١٣٠٩م ففتحوها واستولوا عليها وجعلوها مقرهم وتوالت احكامهم . عليها وظهرت في اثناء ذلك الدولة العثمانية في اسيا الصغرى فجعلت رودس مطمح انظارها وحاول سلاطينها فتحها مراراً فلم يفز بذلك منهم الا السلطان سليمان القانوني

استيلاء الدولة العثمانية على رودس

جلس السلطان سليمان القانوني على عرش السلطنة العثمانية وفي نيته فتح رودس تعزيزاً لقوته البحرية وتسهيلاً للمواصلات بين مصر والاستانة والسفر الى الحرمين الشريفين . فبعد فتح بلغراد اخذ في التأهب لفتح هذه الجزيرة وامر ببذل المال بغير حساب لحشد الجيوش واعداد المعدات وتجهيز السفن اللازمة بتمامها . واعد اسطولاً من ٣٠٠ سفينة حربية كبيرة و٤٠٠ سفينة لنقل الذخائر والمهمات بقيادة الوزير مصطفى باشا . فاقلع قاصداً رودس في ١٠ رجب سنة ٩٢٨ (يونيه سنة ١٥٢٢) ثم سار السلطان سليمان نفسه في ١٨ رجب الى رودس واميرها يومئذ دي ليل آدم الامير التاسع عشر من امرائها الفرسان واخر من تولى الجزيرة منهم . ولما وصل الاسطول الى جزيرة هركيت دعاها الوزير الى الطاعة والتسليم فابت فحاصرها وفتحها عنوة في ٢٠ شعبان (١٥ يوليه) ثم سار الاسطول حتى مرَّ من بوغاز رودس ورسا امام فيلانوفا وهي من اقاليم الجزيرة . فاستعد اصحابها للضرب فعمد الوزير الى المخادعة وكان من اهل الدهاء والمهارة في الفنون الحربية . فترك ٢٠٠ سفينة في فيلانوفا وعاد ببقية السفن الى البوغاز للوقوف في او كوز بورنو . فلما مرت السفن امام الحصون اطلقت عليها القنابل من القلاع فاصابت بعضها . ورأى الوزير انه اذا رسا في اوكوز بورنو اصبح عرضة لقذائف المدافع الكبيرة فسار بأسطوله ووقف في مرفأ مرمريس — وهي مدينة في بر الاناطول تجاه رودس ويسميها الافرنج مارمارتسا — ولما وصل السلطان



حصار العثمانيين لرودس

سليمان نزل بها ايضاً وعين يوم ٥ رمضان (٢٩ يوليه) لضرب المدينة . وكان الاسطول قد استولى على جبل سان اتيان[1] وعلى قرية سان جورج وكلاهما من ضواحي المدينة . وقبل اليوم المعين للحرب انتقل السلطان سليمان من مرمريس الى رودس ونصب فسطاطه على رابية في قزلتبه[2] لمراقبة حركات الجيش واصدار الاوامر . وكانت حصون المدينة في منخفض من الارض لا يظهر منها للخارج غير شرفاتها ولها متاريس عرضها ٧ اذرع تحميها خنادق محفورة في الصخر عرضها من ٣٠ الى ٤٥ متراً وعمقها من ١٢ الى ١٨ متراً ومن داخلها القلاع والابراج وهي باقية الى الان . وكان المينا الكبير (المعروف الان بمينا الكمرك) محصناً وفي وسطه برج العرب وقد ربط الفرسان في جانبي مدخله سلسلة ضخمة لمنع السفن من اجتيازه وسدوا المينا الثاني (المعروف الان باسم مندراكي ويسميه الترك الترسانة) بمراكب شحنوها حجارة واغرقوها فيه . وكان عدد الامراء ٢٩٢ اميراً ثم انضم اليهم كثير ممن كانوا في اوربا ومن المتطوعين حتى بلغ عددهم ٦٥٠ فارساً . وكان جيشهم مؤلفاً من ٦٠٠٠ جندي وقد اختصت كل طائفة من الامراء بالدفاع عن قسم من الحصون والقلاع . وكانت الحصون مقسمة سبعة اقسام موزعة على امراء فرانسا والمانيا وانكلترا واسبانيا والبرتغال وايطاليا وبروفانسا واوفرن

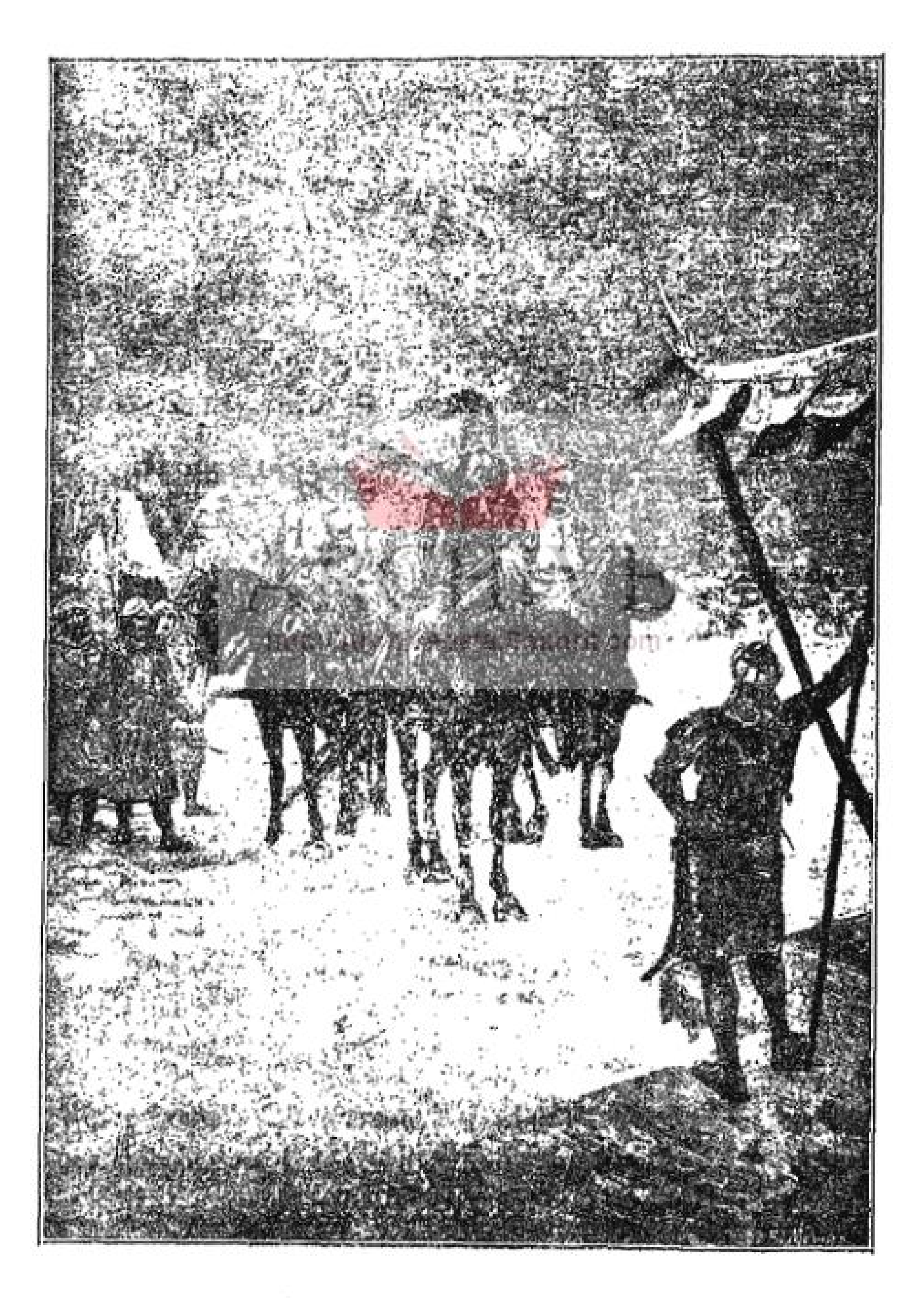
اما قواد الجيش العثماني فاحاطوا بالمدينة من الشمال والجنوب وصوبوا مدافع الحصار الكبيرة نحو الحصون والقلاع وبعض تلك المدافع من النوع المعد لقذف القنابل الحربية الضخمة ولا يزال كثير من هذه القنابل في رودس حتى الآن يشهد بصحة ما رواه المؤرخون عن حجمها الهائل . وفي اليوم المعين ابتدات الحرب ووضعت اللغوم في عدة اماكن للدفاع . وفي ١٦ رمضان اتت نجدة مصرية من ٢٤ سفينة حربية انضمت الى القوة العثمانية . وفي ٤ سبتمبر انفجر لغم فنسف جانباً من زاوية حصن الفرسان الانكليز . فهجم عليها الجنود العثمانيون كالاسود ووثبوا من ثغرة فيه على الفرسان وغنموا منهم سبعة اعلام ولما راى الاستاذ الاعظم[3] حرج الموقف نزل بنفسه الى ميدان القتال بقوة عظيمة . ووقعت معركة كبرى كان النصر فيها للفرسان وبلغ عدد من قتل من الجنود العثمانيين نحو الفي رجل . وبعد ستة ايام أعادوا الكرة فانهزموا وقتل منهم عدد لا يقل عن الذين قتلوا في الواقعة الاولى . وقتل من عساكر الفرسان

(١) المعروف الان بمرجان تبه عند الترك ومونت سميث عند الافرنج
(٢) القسم الجنوبي من جبل سان اتيان
(٣) لقب من كان يتولى الحكم على الجزيرة من هؤلاء الفرسان

ثلاثون رجلاً منهم قائد المدفعية (الطوبجية) وحامل اللواء (بيرقدار) والاستاذ الاعظم. وبعد يومين هجمت الجنود العثمانية مرة اخرى على الحصن وعبرت من الثغرة التي فيه ورفعوا عليه خمسة اعلام اخذ الامراء منها علماً بعد قتال عنيف. وفي ٢٣ سبتمبر صدر الامر بالهجوم في اليوم التالي هجوماً عاماً واعلن هذا الامر ليلاً في الجيش كله. وفي فجر الغد قامت الحرب على قدم وساق وامتد القتال من الشمال الى الشرق والجنوب وحمي وطيسه بين الفريقين في عدة اماكن ولا سيما في حصون فرسان اسبانيا وكانت الجنود العثمانية تعبر الخنادق وتتسلق الاسوار وتقتحم الاهوال لا تهاب الموت ولا تصدها القنابل ولا السيوف ولا ما كان يصبه الامراء من فوق الاسوار من المواد الملتهبة حتى غصت الخنادق وشرفات الحصون بجثث القتلى والجرحى. وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة عشر الف رجل. وفي ١٢ اكتوبر حاولت الجنود العثمانية الهجوم على حصن الفرسان الانكليز مرة اخرى فانهزموا ثم زحفوا على حصون فرسان ايطاليا وبروفانسا فقتل منهم خلق كثير واعادوا الكرة على حصن ايطاليا فقتل منهم خمسماية رجل. ثم حملوا على حصون فرسان اسبانيا وايطاليا فقتل منهم ثلاثة آلاف رجل. ولما رأى السرعسكر ما حل بالجيش بعد انهزامه مراراً عدل عن الهجوم وعزم على الاستمرار في حصار المدينة بواسطة الخنادق واللغم. وفي ١٠ دسمبر فاوض السلطان سليمان الامراء في تسليم المدينة امهلهم ثلاثة ايام ووعدهم بالكف عن القتال اذا اذعنوا لطلبه فعقدوا مجلسهم وتفاوضوا في الامر فاختلفت آراؤهم وعارض اكثرهم في التسليم وعزموا على طلب الامهال للنظر في الامر والتدبر فيه. وخابروا السلطان سليمان في ذلك فكبر عليه وامر بالاستمرار في الحرب. وفي ١٨ دسمبر هجمت الجنود العثمانية على حصن فرسان اسبانيا فانهزموا ثم اعادوا الهجوم على هذا الحصن بقوة عظيمة واستولوا عليه. وكان الفرسان في خلال ذلك قد ادركهم الضعف والوهن فثبطت هممهم وخارت عزائمهم فارسل رئيسهم دي ليل آدم الى السلطان سليمان يطلب المفاوضة في التسليم. وقد تم ذلك بشروط عرضها دي ليل آدم وقبلها السلطان في ٢٥ دسمبر سنة ١٥٢٢

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها دعا السلطان سليمان الامير دي ليل آدم لمقابلته وكان شيخاً طاعناً في السن وعلى محياه امارات الهيبة والشجاعة. فحضر في الوقت المعين للمقابلة (انظر الرسم) وعند وصوله الى الخيمة الشاهانية كان الوزراء في حضرة السلطان للمفاوضة في بعض الامور فانتظر دي ليل آدم خارج الخيمة مدة

طويلة هو ومن معه من الفرسان وكانت الامطار تهطل بشدة والارض تغمرها المياه . ثم اذن له في الدخول بعد ان خلع عليه جرياً على العادة المتبعة في تلك الايام . فكان ملتقاهما مؤثراً جداً اذ لبث كل منهما صامتاً حتى ابتدأ السلطان بالحديث



دي ليل ادم امام فسطاط السلطان سليمان

فقال « اعلم ايها الامير ان الايام دول وان الملوك والممالك مصيرها الى الفناء وان الدوام لله وحده واني معجب بشجاعتك وثباتك واسف لما حل بك وبقومك » وبعد ان بالغ في اكرامه انصرف هو ومن معه من الفرسان . وفي يوم ٦ دسمبر دخل السلطان مدينة رودس في موكب حافل وطاف الحصون وشاهد اماكن الوقائع وطمان الناس . لكنه امهل الامراء ١٢ يوماً للجلاء . وجامل دي ليل ادم احسن مجاملة واكرمه فانتقل الامراء الى كريد

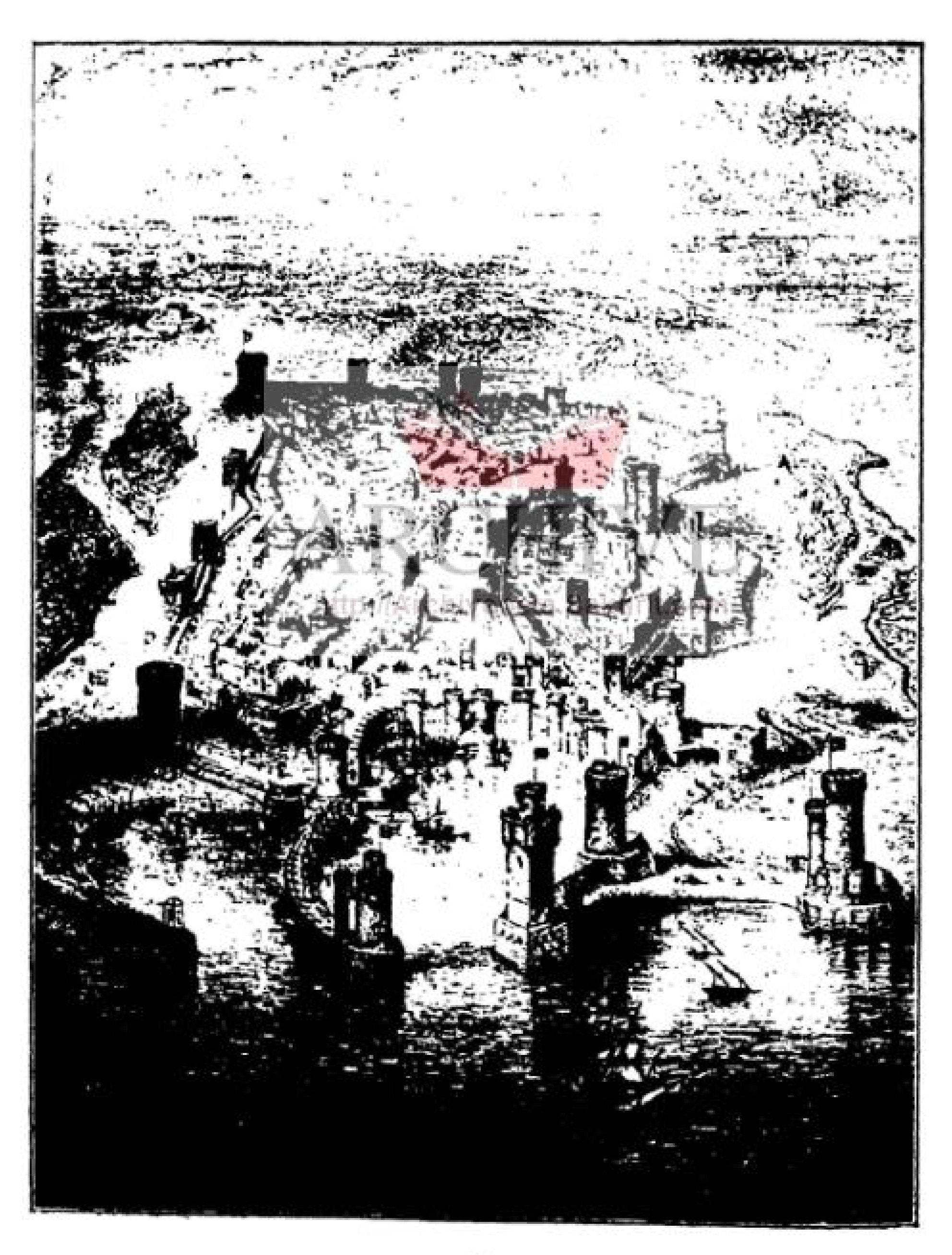
واشتهر حصار السلطان سليمان لرودس بما اطلقوا فيه من الحجارة الضخمة وما وضعوه من الالغوم المخربة . ولما استقام الامر للعثمانيين بعد خروج الامراء (الشفالية) حاسنوا الاهلين وابقوا ما في الجزيرة من التماثيل والنقوش والحصون وهي هناك الى الان . الاّ الكنيسة الكبرى فانهم جعلوها مسجداً . وما زالت رودس في حوزة العثمانيين حتى احتلها الايطاليان في ٤ مايو الماضي

٣ — آثار رودس

اما موقع مدينة رودس فهو في الطرف الشمالي الشرقي من الجزيرة وهي لم تتغير عما كانت عليه في عهد الفرسان الشفالية وما زالت الاسوار والخنادق والمتاريس التي تقدم وصفها فوق الاسوار القلاع والابراج الشاهقة وفيها الان كثير من القنابل الحجرية باقية من زمن الفتح وبعضها كبير الحجم جداً يبلغ ثقله ٥٠٠ كيلو غرام اما المدافع القديمة فلم يبق منها شيء . وقد اهدى السلطان عبد العزيز بعضها الى نابوليون الثالث امبراطور فرنسا وهي محفوظة في متحف الآلات الحربية بقصر الانفاليد بباريس

اما الاحياء الجميلة والساحات العمومية والحدائق الغناء والقصور الفاخرة فجميعها في ارباض المدينة . ومن اجمل الاحياء الحي المعروف باسم نجوري ويسميه الاتراك يكنى مراش والجهة المسماة « قومبورنو » ومعناه راس الرمال وجبل سان اتيان ويسمى الان مون سميث « جبل سميث » لانه لما جاء الاميرال الانكليزي السير سدني سميث الى رودس سنة ١٨٠٢ اقام في بيت على قمة هذا الجبل لمراقبة اسطول نابوليون الاول ويسميه الاتراك « مرجان تبه » باسم احد الاولياء وضريحه بالقرب من بيت الاميرال سميث . وهذا الجبل هو القسم الشمالي من السلسلة الممتدة من الشمال للجنوب وقد مر ذكرها . وهو مشرف على البحر من الجهة الغربية وارتفاعه ٩٠ متراً من سطح البحر وقد تجلت فيه الطبيعة بابهى مظاهرها وابهج

مناظرها وقد كملت محاسنه بما انشأته يد الصناعة من الطرق الموصلة للابنية القائمة عليه ففيه كثير من القصور الجميلة وفيها سراي الوالي وليس لوجهاء المصريين في هذا الجبل غير دار لصاحب العزة احمد بك غالب نجل المرحوم علي غالب باشا ناظر الجهادية سابقاً وهو في احسن موقع وعلى قمة هذا الجبل قطعة كبيرة اشتراها صاحب



مدينة رودس

العزة فؤاد بك سليم نجل المرحوم لطيف سليم باشا ليبنى فيها قصراً للمصيف

واجمل ضواحي رودس جهة «سنبللي دره» اي وادي السنبل ويسميها الاروام «رودينى» وهي تبعد عن المدينة مسافة نصف ساعة ويقصدها الناس للرياضة والنزهة وفي ضواحي المدينة كثير من الابنية المنيفة والقصور الفاخرة واشهرها سراي الوزير المصري الكبير المرحوم حسين فخري باشا وهي في اجمل حي واقدم ما بناه المصريون في رودس . وامامها سراي المرحوم شكيب باشا العضو الوطني في مصلحة الدومين سابقاً وسراي صاحب العزة حسين بك خيري نجل المرحوم خيري باشا

ومن اجمل القرى قرية فيلانوفا سميت باسم فيلنوف ثاني الفرسان الذين تولوا الحكم على الجزيرة وليس هذا الاسم تحريف «ييلانلي اده» كما يزعم البعض ومعناه برية الحيات باللغة التركية . وفي هذه القرية املاك صاحب السعادة علي باشا حلمي العضو الوطني بمصلحة الدومين وهي اراض واسعة خصبة جداً وفيها الرياض الناضرة والحدائق الغناء والاشجار الباسقة وتتصل بجبل حوى من المحاسن الطبيعية وانواع النباتات البرية والغابات والاشجار والعيون العذبة ما لا يحيط به وصف وقد انشأ سعادته في هذا الجبل كثيراً من الطرق النظيفة والمجاري والحياض وبنى في سفحه قصراً فاخراً يشرف على البحر وتحدق به حديقة كبيرة اخذت زخرفها وزينت بالاثمار والازهار

وفي المدينة ٨ جوامع كبيرة و١٩ مسجداً صغيراً و٣ تكايا و٦ معابد للاسرائيليين وهي في الحي المختص بهم «يهودي محله سي» وهو اجمل احياء المدينة واكبرها وطرقه واسعة ونظيفة واكثر المساكن التي فيه كانت قصوراً للفرسان (الشفالية) أما الكنائس والاديرة فجميعها خارج المدينة بعضها في الضواحي وبعضها في القرى وعددها ٤٥ كنيسة و١٥ ديراً واكبر جوامع المدينة جامع السليمانية بناه السلطان سليمان عقب فتح رودس وتجاه هذا الجامع دار الفقراء (الامارة) التي انشأها ايضاً السلطان سليمان ومكتوب على بابها في لوح من الرخام بخط فارسي جميل جداً «انما نطعمكم لوجه الله» و بالقرب منها المكتبة التي اوقفها المرحوم حافظ احمد اغا ركابدار الحضرة الشاهانية وهي تحتوي على نحو من ١٥٠٠ مجلد اكثرها في التفسير والحديث والعقائد والفقه والفرائض وعلم الكلام والتصوف وفيها كتب لغوية وادبية وتاريخية وطبية وفلكية قديمة وكلها بخط اليد وفيها عدد قليل من الكتب المطبوعة

ومن الجوامع الشهيرة الجامع الذي بناه ابراهيم باشا وزير السلطان سليمان وهو بالقرب من السوق العمومي ومكتوب فوق بابه ما نصه

«قد بنى سلطان البر والبحر السلطان سليمان بن السلطان سليم خان الغازي جامعاً جديداً في دار الفتح والغزوات ومعبر الحج والعرفات حماها الله من الآفات في داخل رادوس تقبل الله الملك القدوس ووقع تاريخه من دخله كان آمناً دائماً سنة ٩٤٧»



شارع الشفاليه

واشهر جوامع المدينة شارع الشفاليه ويسميه الترك «اوزون يولي» اي الشارع الطويل والدور التي على جانبي هذا الشارع كانت قصوراً للفرسان ويرى عليها كثير من شاراتهم واسمائهم (انظر الرسم) وفي اول هذا الشارع قصر الاستاذ الاعظم وهو الآن السجن العمومي (حبسخانة) وفي هذا السجن اشياء كثيرة من اشغال المسجونين معروضة للبيع وهي مصنوعة من خشب الجوز والزيتون والليمون ومحلاة بالصدف ويتخلل الاحياء المحيطة بالمدينة مقابر قديمة تكتنفها الطرق العمومية والابنية الفاخرة واشهرها مدفن مراد رئيسي وهو في الجهة البحرية الشرقية ومدفون فيه كثير من الوزراء وكبار الرجال وبعض الصدور العظام وغيرهم ممن نفوا الى هذه الجزيرة وقضوا فيها بقية عمرهم . ودفن فيه اكثر الضباط والعساكر الذين قتلوا في اثناء حصار السلطان محمد الثاني لرودس في سنة ١٤٨٠ وبجوار هذا المدفن جامع مراد رئيسي وهو من اشهر الجوامع

ومن اهم قرى الجزيرة واوفرها عمراناً قرية ترياندا وهي تبعد عن المدينة نحو نصف ساعة بالعربة . فيها من المناظر الطبيعية ابدعها ومن المحاسن الخلوبة ابهجها وفي

الطرف الجنوبي من هذه القرية جبل فيلرموس الشهير وهو بالقرب من مدينة ياليسوس التي تقدم ذكرها ويسميها الاتراك اسكي رادوس اي رودس القديمة وارتفاع هذا الجبل ٣٠٠ متر عن سطح البحر وكان عليه معبد يوناني قديم عفت اثاره الآن

وتمتاز هذه الجزيرة بصفاء جوها . مهما تلبدت الغيوم في الشتاء لا تلبث ان تنقشع وتتبدد فلا يمر يوم الا وترى فيه الشمس ساطعة والجو صافياً والجبال لا يغشاها الثلج ما عدا جبل اتايروس الذي مر ذكره فقد تتكون على قممه الثلوج ولكنها لا تلبث ان تحل متى اشتدت حرارة الشمس . وقد تغنى الشعراء بمحاسنها ووصفوها باحسن الاوصاف ونعتوها بالمنيرة والجميلة ووردة الجزائر . وسبب اعتدال اقليمها وصفاء جوها وقوعها في الجنوب الغربي من اسيا الصغرى فهي بهذا الوضع في مأمن من الرياح الشمالية الشرقية لان جبال الاناطول تحول بينها وبين مهاب هذه الرياح

هذا ما تيسر اقتطافه من هذه الرحلة الحافلة بالفوائد العلمية والتاريخية وقد منعنا ضيق المقام في هذا العدد من تدوين شيء مما كتبه المؤلف في وصف بقية جزائر ولاية بحر سفيد وربما عدنا اليه في فرصة اخرى ان شاء الله



صحة العائلة

اخلاق الانسان معدته

الكائنات الحية ومنها الانسان مسيرة جميعها بمقاصد الحياة على اختلاف اوجهها وانواعها وتباين مشاربها وعاداتها . وان الخلاف الذي نشاهده بين الانواع اساسه نوع الغذاء الذي نمت عليه والتربية التي الفتها . فالشعب الانكليزي مثلاً تختلف اخلاقه عن اخلاق الشعب الالماني . واخلاق الاميركي تختلف عن اخلاق الروسي او الفرنساوي وهلم جرًّا

وكما ان المهاجر الى اميركا لا يتخلق بطبائع الاميركان ما لم يشترك معهم في طعامهم ومجالسهم على المائدة . هكذا تقضي بعشرة صديق سنوات لا تعرف اخلاقه ما لم تؤاكله وتلاحظ . مثل ذلك في النبات فالشمام بمصر يختلف طعمه عن الشمام في سوريا وهكذا البرتقال والعنب وسائر انواع الاثمار . والقطن الاميركي لا يشبه القطن المصري . وان

ما نشاهده في الامراض من التباين في مدة الحضانة والاعراض لكل نوع منها ليس سببه الا الغذاء الذي يصادفه الميكروب في الجسم ساعة هجومه عليه . فان كان الجهاز الهضمي ضعيفاً نما الميكروب بسرعة واظهر بطشه . وبالعكس اذا كان الجهاز الهضمي سليماً . ففي سنة ١٩٠٨ تعالج في مستشفى جامعة ماريلاند بالولايات المتحدة نحو ستة وعشرين الف مريض منهم الف واثنان وثلاثون مرضوا بالحمى التيفويدية . ولم تتشابه حادثتان تماماً بمدة الحضانة او الامراض

فكنا نعلل هذه الاسباب : (١) بالاستعداد الشخصي (٢) قلة الميكروب او كثرته (٣) قوة الميكروب او ضعفه (٤) الاقليم (٥) المحيط . واما اليوم فاقول بقدر سلامة المعدة يكون تغلب الجسم على الامراض

مطالب المعدة وشكاياتها

ان معدل ما يحتاج اليه الجسم من الطعام في اربع وعشرين ساعة مائة غرام من البروتيد وسبعون غراماً من الدهن وثلثمائة وثلاثون غراماً من الكاربوهيدرات او النشويات او ثلاثون عقدة حرارة لكل كيلوغرام من الجسم . فالجسم الذي وزنه سبعون كيلوغراماً يحتاج الى الفين ومائة عقدة حرارة (كالوري) والمراد بالكالوري مقدار الحرارة الذي يرفع حرارة كيلوغرام من الماء درجة واحدة في ميزان سنتغراد . وقد ثبت ان غراماً واحداً من البروتيد يتولد منه في الجسم اربع عقد حرارة او كالوري وتسعة اعشار . والكاربوهيدرات يتولد منه اربع عقد وعشر واحد . والدهن يتولد منه تسع عقد وثلاثة اعشار . وكل ما نأكله من لحوم وحبوب وخضار يتحول بواسطة الجهاز الهضمي الى الانواع الثلاثة المار ذكرها باقدار مختلفة كما يتضح مما يلي :

اوقية	النوع	بروتيد	دهن	كاربوهيدرات	كالوري
٢٠	لحم البقر	٨٣،٣٥ غرام	٨٩،٥ غرام	٠٠٠	١١٨٠
٢٠	« الغنم	٩٢،٤	١٢٥،٨	٠٠٠	١٤٤٠
١٢	« الخنزير	٥٥	٢٢٥	٠٠٠	٢١٨٧
٢٢	« مقدد	٨٨	١٤٢	٠٠٠	١٥٣٤
١٨	« السمك	٤٠	١	٠٠٠	١٥٥
١٤	« « المقدد	٦٣	١ ½	٠٠٠	٢٧٦
١٨	من دقيق القمح	٥٥	٥	٣٨١	١٨٥٠

٢٠	من دقيق الذرة	٥٠	١٢	٤٢٥	١٩٨٦
٢٢	فول ولوبياء	١٥	١ ½	٤١	٢٤٠
١٣	أرز	٣	٠ ¼	٣٥ ½	١٦٣
٢٢	بقية الحبوب	١٦	٠ ½	٤١	٢٤٦
١٦	بطاطس	٩	٠ ½	٨١	٣٨٠
٢	انواع الفاكية	١	٠ ½	٣٣	١٤٧
٢٢	السكر	٠	٠٠	٦٤	٢٤٦

نستدل من هذا الجدول ان الاقتصار على نوع من الطعام لا يفي بمطالب الجسم من الحركة والنمو وقد يفقده مزية التوازن بين دخله وخرجه . ولذلك يجب ان يكون طعامنا مؤلفاً من لحم وحبوب ونبات لنحصل على الكمية اللازمة من الغذاء على اقرب تعديل . فالفاعل الذي يشتغل طول يومه يحتاج الى طعام اكثر من الجالس في مكتبه . كالقاطرة التي تجر خمسين مركبة تحتاج الى فحم وماء ضعفي ماتحتاج اليه قاطرة تجر خمساً وعشرين مركبة . ومطالب المعدة تحصر بتوقيت ميعاد الاكل . وجودة المضغ . والتفكير في الاكل في ساعة الاكل . اما شكاياتها فكثيرة فهي تشكو من الذي يجلس للطعام وافكاره مشتتة باشغاله في البورصة او في سوق التجارة او تحبير مقالة او نظم قصيدة او ما شاكل ذلك . وتشكو ايضاً من الذي يستهل طعامه بكاس من العرق او اكثر ويتبعه بانقبالات من خيار مكبوس وطماطم وفستق مملح وقلب مشوي وكبيبة نيئة وقد يستغرق هذا المستهل ساعات وبعده يقوم الى المحاشي والمطبقات . وتشكو من الذي يخدع نفسه ويسلم معدته لصديق يتولى وسقها من المشروب والمأكول حسب هواه وكرم اخلاقه . وتشكو من الذي لا قاعدة لميعاد فطوره او عشائه . وتشكو من العادات المتبعة بالاعياد والمواسم فلاجل عيد القديس حنا وميخائيل وبولس تقاسي الامرّين . وتعرض بجندها الاحتياطي لمشقات لا طائل تحتها ولا فائدة منها . وتشكو بكل احترام واجلال من المشد فانه عدوها الالد . ومعدة الطفل تشكو من الام التي تصب فيها اللبن جزافاً او تحملها من الطعام الغليظ قبل اوانه وهذا العضو لا يداجي ولا يعرف المحاباة فهو يشكو عندما تتوفر لديه اسباب الشكوى من اكبر كبراء العالم واعظم اغنيائه الى اصغر الحشرات قدراً . فروكفلر الاميركي صريع معدته وهو رب المال كثيراً ما يقف يتأمل بعامل فقير يأكل طعامه الخشن

شهية وسرور فيغبطه ويتمنى لو كان له ربع ما لمعدة ذلك المسكين من القوة على هضم طعامها . وعبد الحميد كان حكم معدته عليه اشد من حكمه على رعيته . ولويس الحادي عشر كان لما يشعر بالتخمة ينزع تاج الملك عن رأسه ويبكي بكاء الطفل في سريره

يتضح مما سبق ان هذا العضو سلطة على حياة الانسان واعماله وله علاقة بالدماغ بواسطة العصب الرئوي المعدي . فالاستاذ باولو اختبر ذلك بعملية في حيوان فاحدث ناسوراً بالمعدة وآخر بالمريء واطعمه فأكل الحيوان بنهم الا ان الطعام خرج من ناسور المريء ولم يبلغ المعدة . غير انه تأكد من الناسور الثاني ان العصير المعدي او الهاضم ازداد كثيراً كما لو كان الطعام وصل اليها . واثبت الاستاذ همتر ان مقدار العصير الهاضم بمدة اربع وعشرين ساعة يتراوح بين ٥ و ٨ لترات وينقص كثيراً في من يستهل طعامه باقداح العرق ويتبعها بالمقبلات ولذلك نجد هذه الفئة معرضة للامراض الوافدة لضعف الجهاز الهضمي بها فضلاً عما تصاب به من سوء الهضم وما ينجم عنه سوء الخلق — وافضل طريقة تصون معدتك من الشكوى هي :

١ اغسل يديك وفمك قبل الطعام

٢ جرب أن تزيد مضغة على كل لقمة وتقلل لقمة في كل وجبة

٣ احترم مواعيد الاكل

٤ لا تشرب غير الماء واجعله ان امكن في النهاية

٥ لا تقرأ ولا تفكر باشغالك وانت تأكل

٦ لا تدخل على طعامك غير الماء

٧ اعلم ان طعام الصباح مهما كان لطيفاً يستغرق من الوقت ثماني عشرة ساعة ليقطع مسافة سبعة وعشرين قدماً . فيمكث في المعدة ساعة ونصف . وفي الامعاء الدقيقة ساعتين ونصف وفي الامعاء الغليظة اربع عشرة ساعة . فكم يحتاج بأتري طعام الغداء او العشاء من الوقت فتأمل

٨ كن صديقاً لمعدتك اكثر من صديقك لك

مصر الدكتور اندراوس شخاشيري

﴿ اصلاح ﴾ وقع بالصفحة ٥١٠ سطر ١٨ من هذا الهلال غلطة مطبعية وهي لفظة « جوامع » صوابها « شوارع »